

فرانسیس ہائسون

سیمون دو بووار

أو

مَشْرُوعُ
الْحَيَاةِ



فَرائِصُ مَبَانِيظِ

سَيِّمُونِ دُوبُونُفَارَ أَوْ مَشْرِوعَ الْحَيَاةِ

رُجُلَةُ : الدُّوَارِ الْخَرَّاطِ

الى سائرنا بالطبع
قلم أكتب عن التفكير فيه لحظة واحدة
منذ أن شرعت في هذه الدراسة
التي كان هو وحده القادر على أن يقوم بها
على غير وجهه

الملف الزمني

عندما عرفت سيمون دوبوفوار كانت تولشك أن تبلغ الأربعين عاماً من العمر ، وكانت زميلة سارتر ، وكانت الشهرة قد أخذت ، ولما تكبد ، تدن لها ، لما قامت به بنفسها : أي أنها في خلال سنوات أربع كانت قد نشرت ثلاث روايات ، ودراستين ، ومثّلت لها مسرحية . أما اليوم فقد أصبح جمهورها بحيث لا يمكن للمرء أن يتفادى اتخاذ موقفه بالنسبة لما قاله سيمون دوبوفوار في شئ الموضوعات ، وبحيث يبدو أن معزى عملها نفسه قد أصبح يكمن في شيء أشبه « بالانتاج المشترك » - حيث يشارك جمهورها فيه بقدر ما تشارك . وبمجموع عملها الآن قد أوشك أن يبلغ عشرين كتاباً ، خلال فترة لا تزيد عن عشرين عاماً إلا قليلاً ، إلى جانب قدر وفير من المقالات نشرت في الصحف ، وعدد لا يحصى من المحاضرات ألقى في كل مكان من العالم تقريباً ، و يضع حجاب غطاء من الخطابات تشهد وحدها ، أكثر مما يشهد شيء آخر ، بحقيقة أثرها على قرائها .

أما عنها ، هي ، فعمّن يشتم عليّ أن أتكلم ؟ أنها الروائية ، وكاتبة الدراسات ، وصاحبة المحللات ، والمؤلفة المسرحية ، وهي أيضاً صاحبة تحقيق عن أمريكا ، وصاحبة شهادة ملتزمة أعظم الالتزام عن حرب

الجزائر ، وقد كتبت سيرتها الذاتية في ثلاثة مجلدات ، وكتبت قصة " متيرة للشجن والمضض عن موت أمها... لا ، لم يغيب عن ذاكرتي " الجنس الثاني " وهو قطعاً أكثر من دراسة - ولا أن هذا العمل الخامس ، بحريته ، قد كتبه امرأة : هي ليست بالكاتبة التي تتحدث عن الحياة (حياتها أو حياة الآخرين) فحسب ، بل هي أيضاً لم تكف قط عن أن تريد نفسها مثولة ، و " صاحبة " وجودها نفسه .

فالذا أصفت إلى ذلك أنها قد فرغت الأرض طويلاً وعرضاً ، وأنه قد أتبع لها أن تلقي بالغلب من تتكون منهم الصفوة الحقة في هذا العالم ، على كل المستويات ، وأن ثقافتها السياسية ، والفلسفية ، والأدبية ، والفنية ، والسينمائية ، ثقافة غريبة حقاً ، وأن شهوتها المشبوبة للاضامة بالواقع (سواء كان مجرد أحداث صغيرة أو كان في الاحداث الهائلة) ما زالت قوية كاملة العضوان ، فكيف يتأني لي أن أتر - لفقاري - هذا الشروع الذي أتعد الآن في تقييمه ؟

التي لا أرى لذلك ، في الواقع ، تبريراً غير تلك الحاجة التي استبدت بي ، في العام الماضي ، أن أعيد قراءة العمل الذي قامت به سيمون دو بوفوار وأن أعيد موقعي بازائه . ولا شك أن ذلك يرجع ، من ناحية ، إلى أنني قد أخذ يزداد اعتمالي ، باطراد ، بالمشاكل المتعلقة بوضع المرأة ، وإلى أنني من ناحية أخرى ، حاولت أن أفهم ماذا دار بذهن ذلك العدد الكبير من الناس ، رجالاً ونساءً ، يوم قرأوا هذه العبارة : " أنني أرى ، بذهول ، إلى أي حد قد رحت ضحية للتعبئة " ولكن الواقع أنني منذ اللحظة التي أخذت فيها أعالج هذا الجبل الشامخ من أعمال سيمون دو بوفوار ، لم يعد ثم شيء يوسعني أن يوقف جهودي في أن أنفض به - مهما بدت لي هذه الجهود ، يوماً بعد يوم ، قاصرة لا طائل ورائها . ومع ذلك فقد استطعت في مضيض حقيقي في غلال الشهور الأولى ، ، وإن ذلك ليحفني حقيقةً مهما كان فيه من برهان على ما سبق تحرير هذا الكتاب من إعداده لانها في .

قائمة التي جمعتها خلال هذه الفترة ، وكل تلك المراجع التي تراكمت لدي ، وكل تلك المذكرات التي دونتها ، كانت تتيج لي أن أكتب اليوم ثلاث دراسات حثيثة ، دراسات فكرية بحتة ، وأن أوقف ، فوق ذلك ، مجموعة جميلة من مختارات أعمالهم تسهم في إلقاء الضوء على تلك الأعمال بقدر ما كانت تسهم به تلك الدراسات .

وكان عليّ بالطبع أن أختار . ولما إذ أتحدث عن امرأة يسكن لها ، فيما يتعلق بها هي ، أن تصل ، دون توقف ، إلى أقصى قدر من الدقة ، فقد كنت لأخون الأمانة ، حتماً ، لو أنني لم أضع في اعتيادي تلك القسائم التي لا عداد لها والتي لا تكف عن أن تصحح بها وجودها لنفسه ، كلما تناولت ماضيها من جديد لكي تحاول أن تفهم نفسها في الحاضر . ومن ناحية أخرى ، فسرعان ما انتصح لي أن كتبها في سيرتها الذاتية إنما تشكل حقاً مركز الثقل في عملها كله ، وأن الغنى الخارق الذي تسم به هذه المجلدات الثلاثة (مذكرات فتاة مستظيمة ، وقوة العمر ، وقوة الأشياء) إنما ينطلي إلى حد كبير مجموع الموضوعات التي تعبر عنها في أعمالها الأخرى ، وأنه من الممكن أن يعلم المرء مع روايات سيمون دو بوفوار ، أو أن يتأمل دراساتها ، أنها في نهاية الأمر فقد كان هناك مجالاً لانهائي لفهمها في كل ما نقوله لنا عن نفسها مباشرة .

على ألا يسيء القارئ فهمي . قلت أني هنا أن أسلم أدنى تسليم بوجهة النظر القديرة التي يغرينا أصحابها دائماً بأن تغفل الجانب الأدبي عند الكتاب لصالح الفكر ، أو أن تغفل فكره حتى نولي أدبه اهتمامنا : إن وجود سيمون دو بوفوار وحده (شأنه في ذلك شأن وجود سارتر أيضاً) فيه الكفاية لبعض مثل هذا الموقف . بل أريد على العكس أن أجعل الوجود الذاتي المستقل لهذا العمل ، وهو عمل أدبي فيما هو واضح ، وأن أضع بين يدي قرائه ، في الوقت نفسه ، حقهم في تقييمه تقيماً حراً ، على النحو الذي عليه عليهم أدواهم - بحيث يكون من شأن الوجود الذاتي المستقل

للعمل الأدبي أن يعدك ذلك التقييم الحر ، إلى حد ما ، وأن يؤيده ويؤكدته ، في الوقت نفسه ، إلى حد كبير . إن دور الناقد ، في نطاق هذه النظرة ، ليس هو الحكم على العمل الأدبي ، بدلاً من القارئ ، بقدر ما هو تجريد العمل من كل امتداد له ، في حدود الامكان ، استعداداً لاقاء الضوء على أسسه ، وأصوله ، والمعنى العميق الذي يستمدد العمل الأدبي من كل ما أعدّه لتوجد : من كل الروايات المتاحة ، من القضايا التي صادفته ، من المتطلبات والمتنصّيات التي تتخلّق بإطراد والتي أتاحت للكاتب أن يقدم صاحبها . وإن فانه من المعين أن يقوم الناقد ، بإزاء بعض الأعمال الأدبية ، بعملية فكّ الرموز وإزالة الغموض ، نتيجة للمظهر الأدبي الذي تتخلّده تلك الأعمال (سواء كانت من نمط الرواية أو المسرحية أو الدراسة العقلية) : ولكن الأمر ، عند هذه الكتابة بالذات ، يختلف عن ذلك ، إذ أنها قد تولّت ، تحت أنظارنا ، مهمة الرجوع إلى مصادرها بنفسها - إلى الدرجة التي تتيح لها أن تشير إليها ، بعد ذلك ، تعليقاً على نفس الكتب التي استمدتها من تلك المصادر .

ولذلك فإني ، في هذه الدراسة ، قد أوليت «مذكرات قناة مسقطية» اعتماداً خاصاً ، وأكثر أن أمدّ القارئ بأعمق مفهوم ممكن للمستوى الذي تتعدّد فيه المقومات الجوهرية لهذا الكتاب ، بدلاً من أن أشتت جهودي في احصاء شامل - بقدر ما يتسع له الشمول - لموضوعات التي تعالجها سيمون دو بوفوار (أو الكتب التي وضعتها ، أو للشخصيات التي خلقتها) ، وإلا فما كان قد أتيح لي إلا أن اكتب موجزاً مسطح الأبعاد عن فكر سيمون دو بوفوار .

ولعله ينبغي أن أضيف ما يلي : إن هذا الكتاب هو عندي قبل كل شيء مغامرة شخصية . نعم ، التي أسلم بذلك ، في نهاية الأمر ، وهي مغامرة من أكثر المغامرات مقدرة على لقاء الضوء أعمى ، فيما يتعلق بالوضع الإنساني . ومن خلال هذه المغامرة ، في الواقع ، تتكشف لنا امرأة أعزلت

على عائقها أن تعيش ملء حياتها ، وفقاً لمطلوبات ومقتضيات ذاتها - ومن هذه المقتضيات ، على وجه الدقة ، أن يتم التوصل بينها وبين أشياءها من الناس ، أن تقول لهم عن خبراتها وتجاربها القانية ، دون أدنى تنازل أو تسليم ، وبأكبر قدر من الأمانة الصارمة .

إن هذه الدراسة كلها ، على نحو ما ، يتضمنها عنوانها نفسه : أما البدء في تناول مضمونها فهو على وجه الحتم أن ألقى بنفسي ، بكل جوارحي ، في محضم " الأشكال المتعددة التي يتخللها ، عدم الرضى ، الذي لا يمكن إشباعه إلا بحديث لا نهاية له ، ولا نهاية لاستشفائه ، وتصحيحه ، وإعادته . وبين هذين الطرفين (ارهاب الانحياز والاختصار من ناحية ، ولرهاب الاتساع والشمول من ناحية أخرى) فلت أئوي أن أقدم لقرائي وقرائتي الا تصوراً يوشف له - ولكنه قصور يفترون بنوع من الاستغفار يدعو القارئ الى ان يعالجه وأن يستكمل - ذلك أمل الوحيد .

اني لم أشرح سيمون دو بوفوار ، لم أتقص بعينه ، « الاحاطة » بعملها ، ولا بحياتها ، ولا بفكرها . وإنما حاولت أن أشير الى المحاور الكبرى التي يبدو لي أن كلاً منا يستطيع أن يفهمها ، وفقاً لما ، وأن يحسن فهمها في كل مرة يقرأ فيها أعمال سيمون دو بوفوار ، ويعيد قراءتها ، بناءً على ما يجده في ذاته ، وفي هذا العالم الذي نتشارك فيه .

الجزء الأول

العوامل السّامة في مرقفها الطبيعي *

١ - الاستعدادات الطبيعية الأولى

هناك أولاً "حيويتها الحارقة" التي لا هوانة فيها : «كنت أنفجر صحة ، وشباباً ، وظللت حبيسة البيت ، والمكتبات : ككل تلك الحيوية التي لم تكن ألق منها شيئاً كان ينطلق جراحها في ذواتها لا طائل من ورائها ، في رأسي وفي قلبي »^١ . ولم يعرف عنها ، إذا لم تكن خطأ ، أنها قد أعقراها مرض^٢ بلغ أدنى حد من الخطورة إلا ما انتابها وهي في نحو الثلاثين من العمر : كانت وثناعا قد أصيبت ، وكانت احداها « تشبه قطعة من الكبد » ، ولكنها بعد بضعة أيام كانت تلوح جبال « المور »^٣ (وان كان من الحق أنها كانت تتخط نفسها أكبر الحيلة : « كنت أكل قشرة الكستاء حتى الغصة ... وكنت أقام في العاشرة مساءً ، كنت أدلل نفسي ») . وفيما عدا ذلك لا يعد المرء ما يذكر في هذا الصدد إلا نكسة طقيفة وجلة سرعان ما استمدت منها فائدة ، بانواع نفس المبدأ (« كنت أفرغ التلال المجاورة ») وبعد عشرين عاماً ، في البرازيل ، نوع من التيفويد لم يشارك فيه المشايخ ، والأزهاق ، وروما فيروسات المرض ، بلا شك ، بقدر ما شاركت فيه « وحشة البلاد » نفسها مقترنة بالقلق على .. صحة سارتر .

١ - « مذكرات فلاد مستيقية » من ١٩٥٨ من الطبعة الفرنسية .

٢ - جبال المور Mourra سلسلة جبال صغيرة الارتفاع على ساحل البروفانس ، في شرق فرنسا ، على البحر الأبيض المتوسط .

وهي مشادة لا يتألف الوهن من الشيء ، ولا تسلم عن طواعية بإرهاق الآخرين : فليس يعينها في شيء أنهم يتكبدون المشقة بل يشقون في متابعتها إذ تسير ، فليس هم على أي حال أن يتطروا منها أن تلبث في سيرها أو تختصر طريقها ، فإذا لم يعد في وسعهم على الاخلاق أن يواصلوا السير فليتهم أن يتوقفوا ، لو أن يستقلوا القطار . أما هي فسوف تخفي في طريقها ، بلا هودة . كتبت تقول : « كنا نمتنع ، كلانا ، بصحة الثيران »^١ ولكن إذا كان من الحق أن سارتر يمتنع أيضاً بينة على قدر من متانة الأمر ، فانه لن يفوز بازائها ، على أي حال ، في امتحان لقوة الاحتمال .

إن مثل هذه الصحة ، في نهاية الأمر ، توشك أن تكون أشبه بالمرض ، ويأتي لما على أي حال أن يصيبها الحرج منها ، أن تنوء بثقلها ، أن تحار فهم تصرفها : « كنت أتفجر صحة » ، « كانت الصحة تفيض بي فيضاً »^٢ . والواقع أنها كانت تفيد منها إلى أقصى حد ، ولكن هناك ، في السطرية الخفيفة التي تضعها في تعبيرها عن رطبها بهذه الصحة (« التي معجبة بصحتها .. »)^٣ شيء أشبه بحاجة إلى التماس للعفوة عن هذا الامتياز ، إلى طلب المعلومة عنها ، من الناس العاديين .

وبالقدر الذي لا يكون فيه السياق هنا عفة عظيمة ، فإن هذا الفيض من وفرة الحياة المليئة ليس إلا بهجة بالحياة : « يبدو مجرد الوجود ببساطة شيئاً يدير الرأس بالشمك » . « كنت أحب الحياة ، بشغف مشبوب »^٤ . إن الطرائق الدقيقة الرياضية التي يستخدمها خبراء « القياس الأمثلوي » لم تستطع أن تمنعني بذاعتها التقيدية ، ولذلك لم أؤمن بأحصاء عدد المرات التي جرى فيها قلم سيمون دو بوفوار بكلمة السعادة أو الكلمات التي

١ - « لوفاتيمر » من ٢٢ من الطبعة الفرنسية .

٢ - « قوة الصبر » من ٦٨ و ٢٢ من الطبعة الفرنسية .

٣ - « قوة الصبر » من ٣٣٧ من الطبعة الفرنسية .

٤ - « مذكرات فلان مسجلة » من ٢٢٢ و ٢٢٩ من الطبعة الفرنسية .

عنت لها بصلة القربى . ومع ذلك فإن أكثر قرأتها شروء بال أن يليب عنه
تردد هذه النعمة الرئيسية على نحو متواتر ، عبر أعمالها جميعاً ، وهو ما يكفي
واحدة أن يشير ، بلا أدنى نزاع ، إلى مقبر رئيسي تنظم حوله ، وتجذب
إليه الموضوعات المختلفة في المسدس الكوكبي لسيمون دو بوفوار . فعند
طفولها الغضة نراها تجد متعة في الحياة ، وهي سعيدة على نحو تلقائي ، وتبدو
لها السعادة أمراً طبيعياً . ونحن نسمعها تقول ذلك ، ونكرره بكل الغمات ،
دون أن يعتربها كلل ، كأنه تسيحة بالحمد على النعمة ، ترددها باستمرار :
« كنت صبية صغيرة مرحلة غاية المرح » - « كنت أرى في الحياة مقاومة
سعيدة » - « كنت قد وهبت ما يطلق عليه الطبع السعيد » - « كنت أملاً
صفحات من كراسي ، لحكي ، بلا نهاية ، فرحتي .. » ، قلنا هذه
المتقطعات ترد في « مذكرات فتاة مستقيمة »^١ ولا تتعلق من ثم بفترة
الطفولة أو الصبا ، قلنا نجد صداها ، على أيسر نحو ، في الجزء الثاني من
سيرتها الذاتية (في الفترة التي كانت فيما بين العشرين والسادسة والثلاثين
من العمر) : « كان كل يوم عيداً » - « كنت أنتقل من مفاجأة إلى
بهرة العجب ، من متعة إلى بهجة العيد » - « كانت السعادة تغرقني » -
« في انطلاقة الحسد الذي يحتفل بعيدة كان يبدو لي أنني ألس حياء سورتي
في أن أحياء » - « كانت السعادة أكثر من مرة ، توفظني من نومي » -
« أنني أفكر في حياتي وأنا راضية عنها رضى عميقاً » - « أفكر في كل
تلك الحياة ورائي ما من مستقبل يقادر على أن ينزعها مني »^٢ ولكن عندما
تأتي « قوة الأشياء » ، غضب « قوة العمر » فإن الصدى يبدو في بعض الأحيان
كأنما يחדش السمع ، وتغير تسيحة الحمد ، هنا وهناك ، إلى مرلبة جزائية ،
ويقتد موضوع السعادة سحره ويحول إلى حوار قائم كتيب . والملاحظات

١ - نفس المرجع صفحات ١٥ و ٥٠ و ٤٨ و ٣٢٠ من الطبعة الفرنسية .

٢ - « قوة العمر » صفحات ١٧ و ٦٠ و ٦٤ و ٣١٠ و ٣١٤ و ٤٠٩ و ٤١٢ من الطبعة الفرنسية .

الإنجيلية الناصرة (من نوع : « التي راضية ، حتى لا أغير » - أو « ان لي ، قطعاً ، طبعاً سليماً ») لا تعرض كل تلك الملاحظات التي تضع بهجة الحياة ، على العكس ، بقسوة ، في نطاق ماضٍ غابر : « هذه الشمس أيضاً ظلت مركوزة في ذاكرتي كأنها لواء من ألوية السعادة التي مضت » - « كنت أعود فأجد من جديد طعم سعادة قديمة سحقة القدم » - « عدت فرجعت ، لحظة ، طعم ألوان من السعادة ولت واقتضت » - « في تلك اللحظة ، كنت أحس نفسي ، مع ذلك ، سعيلاً : ولكنني كنت أفق على الجانب الآخر من خط لن أعود قط فأعبره من جديد » (١) .

ان سيمون دو بوفوار ترجع هذا التغير في النظرة - وهو التغير الذي آثار إنفعالاتاً بالغاً عند جمهورها المثابر على قراءة أعمالها - الى سببين يبدو أنها تراهما سببين حاسمين : اقتراب الشيخوخة والأهمية التي يتخللها ، في حياتها ، بعد « تاريخي » يغدو غريباً للأمل يوماً بعد يوم . فإذا لم يبد أن هذين السببين كافا ، دائماً ، قادرين على اقتناعنا ، فذلك ، بلا شك ، لأن عدداً كبيراً من قرأتها (ومن قارئاتها أساساً) كانوا قد اتخلدوا طريفاً عاطفاً بقرائتهم للجزئين السابقين ، ونتيجة للتصور الذي وجدوه فيها ، عن السعادة . كأنما يبدو أنهم لم يحفظوا من هذين الكتائين الا بأغرب المظاهر مثلاً وأكثرها سطحية ، وقد دعمه - الى حد لا مبرر له - ترداد هذه الكلمة نفسها ، او مرادفاتها المماثلة ، ترداداً غلاباً ، حتى لو كان ذلك يتأتى في صيغ من العبارات توحي وهافتها ودقتها بمعنى أكثر تعقيداً . وقد حرصت بقاءة ذي يده ألا أشير الى هذه العبارات ، إذ التي أحاول ، على وجه الدقة ، أن أضع هنا معادلاً لكل هذا الفهم ببساطة ، في صورة مركزة ، وأن أضع بالثاني معادلاً للمفارقة القاسية التي لا بد أن تنجم عنه عند الانتقال الى الجزء الثالث من السيرة الذاتية . ولكن الأخرى بنا الآن

١ - قوة الألفاظ : صفحات ٩٦ و ٢٥٥ من الطبعة الفرنسية .

٢ - نفس المرجع : صفحات ٢٢٤ و ٢٥٠ و ١٢١ و ٢٧١ و ٢٢٢ من الطبعة الفرنسية .

أن ننظر في الأمر نظرة أعمق .

لقد رأيناها تقول عن نفسها أنها قد « وُهيت » منذ طفولتها طبعاً سعيها . وهي إذ تتحدث عن صحتها التي تلبس صحة الثيران ، وعن صحة سارتر ، تذكر أيضاً « ميلها إلى الضحك » كأنه هبة أخرى من السماء . ولا شك أن المرء يلحظ ما عتد به من عقيدة تؤمن بالبهجة والفرح ، والتقدير الذي تكنته ، على القور ، كأنه رد فعل انعكاس مباشر ، لأولئك الذين يتفوقون بلورهم تحت هذه العقيدة ، والالخاج الذي نجعل به أقرب الشخصيات إليها يعبرون عن انقسامهم « بمرح » في أعمالها الروائية^١ . ولم يكن بين ذلك وبين أن تتصور نفسها موهوبة للمعادة إلا خطوة واحدة . والواقع أنه قد اتفق لها أنها قد نطقت هذه الخطوة ، بطفة . وحتى في الكتاب الصغير المثير للشجن الذي نشرته أخيراً بعنوان « موت عذب لحاية العذوبة » نراها تعود ، مرات كثيرة ، إلى المرح الذي يوشك أن يكون طبعياً عند أمها : « كانت رفيقة » كانت مرحلة ، وكانت ابتسامتها تسحرني^٢ . - « عدنا قابستنا من جديد تلك الابتسامة التي كانت تسطع على طفولتنا الصغيرة ، ابتسامة مشرقة من ابتسامات المرأة في ريعان شبابها » - « لفصحت على قفصا الخزين ابتسامة : يحسني الناس لأنني مرحلة » ، هذه الأم التي « وُهيت مزاجاً قوياً وطيد القوام ومشوب الحسنة » لها للحياة « شهوة عارمة حيوانية »^٣ كانت تقول أحياناً لابنتها « انما متي اذا تستمدتين حيوتك »^٤ ، هذه الأم هي التي

١ - هذه السمة المميزة التي تكاد تكون لازمة صحية من لوائزم الكتابة عندما « نجدها أيضاً عند سارتر . وإنما ينبغي هنا « بلا شك » أن نجد ، تحت هذا التقاطع الفكري ، ثباتاً في موقف كل منها : فالأمر هنا يتعلق ، باعتصار ، بتصويرين غليظين المرح ، ريتشارد وأسلوبين غليظين القويمة ، لمواجهة الحياة .

٢ - « موت » عذب لحاية الطوبى ، صفحات ٢٣ و ٢٦-٢٧ و ٣٢ و ١٦١ من الطبعة الفرنسية .

٣ - نفس المرحج صليحة ١٠٦ من الطبعة الفرنسية ، « كنت أود » من كل قلبي ، أنه أقروا على رأينا ، (هذه اللغة المتعطفة لا تستهدف إلا ملاحظة غير سارة أيتها أمها ، في نفس الوقت ، ولكن بدلاً من موضوع آخر يختلف من ذلك كل الاختلاف) .

تعرفت فيها البتة في الواقع ، على نفسها ، في هذا الصدد .

ذلك إذن « استعداد طبيعي » لا تزعم صاحبه أنه نظري كامن بل تدعي كذلك أنه وراثي ... ومع ذلك فإن كاتبها ، في الوقت نفسه ، لا تدعي في جهل بأن قوة الأشياء قد قصت على هذه الموهبة في النهاية ، سواء في حالة أمها أو في حالتها أيضاً . أعرف أن هناك تفسيراً يقترح علينا ، لقور ، تفسيراً يبدو أن الثقافة والظروف تلعب فيه الأدوار الرئيسية الأولى ، على النحو التقليدي الكلاسيكي . أما دور القارئ ، على أي حال ، فليست أعتقد أنه يتكون من افتراض البساطة عند الكاتب ، بمجرد أن تظهر أول إشارة للتبسط والحل . أنا بآراء امرأة تأتي لتقول لنا تقريباً : « كنت دائماً أتمتع بموهبة السعادة ولكنني لم أجد سعيدة » ، وهي تلج ، بلا كلل ، على بيان هذا التعارض ، وتؤكد طريقه كأنما في ذلك مدعاة للسرور ، فهل ينبغي إذن أن نعلن ذلك كله أننا يستهدف غرضاً واحداً ، هو أن نستدير لدينا بضع تأملات عميقة من الطراز الذي يقول « الحياة ليست سعيدة » « السعادة لا تتفق مع الوضع الإنساني » أو على محور أميل إلى المسيحية « لنا في هذا العالم لكي نعرف السعادة » ؟ إذا كان هذا الحوار بين الحياة المعاشة وبين حب الحياة ما زال يشغلنا إلى ذلك الحد ، وإذا كانت ما تزال قادرة على حوض هذا الحوار تحت أنظارنا ، فأنما ذلك بلا شك يرجع إلى أنها لم تنته من ذلك الحوار ، وأن الأمر ليس عندها بالقضية المقروء منها ، وليس مجرد حوار لا طائل وراءه لم تعد هي بعد الآن صاحبة الشقة .

فلنستمع إليها ، من ناحية أخرى ، تحدثنا عن لمجتها بالحياة عندما كانت في نحو الثالثة والعشرين من العمر : « السعادة التي كنت أخطئ فيها ... »^١ حوار غريب لا يبدو إذن بين السعادة وبين العقبان التي تنفخ في طريقها ، بل يدور في فاضل نطاق السعادة نفسها ، بينها وبين السعادة :

١ - « قرعة العمر » ص ٧٠ من الطبعة الفرنسية .

ذلك ، فيما أعتقد ، هو المعنى الحقيقي لهذه المسألة التي نشطنا ، هذه المسألة التي ما تزال تحتفظ عند كاتبنا بنضجها الخبيث الساحق ، وهو معنى يتجاوز كل تحديد قد تميل إلى تصويره بين فترة « سعيدة » في وجودها ، وبين فترة « عدم السعادة » . أن الحياة في الواقع ، لا يمكن أن تقف موقف المعارضة للسعادة ، إذ أن الحياة هي الشرط الأولي للسعادة ، وموهبة السعادة ليست التمتع بمقدرة سحرية تجعل المرء سعيداً بالرغم من الحياة ويبحث لتغلب الحياة ، أن أجلاً وإن عاجلاً ، على هذه المقدرة : وإنما موهبة السعادة هي أن يكون المرء ، في حياته أية مدة بالذات ، أيًا كانت ، مهيئاً للسعادة ومقدراً على تذوقها ورغبة عارمة في أن يكون المرء سعيداً . وإنما تُعطى السعادة في الطفولة العفوية ، منذ نعومة الأظفار ، أو لا تعطى أبداً : ولكن ما أن يبدأ هذا المنحى للكينونة يعني ببلاده ، حتى ينبغي له أن يكون منحي الوجود . ومن ثم فإن السعادة كمشروع لا تكف عن أن تنازع السعادة كإحساس فعلي . وأن يشغل المرء نفسه بأن يكون سعيداً هو بالفعل ألا يكون سعيداً ، وهو أيضاً أن يرى المرء نفسه مضطراً إلى أن يحدد السعادة التي يراها مشروعاً لنفسه : إنه يرسم خطوطها المحيطة بها أو يجعلها تتوقف على سلسلة من المشروعات المحددة : وهو ، في النهاية ، وبالتساوق ، أن يجد المرء نفسه في نزاع وصراع مع وجوه مختلفة للسعادة — هي مجرد « إمكانيات » لأن يكون المرء سعيداً في المستقبل ، وهي إمكانيات تميل لأن تبدو ، نظور ، متناقضة مع بعضها بعضاً .

أفخلص من ذلك إلى أن السعادة لا توجد ؟ بلا شك ، إذا فهمنا من ذلك أنها لا تأتي من تلقاء نفسها ، وأن علينا أن نوجد في السعادة بأن نلصق لها شكلها المتحرك أبداً يوماً بعد يوم ، في نطاق الأوضاع المختلفة حيث تعبّر حريتنا عن نفسها (مشروطة بهذه الأوضاع أو شرطاً لها) . ومع ذلك فإن هذا لا يعني أن السعادة وهم بحث ، وإنما إذ تطلق عليها اسمها قائماً تحكمكم على

أنفسنا بالأنا نقول شيئاً. إن السعادة، شأنها في ذلك شأن كل ظاهرة إنسانية، وشأن كل مظهر من مظاهر الوعي، لا تكون، ذلك أن «كَيْتُونَهَا» أما أن تكون دائماً جامدة في الماضي أو معلقة في المستقبل. ولكننا، على وجه الدقة، شأننا في ذلك شأنها، لا «نكون» إلا من حيث أننا مستقبل (أو ماضٍ) سائرين بدون توقف نحو أنفسنا، ولذلك فأننا لا نستطيع أن «نوجد» في هذه الـ«كَيْتُونَة»، على نفس النحو الذي لا يمكن أن يوجد فيه حضورنا الذي لا يمكن اقتناصه، بالنسبة إليها. وإذا كان لكلمة السعادة معنى ما عندنا فهو أنه مظهر علينا، باعتبارنا وعياً، أن نتفق في الزمن، أبداً، مع الكيان الذي هو نحن. أما إذا كنا نستطيع أن نمتنع بسعادة لم تكن بعد، أو لم تعد كائنة، فذلك بالقدر الذي يعطى لنا فيه، بالرغم من كل شيء، أن نحيا هذا الـ«عدم» للـ«كَيْتُونَة» التي هو نحن. إن الوجود السعيد هو في نهاية الأمر وجود يتأسر بأن يكون سعيداً: السعادة في الواقع تعطي نفسها له في هذا المشروع ذاته، ولا يحسن الوجود مباشرة بالسعادة إلا باعتبارها سعادة بالوجود، شأنها في ذلك شأن نغمة كل مشروعاته المضمومة^١. ونحن نرى الدور المهم الذي يقوم به هنا «بعدنا» الجسدي، يقوم به الجسد

١ - هذا النص الذي يبدو سلباً وسفهاً لا يمكن فهمه إلا بالرجوع إلى الأفكار الرئيسية للعالم الوجودي. ومن المعروف أن الوجودية تصور الإنسان وفقاً لما يصنع نفسه، وأنه لا «يكون» - سلباً - بل «يكون» فيما بعد، أي أنه «يوجد» وفقاً لما يريده لنفسه، ومن ثم فإن الإنسان هو أولاً «مشروع» يحيا نفسه، ملغياً بنفسه نحو المستقبل، وعلى ذلك تلخص هنا فكرة امتحاننا «الطبع» في الزمن، بين الإنسان كوعي والإنسان باعتباره كَيْتُونَة، وهي الفكرة التي يعالجها جانسون هنا. الوعي بالسعادة، إذن، عبارة تيسيرية، إما أن يسبق «السعادة» أو يليها. والواقع أن الفكرة الرئيسية عند جانسون هنا، هي أن السعادة مشروع يقع في المستقبل، أو وحي يوضع مغنى في الزمن. وجانسون هنا إنما يبيّن فكرة إنسانية من أفكار الوجودية التي ترى أن الإنسان هي ذاته كمشروع في المستقبل وأنه، أولاً وقبل كل شيء، مشروع يحيا نفسه، كما قلنا، ولا يوجد ثم شيء قبل هذا المشروع، إذ أنه ليس هناك طبيعة إنسانية ثابتة مسبقاً «والفرقة بين «الكَيْتُونَة» و«الوجود» من الطبقات الانسانية في القلب الوجودي، كما هو معروف» (الترجمة).

باعتباره البطلر (أو التجميع) للمظاهر المختلفة للعرضية فيها. ذلك أنه في الجسد وبالجسد يمكن أن تُحسَّس، أن تُشَبَّل، هذه السعادة بالوجود، ولكن منه أيضاً، ومن خلاله، تأتي إليها كل تكذيبات العالم لها، وكل تنازعاتها لها، والحيوية نفسها، بهذا المعنى، تقدم بنورها في كلا الاتجاهين : فإذا اتبعت لها حرية الظهور أصبحت بهجة بالحياة وتقوم مقام السند للسعادة بالوجود ؛ أما إذا واجهتها العقبات فإنها قد تَحْقُق وتَفْشَل إذا تمحَّيل إلى لغاد قصير، إلى احتراق مستعر للحياة. إن الحياة ليست إلا إرادة - حياة، أما الوجود، فهو على العكس، إذا استند إلى الحياة قائماً لكي يتجاوزها. وإذا فإنها، بمعنى من المعاني، لتتكون دائماً، إلى حد ما، من النكار للحياة، من رفض الحاجة إلى الكينونة ورفض التقاليد المباشرة... وفقاً لمطالبيات الممارسة العملية المدروسة، لمطالبيات العمل الواعي الواقع على العالم (وعلى الذات أيضاً، بالتساوق). إن الوجود ليس بالتأكيد معادياً للحياة بأكثر مما يكون الملاح معادياً للريح التي تملأ أشرعة سفينة؛ ولكن قد يحدث أن يفسطر المرء للملاح في ربيع موات لا تهب فيها نسمة، ونحن نعرف من ناحية أخرى أن الرعازع العاصفة ليست دائماً مما يفيد السفن. ولاشك أنه من الأسهل أن يحس المرء بهجة الوجود عندما تحمله الحياة في تيارها، وعندما تهب الرياح رعاةً مواتية، ولكن ينبغي مع ذلك ألا يفرس المرء في وحل تلك البهجة، ولا يدفعها لتدعور - بفعل الطاقة المهدورة التي توتق أثرها في خفاء - حتى تصبح مجرد بهجة بالحياة يؤدي خمودها الناعم السهل إلى انخفاض شتلة الوجود حتى تغدو ذبالة خافتة، وإلى مجرد الحلم بالكينونة. وإلى الاستفادة من العمل والتنازل عنه. إن مثل هذه السعادة، في الواقع، لن تكون إلا وهمية؛ ومضطرة إلى أن تزيد من حدة ذاتها، دون توقف، وبالأ راحت في غيابات اللاوعي، ولأن يطول بها الزمن حتى تدخل في صراع مع العالم الخارجي، وسوف تُخنى، مسبقاً وعلى أي حال، بالمزمنة سواء

كانت هزيمة خفية أم صارخة صاعقة مملوكة .

والسعادة الوحيدة التي نتاج لنا فرصة ما في أن نحياها ، هي وجودنا
نفس الذي يحصل هذه السعادة ، بالقدر الذي لا تنتهي فيه جهوده للافلاق
من أرض الحياة الى حد أن تحول دونه والاحساس بنفسه بوجود ، والاستمتاع
بحركة نفسها - وليس ذلك الا التزاماً لذات .

والآن ، فإذا كانت السعادة هي هذا الوجه الخائفي المفقود ، هذا
الاحباط المطلق الغارب أبداً (على العالم وعلى أنفسنا) لحركة وجودنا
نفسها ، فالتأ من ثم نرى أي صلة وثيقة بالضرورة بين السعادة والحرية .
ذلك أنه يتعين على السعادة ، كما يتعين على الحرية ، أن تنصرف على ذاتها
في الوقت نفسه . دون هواده ، أن تستعيد نفسها من « كينونتها »
المعطاة ، من وهم كينونتها ، وأن تلبو ذاتها في اوضاع محددة . أن
تغترب عن ذاتها في هذه الأوضاع ، من ثم ، بقدر بقل أو بكثير ، حتى
تستطيع أن تتجاوزها . ان المرء لا يوجد حياته بدون أن يحيا وجوده ،
بدون أن يجد فيه حداً أدنى من السعة . وإذا كانت الحرية قادرة على ان
تريد ذاتها بازاء العلم ، وضده ، فذلك بلاشك أنه يترب لها عن ذلك
شيء من السعادة - وهي ليست ، على ذلك النحو ، وبعد أن تضع كل
شيء موضع الاعتبار ، الا طريقها في تدفق ذاتها ، في الجبل الى تدفق
ذاتها وتدفق عازمتها نفسها .

التي اذا سمح لنفسها بهذه الملاحظات عن شروط امكانية السعادة ،
عن جوهرها نفسه ، قلت أزعج أنني اقرر ، سيقاً ، الآفاق الخاصة
لسيمون دوبوفور في هذا الصدد . ان التحليل الذي وضعت عطرطه
العامه فيما سبق يستهدف أساساً أن ألمهتد الأرض ، وان انتحي بالقاري . ،
جملة واحدة ، بعيداً عن تفسيرات معينة تتخذ شكل مازي لا يخرج
منه - حيث يكون دور الناقد الحق ، بالتاكيد ، الا يقدمه بفضل سبيله ،

ولكن من المسلم به أنني لم أكن لأقترح « اقراض القراءة » ذلك بالذات ،
لولا أنني عندما أعدت قراءة أعمال دو بوفوار وجدت هذا الاتجاه مفروضاً
على يقين ما ، ويبقى بعد ذلك أن نتحقق من صحته (وإن تعبه وتلقفه
إذا اقتضى الأمر) إذ نلزع - والتصور في ألبنا - هذه المتعطفات
المعقدة في موقف سيمون دو بوفوار من السعادة .

لقد لاحظنا من قبل ما عند سيمون الطفلة . بطبع تعبيرات عن سعادة
الكينونة ، وقد اخترنا عن عمد هذه التعبيرات ابتزازاً . وعليها الآن
أن تأتي بتوضيحات أكثر دقة وأبعث على الاهتمام ، عن هذا الطبع
السعيد ، الذي تمتع به تلك « الصبية الصغيرة البالغة المرح »

« لم أكن أتصور نفسي بوجه آخر ولا في إهاب آخر : كنت استمتع
بجلي » - « كنت راضية عن المكان الذي اشغله في العالم ، وكنت أراه
مكاناً ممتازاً » - « كان والداي مخلوقين ممتازين خارقين .. وكان لوقوعهما
بعود فينبثق عليّ من جديد ... كنت أشعني إلى صفوف من الناس » -
« كنت اعتبر من حظي العظيم أن السماء قد اختارت لي هذين الوالدين
على وجه الدقة ، وهذه الأخت ، وهذه الحياة »^١ . ومع ذلك فإن طريقة
الحياة في هذا البيت لم يكن فيها ما يدعو للشوة والتحليق (« كنا نجرّ
الضبطان من ذبله »)^٢ وكانت تتاح الفرصة أحياناً حتى لتدرك سيمون
مدى هذا الوضع (« كان يحدث لنا أن ندعى ، أنا وأخوتي ، إلى حفلات
تسم بالبلخ الذي يدير الرأس ») : ولا شك أن عائلة دو بوفوار كانت
قد احتفظت ببعض الصلات الاجتماعية ، ولكنها لم تكن تحفظ بسر
الحال ورعاية الأوضاع التي كانت مثل هذه الصلات الاجتماعية تفرضها .

١ - « مذكرات غداً مطبوعة » ص ١٩ من الطبعة الفرنسية .

٢ - المرجع نفسه ص ٤٥ من الطبعة الفرنسية .

٣ - مثل فالج يرمي برتابه الحياة والتعلق من المصانع من ناحية ، ومحاولة العمل بالنسج
والسفرات ما يفوت منها ، من ناحية أخرى . (التجميع)

ومع ذلك فإنه يبدو أن الفتاة الكبرى شعاعاً قد استطاعت أن تحتفظ برده
 فعل هو أوفق ما يكون في هذا الوضع ، وذلك بفضل موقف العائنة
 من جانب ، وبفضل ميولها نفسها من جانب آخر : « كانت كل تريني
 تدعوني إلى اليقين بأن القضية والفتاة أجدي من الثورة : وكان قولي
 وميولي تحملي إلى اليقين بذلك ، ومن ثم فقد كنت أقبل ظروفنا المتواضعة
 في هدوء وسلام »^١ وذلك بالقيط ما يسمى بعبارة أصبح أن نجعل من
 الضرورة قضية .

وقد كان من شأن هذه الحركة ، مقرونة بالاحساس بأنهما محببتان ،
 أن أسعدت القاتين . فهي من ثم « راضية » - « قانعة » - « تفيض بها
 السعادة » - مليئة بالسعادة ، فتاتنا سيمون ، كما يقول البعض عن الطراء
 إنها « مليئة بالنعم » : سعادة حال حقيقية ، على شكل امتلاء ... فهل
 هناك مع ذلك ، في موضع ما من هذا الامتلاء ، ثغرة ؟ ذلك أن هذا
 « المهدوء » الحركي يبدو في الحقيقة متوتراً قليلاً ، متصبباً على نفسه
 بقدر ما ، ومشغولاً ، على نحو غريب ، بأن يجد هذا الوضع الذي لا
 يلي بؤسك أنه مدعاة للرضى ، يجنده على حساب كل وضع آخر . فقد
 رأينا أن هذه الطفلة ترى في المكان الذي تشغله من العالم مكاناً ممتازاً ،
 وتحس بأنها متفوقة ، بأنها تنتمي إلى صفة مختارة . ويقال لنا ، بعبارة
 أدق ، أن « ظروفها المتواضعة » نفسها تشكل في عينها علامة على امتياز
 مرموق جوهرى : « كنت قد اقتنعت ... أن هذه الظروف المتواضعة
 شيء نحمد عليه : ورايت أن توسط أحوالنا هو الوسط العادل »

والتميز وحده جدير بأن نتوقف لديه : وإذا كان الاستعمال الشائع
 قد جعل منه بالفعل تعبيراً مسيئاً ، فإن المرء يميل قليلاً إلى نسيان أنه يعده
 بعبارة الخاصة بصورة ما زال شائعاً جداً في مجتمعاتنا الغربية « الوسط

١ - « تكرات فتاة مستقيمة » ص ٥٠ من الطبعة الفرنسية .

العادل ، أي الموضع الذي تجتمع فيه معاً فكرة العدالة وأختها غير الشقيقة
فكرة التوسط : بلاء التوازن . وما زال يقال : « الميدي » العادل ،
و « الأتزان » الذي يتسم به البحر الأبيض المتوسط ، و « القفيلة » في أوساط
الأنوار ، *in medio statitutus* وهي كلها طرائق في محاولة لرفع
الموضع الذي يجد فيه أعضاء « الطبقات الوسطى » أنفسهم ، إلى مستوى
المثل العليا ، بتغييره إلى رسالة ، برواية الجدارة فيه ، بتصويره على أنه
فضيلة ، وذلك في كل نظام اجتماعي قد استقر بقدر ما نتيجة لتوازن
نسبي بين العوامل الاقتصادية فيه ، والبيروقراطي الصغير ، إذ يجد نفسه
حيث هذا المصير يروغة مستغفاه ، وفقد وتحل في طين صعوبات
حقيقية ، ولكنها ليست مع ذلك صعوبات جبرية بحيث تدعو إلى مطالبات
جسدية عميقة . فإنه يظل معزولاً ، كفرد ، في داخل نطاق طبقة ، ومن
ثم فهو مضطرب فعلاً ، أكثر من البروليتاري إلى اسباغ مسحة أخلاقية على
تصرفاته . ذلك أن الحياة ليست سهلة أمامه ، ولكنه مع ذلك يمشي في أسر
ورغاه بقدر ما ، بالنسبة إلى كثيرين غيره ، ومن ثم فسوف يعاني الحاجة ،
بالضرورة ، وسوف يلتزم بالصرامة والتفقت لكي يبرر لنفسه ذلك :
إنها فضيلة أن يأتي ما تأباه عليه ظروفه (« العيب ما زال أخضر فحياً »)
وهو يدين بالامتيازات المشكوك في أمرها التي ما زال يتمتع بقدر ما يحسن
التصرف فيها ، يدين بها إلى جدارته واستحقاقه وحده - وهي امتيازات
تتأذى له حل أي حال نتيجة لموضع اجتماعي بطلت تماماً من قبضته . إن
التفسير البيروقراطي الصغير ، إذ يفت على هذه الأعالي المثالية ، وقد
توفرت له قيمه المادية قيمة العيبة^١ ، بمنح نفسه ترف الحكيم على الأغنياء

١ - الميدي متعلقة بالجنوب في فرنسا بما اشتهرت به من مزايها .

٢ - في حالة طبقة صاعدة تتخرج في الامتياز الفعلي على السلطة ، نجد أن المستوى الأخلاقي في
التصرف باسم قيم عالية (كالعدالة ، والحرية ، والمساواة ... الخ) ليست بالمعنى الواسعة
تماماً ، بقدر ما تعطي ، وتدعو إلى قبول تقدم معين ، محدود لكنه حقيقي ، في اتجاه
المثالية المنددة للصورة . ولكن الطبقة الوسطى المشقة بأمرها بالقليل الذي تملكه ، والمطبقات

والفقراء ، وأن يديهم أداة الاستئناف لها : « كنت أرى في المعوزين اليأس والصعاليك ، مبهوتين مطرودين ، ولكن الأمراء وأصحاب الملايين كانوا أيضاً معزولين عن العالم الحقيقي » : فقد كان وضعهم غير العادي ينحيم عنه .

ولكن هذا التوسط المبتذل الذي كان يبدو لطفلة كاتله « الوسط العادل » هو موضع عبارة رائعة تقولها عنه الكاتبة الناضجة التي تهرست بالسياسة : « كنت أظن أن أعلى الأجواء في المجتمع ، وأدناها ، مفتوحة لي معاً ، ولكن الحقيقة أن الأولى كانت مغلقة عليّ ، وأني كنت مبهتة الصلة ، على نحو جزوي ، بالأوساط الدنيا في المجتمع . »^١ ولكن ما يهينا هنا هو ما كانت تصوره سيمون الصغيرة ، بالطبع ، ما كانت « تلوّن » به بالفعل : ومع ذلك فإن مضمون هذا « اليقين » نفسه ، هو بلا شك أعقد بكثير مما يشو لأول وهلة .

نستطيع مثلاً أن نلاحظ أن خبرتها الحقيقية بالعلاقات الاجتماعية لم يكن من شأنها على الإطلاق أن توحي لها بوهي من هذا القبيل . فإنا لا

« بالمثل خلية أن تطفئه يوماً ما ، لا نفرض أبداً ، على المستوى الاجتماعي ، إلا قسراً زائفة » . مهنتها أن تبرز مجرد الامتثال لصير موضع لها ، لا أن تبرز مطروحاتاً ثوريةً إلى حد يقل أو يكثر . ويقر مع ذلك أنه هذه « القيم » إذا لم تثبت أن تصبح جزءاً مكتملاً من الظروف الموضوعية لكل من أعضاء هذه الطبقة الوسطى ، فإنها مع ذلك لزجة ، وتعاش ، وتقيم ، على المستوى الفردي — من جانب كل عضو من أعضاء هذه الطبقة ، وذلك في ظروف من الصراع والاختلاف بحيث تقرب عليها تصرفات ذاتية شديدة الاختلاف والتفوق بل متناقضة أحياناً . هل يمكن أن تصور ، من ثم ، أن التغيير البيورجوازي الصغير يستطعم لحسابه الكامن (وبدائية طريقة ، وإن أي حد) أن يتجاوز الحدودية طبقته وقسماً ثوقف استثنائي أصيل ، أي موقف فيه القدر الضروري من الاندماج والتفوق والثورة بحيث يتأتى له أن يفتح على نسط انساني حلاً للسلوك . هذا هل أي حال موال من الاستنساخ الجبرية التي سطرته شخصياً على العودة إلى هذا السبل ، على هلولته فيه فهماً أفضل إذا سكن . ما حدث حتى الآن .

١ — « مذكرات فنانة مستطينة » ، ص ٥١ من الطبعة الفرنسية .

نراها ، فقط ، في أية حالة من الحالات ، تحس نفسها مرشحة حقاً عندما يتعين عليها أن تخرج من وسطها ، وهو وسط ينحصر على كل حال في أقل القليل ، في داخل أبعاد عاليتها . والحقيقة أن يقينها هو أشبه ما يكون بمرسوم أو قانون موضوع : كل شيء يدعو للظن أنها كانت تقرر ، مسبقاً ، أنه ما من تجربة بوسعها أن تدحض هذا اليقين . إن هذا العالم الذي نعيش فيه هو غير عالم ، وهو فوق ذلك «العالم الحقيقي» الوحيد ، ولقد اعتادت أن ترضى به ، ومن ثم فسوف تكون «راضية» به . وذلك على حساب أن يتعين عليها ، غالباً ، أن «تعيد وتزيد» في وصف رضاءها . وتقول لنا كاتبة سيرتها الذاتية : «ليس هناك مسافة بعيدة بين الرضا والكفاية» ، ولا شك أن هذه النسبة من قسومات طبعها كانت من القوة والبروز بحيث تحددها لنا من جديد ، بقوة ، بعد خمس عشرة صفحة : «إن الصورة التي أعود فأجدها عن نفسي ، وأنا في حوالي سن الرشد ، هي صورة فتاة صغيرة مستقيمة ، سعيدة ، ومتكبرة إلى حد مقبول»^١ .

ولبحتي هنا ظهور التفاؤل اليوفوري^٢ . ولندع لكاتبة أولاً مهمة ترسم أولى آثاره .

كانت لسيمون نزواتها ، وكانت خاصتها تضحك من ذلك : «شجعتني هذه الانتصارات الصغيرة على ألا أرى في القواعد ، والطقوس ، والروتين ، أشياء لا يمكن التغلب عليها . وهي جذور تفاؤك معين تعين فيما بعد أن يبقى ويستمر على الرغم من كل التفرعات»^٣ . وقد حدثني الزوجة شخصياً أن أختار هذه الملاحظة في البداية . وهي أول الملاحظات التي تنطبق على الموضوع ، من ناحية التسلسل الزمني ، ولكن لعلها الملاحظة الوحيدة التي لا تتضح الرابطة بينها وبين تأملاتنا السابقة ، لأول وهلة . ولكن هذا الاختيار ليس عجائياً تماماً : فعندما تستخدم سيمون دو يوفوار ، فيما بعد ، تعبيرات

١ - نفس التجميع صفحات ٤٩ و ٦٣ من الطبعة الفرنسية .

٢ - نفس التجميع صفحة ١٧ - ١٨ من الطبعة الفرنسية .

من قبيل «وفية» لانيازي الى التفاوت» (كما فعل بالضبط في تلك الصفحات التي رأيتها فيها نصف نفسها بأنها «راضية» عن مصيرها) فانه من المهم ألا يغيب عن البال الأصل الذي ترجع إليه هذا الموقف، نفسها، ونقط التفسير الذي تقدمه له، على الفور.

عندما كانت سبعون في الخامسة عشرة من العمر، ببرها المستقبل اذا كانت تستدير إليه: «كنت ابسم لهذه الفتاة المرافقة التي سوف تموت غداً وتبعث في مجدي: ما من حياة، ما من لحظة في أية حياة كان يرسمها أن تلي بالوجود التي كنت اعددها قلمي الساقج، ان حد الجنون». وفي السابعة عشرة من عمرها، كانت صديقتها زارا نمر «بأزمات مسن التشاؤم» وهي تأخذ عليها التزاميتها، ويأسها، وتضع تفاوتها هي في مقابلهما: «أمل مجنون». وفي السابعة عشرة أيضاً، بضع شهور قبل ذلك، هل نجد أن لها موقفاً مختلفاً لحظة واحدة؟ ولم يعد المستقبل أملاً بعد: كنت أله: «فهو الحضور اذن» في تناول اليد... ولكن لا، ليس ذلك الا الوعد الذي يحدو الى الجنون: «كانت حياتي سوف تصبح قصة جميلة تحقق فيما أنا أروها نفسي»^١.

«كانت حياتي سوف تصبح» حياتي سوف تصبح.. يتعين أن تكون... أما في الصفحة الأولى، فان القانون الموضوع الذي كنا نتكلم عنه لا ينطبق: ذلك أن المرء لا يقرر أن يكون سعيداً في الحاضر، وإنما يقرر المرء (في الحاضر) أن يكون سعيداً في المستقبل. والتفاوت أن يوفى المرء اليوم بمعاودة الفد. ولكن ماذا لو أن المرء توقف عن هذا اليقين؟ «كنت أبحث نفسي على التفاوت»^٢.

١- «مذكرات فتاة مستقيمة» من ١٩٤٤ من الطبعة الفرنسية.

٢- نفس المرجع من ١٩٤٣.

٣- نفس المرجع من ١٩٤٤.

٤- نفس المرجع من ١٩٤٦.

السعادة هبة ، هبة يمتلي بها المرء ، ولكن مهما كانت سعادة المرء ، فإن عليه مع ذلك ، بلا هوادة ، أن يقرر أن يكون سعيداً ، أن يصير سعيداً ... على هذا النحو يتصرف المؤمن ، فمن المعروف حق المعرفة أن المرء لا يملك من أمره شيئاً ما لم تكن النعمة قد حلت به ، وأن النعمة مع ذلك لا جدوى منها دون أن تتبعها سلسلة غير محدودة من أعمال الإيمان . والتي نقول لنا ذلك هي واحدة من المخاطر ، واحدة من هذه المخلوقات التي لم يقع عليها الاختيار الا لكي يرين أنفسهم "مرغبات على استحقاق اختيارهم ، حتى النهاية : « السعادة رسالة أقل شياً مما يتصور المرء »^١ . نعم ، هذه هي الكلمة . ان هذه المرأة غا رسالة نُذِرَتْ لها ، الاستطيع أن تطبق نفسها اذا كانت غير سعيدة ، ومن باب أول اذا كانت شقية ، بالطبع . ولكن فلنتذكر هذا الاعتراف الآخر : « يشقني الا أحس نفسي سعيدة » . الواقع أنها محكوم عليها بمطاردة السعادة نفسها ، طيلة حياتها . وإذا كان مما يدعو الى الحرج أن نعرف ماذا يقتضي الموت من نعم ، فلنحاول على الأقل أن نتصور الثمن الذي يتعين اقتضائه للحياة ، بلا حد ، تحت سوط رسالة من هذا القبيل : « كان ذلك مشروعاً طويلاً الشكس اعطيت له نفسي دون تحفظ ، خلال أعوام طوال . ففي أثناء وجودي كله ، لم أنتق بأحد وأحب بقدر ما وهبت للسعادة ، ولا بأحد بذل من الخدمة في سبيل ذلك ما بذلت ، وبهذا العناد . ومنذ أن مسست السعادة أصبحت شغلي الشاغل الوحيد »^٢ .

سوف يسلم المرء بلاشك أنه ليس مما يتأني كثيراً أن نسمع حديثاً عن السعادة يمثل هذا المزيج من الثقة المتعالية والعنف الخشن الحريص . فهذا من ناحية

١ - « قوة السر » ص ٣١ من الطبعة الفرنسية .

٢ - « كنت قد قررت أنه اذا ما أصابني شقاء بالغ فسوف أقبل نفسي » (نفس المرجع ص ٣٠)

٣ - نفس المرجع ص ٣١ .

يوشك أن يكون الغرور الاستقراطي عندما يحس المرء أنه « فوق عامة الناس » ، وهو من ناحية أخرى الاصرار الشرس الأعمى لوعي مشوب الأوار يسارع على نحو مغالى فيه قليلاً إلى أن يطلق على سعيه وراء منته اسم « الحرب الملهمة » ... واعترف أن هذا الاسراف ، من ناحية ومن أخرى ، يمتدني .

ذلك أنه ينبغي أن تكون السعادة ، على نحو ما ، معطاة ، أن تكون هبة ، إذا كان صحيحاً (كما حاولت أن أقول منذ قليل) أن هذا التلويح للحياة يجب أن تتناوله من جديد حركة الوجود نفسها حتى ليشتد مع الأحاسيس بالوجود ، حتى لا يكون إلا التجاوز الذي لا يكف لكل قلب من قوالب الكينونة . وهو من ثم امتياز ، فمن الواضح أن الحياة لأول وهلة ، ليس لها طعم مستحب (وليست لأول وهلة مما يستحب « تلويحه ») بالنسبة لجانب الأعظم من الناس ، والسعادة أيضاً عمل ، وجهد ، وكفاح ، كما يدلنا (على سبيل البرهان العكس ، سلباً) مثال كل أولئك الأشقياء التعيسين الذين يحملون ثقل مشولة كانت سعادتها سهلة موطأة .

ما نحن قد عدنا إلى البورجوازية الصغيرة المثقفة ، إلى هذه المنطقة الغريبة من مجتمعاتنا البورجوازية الراحنة ، التي يستطيع المرء منها أن يرتفع ، حقلياً ، إلى ما يتجاوز بكثير ظروفه الحقيقية ، دون أن يكف عن أن يتجشم العناء وإن يكتسب لنفسه الثقة حتى يحفظ بهذا السير اليسير من ظروفه المعيشية . ما دام يكسب ، في هذه الظروف ، عيشه عسيراً بما يكسب البروليتاري عيشه ، فهو من ثم يستطيع أن يزيد من كسبه أيضاً ، وما دام يملك ثقافة تتيح له أن يستفيد عسيراً مما يستفيد البورجوازيون من ثقافتهم ، فذلك أن النجاح الاجتماعي ليس كل شيء . وإن التفوق الحقيقي لا يتوقف على الظروف المادية العرضية . ولما كان من الضروري مع ذلك مكافحة عناء لا هوادة فيه للاحتفاظ بمستوى المعيشة الذي وضعه المرء ، فإن هذا التفوق المطلق إنما هو من طراز أخلاقي إذ أنه يتطلب

أن يكون المرء جديراً به . المفزى إذن : المال ليس مصدر السعادة (لكنه يسهم فيها) والمرء لا يتأل شيئاً دون عناه . أما ذلك الذي يريد أن يكون من أصحاب القيم الإنسانية فعليه أن يدفع الثمن بأن يدير أمره هنا تحت ، على الأرض ، بحيث يحفظ بعد أدنى من التكويس عن الضرورات الحيوية المباشرة . يوماً بعد يوم . ذلك أنه إذا كان المرء في وضع يسمح له بأن يشترى « بتطلوناً » فإنه عندئذ يستطيع أن يتصور الاختيار بين أن تكون له سعة طيبة أو أن يكون له حزام مذهب لتبتلون . ويبقى بعد ذلك أنه في اللحظة التي يبدو فيها مثل هذا الاختيار تمكناً من الناحية العملية ، فإن المرء سوف يريد أن يغير الحزام بأي ثمن — إلا إذا كان المرء صورة ثابتة لنفسه يمكن له فيها أن يستغني عن التبتلون وعن الحزام معاً .

وفي الحالة المحددة التي نشأتها الآن ، يبدو لي أن الظروف الاجتماعية ، والظروف التاريخية الشخصية قد تدخلت على نحو يعقد بالغ التعقيد ، غنبي بامتدادات من كل نوع . سيمون بالفعل طفلة سعيدة : مليئة بالحياة تعرف أنها محبوبة من والديها الذين تعجب بها . وفي الوقت نفسه وأيضاً تقول إنها راضية بمصيرها بعيارات وفي نعمة تدعو قليلاً إلى الشك : هذه السعادة التي كانت أولاً تفيض بها ، يغفل إلينا أنها قد أخذت تقلت منها ، كما لو لم تعد إلا سراياً . ينبغي عليها أن تسعى إليه وتطارده بلا نهاية . ولكننا قد رأينا أيضاً أنها « لا ترضى » بأن ترغم نفسها راضية : أنها تريد أن تكون راضية . وهي تحاول في سبيل ذلك ، وهي على استعداد لأن تدفع الثمن أيما كان . إن « رسالتها » ليست سلبية ، والصورة التي تتصورها لنفسها ، في هذا الصدد ، لن تجديها في أن تترك نفسها تطوف على سطح الماء ، في أن تحتل لظروفها : بل هي ستجعل من هذه الصورة ، على العكس ، الخطوة الوجهة في العمل ، في البناء الحقيقي ، وعليها في هذا السبيل أن تلزم لا بمجرد القضايل الشكلية أو أوجه الخداعة السلبية ، بل عليها أن تلزم باستمرار تشييط كل النشاط ، بعمل فعلي ، بسلسلة لا نهاية لها من

العمليات المحددة . تنصب على نفسها أو على العالم . استهدافاً لتحويل
وتغيير موقفها الخفي . ومنذ فترة مبكرة جداً ، عند هذه الفتاة المرافقة ،
يجد أن عامل « العناد » ، وهو أحد مقومات « العقلية » البورجوازية
الصغيرة ، يتطلب على عامل « المثالية » : أن الأسطورة تدعو إلى تخفيفها ،
والرجوع إلى المطلق يقتضي موقفاً عملياً لا نكاد نشوب صرامته شائبة .

وقد رأينا أنه ليس من قبيل الغلو أن نتحدث فيما يتعلق بهذه الحالة عن
« صوفية السعادة » ولكن فلسف مع ذلك أن هذه الصوفية لا تأتي على
الاطلاق في صورة تأملية . فإذا كان غلبه الروح إيمانها ، وإذا كان خلاصها
يبحث أكثر مما يبحث أي شيء في العالم ، فإنما تعتمد على أعمالها حتى يحقق
لها الخلاص في العالم . هذا الغوى المشوب بالسعادة هو خلق مبدع :
وليس بالاستسلام السهل لسعادات العاطفة يحزرها ومدها ، ولكنه العزم
الشرس العبد أن تجعل نفسها سعيدة سعادة مطلقة ، أن تنسج حياتها من
نسج السعادة ، وأن تنسج به كل شيء حولها . ولما أبعد على بعد يرفع
صفحات من أحداثها الأخرى ، هاتين الملاحظتين المتوازيتين : « كنت
أنظر إلى هذه الهيئة العظيمة المجهولة التي ذهبت إليها ، بلا نجدة ، ألفت
حياتي يوماً بعد يوم » - « كنت أبنى سعادتي ، بلا نجدة ، يوماً بعد يوم »^١ .
يجب أن نقدر غلبه البهنية وغلبه المثالية ، وغلبه الصرامة ، قدرها .

عندما كانت طفلة بعد ، كانت تقول : « كنت أريد أن تلعب بجد » -
« كنت بحاجة إلى أن أُنبل في أطارات ثور صرامتها وجودي » - « كنت
أعتقد أن الوقت والمال محسوبان حساباً دقيقاً » - وليس ذلك في عائلتي فقط
بل في كل مكان - بحيث ينبغي أن تنصرف يادتي ما يمكن من الصرامة :
وكانت هذه الفكرة ثلاثية إذ أنني كنت أريد عالمياً لا نزوة فيه -
« ظننت على يقين من أنه يجب استخدام كل الأشياء ، والنفس ، استخداماً

١ - « ثورة الصرا » ، صفحات ٩٢ و ١٠٥ من الطبعة الفرنسية .

كاملًا^١ . وكانت أمها هي التي حرست فيها «الاحساس بالواجب»
وتعليمات نسيان الذات والصرامة^٢ - «كان والداي يهتمان البطالة . وكنت
أراها جديرة بالقوم بقدر ما كنت أضيف بها» - «ومنذ ذلك الحين كان واجبي
يتمزج بمعنى . ولذلك كان وجودي ، في تلك الفترة ، سعيًا غاية السعادة :
لم يكن عليّ إلا أن أضيع هواي ، وكان الناس حينئذ سعيداء بي ، وفي فترة
الاجازات (في ميونيخ) : «كانت ألمات هناك أياماً صارمة ... ولكني
لم أكن بحاجة إلى التسلي»^٣ كانت «طفلة عاقلة» و «تلميذة مجسدة»
و «صبية صغيرة نموذجية» ، ان تلك الفتاة المستقيمة كانت منذ ذلك الحين
«صبية صغيرة مستقيمة»^٤ .

ولكن الموقف يميل إلى التغيير ، من هذه إلى تلك ، والجدية تتخذ مظهرًا
آخر ، كما لو كان الانتقال غير المراهقة قد اكتسبها نوعاً من التوتر البالغ .
كما لو كان الأمر لا يتعلق بعد بأشياء اليول ، بالاستسلام للحوافر والفرحات .
والما هو أمر المكابدة حقاً هذه المرة على طريق تردد وعودة . «لم أكن
أحب قط أن أضيع وقتي ... ومنذ ذلك الحين أعطت استغل كل لحظة
استغلالاً دقيقاً» - «لم أكن قادرة على الامتثال والتسليم ، وإذا أخذت
أدفع بالصرامة التي كانت من نصيبي حتى درجة الشنج ، فقد جعلت منها
رسالة وفلراً ، وقد قُطعت عن المتع فاعتبرت الزهد ... كنت قد دخلت ،
دون إنتظار بعد ، إلى طريق البطولة»^٥ وتحولت التلميذة المجدة إلى «شغالة»
مسجورة بالشغل ، وكان ذلك يسرّها بالتأكيد ، ففكك سعادتها ، ولكن
على أن يكون ذلك دائماً بشرط أن تعطيه نفسها بلا تحفظ ، بشكل مطلق :
«كنت قد وضعت بنفسني هذا البرنامج ، وكانت صعوبته تسليني ، ولكن

١ - «بذكرات فتاة مستقيمة» ، صفحات ٣٠ و ٦٥ - ٦٤ و ٦٦ و ٦٨ و ٥٣ و ٦٨ و ٦٩ .
- «من الطبيعة الفرنسية» .

٢ - نفس المرجع صفحات ٣٠ و ٣٤ و ١١٨ و ١٢٠ و ٣٢ و ٦٣ . الخ .

٣ - نفس المرجع صفحات ١٨١ و ١٨٢ .

مثل هذا الجهد حتى يفرض نفسه على باعتباره متعة للقلب ، كان ينبغي
 ألا تكون الدراسة مجرد جانب ثانوي في حياتي ، بل ان تكون
 حياتي نفسها ^١ . فهل كانت تقبل على ذلك الجهد بكل تلك
 الطواعية ورضا القلب ؟ هذا النوع من السعار الذي يستأثر بها () كنت
 أوصل العمل مُطْلقة الجماع ، - « كنت أوصل العمل دون توقف »
 كنت « اعمل أكثر مما يجب » ^٢ ، والذي لم يكن الا سعيها للتعبد والتأثر
 وراء السعادة ، هو في الواقع رد ، هجوم مضاد ، طريقة للدفاع عن
 نفسها أمام ظروف جديدة قيل إلى السلبية . ذلك أن المشهد قد تغير منذ
 سنوات الطفولة تلك التي كانت سيمون الصغيرة تحس فيها نفسها منسجمة
 أكمل السجام مع العالم المحيط بها ، ولعل الفناء الصغيرة أيضاً قد صارت
 لا تطيق ، ان حد ما ، تلك الظروف التي كانت الطفلة تتلاءم معها على
 نحو طبيعي تقريباً : « كانت حياتي تبدو لي خالوية وعظيمة الى حد يدعو
 للأسى » - « الملل المجدب القفر الذي كنت أفرس فيه » ^٣ .

ذلك اذن ما سوف يصير اليه التناول اليوفوري : هذا النوع من البناء
 العتيد الذي لا يتال منه الوهن ، الذي يوشك أن يكون جنوباً ، لسعادة . هذا
 الاصرار العنيف على تحقيقها مهما كان الثمن ، وفي أقل الظروف موافاة .
 أو هذا على أي حال ما يبدو أنه المظهر الذي استوحى نظر زميلها في الكلية
 عندما أطلق عليها هذا القلب الذي لصق بها : « القندس » ، فقد قال لها : « أنت
 قندس .. والقنداس روح البيناثين » ^٤ .

١ - نفس المرجع ص ١٧٨ .

٢ - نفس المرجع صفحات ٢٩٧ و ٢٩٤ و ٢٠٤ .

٣ - نفس المرجع ص ٢١٩ .

٤ - *Castor* ، انظر « مذكرات فتاة مسطوية » ص ٣٢٢ من الطبعة الفرنسية . وقلب ليرير
 أكثر في صني صاحبه (وهو غير يوصف صارت وليمز) إذ أن « قندس » باللغة الانجليزية
 هي *beaver* وفيها جناس واضح من *Beauvoir* . (المراف) ولعل في القلب ايضاً إشارة
 من *Castor* المسطور وهي أحد النورسكوريين *Dioscuri* التي زيوس في الأساطير اليونانية
 القديمة ، مع أخيه الذي يتلوّب مع أخيه والموت يوماً بعد يوم بولوكس *Polux* .

واعترف أن هناك لحظات يبدو لي فيها هذا العناد الذي لا يصدق مما يوحى بطريقة « الدكتور كزوب » الشهيرة : « التي سعيدة ، التي سعيدة ، التي سعيدة يا إلهي سوف أصير بالفعل سعيدة في النهاية » - وهي طريقة من الواضح أنها مستوحاة من العبارة التي لا تقاوم التي كان يهيب بنا بأسكال بمقتضاها : « اركعوا على الركبتين ، وصلوا ... » ولكن من المسلم به أن حالة كاتينا تختلف عن ذلك اختلافاً عميقاً : فقد رأينا أنها لا تكفي باستظهار بقيتها وإنما تجهد في تخليه بالعمل دون هدنة ودون هراة ، وتجاهد خطوة خطوة حتى تنصر قضيتها . وفي هذا الصراع الفريد الذي يبدو أنها تخوضه من أجل الحياة ، ضد الحياة ، أتردد في أن أقرر ما سلاحها المفضل : أهو السيف أم الحرث . أمي بطول الكفاح حتى الموت ، أم شجاعة العمل اليومي ؟ انني أتصورها ، عن طواعية ، موقفة التجم بالعالم تحرث جانباً ، أو أتصورها حافية متفائلة ، تنقص بفرانها القوة المكتومة الصدى على شجرة الواقع المائلة . ولكنني سرعان ما اتخذ حظري ، ذلك شيخ لأجاردير المخور الذي يحل ، تحت عيني ، محل هذه العاملة الاستطابوية التي تصنع لنفسها بهجة الحياة ، هذه الشغالة لسمادة ، الخالقة : فإذا لم تأت السعادة إلى سيمون ، فإن سيمون تلعب إلى السعادة ... وكان ساوتر يقول لي كثيراً : أنت مصابة بقصام الشخصية : بدلاً من أن أواثم بين مشروعي وبين الحقيقة ، كنت أتابع هذه المشروعات في اتجاه كل شيء ، وضد كل شيء ، واعتبر الواقع مجرد أداة ثانوية ... كان هذا القصام في الشخصية يبدو لي شكلاً متطرفاً ومتحرفاً من أشكال نفاولي . كنت أرفض ، كما كنت في العشرين من عمري ، أن تكون للحياة إرادة أخرى غير إرادتي .^١

أنا نرى الأمر هنا : أنها كل مسألة علاقتها بالواقع التي نجدها موضع النظر ، في هذا النوع من هليان التناول الذي سرعان ما انفتح عليه تلوقها

١ - « ثورة العمر » ص ٩٧ من الطبعة الفرنسية .

الأولى السعادة . ذلك هو الاتجاه الذي سوف ينبغي أن نتخذَه منذ الآن ،
إذا أردنا أن نتاح لنا فرصة ما لفهم هذه المرأة ، وأعمالها ، وجسودها
الغفيرة .

وينبغي مع ذلك ، حتى نتجنب اتخاذ طريق مفضل ، ألا ندفع بهذا
الكارينكاثر - مهما بلغ من قوة ضمانه روح الفكاهة الساتيرية في أعيننا - حتى
نسقط على كتابتنا تلك الصورة السخيفة : صورة المثقلة التمس . وما دامت
هي نفسها التي تفسد علينا مجرد إمكانية تقديمها ، فعلينا على الأقل أن نعرف
من بين كل عناصر الإعلام التي نمدنا بها ما العناصر التي تشهد بريف محاولتنا
الطيبة . إن هناك نصوصاً لا عداد لها يمكن أن نوردَها في هذا الصدد ،
ولكن من أكثر هذه النصوص دلالة - لأنها تقوم فيه بنفسها بتحليل لا
يعرف اللوادة لهذا « العناد » - هو بلا شك في الصفحات التي تخصصها
لأول اتصال لها بمارسيلا^١ . كانت تتكلم عن العناء الذي كبدته نفسها في
تلك المناسبة حتى تبقى على تلوّنها للحياة ، وهي تحرص هنا على تأكيد
أنها لم تحب في ذلك بالفعل ، وأنه « ما من شعار مطلق » كان ليكني أن
يفرض عليها مثل تلك الجهود الدائبة ، إذا لم تكن تحس مباشرة بالقائلة
التي تعود عليها من موقفها : « ذكرت المبع التي كانت من حظي نتيجة لذلك »
والواقع أن الأمر كان يتعلق هنا بالوان من المبع عارمة وقوية ، وأنها تبدو
جديرة بهذه المبع ، بطريقتها في مواجهة الواقع .

عندما وصلت هذه المرأة التي تبلغ من العمر ثلاثة وعشرين عاماً إلى
مارسيلا لتتغل فيها وظيفة مدرّسة ، وعندما تقف بلا حراك « في أعلى
الدرّج الكبير » في اللحظة كأنها تقيس المدينة ، وتدرسها . قبل أن تغمض
فيها ، فلا يستطيع المرء أن يقول إنها كانت سعيدة على البحر خاص : « كنت
هناك ، وحيدة صفر الدين ، متفصلة عن ماضي وعن كل ما كنت أحب ،

١ - « قوة العمر » ص ٩٢ - ٩٩ من الطبعة الفرنسية .

وكننت أنظر إلى المدينة الكبيرة المجهولة التي كنت أذهب إليها ، بلا نجدة ،
أبحث فيها حياتي ، يوماً بعد يوم ، حتى ذلك الحين ، كنت أعتد على الغير
اعتماداً وثيقاً ، فرضت عليّ اطارات وأهداف ، ثم أعطيت لي بعد ذلك
سعادة عظيمة . أما هنا فلم أكن أوجد من أجل أحد ...

في هذه اللحظة من لحظات حياتها ، هذه اللحظة التي تعدّها من بين
تلك التي تبرز من ماضيها ، في سطوع الأحداث العظيمة ، والتي يبدو أنها
تشير إلى « متعطف جديد كل البدة » في تاريخها ، فإن الأمور تجري كما
لو أنها بعد أن أقامت مرتين (في مقولتها المدلة ، ثم بقاءها مع سارتر)
من سعادة معطاة تماماً — كان ينبغي عليها الآن أن تدخل فترة مغايرة تماماً ،
من حياتها ، حيث لا يمكن أن تكون السعادة إلا ثمرة غالية الثمن يجهودها
نفسها . ونحن نعرف بالطبع أن ذلك تخطيط فيه الكثير من العشوائية ،
لم يكن ممكناً إلا نتيجةً لابتعاد عن الماضي : لقد رأيناها منذ المرافقة بالفعل
تناضل شهوةً للسعادة تزداد حدة بقدر ما تصير الظروف أقلّ مواتاة .
ولكنّ ما بعد ذلك الموقف تعديلاً جذرياً ، عند وصولها إلى مارسيليا ، هو
أن مثل هذا النضال الذي خضت حداثته نسياً خلال عامين من وجود سارتر
معه ، سوف تعود إليه الحدة في نهايته ، وإن عليها هذه المرة أن تخوض
النضال وحدها ، وهي تعرف أنها مسئولة مسئولة تامة ومهددة عن حياتها
« في مكان ما » تحت أحسد هذه الظروف ، سوف يكون عليّ أن أقي
الدروس طوال أربع عشرة ساعة كل أسبوع : وليس هناك شيء آخر قد
أعدّ لي ، ولا حتى السرير الذي كنت سأنام فيه ، أما مشغوليائي ، وعادائي ،
ومعني ، فقد كان عليّ أن أضعهم .

ذلك هو نوع الوعي الذي يستأثر بتلميذتنا المبددة ، يشغلنا الرهبة ،
في أعلى درجاتها الكبير ، أنها في نظرة واحدة تقدّر أبعاد كل ما هو متظر
منها لكي تستمر في أن تنهض برسالتها الثانية ، في ظروف جديدة . وكأنه
وهنا تغامر به مع نفسها ، أن تنصير على هذه المدينة ، ألا تعرف فيها

أبعاد لها ، حتى تنال فيها متعتها ، يوماً بعد يوم . « أخذت أعبط الدرج ، كنت أتوقف عند كل درجة من درجات السلم ، تهزني تلك الأشجار ، تلك البيوت ، تلك الصخور ، تلك الأرضة في الشوارع التي سوف تتكشف لي ، شيئاً فشيئاً ، وسوف تكشف لي عن فاني . » إنها تكتب « شيئاً فشيئاً » وهي تفكر في العمل الذي لا ينال منه وهن والذي يتطلبه ، في نهاية الأمر ، هذا الكشف المزيج والدام . ولكن ينبغي أن نسلم بأن القرارات الحقيقية ، تلك القرارات التي نكمن في جطور متطلبات من العمق بحيث يمكن لها أن تنسم ، سقياً ، أنها لن تتخلل قط عما احتزمت تحقيقه ، هذه القرارات الحقيقية تتضمن في طياتها ، وعلى الفور ، نوعاً من القعالية . لقد ذكرت الوحي لكي أصف وأعدد هذا الوعي بمهمة حقيقية ينبغي ادائها : وما هي فهي على الفور تبدأ في أداء المهمة ، هذه الناحية للحياة ، تبحث عن غرفة ، وتجدها (ليست جميلة ، ليست من النوع الذي يواه قلبها أبداً . ولكن ماثلة العمل كافيّة الاتساع ، والأيثار معقول) ، وتعود لتأتي بحقيقتها ، وتضعها في المر ، وتجري لتقابل مديرة المسبب ، وتحدد معها برنامج عملها ، ولا تتركها إلا لكي تلقي بنفسها ، أخيراً ، في تكسي واحد . متطلقة لتكشف مارسيليا . وعندئذ فإن السماء ، على الأهل هذه المرة ، تبدو كأنها ارادت أن تعوض نفاذ الصبر الأرضي : وبعد عطفة اليرق من الشجاعة المستيرة ، تأتي على الأثر عطفة يرق من البهجة ، البشر الذي يمز القلب بفتح ومسررات لا عداد لها سوف تلتوق طعنها هذه المؤمنة بالفتح والمسرات ، بطعنها اللتق الصلوم ، يوماً بعد يوم ، في دأب ومثابرة . « أحببتها من نظرة واحدة ، كمن أصابه ضربة الصاعقة » .

ولن نحاول أن ننكر : هنا أيضاً « مر باللحن » لحاظ ليس فيه من الأمانة شيء . مهما كان خفياً . وانسي لأعشى ، اتنا مع هذه المرأة ، معرضون إلى حد يقل أو يزيد ، لاقراف هذا الخطأ ، بالتأكيد ، أن نستولي على الأسلحة التي نملكها هي بها ، لكي نغطيها - ثم نتكشف على الأثر ،

بعد قليل من الوقت ، أنها ، من جانبها وحسابها ، قد مضت بالتحليل الى أبعد مما وصلنا قليلاً ، وان هذا التحليل يرن في الأذن أصدق واقعاً ، وان سخرتها من ثم تبدو عزلاء من كل سلاح ، ذلك أنكم بلا شك قد رأيتم ، كما رأيت ، لحظة من الزمن ، في تلك المسافرة الشابة بلامتاع ، واقفة بلا حراك عند مخرج المحطة ، تأمل مارسيلا ، رأيتم فيها «راستيناك» العارم العنف - وقد اتخذ صورة امرأة - والرأس يدور بأصداق المدينة العظيمة المثبطة تحت قدميه ، بكل هذا الطين الانساني الخاقل ، بكل هذه الحياة التي تستمر ان تؤخذ غيلابا ، وهو يهتف لنفسه ، بطريقته الخاصة : «والآن ، ها نحن الاثنان وحدنا ، أيّ مارسيلا !» ولكن الطموح عاطفة شبيهة ، تضطر كثيراً الى الاستخفاء بنفسها ، الى الخديعة ، الى التآلف ، في حيث ، مع العقبات ، ولا يبدو أنها قادرة على الحياة الا وهي تصرّ على أساسها ، بتضيض وجهها ، وتحمل روحها حسابات والتفكيرات غثة : وهو ما يختلف ككل الاختلاف ، اذا لم اكن غفلة ، عن ذلك الحب من أول نظرة ، سرية الصاحبة تلك التي تتكلم عنها كانتينا . وان العاطفة العارمة التي كانت قد نهشت قلبي عندئذ ظلت ترفعي خلال أكثر من عشرين عاماً ، ولم يمحها الا تقدم العمر وحده ، هذه العاطفة هي التي انقلبت في تلك السنة من المال ، من ألوان الأسف ، من كل كآبة وضيق ، وأحوال متفاهي الى عيد .

والواقع أنها بالفعل عاطفة عارمة - وأنها قد ظهرت على الفور - في هذا المال المحدّد - عاطفة - ملتهمة ، نهم ، كآبة شهوة أخرى مشبوبة الأوار . بل أضيف أنها عاطفة عارمة «شمولية» كآبة من العواطف العارمة الأخرى . ذلك أنه اذا كانت مارسيلا ، والبروقانس قد شاركتا في هذه العاطفة ، فان مدة مضاربة أخرى عاشتها صاحبتنا العتيبة الباحثة عن المتع والمسررات ، تدعونا الى الاعتقاد أنها كانت ، في هذا المتعطف من وجودها ، لتتصر أيضاً لو أنها كانت في ليموج أو سان غازير أو رومورانتان . ان هذه

المدينة التي أنشأها إليها البشر ، هي عندما العالم كله ، هي الرمز عن الواقع الكلي^١ ، والبدل الوقت^٢ من الطرف الوحيد الذي يحق له أن يدخل معها في حوار ، الشريك الوحيد والمقصم الوحيد معاً ، هذا الواقع الكلي^٣ ، الذي يمكن لما أن نقبله في سعيها الذي لا يكف عن السعادة .

وهي تقول لنا إن هذه العاطفة « ليس فيها شيء أصيل مبتكر » ، فلتفهم مع ذلك أن نزوعها التهم إلى الاستكشاف ، في مارسيليا ، وإمالة التمام عن واقع العالم نفسه ، بكل مجده ، أن يكون فيه مدعاة لدعشة أهل المدينة ، إذا نظر إليه من الخارج : « كانت الرحلات هي الرياضة القليلة عند أهل أهل مارسيليا » . ويقتضي في نفس الوقت أن زملاءها كانوا يمارسون هذه الرياضة في جماعات ، على سبيل الترفيه عن النفس ، ولكن الحال مع سيمون دوبوفوار لم يكن فيه ما يشبه الترفيه الذي كان يمارسه هؤلاء الحواة ، في هدوء ، إذ ينزهون كل يوم أحد . « كان فردي أنني لم أنضم إلى أية جماعة والتي جعلت من ترجمة الوقت واجباً من أشق الواجبات صرامة وتطلباً » . هذا إذن هو أحد الوجوه الأولى المحددة ، الموضوعية ، التي لا يتأبها وعن من عكفها العنيد على السعادة : إنها محترقة الكشف ، وإمالة الحواجز والأقنعة . لست أروحي بأية إشارة إلى ما يمت بجفاء الذوق ولبوة ، ولكن هذه العبارة - التي أهدف بها إلى توضيح الطريقة التي تنقص بها سيمون دوبوفوار الأشياء وتحاول أن تمتلك بها العالم - قد توحى بفن « السترينيتيز » ، ولما كان قد أخذ عليها من ناحية أخرى أنها تبسط تحت أنظارنا حياتها ، فإني أود أن أشير على القصور إلى اعتزامنا أن نثير مسألة مغزى العمل الأدبي الذي يتكون عندها ، في أن « يتجرد من أوراكه » ، صفحة بعد صفحة .

أما فيما يتعلق بالقضية الأولى في هذه العبارة ، قضية الاحتراف ، وهي

١ - التناهي l'azalogen كما كان ليثول سارتر .

الوحيدة التي تهمني الآن ، فأنها لا تبدو مغالٍ فيها إذا أخذنا بمعناها الأميل .
 فكلمة « الاحتراف » Profession تعني الاعلان عن الإيمان أو الموقف
 أو الحال . كما تعني أيضاً الصنعة والمهنة ، أي الخدمة : « من حينما نظرت ،
 من كل وحدة بين المرتضعات ، كنت أجد كشفاً جديداً ، وكان جمال المشاهد
 الطبيعية دائماً يتجاوز ذكرياتي ويغوي كل ما أنظر منها . كنت أعود فأحس
 برسالة عبدة في أن انزع الأشياء من ليلها . » وإذا كانت هذه الفترة تبدو
 لي رئيسية ، فذلك انا نرى فيها أن رسالة السعادة تنكس مضموناً أكثر
 وأدق ، وتستهدف هذا المضمون بتوفيق ونجاح ، بقدر ما يتولد عن متابعتها
 والسعي وراءها من متعات جسمة محدودة . وينبغي الآن أن نخصص مظهر
 هذه « الرسالة » الخاصة وأن نتعمق معناها .

ولنن تعرف الآن أن سيمون دوبوفوار كانت تعيش في حال تتخذ شكل
 « جنون » حقيقي ، يوماً بعد يوم . وهي لا تخفي أنها تحس شيئاً من « الذبول »
 عندما تدرك مدى استمرارها و « استمالتها » في السعي وراء تحقيق هذه
 الرسالة . ومن ثم فهي تحاول أن ترجع الى أصل ما اطلقنا عليه اسم « العناد »
 عندها : « ان الأرادة التي كانت تتأكد في نزعاتي البطولية المتعصية كانت
 لها عندي جذور قديمة جداً . فقبما مضى ، في ليموزان ، على طول الطرق
 القائرة ، كنت أزعج نفسي أنني سوف أفزع فرنسا ، وربما العالم ، طويلاً
 وعرضاً ، دون أن اترك فيها بركة أو دغلة .. » وصحيح أنها تضيف الى
 ذلك على الفور : « لم اكن أصدق ذلك حقاً ، وعندما كنت في فرنسا ،
 وزعمت أنني رأيت كل شيء » ، فقد كنت أعطي هذه الكلمة معنى فضفاضاً
 للغاية . وذلك يعني أن المسألة هنا هي نوع من التساوق العرضي الناجم
 عن الظروف بين ذلك المشروع الطولي وبين صغر نطاق العمل الفعلي ،
 نسبياً . هذا الصغر الناشئ عن قيود نشاطها في التعليم في منطقة البروفانس
 وحدها . ولكننا اذا عدنا ، بضع صفحات الى الوراء ، الى قصة رحلتها
 في اسبانيا ، وجدنا ، على سبيل المثال ، ما يلي : « كنت قد أخذت على

عائني أن أعرف كل شيء عن العالم ، ولكن الوقت كان عسواً عليّ ، ولم أكن أنوي أن أضيع لحظة واحدة - أو ما يلي : « كنت أجهل أنصاف الخلق ، في المناطق التي لم تكن قد وضعت بالنسبة لها قاعدة تقضي برفضها والحكم بعدمها ، في هذه المناطق لم أكن أعترف بأولوية أو أفضلية ما . كنت أنظر كل شيء ، من أي شيء : كيف يمكن أن تقبل ألا يغيب عنا شيء ؟ » أو ما يلي : « كنا ننوي العودة إلى إسبانيا ، ولكن الصبر لم يكن من سجاياي : لم أكن أعزم أن أؤجل - ولو عاماً واحداً - الكشف الذي قد تأخّرني به هذه المرحلة في هيكل كنيسة ، أو تلك الواجبة على بابها ... » . وهنا ، أيضاً ، نجد أن نجاحاً حقيقياً بتوجع المشروع : « والواقع أن المنع التي استخلصتها كانت بقدر التهم الذي حفزني إليها : ففي كل لقاء مع الواقع كان يلهمني ويدعمني . بل كان أحياناً يتزعمني من نفسي ... »^١

فالأمر إذن ، كما توحي كل الدلائل ، يتعلق بموقف أساسي لا يعتمد إطلاقاً على امكانيات الانتفال والسفر : ليست الية متعقدة على رؤية كل شيء في العالم كله ، بل على رؤية كل شيء حيثما يجد المرء نفسه ، على تكشف كل الواقع حيثما كان هذا الواقع . وسوف نرى التعبير عن هذا الموقف ، مرة بعد مرة ، بتضمنين مختلفين : ولكنه في كلا الحالتين طلب لنوع من الشمول ، وعكوف على استفاد الواقع إلى أبعد حد يمكن الوصول إليه ، فإذا كان النهج لا يغير إطلاقاً ، وإذا كانت الطاقة والجهود التي توضع في خلعة لا يغيرها نقص ولا تحريف منها شيء ، فإن التهمة تتغير على نحو محسوس ، ويبدو أن الهدف نفسه يتخذ لنفسه مواضيع متغيرة . وبعبارة أدق ، نجد أن مبدأ محدوداً ، نسبياً ، يأتي فيتضاف إلى تلك الغاية المطلقة التي كانت تعبر عن نفسها ، ثقافياً ، على شكل رسالة ، ومهمة واجبة الاداء ، ووكالة وتوظيف . ونجد أن ذلك التهم الذي كان يسم به ذلك

١ - « قوة الصبر » ، ص ٩٢ من الطبعة الفرنسية .

الموقف يميل الى تغيير الناحية ، أو أن يبدو ، على الأقل ، غامضاً مبهماً ، ان يكتب معنى مزدوجاً : فالشروع المباشر نحو اسعاد النفس باكتلاك العالم تغشاء غاشية خفية دقيقة من جراء الاهتمام بمدى كل الثغرات ، بالحيلولة ، بأي ثمن ، دون اهتمام بدخول به انعدام السعادة على الحياة وبُعْثِهَا بالشفاء . وتكفي بضع أمثلة لتصوير الثقة بين هاتين النعمتين . ولنضرب مثلاً ، أولاً ، بهذه الرسالة اذ تتخلل أكثر صورها ثقافية وعقوية . في الخامسة أو السادسة من عمرها : « كانت وفرة الألوان والروائح وتشابهها ثير عندي الشوة . في كل مكان ، في مياه المصائد الحظراء ، في روبات البراري ، ولحمت نباتات الحشائر في الغابات ، كانت تحضي كتور أحترق شوقاً لاكتشافها »^١ وبعد ذلك بسنة أو سنتين : « عندما كنت أنام ، كان العلم يحضي ، فقد كان بحاجة اليّ حتى يرى ، ويعرف ، ويُنهم . كنت أحس نفسي مكلفة برسالة أوديتها بفخار واعتزاز .. »^٢ أو « كان من أول ألوان السعادة التي عرفتها ، أن أفاجيء ، في استهلال الصباح ، بشفقة البراري .. كنت الوحيدة التي أحصل جمال العلم ، وأحصل مجد الله .. »^٣ ، أو بعد ذلك (وهي في نحو الثالثة عشرة من العمر) : « .. اتقد حيي للريف ألواناً صوفية .. كنت أحس حوالى حضور الله .. وكان يبدو لي انه كان بحاجة اليّ ، عل نحو ما ، حتى تكسني الأشجار بألوانها ... والرسالة التي أحسست دائماً بفموس أني مكلفة بها ، كان هو الذي أعطانيها ... فإذا حرمت الخليفة من حضوري ، انزلت الى نوع خامض مظلم ، واذا كنت أوقفها فأنما كنت أؤدي أقدمس

١ - « مذكرات فالا سبطينا » ص ٢٨ من الطبعة الفرنسية .

٢ - نفس المرجع ص ٧٠ .

٣ - نفس المرجع ص ٨٠ .

واجباني ... كان ينظر اليّ ، برضى ، وأنا أنظر الى هذا العالم الذي خلقه حتى أراه .^١

ولكن هذه الفئة العادلة تتغير الآن ، على النحو الذي سوف نبحثه . وإذا كانت القدرة على العجب والانبهار تبقى كاملة ، منذ الرحلة الى اسبانيا التي أشرنا اليها ، فإن نوعاً من التوتر يظهر . (لم أكن أتوي أن أضيع لحظة واحدة) . وكأنا ذلك يظهر بالنساق ، تقريباً ، مع انخفاض الله : « لم أعد أنصوّر كما كان الحال في ليومز أن الأشياء بحاجة الى حضورى .. » .^٢ ولكن ما أن تمر بشعة أيام برحلتنا في البروفانس حتى يستحيل هذا التوتر الى الجنون ، الى النشاط الاستثنائي المحموم ، ويتخذ مظهراً منهجياً يعتمد على العزم والتصميم . ويشتد عن حوافره الأولية (الواجب المقدس) حتى يتدهور الى نوع من التكنيك القوي المتجبر في خدمة إلحاح متعجل مرهوب الخائب : « اذا تخليت ، عن نزوة ما أو بلايالات ، عن نزعة أو رحلة ، واذا قلت لضمي مرة واحدة : « ما الفائدة ؟ » فاني كنت لأخوض كل النظام الذي كان يرفع المتعة والمسرّة عتدي الى مستوى الالتزامات المقدسة . » وبعبارة أخرى ، لم يعد مشروع كشف العالم غريباً مطلقاً ، ولم يعد من الممكن تبريره الا بالأصرار على متابعته بجهد لا يتعد ، بل بجدّة الجهد البدول في أدائه واستمرارها على نحو صارم لا يعرف حولاً ولا زيفاً . كان الكشف والسعادة معطين معاً ، في دعوة واحدة وإلحاح : فهامسا الآن يعتمدان على عمل لا يبرره ولا يكفله أي مرجع علوي . فهذه الآن تسمية مؤنثة في أسطورتها الأولية - وهي متعاصرة الى حد يقل أو يكثر بلاشك مع أول بوادر وعيها باستقلالها الذاتي ومسئوليتها العملية . وتختار سيمون دو بوفوار في الواقع أن تردّ على هذه التسمية بتدعيم النظام الذاتي الذي يفرضه على نفسها ، ورفضه الى

١ - « تكرات فتاة سيطمية » من ١٦٦ - ١٦٧ من الطبعة الفرنسية .

٢ - « قوة البر » من ٩٤ من الطبعة الفرنسية .

مستويات عالية ، ويتوحد هذه الجدية التي كانت تنضج من قبل في موقفها بازاء السعادة على نحو يوشك أن يكون طبعياً . ولتسمع اليها الآن تقول لنا على وجه الدقة أن ماوسيليا لم تكن في الحقيقة أولى تجاربها في هذا الشأن ، ولا آخرها بالطبع : « كنت خالياً ما ألوذ بهذه الخيلة ، في الحياة ، أن أضفي على نشاطي ضرورة ينتهي الأمر بي أن أصير فريستها أو ضحية خديعتها : ومن ثم فعندما كنت في الثامنة عشرة انقلدت نفسي من المثل والضيق ، بالحنون والسعار .. »^١

إن هذا الموقف ، على الصورة التي تصفه بها الكاتبة الآن ، يتخذ في الواقع معنى أميل الى السلبية منه الى الإيجابية ، معنى الرد والمقاومة ، معنى التقاهر المؤكث ، مجرد رد الفعل الدفاعي ، ولكن من السهل أن نرى أن مظهره يغلب أكثر إيجاباً والنباض : فلما أن الكاتبة تمدنا بتحليل عنه أشمل وأميل الى الكمال ، وإما أنه قد أتبعها أن تتقدم حقاً باطراد ، على طول السنين ، نحو نوع من التركيب والتوفيق الديالكتيكي بين الطاب المطلق للسعادة وبين نقاد الصبر المحقق المحموم المتولد عن عدم الإشباع - بين السعادة متصورة على سبيل القبة والعطية ، وبين « مجرى الأشياء » الذي يبدو لحظة كأنه عتبة في سبيل السعادة . والفرض الثاني يبدو لي هو الأرجح ، وإن كان ذلك قليل الأهمية في الواقع إذ أن الفرضين كليهما سرعان ما ينتهيان الى نفس الموقف العملي الذي نرى له وصفاً متميزاً ، من بين عدة نصوص ، في تفصيل تلك الجولة التي قامت بها سيمون دو بوفوار سيراً على الأقدام ، خلال أسابيع ثلاثة ، في وسط فرنسا ، وهي في نحو الثامنة والعشرين من العمر : « كنت قد خصصت حتى الاستقطاظ بالكالوروفيل والورقة اللازوردية ، وكان ينبغي أن اتوقف في المدن أو القرى ، أمام الأحجار التي كان الرجال قد صنفوها . لم تكن تنقلني

١ - نفس المرجع ص ٩٧ . كما قد أشرنا فيما سبق الى بعض ملاحظات الكاتبة عن هذه الفترة من حياتها (انظر « ذكريات لثلاث سنين » ص ١٨١ - ١٨٢) .

الوحشة قط . وكنت في دهشة لا يتأهبها الوهم من الأشياء ومن حضوري ،
 وفي أثناء ذلك فإن صرامة المخطط التي وضعتها لنفسي كانت تحول هذه
 العرضية العابرة الى ضرورة لازمة . « وأذن فيها نحن بإزاء نفس العملية ،
 ولكننا سوف نرى أنها تتبع من حوافز أعني مما سبق ، وأكثر إيجابية على
 أي حال ، وأقل جنوناً وسعاً : « ولا شك أن ذلك كان هو المعنى — بلا
 صياغة محددة — من وراء غيبي : كانت حربي الظاهرة نقلت من قبضة
 الزوّة ، ولتتصر على العقبات ، إذ أن مقاومة العالم بدلاً من أن تلبوني
 وتضعني في محنة ، كانت في الواقع تستحيل الى سند ومادة خام لمشروعائي .
 وكنت ، بشردي العبد الذي لا يبالي بشيء ، أخصي حقيقة على هدياتي
 المتقاتل العظيم ، كنت أنا نفسي خالقة هذه الهدايا التي كانت تغريني . »
 فلم يعد الأمر إذن صراعاً ضد الملل والقيود ، ولم يعد الأمر يتعلق ببعض
 اللامعنى (« عبث الحياة المتهدد » ، السؤال الشيطاني الصغير : « ما الفائدة ؟ »)
 بل الأمر يتعلق بتجاوز العرضي مع الاستناد عليه على نحو واعي للغاية
 مع ذلك ، ويتعلق بتبرير السعادة بحلقها وإبداعها ، بتحويلها الى عمل ،
 أنها الحياة توجب ولتدخل في الحساب حتى يفرض عليها معنى .

أنا ترى ذلك كله بالتأكيد ، ولكننا نرى أيضاً القبح الجليد الذي ينصب
 لها ، وما كانت فائتا المثالية الشرسة نقلت بعد من القبح السابق . إن عنادها
 الذي لا يهاب شيئاً سوف ينصب لها أحاييل أخرى ، في الواقع ، وما من
 شك أن عليها أن تمر بتجارب كثيرة قبل أن تخلص حقاً من سخرية ساوتر .
 فليس تأسيس « الغبطة » بهذه السهولة ، ولا يمكن تصور الحرية ، طويلاً ،
 « ظالمة » وسعادة الوجود لا يمكن . إلا نادراً ، أن يخرج بأحاسيس المرء
 أنه إله بإزاء نفسه ... وسوف يكون علينا أن نقضي أزمها في هذا الطريق
 الوعر ، حيث يرى كل منا ، في ظروفه الخاصة ، أن متطلباته الكنيسة

(طلب المطلق نفسه الذي يحكم كل المتطلبات) تخضع باطراد للقيود التي تفرضها مواجهة نسبية ظروفنا ، و « تقبل الحلول الوسطى » مع العلم ، وإن يتعرض فيه للخطر ويترتب إلى حد ما ، وإنما ينبغي علينا أولاً أن نتجت عطلانا بأن نتعرض الحساب الختامي للمعطيات التي أوضحناها حتى الآن ، فلعلنا نستطيع بذلك ، هنا وهناك ، أن نصل إلى فهم لها أفضل وأعمق وأكثر جارية .

لم تأتني هذه الكلمة الأخيرة من قبيل الصدفة : فمتدا كتبتها لم أكن أفكر كثيراً في الملتزم الفرضية هذه الاستعدادات الطبيعية الأولى التي حاولنا أن نصورها عند سيمون دويوفوار ، بل كنت أفكر في هذا النوع من « الراديكالية » التي تميزها في الواقع - أي كانت الأصول الطبيعية أو الاجتماعية التي يمكن للمرء أن يشرحها به . أما فيما يتعلق بي فليست أروي طاماً وسعني ذلك ، إلا أن أهتم بالفهم : فالمواقف التي أسجلها لا تنهي إلا بصفتها تلك ، أي وفقاً للمعنى الذي اتخذته هذه المواقف عند سيمون دويوفوار نفسها ، أو المعنى الذي تعتقد أنها تستطيع أن تعزوه إليها ، فيما بعد .^١ ولكن ما يسترعي اهتمامي قبل كل شيء ، في هذه المواقف ، هو ما فيها ، كل مرة ، من كلى^٢ ، من جلري^٣ ، من نظرف^٤ ، أي صلتها العديدة بالمطلق ، في نهاية الأمر .

وقد رأينا طلب السعادة يستقر ، من دخول في اللعبة ، إلى مركز البنية بكل ما فيها من استعدادات أولية ، ثم يبقى في ذلك المركز بعد ذلك ، بينما

١ - إن هذه الاستعدادات الأولية بالأكاديمية ، أمر ديني ، ولكنها تنص إلى تمتد الأمر يختلف كل الاختلاف من الاستعدادات الأولى : ذلك أن الحوار الذي تبدأ سيمون دويوفوار ، والذي لابد أن تواجهه قريباً ، يقع كلية في زمينة الوجود التي تقسم موضوع الاختيار . ولكن الحوار ، على العكس ، بين « التشرح » وبين « الفهم » سوف يطرحنا ، لقور ، من هذا الوجود ويعتقد أنه ، ويخطرقنا إلى أن نفتح - على بحر مختلف - غاية ليست إلا ذاتاً ، في مقابل ذاتية ليست إلا موضوعاً .

كان لا بد له أن يتطور ، أن يتحول ، أن ينتقل من المرحلة «الراضية» إلى مرحلة «طافرة» ، عبر تقلبات من طراز دفاعي على الأكثر . وقد رأينا النعسة ، الامتنياز ، الحبة ، تنفير ال عمل ، والسعادة تتحول إلى سعي وراء السعادة ، إلى تناول مسجور ، ولكننا لم نر هذه الطفلة ، هذه المرافقة ، هذه المرأة في شبابها ، تبعد لحظة واحدة عن يقينها العنيف الثمرس أننا لسنا هنا لكي ننتسلي ، وأنه ينبغي حقاً أن تفعل شيئاً ، أن نؤذي والجباً ، أن نكفل خدمة ما ، وأنه لا يمكن أن نكون سعداء في نطاق السهولة . وقد انتهت لنا الفرصة أن نسجل بعض ضروب الفشل في مثل هذه الصوفية التي سرعان ما يكف الله عن أن يكون جزءاً مكتملاً لها . وما نحن الآن لنجد وضعاً أكثر حسماً : «فلنرم الآن صورة» لي في قلب الحريف ، أن ما دونه فيما سبق هو ما أطلقت عليه اسم البديهة التي كنت أتميز بها : جدية صارمة ، متصلة جامدة لا أنهم لها سبباً ولكنني ألخصع لها كما ألخصع لضرورة «ساحقة» . كنت منذ طفولتي أبعد كلاً غير متجزئ ، متطرفة لا أحرف التوسط ، وكنت بذلك فخوراً معززة . كان الآخرون يفتقون في منتصف الطريق ، في الإيمان أو في الشك ، في رغباتهم ، في مشروعاتهم : كنت أحترق هذا الفتور في الحرارة . كنت أمضي حتى نهاية حواملي ، وأفكارتي ، ومشروعاتي . لم أكن أتناول شيئاً بحقة ، وكنت أريد ، كما كنت في طفولتي الغصة ، أن تكون حياتي كلها مبررة بضرورة ما . وكان هذا العناد بحرمني من مزاجها معينة ، كنت أدرك ذلك . ولكن لم يكن ثم ما يدعوني أن أنحل عنه قط . جذبتني ، تلك كانت «أنا» بأكملها ، وكنت أحرم حراً شديداً على هذه الأنا .

ها نحن نقرب ، فيما أعتقد ، من الشيء الجوهرية : وسوف نصل بلا عناء إلى الحساب النفسي الذي كنا نتوي أن نضعه ، وإلى التعقيب

١ - هي عائلة طائفة ، في العادة مفرقة من غيرها ، ولكنك مذكرات خاصة (الفترة مؤكدة في الأصل) مذكرات فترة مستقيمة من ١٩١٥ .

المساوق لمعطياته الرئيسية ، إذا اقتصرنا على صياغة هذه الفقرة التي كتبها
سيمون دوبوفوار بنفسها ، صياغة أخرى .

ولنأخذ من هذه الفقرة ، أولاً ، عبارة «الضرورة الساحقة» التي
ينبغي أن تخضع لها دون أن تفهم لها شيئاً . إن المرة الأولى التي تظهر فيها
هذه العبارة كانت فيما يتعلق بطفولتها . وهي في طور تعلم الدين ، وهي
تدين البطالة ، مقتدية بوالديها ، ويتضح أنها عاجزة عن أن تبقى بلا عمل :
«كنت انتظر ، كنت موضع الانتظار . وكنت ألبّي . دون توقف ، تطلباً
يوثر عليّ الساوك : « لماذا أنا هنا ؟ » ، وأنا إذ كنت أجلس إلى مكتب
أبي ، أترجم نصاً من الإنجليزية أو أسخ موصوعاً انشائياً ، إنما كنت أشغل
مكثافاً على الأرض ، وأفعل ما كان ينبغي فعله . وكانت ترسانة متافض
السجائر ، والمحار ، وسكاكين الورق ، والأقلام ، والريش ، متناثرة
حول الشاقة الوردية ، تشارك في تلك الضرورة : كانت تتغلغل في العالم
بأسره . ومن مفرد دراسي كنت أسمع أنغام الأفلاك المتساقطة ^١ ، وهي ،
في هذه الصفحات ، تقول لنا (كما قد أشرنا من قبل إلى ذلك) أنها كانت
عندئذ «سعيدة للغاية» إذ لم يكن عليها إلا أن تتبع ما يحلب عليها هواها .
إن واجبها كان تمزجاً بمسرتها ومعناها . ألم تكن يد الضرورة الحديدية إلا
قفاً من حرير ، عند هذه الصغيرة التي يبدو أنها تستطيع ، بكل تلك
السهولة ، أن تخرج العمل المدرسي بالعبطة الساوية ؟

نستطيع أن نلاحظ هنا أن هذه الفقرة نفسها تتضمن تناقضاً : تلك غبطة
غريبة في الواقع ، تلك التي يشغل المرء نفسه فيها بأنه ليس مضطراً إلى
الساوك : « لماذا أنا هنا ؟ » وربما اعترض المرء بأن تكثير المرأة الناضجة
هو الذي تدفع هنا على نحو خارجي ، على نحو تجريدي ، بالنسبة إلى موقف
الطفلة ، بالنسبة للوعي الحقيقي عند سيمون الصغيرة . إلا أن

١ - «مذكرات غداً متبقية» ، ص ٦٨ - ٦٩ .

بقية الوصف ، على أي حال ، يصبح من الواضح والمباشرة والتعبد
بحيث يتعذر معه قبول هذا التفسير : « لم أكن ألبس اللؤلؤ والفضة ، كان
يستحيل عدي على الفور الى مضض وقلق : ولذلك ، كما قلت ، كنت
أعفت البطالة ... »

وهي إذ كانت حمية مراعاة تحلم بزوجها المستقبل ، تضع لنفسها
فكرة دقيقة عن علاقتهما : « سوف أحس باعجاب مشوب به ، وفي
هذا المجال ، كما كان الأمر في كل مجال آخر ، كنت طامعة الى الضرورة .
يجب أن يفرض الشخص المختار نفسه عليّ ... يتوع من الواضح البدني ،
والأفاني سوف اتساءل : لم هو بالذات ، وليس غيره ؟ » وهي تقول
بعد ذلك بقليل ، إذ تتناول الفلسفة ، أن ما يلتفتها في هذه الدراسة أنها تبدو
لها كانت كما لو تنبج « مباشرة الى الجوهرية » : « كنت دائماً أتمنى أن
أعرف كل شيء » : وكانت الفلسفة تنبج لي أن أشبع هذه الرغبة ، ذلك أنها
كانت تهدف الى كيلة الواقع ، وتستقر ، مباشرة ، في قلب هذا الواقع
الكلي ، وتكشف لي عن نظام ، عن علة ، عن ضرورة ، بدلاً من دوامة
الاحداث الخادعة ، أو القوانين التجريبية ^١ . وهي إذ تقع في حبة ابن
عها جاك ، تحب حساب كل ما يقصل بينهما ، كل ما يحظر عليها مشروع
حياة مشتركة معه : فعهما أخت عليه أن يكتب أو يرسم أو يصور ، كان
يكفي أن يرد عليها « وما الفائدة ؟ » وهذا بالضبط هو السؤال التي تستخدم
كل طاقاتها لدحضه ، إذ تلقي بنفسها في سلسلة لا نهاية لها من الاحمال .
ومن فقرات مذكراتها الخاصة في تلك الفترة : « ان الاستمتاع بالاشياء
اجنبية يكتفي ، وهو يقلل العرف ، والحياة الرغبة ، يجب السعادة . اما
أنا فلزمني حياة " نهمة ملتهمة .. " ^٢ .

١ - « تكرات تلك سيطرة » ص ١٥٥ - ١٥٦ . كلمة « كل شيء » مؤكدة من الكتابة .

٢ - نفس المرجع ص ٢٦٦ .

«تترمني ...» بعد عشر صفحات يتردد هذا الصدى في مذكراتها الخاصة ، ولكن بصيغة الشرط هذه المرة : «إما أنا فكنيت لأريد تطلباً لا يدع لي وقتاً اشغل فيه نفسي بشيء» ١ . (وذلك بالطبع بالمعنى الذي يشير إلى ما رأته من النساء حولها ، وخاصة أمها ، إذ كنن «تتوالى عليهن أيام حياة .. ويكتفين بأن يشغلن أنفسهن» ٢ . إن بين هاتين الصياغتين ، مهما كان من توازيهما الغريب ، هوة واسعة من «حياة الأمل» و «قلبان الأوهام» الذي تصفه بأنه «فاس» ، هوة تدفعها إلى أن تكتب : «كان جاك حقاً : ما القائلة ؟» وسوف يكون علينا أن نعود إلى ذلك فيما يلي ، بعد أن نقرر أننا قد نجحنا في الإلماحة بفهم هذه «الضرورة» المعقدة التي انقلبت ، تحت ابصارنا ، عدة وجوه ، مرة تلو المرة .

ولكنني لاحظ نقطة مشتركة بين هذه الوجوه المختلفة : إن «الضرورة» هنا تصور دائماً باعتبارها غريبة على الوعي ، تفرض نفسها عليه من الخارج ، تنقض عليه آلية من مكان ما آخر ، من حيث تتجاوز نفسها . فهي لا بد أن تكون «ساحقة» ، «مسيطرة» ، «هبة ملتهمة» ، ولا بد أن تكون لها سلطة المطلق التي لا ترد ، على نسيبة الحياة العرضية العابرة . أما وجه الاختلاف الحق ، في المظاهر التي رأيناها لها حتى الآن ، فهي أننا نراها أولاً ، معاشة بالفعل بصفاتها تلك ، ثم يبدو ، بعد ذلك ، أنها تستدعي ، كما لو أن حضورها الحقبني ، وقد تحل عن مكانه باطراد ليحل محله تعريف مجرد لها ، يحيل إلى الغياب المستحوذ : لم تعد «الضرورة» كائنة بعد ، يجب أن تكون . هذه «الضرورة» من الدرجة الثانية هي تطلب أن يكون المرء ضرورياً ، أن يكون مبرزاً ، أن يُختلص ، هي تطلب التأكيد بأن يكون المرء موضوع تطلب ما («كنت موضع الانتظار .. كنت أفعل ما ينبغي فعله») .

وقد يتعرف المرء هنا على الوصف المازتري «لروح الجليدية» وهو

الموقف الذي يغني فيه الانسان عن نفسه حرية بأن يأتى له « أن يكون موضع انتظار من أعمال موضوعه في طريقه ». ولا تردد سيمون دوبوفوار كما رأينا منذ قليل ، أن تتحدث بنفسها عن « جذبتها » - كما تحدث إلينا سارتر عن جذبته ، إذ أوضح أنه كان يقن نفسه ، فترة طويلة ، تحت تأثير جده « موكلًا » بانقاذ العالم (الانسان ..) إذ يكرس نفسه للأدب ، إذ يدخل الأدب كما يقال عن مؤمن يدخل الكهوت . أما سيمون دوبوفوار فمن يعرف أن رسالتها الأصلية لم تكن أن تكتب بل أن تحيا ، وهذا النص بلا شك هو الثمين الساطع لذلك : « أما أنا ، فقد كان مشروعى هو حياتى نفسها التي كنت اعتقد انى أنسك بها بين يدي . وكان لا بد أن تلي طليين لم أكن ألحق بينهما ، في نقاشي : أن أكون سعيدة ، وأن أحب نفسي العالم .. »^١

وفي المستوى الذي تقع فيه هذه الفكرة عن شبابها ، لرى أن تتطلب قد جاء في مكان الصداقة على الضرورة على نحو حاسم ، وعلى الوهم بأنها مطلوبة ، بأنها ضرورية موضع انتظار ، مشددة : وحلت الأرادة محل الوكالة المزعومة . ولكن هذا التحليل الذي يسهل في التصوير « الوجودي » لروح البعدية إذ يدخل في اعتباري ، عن عمد ، موضوع المسئولية^٢ ، لا يأتى ، بالقدور الذي يمكن لنا تصوره ، نتيجة للموقف المتبادل الذي قد تكون الكتابة قد اتخذت سداية من اعتقادنا الأولى : ذلك أن الموضوعين الرئيسيين - موضوع الطاعة لوكالة إازمية ، وموضوع الإستقلال الذاتي لوعي - يوجدان متزججين فيه على نحو لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر فيه ، في الواقع ، ان هذا التقاض بين الموضوعين يبدو لي وليسياً ، لأنه أصيل وجديد ،

١ - « ثورة العمر » ص ٢٦٨ .

٢ - وقت بالصداقة على فترة من خطوط سارتر لا أذكر الآن موقف من كتاباته ، أورد فيها هذه العبارة التي تقع البغاية في سوتها الصريح ، بتقوية وفي غير ذلك : « است استطع ، بطيئتي ، أن ألتص على عاتق شيداً الا وكالة لم يطوطني بها أحد .. »

وسوف أسوره هنا بوضع مقتطفات (إضافية تماماً) فيما يتعلق بالموضوع الأول ، وأكثر جدلة فيما يتعلق بالموضوع الثاني ، إذ أننا لم نتناول هذا الموضوع الأخير إلا على نحو غير مباشر .

موضوع الوكالة :

في ميرپينان : « كان كل شيء » ، وأنا ، لنا مكانتا الحق ، هنا ، الآن ، والأيام - « هناك في الأعلى ، كان هناك الله ، وكان ينظر إلي » - « كنت فريضة » ، وكنت مطلوبة ^١ . وفيما يتعلق بالسبح : « كنت أحس نفسي ضرورية لمجده » ^٢ . وفيما يتعلق بإسرائيل وهو زعيم طوائف اجتماعية كانت تظن ، فترة من الزمن ، أنها قد وجدت فيه مرشداً وحادياً : « .. كان وجوده يحسم لفكرة ، إذ وهب غاية ، ومعنى ، وكانت له في ذلك ضرورة رائعة ... واتضح لي بلديية جعلني التجد مذهولة : كانت هناك أعمال لانهاية لما تتطرقني ، كنت مطلوبة ، بكليني ، فافاً سمحت لنفسي بأقل تفريط ، كنت لأخون وصالي وأضرب الانسانية . » ^٣ . وفيما يتعلق بسوزان بواني ، وقد التفت بها في أثناء المحاضرات التي كان يلقيها جاريل : « كانت تنسى ، مثلي ، أن تجد مكانها الحقيقي في هذا العالم » ^٤ وفي نحو هذه الفترة ، وبصفة عامة : « بمجرد أن كنت أحس نفسي مقيدة ذات جدوى أو محبوبة ، كان الألق يستضيء من جديد وكنت أروح أمي نفسي بالعودة : أن أكون محبوبة ، إن أكون موضع الإعجاب ، أن أكون ضرورية ،

١- « مذكرات غداً مسيحية » من ١٩٨٠ و ١٩٨٢ و ١٩٦٦ .

٢- نفس المرجع ص ٧٤ .

٣- نفس المرجع ص ١٨١ .

٤- نفس المرجع ص ٢٥٢ .

أن أكون على مكانة مرموقة^١ وفيما يتعلق بساكني التي كانت قد تعرفت إليه منذ قليل : « وجدت صلة قرى وثيقة بين موقفه وموقفي باستثناء بضع فروق طفيفة .. لم يكن يزعم لنفسه قط - كما كان يحدث لي - أنه كان « شخصاً ذا مكانة مرموقة » أن له « قيمة » ، ولكنه كان - يرى أن هناك حقائق عامة .. قد تكشف له ، وإن من رسالته أن يفرضها على العالم^٢ . وأخيراً في مارسييا ، إذ أن ذلك بالنسبة اليها أيضاً أشبه شيء بشقة الانطلاق : « كنت مدعوة إلى أن أخرج في القجر ، شتاء وصيفاً على السواء ، ولا أعود إلا في الليل^٣ .

موضوع الاستقلال الذاتي :

عندما كانت طفلة صغيرة بعد ، إذ تفكر في هذا الوعي الذي هو هي ، الوعي الذي يتضح لها أن ترى ، وأن تسمع ، وأن تتحدث إلى نفسها ، تراه ، لقور ، ابتداءً خالداً ، يفسمه الله ، ولكنها تأبى على نفسها مع ذلك أن ترى فيه شكلاً إلهياً : « هذا الحضور في الذي كان يؤكد لي أنني أنا ، لم يكن يعتمد على أحد ، ما من شيء أبداً يمسّه ويصل إليه ، ومن المستحيل على أحد ، ولو كان الله ، أن يكون قد صنعه ..^٤ وفي نفس هذا العمر الغض الذي يرفض بالاعتماد على الغير عن طواعية : « ذلك معنى رسالتي :

١ - نفس التوقيع من ٢٢٩ والفقرة الموكدة في النص متبينة من التكرارات الخاصة التي كانت تكتبها لذلك .

٢ - نفس التوقيع من ٢٤٠ - ٢٤١ . هذه السطور جزء من تطور الفكرة سوف يكون علينا أن نرجع إليها ، إذ أن سيون هو بوقوار هنا تملأها بالاشارات تبدو من ناحية أخرى قادرة على أن توضح حالتها هي ، بطريقة دقيقة للغاية ، وذلك على أساس بنود من اللغة المادري لتفكر في الكينونة والضرورة .

٣ - « قوة العمر » من ٩٥ .

٤ - « تكرارات لغة مستقيمة » من ٥١ .

عندما يبلغ التصوُّج سوف استعين لنفسي طفولتي وسأجعل منها رائحة لا تشوبها شائبة . كنت أحلم لنفسي بصياغة نفسي بشكل مطلق ، وبصياغة فائقي نفسي .. كنت ، وما أزال دائماً ، سيدة نفسي ، أو ، البائدة التي كنت أعزوها لنفسي ، - « لم أكن طفلة ، كنت أنا . »^١ وفي نحو الثالثة عشرة من عمرها : « إذا كنت تميت فيما مضى أن أصبح مدمنة ، فذلك أنني كنت أحلم بأن أكون أنا قضيتي نفسها ، وغايتي نفسها : وكنت أفكر الآن أن الأدب كان ليصبح لي أن أحقق هذه الأمنية .. فإذا أكتب عملاً تغلوه حكايتي نفسها ، سأعيد خلق نفسي من جديد ، وسأبرز وجودي »^٢ وإن ذلك ينبغي أن نصنف الفقرات الكثيرة التي تسجل فيها سيمون دو بوفلور تفورها العميق من الطلاقات الجسد ، وفرواات الجنس . وسوف تعود إلى ذلك لتحاول أن توضح موقفها بلزاء الجنس ، وإنما يكفيها الآن أن تورد أي نص من هذه التصوص لاعطاء القارئ فكرة عن الاهتمام التي يمكن أن يتخذها انشغالها بأن تكون ، في هذا الصدد أيضاً ، مستقلة كل الاستقلال : « .. كان المرح الذي أبلوه في أثناء دروس الرقص يستفزني ويحزني لأنني كنت أعمله بالرغم مني ، لم أكن أقبل أن أول واحد غريب يستطيع أن يجعلني أقلب رأساً على عقب ، بمجرد لمسة ، بضبط على جسدي ، بالعناق . سوف يأتي يوم أنتشي فيه بين فزاعي رجل : وسأختار تلك الساعة بنفسي ، وسوف يكون قراوي مبرراً بعنف حب أكنه له . »^٣

تبرز فكرة التبرير بوضوح في الفقرتين اللتين أوردناهما هنا . ولكن

١ - « مذكرات مستقيمة » ص ٥٩ - ٦١ .

٢ - نفس المرجع ص ١٣٥ - انظر أيضاً : « كنت أفكر أن المرء يور العالم إذا انحلق من جنيد ، بالأدب ، في لقاء الهلاك ، وفي نفس الوقت يخلص المرء وجوده لنفسه » (« قوة العدم » ص ٨٣) .

٣ - نفس المرجع ص ١٦٦ .

هذه الفكرة كانت بالتأكيد مجاورة لكل النصوص الأخرى التي أهدتها
منها فيما سبق لتصوير موضوع الوكالة وموضوع الاستقلال الذاتي مرة
للمرة. ولكننا نرى ، في مجموعة من النصوص أو في المجموعة الأخرى ،
أن هذه الفكرة (سواء كانت متضمنة أو مصوغة صراحة) قد تغيرت
معناها على كل حال : لقد انطلقنا من الثقة بأن يكون المرء مجرداً ، إلى
طلب أن يبرز المرء نفسه .

وبين هذين الطرفين ، نجد ، بالطبع ، بلا عاء عدداً كبيراً من الملاحظات
التي تقع بين الطرفين ، بل لا نتردد أحياناً في أن نرجع ، في وقت معاً ،
إلى الاجتماعين معاً . فمتى بدأت مثلاً نهتم بالسياسة (في السنة التي حصلت
فيها على شهادتها في تاريخ الفلسفة) ، فهي تتطلب أن يكون هذا النمط
من السلوك دائماً ، مطلقاً ، على الدوام وطيد : «سوف أستمر في أن
أضع المسائل الاجتماعية موضعاً ثانوياً من الميتافيزيقا والأخلاقيات : ما جدوى
الاهتمام برغاء الإنسانية إذا لم تكن لها من علة الوجود ؟» وهو يتطلب
مزيج ، في الحقيقة ، إذ أنها تضع هذه «الصلة الوجودية» ، في نفس
الوقت ، في جوهر الواقع (أي في المستوى الميتافيزيقي) ، وفي طريقتها
لممارسة الواقع (أي في المستوى الخلقي) . ومهما بدا لنا من مثالياتها
في تلك الفترة ، فإنا قد افترضنا بأن موقفها الأخلاقي لم يكن من الممكن
أن يتدمج بحالٍ من الأحوال - ولم يتدمج قط بلاشك - في مجرد «احترام»
سلبي يحث القيم التي نلتزم بها . ولا يجوز أن نلصق بين جدتها وبين الامتناع
الخسيس الذي يجده عن أولئك الذين يعتقدون بأننا ننظر أن نتحقق منكمهم
علياً ، من غيرهم ، وأن تتطلب هذه الظل على العالم ، دون مشاركة منهم .
فقد رأينا هذه المرأة ، منذ طفولتها ، وفي كل اعتقاد لها ، في كل أسطورة
لديها ، رأيانها للزوم ، والسفر عن ذاتها ، ولدفع الثمن من شخصها :

واعتبرها مفصلة في الغابات ما أحيانا ذلك . ما دامت هي التي ترجو أن تنفسها أن تفعل ذلك . ولكن فلتسلم على الأقل أنها لا تبدي أي ميل للأوهام المريضة^١ . مثال آخر على هذه المثالية في الاتجاه : « كنت على مكانة مرموقة ، وكنت سوف أفعل شيئا ذا قيمة »^٢ .

ولكننا لا نستطيع هنا أن نتوقف عند مجرد ملاحظة هذا التعارض بين الاتجاهين . فإنا إذا لم نحاول أن نفهم وحدة « حقيقة » ما ، أو على الأقل شيئا من التفاصيل التي يمكن الرجوع إليها ، في مصدر هذا التناقض الظاهري في نطاق نفس الرعي الواحد - بين هدفين متباينين على هذا النحو الواضح بحيث لا يسع المرء إلا أن يذكر يصددهما التباينات الكلاسيكية بين الكينونة والفعل ، بين الإيمان الصوري والشرع المحدد . بين المثالية النظرية والعماد العملي - إذا لم نحاول أن نفهم ذلك فإنا يعني ذلك الاستسلام والتخلي عن الفهم . وفوق ذلك فإن الكتابة نفسها ، مرة أخرى ، هي التي توحى إلينا باتجاه البحث . إذ نعطينا مادة لتأمل في هذه العبارة البهيمية المثبتة على نحو عجيب : « كنت موضع التقار : من جانب نفسي »^٣ .

ولطبع هذه العبارة في سياقها : إن سيمون (وهي في الخامسة عشرة والنصف من العمر ، ولقد انتهت من ستها الدراسية في المدرسة الثانوية)

١ - من المسلم به أن هذا الملاحظة ، في المستوى السياسي ، ليس فيها من شيء « حاسم » ، لا يمكن أن يبعث المرء العماد حتى يصرف بطلاية ، وهناك الكثير من الأساطير يتضح أنها في الواقع تشكلت الاستشاد وتلفت تهيئة المجهود ، أي كانت ولادة كلور المجهود الفردية القبلية بأسماء . تلك قضية يجب أن نتبعها ، ولكن علينا ، في الصفحة التي وصلنا إليها ، ما زال حزينا لا يلبح لنا فكت .

٢ - « مذكرات فلاد ستيفية » ص ٢٢٩ .

٣ - نفس المراجع ص ١١٥ - وهي عبارة كان سارتر يروي فيها بلافك واحدة من « المقاتلات الحديثة القليلة » التي يتورط فيها فكرنا ، من طواينة . و « يفسر ذلك » بحيث يمكن استيعاب المظاهر الموحدة لوضعنا ، علاقتنا بالكينونة بقدر ما يضمن علينا أن « لوجد » هذه الكينونة .

لفضي يضع أيام عند أهل ابن عمها جاك ، وتترك لي أي مدى لا يهتم بها .
 بالمقارنة بطلبات أخطر أحسن تدريبين وثريتهن كأتين من « الشرطة »
 يلعبن التنس على أصوله الصحيحة ، ويخرجن للخفلات والزيارات ،
 ويرقصن ، ويعرفن كيف يتأقن في مجلسهن . وهي تقول لنا « ومع ذلك
 فقد كانت لأميالاته بي تزلزل من علي » . لم أكن لأسف لحظة واحدة على
 تعثري وهتوج حركاتي في اللعب ، ولا على التفصيل الأولي « الساذج » لفتاتي
 الولوجية الوردية . « ذلك أنها في الواقع تعي . على نحو عفيف شرس .
 بأنها تفوق على هاته المشافعات المرحومات : « كنت أفضل منهن .. وهو
 نفسه سيدرك ذلك يوماً ما » ان قيمتهن سطحية ومصطنعة ، ولن تكون
 الأشياء عابراً لا دوام له ، اما قيمتها - وهي خفية ما تزال ولكنها حقيقية
 وعميقة - فهي على العكس مكفولة النجاح والانتصار . « كنت اترك هذه
 السن الخرجة ، وبدلاً من أن أسف على طفولتي ، كنت استدير الى المستقبل .
 كان المستقبل ما زال من البعد بحيث لا يغفلني وكان يبهمني . وفي ذلك الصيف ،
 من بين كل صيف فضيئة ، كنت اكتفي وأتمل من روعة .. كان التور
 يسائلني ، وكان العالم يرقد تحت قدمي كأنه حيوان أليف كبير ، وكنت
 ابتسم لهذه الفترة المرافقة التي سوف تموت ، غداً ، ولبعث من جديد ،
 في مجدي : ما من حياة ، ما من لحظة في أية حياة ما ، كانت لتضي بالوجود
 التي كنت ادفع بها قلبي الساذج الى الجنون .. »

لعل القارئ يذكّر هنا قد « وعدنا » أنفسنا ، من ناحية ، أن نوثق
 بقدر ما يتسنى ذلك ، العلاقة المباشرة « القوية » بين كائنيتنا وبين الواقع :
 وما نحن الآن ، اذا لم أكن مضطراً ، قد أصبحنا نملك بعض المعطيات الجوهرية ..
 هذه الفتاة إذن ، اذا صدقنا المرأة التي تذكّرنا بها ، قد اعتادت ،
 في تصمم وعزم ، أن تغفل الصورة التي يتصورها الآخرون عنها (ومنهم
 ذلك الذي تحب) وهي تصل إلى أن تلحظ هذه الصورة ، على طريقتين
 في نفس الوقت : بأن تضع في مقابلها حقيقة « عميقة » هي كبروتتها نفسها -

ليس للأخريين من مدخل إليها ، ثم بأن تضع في المستقبل القيمة الحقيقية لهذا الجوهر النقيس . ولا شك أننا قد لاحظنا من قبل أنه يكفي أن نعتبر موقفها في اتجاه التناقض ، هذا التناقض المهي على الثقة بالمستقبل ، حتى نرى أنفسنا ، القصور ، مضطرين إلى تصور تفسير آخر يختلف كلي الاختلاف وذلك على سبيل التوفيق والتصحيح . هذا التفسير الأخير مؤسس ، هذه المرة ، على نوع من الثقة المباشرة ، بل من الاكتفاء نظرياً ، وأقصد على أي حال ، أنه مؤسس على ثقة مطلقة بالذات . ولكننا لعلنا لاحظنا ، في نفس الوقت ، أن التبادل أيضاً حقيقي ، وأن بطلتنا نحرص على وضع بعدها في مستقبل يخلت من قبضتها ، فهي تحمي نفسها « بالوجود » وهي إذ ترى نفسها « ينتظرها » بعدها نفسه ، وسعادتها ، فلا ينبغي عنها الجهد الذي ينتظره منها هذا « المجد » . وعلى ذلك فإن موقفها يبدو ، بالتناوب ، إما سحريراً أو واقعياً ؛ فهي من ناحية تعتبر من المؤكدة أن قبضتها هناك ، كاشنة بالفعل ، كاشنة في أحاطتها ليس عليها إلا أن تسفر عن نفسها (الماهية سبق الوجود) ، ومن ناحية أخرى فإن كل شيء يتوقف قطعاً على هذا الإسفار (الوجود سبق الماهية) ، وليست القيمة شيئاً ، ولا تساوي شيئاً في خارج نقيتها العملي ، واعتدلت قائماً تستشف أنه لن يكتفيها على وجد محدد ، أن تؤمن بفكرها . وليس لنا أن نسيء لهم هذا القلب الساذج ، التي تعرضه لسخرتنا بكل هذا اللطف في الأسلوب ، ذلك أنه ليس بهذه السذاجة على أي حال ، قلب هذه الفتاة ، فإنه يعرف — منذ سنوات — أنه يجب دفع الثمن حتى يثبت المرء قيمته ، وحتى يثبت جوارحه بما هو عليه ، دون توقف . وبعبارة أخرى فإن « الاكتفاء » فيها لا يتعلق بحقيقتها « في الإمكان » . وعندما نراها تعكف عكوفاً عميقاً على ذاتها ، فنستدرك أن ذلك ليس بمرور الكينونة من ناحيتها ، بل هو كبرياء القدرة على الكينونة إذ أن الأمر في نهاية المطاف هو ضمان تقاوم به على مقدورها على الوفاء بلذاتها وفاء سكبياً .

ولنحسب اذ ندقق ، على هذا النحو ، نقطة كنا قد أشرنا إليها من قبل ،
فهل تقدمنا حقاً نحو هذا الموقف الأساسي الذي لا شك (فيما نفترض)
قد صدرت عنه تلك الثانية التي أظهرها تحليلنا فيما سبق ؟ نعم ، ولا ،
فيما يبدو لي . فالواقع أنني أعتقد أننا قد وصلنا إلى زحزحة المشكلة ونقلها
عن موضعها . فهذه الثانية التي اصطدمنا بها ، في صياغتها الأولى ، قد
تغيرت إلى وحدة مبهمة ملتبسة ، يتمثل معناها ، فيما يبدو ، في تطلب
أن يكون المرء ذاته . وذلك موقف واحدٌ بعينه ، ذلك لأنه هو الحرية
(باعتبارها تطلباً) التي تريد ذاتها (باعتبارها كينونة) . أو إذا أكثرنا ذلك
إتته الكينونة باعتبارها مسطرة ذاتها (الكينونة - الواجب الحرة) التي تريد
ذاتها باعتبارها تحقيقاً لذات (الكينونة الحرة) . وفي هذا السوى من بحثنا
فليس علينا أن نتعامل عن مشروعية مثل هذا التصور للحرية ، بل علينا
فقط أن نحاول فهم نوع العلاقة بالعالم التي يفترضها ويحيل إلى أن يقيمها .
وهنا ، على وجه الدقة ، نعرض لأن نرى هذا التصور يتفجر ، من جديد ،
في ثانية - بل في تعدد الكثرة - من الاتجاهات ، والميول ، والمحاولات ،
والثوابب المتغيرة . ومن الصعب أن نتصور في الواقع كيف ينسج لهذه الوحدوية
في المعنى المؤسسة على الرجوع جوهرياً إلى المطلق ، إلى ملء الكينونة ، أن
يحملها وهي يواجه ، بالمراد ، عرضية وضعنا ونسبته .

٢ - العلاقة بالعالم الطبيعي

سوف نتناول ، أولاً ، هذه العلاقة بالعالم ، تيسيراً للرصف ، على اعتبار أنها علاقة بالطبيعة . وليس هذا التمييز ، في حالة كائناتنا ، بالتمييز التصنيفي كما يبدو بصفة عامة ، فمن الحق أن المرء لا يلقي كثيراً في العالم الراهن بالطبيعة دون الانسان ، الا أنه يلبي للمرء حرية أن يشغف بها شغفاً مشبوهاً ، سواء كان ذلك لما يوجد متجسماً فيها من نشاط انساني يحول مظاهرها ، او لما فيها ، بالعكس ، من جوانب طبيعية باقية تعارض مشروعات الانسان . وفي نطاق النظرة التي ننظر بها الى المسألة ، في بحثنا ، فمن المهم بلا شك أن نلاحظ أن الواقع ، عند ميمون دويروفوار ، يمكن أن ينقسم بسهولة قسمين متمايزين : الطبيعة من ناحية ، والانسان من ناحية أخرى . مع وجود تحفظ بالطبع ، هو أن بعض التدخلات لا تلبث أن تظهر هنا وهناك ، وعلينا أن نتساءل هنا عما اذا كانت هذه التدخلات تلغي ذلك التقسيم حقاً ، أم أنها لا ترجع إلا الى التفاعلات سطحية .

وقد اثبت لنا قرص كثيرة ، على أي حال ، لتقدير حدة حيها للطبيعة عندما أوضحنا المسحة التي تمدها بها اكتشافاتها لها . ولكن الواقع أن هذا الحب لا يلبث أن يظهر في عدد معين من الأشكال تختلف عن بعضها البعض اختلافًا محسوساً . فهنا الربيف في ليموزان ، مثلاً ، حيث عرفت أولى

نظراتها في هذا السبيل ، يظهر لها مرة كأنها يكتشف عن «كنوز» تحرق شوقاً الى «اكتشافها»^١. ويظهر لها مرة أخرى باعتباره الموضع الصوتي لمشاركة محادثة في كلية الكينونة : «كنت أفقد نفسي في اللانهاية وأنا مع ذلك أخلّ» أنا نفسي ... كانت الريح تلوم حول أشجار الخور : آية من مكان آخر ، من كل مكان ، نهر الفضاء ، وكنت أفور كالنومامة ، وأنا بلا حراك ، حتى أكثر تخوم الأرض : وعندما كان القمر يصعد في السماء ، كنت أنصلي بالمناجاة بالمدن البعيدة ، بالصحاري ، بالبحار ، بالقرى التي كانت تسبح ، في الوقت نفسه ، في ضوئه . لم أكن بعد وعياً خاوياً ، نظرة مجردة ، بل عين غيطان القمح السوداء المشوكة ، عين نبات الحلتب الحميم ، وحرارة الظهر الكثيفة ، أو لولعشة الغسق ، كنت ثقيلة رازحة التفل ، ومع ذلك فقد كنت اتبحر في الزوفة اللازوردية ، لم تكن تعطيني بعد حدود»^٢.

ها نحن إذن نراه هذا الوعي القوي (إنها في الثالثة عشرة من العمر) الذي يعاني ، في الوقت نفسه ، من أنه محدود جسمانياً في نقطة في الفراغ . وأن ليس له . في نفس هذه النقطة ، أي حضور فعلي . ولأية كثافة ، ولا أية أهمية حقيقية ، ولتقل إنها تعاني من أنها لا تعس بوجودها ، وأنها تعوض هذا النقص بأن تعلم أنها كل شيء . وأنها هي ذاتها على وجه الإطلاق ، في وقت معاً . وما كانت لا تستطيع بعد أن تتصور أنها تتخذ لنفسها قواماً ثابتاً ، على طريقة بعض الشخصيات السارترية (الذين يحاولون أن يتخبروا تفهمهم ، في مكان ما من العالم ، باعتبارهم أساساً ، بأن يفتلوا حريتهم المجردة إذ يحسبونها بوطاة عمل لا رجوع فيه) فإنها تلجأ الى

١ - مذكرات فالا مستقيمة ، ص ٢٤ .

٢ - فلاحظ أن المدن والقرى ليست متصورة هنا باعتبارها أوماماً إنسانية من الاطلاق ، بل باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من كل يحتفظ بكل عناصره مالم يطمح .

٣ - مذكرات فالا مستقيمة ص ١٢٦ .

الطبيعة لكي تستعيد ، بالامتزاج بها ، كينونتها المطلقة ، كينونة حريتها نفسها — على شكل احساس مزدوج ، بالامتلاء ، وبالانهاية . وإذا كان الله ، كما رأينا ، متضمناً ، لحظة ، في هذه الرؤى ، فليس في ذلك ما يدهشنا ، ولكن ليس مما يدهشنا ، من باب أولى ، أنه قد كشف عن أن يلعب أي دور فيها بعد ذلك . ذلك أن طلب المطلق الذي تعبّر عنه هذه الرؤى يتضح لقور على حقيقته عازياً : اهتمام بالذات لا أكثر . وعلى العكس من بعض المؤمنين الذين يصلون إلى معرفة المطلق الإلهي بأن يذللوا المخلوق في داخلهم (على أمل «خلاص» يكفل لهم استعادة كينونتهم استعادة كلية ونهائية ، بالطبع) فإن سيمون دوبوفوار قد أوضح أنها تؤثر طريقاً مباشراً أكثر : وعندما كان الله يبدو لها كأنه له السيادة الكاملة وبصلاً علوية للمطلق كانت تريد أن يسهم في الشياخ طلبها للمطلق إذ بكل إليها رسالة أن تمنح الوجود ، بنظرتها ، لهذا العالم الذي خلقه . ولكن لم يكن ثم مجال لأن يستفيد من ذلك بأن يتصور أية صورة غير حقيقية عن طبيعة علاقتها بها . ذلك أنه هو الذي يظل مديناً لها ، إذ أنه بحاجة إليها . لقد مضى عهده ، كخالف ، ولم يعد هناك إلا ما هي ، كي يمد إليها يده ، في المرحلة التالية ، مرحلة الكشف . «لم تكن سيادته تزع عني سيادتي ... وبدلاً من أن يزلني عن عرشي كان يضمن لي عهده سلطاني» .

أنا ، لا شيء - إلا أنا - نعم ، منها هي بصير كل شيء ، قطعاً ، وإليها كل شيء . يجب أن يعود . لا يكفيها أن تتصور نفسها «مطلوبة» بل تريد أن تكون وحدها^١ هي المطلوبة : «كنت متفردة فذات .. وعندما أمضي ،

١ - كانت نفس تلك الحاجة ، قبل ذلك بضع سنوات ، في فترة كانت مازال فيها «ثقة» جداً ، حين كانت تعبد المسيح سيادة وألها : «قالوا لي إنه يجب كل مخلوق من مخلوقاته كما لو كان هو المخلوق الوحيد الذي لا يوجد سواه ، لم تكن نظراته تتخل في شقة واسعد ، وكان كل الآخرين يمدّون من هذا القدر بيني وبينه وحدها ، كنت أعزهم ، ولم يكن في العام إلا هو وأنا ، وكنت أسس نفسي لضرورة لحيده : كان لوجودي من ، لا نهاية

تتحلّ عرى المشاهد الطبيعية وتفتكك ، ولا تعود توجد عند أحد : بل لا تعود توجد على الإطلاق . وعندما يحارس أي وعي آخر هذا الدور نفسه ، أو عندما يحس تحت أنظارها بنفس المنع والسرقات ، فإنه قد يجعل محاولاتها للاقلاّت من النسبة ، محاولات هي نفسها نسبة : «كنت أحس على جنوبي حرارة الشمس التي تسطع الجميع ، وهي التي لا تداعب أحداً الاي لنا ، في هذه اللحظة ، هنا .»

هذه الرغبة في أن تكون منفردة ، نسيج وحدها ، نجدها فيما بعد ، في سياق مختلف : سياق العلاقات المحددة المجسدة بالوعي عند الآخرين . ولتقتصر الآن على أن حاجتها الى اعتبار نفسها مركزاً مطلقاً ، على أي حال ، يظهر عند سيمون الصغيرة ، في نفس مستوى تواصلها بالطبيعة ولجوها لها . المشاوكة ، الامتزاج ، التواصل ، ذلك كله حسن : ولكن لما كان الأمر يتعلق عندها ، جوهرياً ، بالاحساس بكونونها نفسها الى أقصى حد ، فإنه ينبغي لها أن تستطيع ، بنفس الحركة ، أن تتميز عن العالم وأن تتوحد به . وقد رأينا أنها تتطلع الى ذلك («كنت أظن نفسي في اللانهاية وأظن مع ذلك أنا نفسي ») ولا شك أنها استطاعت ، الى حد ما ، أن تتسكك بهذا الوهم ، عن طريق تناوب مرجع بين الموقفين المتعاكسين ، وعندئذ يظهر نوع من البلبلة ، لا يعرف المراه فيها بالضبط أين يقف العالم وأين تبدأ سيمون : «... كانت رياح المساء تداعب نباتات عرقية الراحيب ، وتمسني ، وتوشوش لي ، وكنت أسلم نفسي الى عنونيتها ، الى عبقها ... كان النور يشايل في ، وكان العالم يرقد تحت قنني كحيوان أليف كبير ... (الخ) .»

«... أنا ، دائماً أنا ... إن أرجسية هذا الوعي التزم الى ذاته (، لم اكن يتعاني الكلل من الاغصاب بنفس في تلك القراء الصلابة بلا بداية ولا نهاية) ، تمنح لنا أن نفهم كيف أنها بعد أن كتب انه يوماً من أن يكون هو الطرف الآخر الصحيح في الحوار ، استطاعت بكل هذه السهولة أن تقل هذه الطبيعة بدون الانسان .»

وأقل ما يمكن أن يقال إن الاستسلام عندنا ليس طريقة لتلقائية . فعندما نصف نفسها بأنها « تسبح » في العالم ، فلندرك أنها كانت قد علمت العزم على أن تغلف بنفسها لكي تغوص فيه ، أو على الأقل ، أنها علمت العزم على أن تسلط نفسها إلى عملية إحكام قبضتها على العالم : وهي قبضة غريبة في أنها تختار وتتقي ، في أنها خفيفة ، في أنها ما تكاد تمس سطح العالم ، وليس فيها ما يمت بصلة إلى هذا الالتصاق للكونية كلها « بالقوى الأرضية » التي تميز ، غالباً ، التواصل بالعالم الطبيعي . إن الطبيعة هنا ليست هي الأرض ولكن الفراغ والحركات التي تنمو وتنتشر فيه ، الرياح ، الروائح ، الألوان أو الأصوات^١ : ليست المادة ، بل ما ينبعث منها وحده ، أي ما يحيل ، في الواقع الموضوعي ، إلى التشتت على هيئة صور ، وما يرمز ، على أفضل نحو ، إلى الحركات التي توشك أن تكون لامادية ، لذاتيتها . . . كنت أقيم يوماً بعد يوم في الطرق العائرة ، وكنت أقل ساعات طويلاً بلا حراك تحت قدمي شجرة ، وعندك كانت تمسني أقل ذبذبة في الهواء ، وكل تغير في ألوان الخريف . . .^٢

هناك كلمة لها دلالتها الكبيرة تأتي قبل هذه الفقرة التي قرأناها : عندما

١ - مثال واحد من بين مائة مثال : « كنت أشق بين العشب المبلوط منذ قليل ... كانت الموجات الخفيفة ، والشمس ، في مهبها العظيم ، تداعب الأوراق التي تصدر عنها أصوات الخفيف . . . » (« مذكرات غدا مستقيمة » ص ٣١٧) .

٢ - « مذكرات غدا مستقيمة » ص ١٢٨ - في بعض الأحيان ، مع ذلك ، كانت الظاهر الطبيعية تقيم علاقة لا بحركات « الروح » فقط ، بل بالظواهر البيولوجية أيضاً : فهي تجعل الحياة نفسها ، إذن ، وعرضتها ، تتشارك في الضرورة وفي القوام لتجانب المطلق للكونية ، كما تجعل البدام الكونية الوحي ، حريتها ، تتشارك فيهما ، من ناحية أخرى . « الروائح ، الألوان ، الظلال ، السمات ، والتواصل كلها كانت تنفجر في موجات عاتية أو مبطونة ، في شرائبي ، في صلاتي ، في صبري ، إلى حد أنه كان يبدو لي أنه ضيق دمائي ، وهذا الضيق في احتقاد خلاياي ، وكل هذا السر في داخلي ، الحياة ، استطاع أن أسبل إليه في سرور الجذاب ، في التواصل المزجج التي كانت تشعك غداي الأشجار ، في عنبس الطلح تحت قسي . . » (قوة الصبر ص ٢٢٦) .

نعيم على وجهها ، وتربص بالأشياء ، على ذلك النحو ، فالحال كان ذلك
 ولكني ترويض ركناً من أركان الريف . ان بين القناة الوثنية التي تتواصل
 بالطبيعة وتسمح في الكل العظيم ، وبين المشاة المثينة الأسر التي تلوح العالم
 بخطى واسعة ، بين هذا الاستسلام الطاعري ، وهذا الغزو الجاني الحسن ،
 يظهر لنا هنا طراز ثالث من العلاقة بالطبيعة ، والأهمية الرئيسية لهذا النوع
 الثالث من العلاقات بالطبيعة ، هي أنها تشير الى موقف متوسط بحيث يتاح
 لتوحيين السابقين أن يبدو أقل تعارضاً وأقل استعصاءً على التوافق . فقلدنا ،
 على سبيل التبسيط ، موقف أول هو موقف الالتصاق الذي يوشك أن
 يكون سليماً والذي يفترض أن هناك نوعاً من التناقص المستمر سلفاً بين سيمون
 وبين الحقيقة : هذا هو صعيد التفاوت الساذج ، حيث تبدو السعادة ، في
 الواقع ، معطاة ، وحيث يستطيع المرء أن يقول عن نفسه ، في النهاية إنه
 سعيد . وعلى النقيض من هذا الموقف ، تتخذ العلاقة بالطبيعة شكل مشروع
 جدي ، منهجي ، يوشك أن يكون متعلقاً بالمشاح ، يستهدف تلك عالم
 يميل أن يعرف ، هذه المرة ، بحروته وشكائته ، بالمقاومات التي يبديها
 لجهودنا في أن نمسك به : هذا هو صعيد تفاوت عدواني ، حيث لم تعد السعادة
 معطاة إلا بالإمكان ، حيث ينبغي أن نخطط وأن نبني السعادة بدون هوانة .
 وبين الموقفين ، في النهاية ، يقع موقف أكثر مرونة ، أكثر راحة في
 المدخل وتنوعاً في الظلال ، يبدو أنه حريص على التحوط من التفرع في
 أوهام الغبطة ومن اسراف العناد الإرادي ، في وقت معاً : فالمرء هنا لا
 يفكر في الاستيلاء على السعادة بالصراع المحتدم ، ولكنه لا ينتظر ، من
 ناحية أخرى ، أن تلحق عليه خلة السعادة على سبيل الحق الألفي .

وبعبارة أدق فإن هذه المحاولة لترويض كينونة الأشياء (العالم باعتبارها
 طبيعة) يمكن أن تكون بداية توفيق بين مشروع ترويض الذات وتكليفها
 مع العالم ، وبين مشروع تلك العالم . ففي اللحظة التي اكتف فيها عن التسليم
 بأن العالم ، وأنا ، مصنوعان أحدهما من أجل الآخر (بأنني قد وكلفت

رسالة الوصول الى ذاتي فيه بأن أكتشفه (في الحقيقة التي لا أعود أنظر ، فيه ، من العناية الالهية أن تحقق ذاتي ، في هذه الحقيقة ينبغي حقاً أن أبدأ ، بنشاط ، في العمل على البحث عن ذاتي . والمسألة كلها عتدد أن أعرف كيف أسد الفتوة التي فترت قلما - على هذا النحو - بين العالم وبينني : هل اختار استعادة كينونتي بأن أجعل العلم بأخلمي ، أو بأن أخله أنا ؟ وهنا يمكن أن يتخذ التوفيق المشهود مكانه . فلم تعد المشكلة انضواء الطبيعة ولا تسليم السلاح لها ، وإنما المشكلة ، اذا حق " لي القول ، هي ممارسة العشق مع الطبيعة : الوصول اليها في نفس الوقت التي تصل هي فيه إلى . ينبغي الاستيلاء عليها ، هذا مؤكد ، ولكن في نفس الوقت الذي تستولي هي فيه على . وما من جدوى في الاستسلام لملكه ما اذا لم يكن المرء سيداً لنفسه بحيث يتاح له أن يحقق ذاته ، باعتباره مستحقاً عليه . فالهدف ، بعبارة أخرى ليس هو الانتصار على الخصم ، وجعله عدماً ، و " فاك " عراه وتفتيت قوامه . بل على العكس ، الهدف هو أن نعهد اليه بالعدم لقوامنا حتى يردم بنا على شكل كينونة : كما يعلم المرء أحياناً بأن يأخذ " حماماً لاستعادة الشباب " ، والأمر هنا هو أخذ " حماماً للكينونة " . ليس هذا صراعاً مضمراً بل نزال عشق ومحبة ، حيث المرء بحاجة الى أن يعبر من خلال الآخر حتى تتأكد ذاته . ومعنى ذلك أن يهب المرء نفسه للآخر ، ويستغفره ، ويكشف نفسه الى الحد الكافي لقبضه ، حتى يتم التماسك والاتصال ، حتى يمر الثبار ، أن يريد المرء اغراء الآخر ، من ثم ، أكثر مما يريد انخضاعه . ومن هنا جاء موضوع الترويض حيث يمكن للمرء أن يستبعد ، في وقت معاً ، الغراء الاستيلاء على الآخر بالقوة (يحطّر الا ينلق منه شيئاً بعد) كما يستبعد يحطّر ان يستولي عليه الآخر بالقوة (الغراء الغاء الذات فيه) . ان العلم هناك لكي يتخذ ، وفاتنا العاشقة الطبيعة نشتهي أن نأخذ لنفسها كينونة : فكيف تضمن لنفسها ان تتمكن اذا تابعت صوفية التواصل حتى تتوحد بموضوع حبها ، أو اذا أصبحت ، على العكس ، ونتيجة لعنادها

الاراضي المنتصر ، لا تتأثر بسحره ؟

وما نحن نورد بفتح نماذج لوقوفها الشغور أشد الشجر في هذا الصدد ، استكمالاً لما بدأنا ، من بيانات . ولتأخذ أولاً تلك النماذج التي تتجه نحو معنى الترويض : « .. كانت لي بالطبيعة علاقات حميمة الى الحد الذي لا يسمح لي أن أراها أبسط هنا الى مستوى تسلية يروج بها المتزهدون عن أنفسهم . كانوا يقدمونها الي في شرائح ، دون أن يدعوا لي لا الفراغ ولا الوحدة الضرورية لكي اقرب منها : فإنا لم اكن أعياها نفسي فلن أتلقى منها شيئاً .. وحصصت اشجار الصنوبر وجداول المياه .. » أو إذ تؤكد ضرورتها كشفت الذات للعالم ، واستفزازه تقريباً ، حتى يصل العالم الى الذات : « كنت منحنية على البوابة ، أقدم وجهي للريح وطبقات الفحم غير المحترق التي يحملها الهواء ، وأقسمت لنفسي ألا أكون قط شبيهة بأولئك المسافرين الذين يتكلمون تكوئاً أعمى في حرارة مقاصير القطار .. »^١ ولتطف الى ذلك هذه الصفحات عن موقف الاستيلاء المنهجي ، هذه المرة : « كان سائر مثل سائحاً جيداً مثابراً .. كنت أحب دائماً أن استولي على المشاهد الطبيعية بقوة سافيتا .. » « انني استكشف نيويورك ، حياً بعد حي ، انني سائحة مدققة .. » « كنت أحرث المنطقة حراً منطقياً جبة وذعوباً .. » - « جنوني القديم .. أن أفرج الملائق التي كنا نمر بها ذراعاً منهجياً .. »

ومن الممكن أن نستدعي نصرياً لا عداد لها ، سواء في الاتجاه الأول أو في الاتجاه الثاني ، وليست أكثر دلالة هي التي اعتزتها هنا اعتباطاً .

١ - « مذكرات لحانة مستظية » ص ٢٠٤ .

٢ - نفس المرجع ص ٢٥١ - ربت خمسة وعشرين عاماً ، عندما استطعت أن أكشف وأن تلمس نوعاً لا بأس به في القطار كان يحلها الى لوزان ، أعلنت تفرغ نفسي على ذلك : « أذكر رحلة بالقطار الى ليورن ، عندما كنت في الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة .. ورفضت القيل كله ووجهي في النافذة ، أأكل الفحم وأمس نفسي منقوفة على بحر فيه كل السعادة ، على التكرار القليل أصمتهم وهدرتهم حرارة مقصورة القطار . من مثل هذه الانبعاث أسس اني أعلنت في الشيفرعة ، (« ثورة الانبعاث » ص ١٠٢) .

ولكن النقطة التي يهتأ أن نؤكدتها (لمنحن قد أشرنا إليها من قبل) هي أن علاقات سيمون دوبوفوار بالعالم الطبيعي تتوج دائماً ، تقريباً ، بنجاح فعلي . وسواء زعمت أنها تهب نفسها ، أو اعترفت الاستيلاء ، فالنتيجة واحدة : أن الثيَار يمر . ويحدث شيء ما ، وهناك دائماً لحظة تكون فيها ، حقاً ، « مستحرفاً عليها » ، « مبهورة » ، « مفتونة » ، « مشتتة » - وبعبارة واحدة « سعيدة » .

سعيدة بالكنيوتة ، كما هو واضح ، وعلى نحو أدق سعيدة بأن تكون ذاتها ، بأن تصل إلى الكنيوتة باعتبارها وعياً . وما من شك أنها لم تصف هذه الغاية القصوى الكاملة من المتعة التي تدن بها إلى طعمها الاستكشافي ، بأفضل ما وصفتها به في السطور الأخيرة من فترة أوردناها فيما سبق حيث يبدو مع ذلك أنها تسجبه إلى نتيجة مختلفة ككل الاختلاف . وهي إذ تلاحظ في الواقع أن كل لقاء لها بالواقع « يقاضتها » (نحن بصدد رحلتها الأولى إلى أسبانيا) ، تضيف إلى ذلك : « كان (هذا الواقع) ينزعني شيئاً من نفسي . » « واليك الآن ما يحدث في هذا النص ، الحركة الأولى : « كنت الحائر نفسي ، لم أكن أصبح أخرى ، ولكنني كنت الخفي . » الحركة الثانية : « وبما كان ذلك امتياز الناس ... قريبة للمشروعات دون توقف ، أن تأتي هذه الوقفات ، هذه الهدنة ، حيث يتوقف الزمن فجأة ، حيث يتمزج الوجود بالامتلاء الساكن الذي لا حراك فيه للأشياء : أية راحة ! أي ثواب ! » الحركة الثالثة : « في أكيلا ، في الصباح ، دفعت مصراعي الشاقل في غرفتي ، ورأيت أبراجاً قائمة على نحو رائع ، بلازاء زرقاء السماء ، الماضي ، والمستقبل كل شيء يخفي ، لم يعد هناك إلا حاضري مجرد ، حاضري ، حاضر هذا الأسوار ، حاضر واحد بعينه ، وكان يتحدى الزمن . وكثيراً ما حدث في خلال هذه الرحلات الأولى ، أن ألواناً مشابهة من السعادة كانت تجسدي بلا حراك » .

من الدهشة والمفاجأة إلى التجمد والتحجر ، يختلف هذا النمط ، يختلف

من العلاقة التي نراها الآن ، اختلافاً مؤكداً عن حيل الرويوس ، واختلافاً أكثر بلا شك ، عن موقفها في الأسيلاء والانتصار : ولكنها علاقة لا تخرج مع ذلك بلمحة التواصل الأولى ، في صورتها المادة الثقافية التي كنا قد رأيناها تتخلعا في مقولة ومراقبة كاتبنا . ويبدو أن الخلقة وحرة النفس الساذجة التي كانت تحسها سيمون الصغيرة قد نزلت عن مكانها لاحتياجات أكثر عشوة وعراقلة تتناسب مع نحو الشخصية ، وعلى أساس من عدم الشياخ مزاييد : فلم يعد ممكناً بعد أن تترك نفسها تكون ، بل لم يعد لديها صبر على الاقتراب من الكينونة لكي تتشبع به بأن « تغارله » غزلاً خفيفاً . وفي أعقاب المشاركة المباشرة الناجمة من البراءة الأولى ، جاءت المعرفة ، والافتصال : لقد طردت سيمون من الجنة ، وشعارها في أن تكون سعيدة يستخدم أقصى الوسائل نظرياً لكي تحاول أن تعود سعيدة . وعندئذ تسقط في التناقض الذي كان في طياتنا منذ لحظة ، أنها تستطيع أن تغفلته : ذلك أنها سوف تاحصل ، بالتأكيد ، لكي تكون جذيرة من جديد بهذا القردوس المفقود . ولكن طريقها الوحيدة في أن تعود فتستحوذ على الكينونة ، هي أن تجعل من نفسها قرينة هذا الكينونة ، على نحو لاشرطي للغاية ، من وقت إلى آخر . ولا بد في الواقع أن يكون قد حدث « شيء ما » حتى أن هذه الحياة التي كانت تغمرها السعادة ، تعود فتيحت الآن من جديد عن القرمص التي يتاح لها فيها أن تصطفها السعادة .

أما ما حدث ، فستحاول وشيكاً أن تحدده ، وأن تحدد اللحظة التي وقع فيها ، ولكن علينا أن نضع في الاعتبار موقف سيمون دي بوفوار من الحقائق الانسانية المحددة المجسدة ، وما زال علينا أن نصل إلى تدقيق أكثر فيما يتعلق بسعيها وراء الكينونة ، على صعيد علاقتها بالطبيعة ، وبالعالم عامة .

وقد استطعنا كثيراً فيما سبق أن نرى مدى الشجاعة العديدة لهذا « القنص » الذي يركب رأسه في بناء سعادته ، وقد رأينا أن مثل هذا الدأب والمثابرة

أما يصدر عن أصول بعيدة ، وأنها متعاصرة تقريباً مع تولفها لنفس السعادة . ولكن عندما تبدأ كاتبتنا بعد ذلك في السعي وراء سعادتها عن طريق تجديدات متعاقبة ، فلم يعد الأمر هنا يتعلق بعمل مستتب دؤوب ، بل هو نوع من التهم يبدو معه أن هذا العناد الكادح يقتصر على أن يكون أداة في خدمة^١ . وقد تكلمت منذ قليل عن السعادة والحسن ، عن نقاد العصر ، وهذه في نهاية الأمر هي فكرة العنف التي تميل لظهورها .

ومن الخطأ أن تصور مع ذلك أن ذلك هو أول مدخل لها على مسرح الوعي البوغازي : أن ذكريات كثيرة عن الطفولة تُظهر لنا سموم مختلفة كل الاختلاف - على الرغم من أنها متعاصرة تقريباً - عن سموم الطفولة المجددة التي لاحقتنا ، فيما سبق ، حكمتها وعقلها ودمائها . هذه «البنت الصغيرة المستقيمة» ، ليس لنا أن نجعل منها ملاكاً للعصوبة (ولو كان ذلك عمل سبيل تربية أطفالنا نحن) . واقتبس هنا ، اعتباطاً : «كنت موضع الوقاية والحماية ، مدلة ، تسليتي ولشوقي جدّة الأشياء التي لا تتوقف ، كنت بنتاً صغيرة مرحة جداً . ومع ذلك فقد كان ثم شيء لا يستقيم على وجهه ، إذ أن الزمات عنيفة كانت تغلف بي إلى الأرض ، محفلة الوجه ، منتشجة ...» - «وألفظ على الاستنكاف» - «أصرخ على طول بوليفار وإسباني» - «كنت أصرخ بقوة ، وفرة طويلة ، حتى غشي الناس أحياناً في لوكسمبورج بنتاً ضحية للعذيب» (وقد رفضت

١ - لو يستعمل ، إذا شئت ، في تمهيد الأرض ، في تهيئة الظروف لثبات هذا التكثف المزعوج (لنفسها والعالم) التي يمكن أن نقول أيضاً إنها تسعى إليه ، يتشاط ، وأنها تحكم عليها بالتظار . أنها الضحية الجديرة بأن تذل والتي تهدف إلى استرداد الآلية ، والتي يحول الأمر بها أن يخزي الآلة على أن يمتدحها ، سطوتهم ، أنها طغوس للناس ، تمهيداً لتهيئة الأرض لنشوة التواصل والفرح . فهذه الآداة إذن المستعمل على مستويين معاً : مستوى الواقع (التي باعتبارها علامة فعلية هو أحد الوسائط التي ينبغي التورع بها لتكثف العالم) ومستوى الخيال (الجهة التي يستلزم تعزّي إليه ، باعتبارها سلوكاً ، عقلياً ، أو ، روحياً ، معالجة من نطق صوري) .

بضربة من قدميها امرأة رثت لما فقدت لما قطعة حلوى - على سبيل الشكر -
 - «أفلق بنفوري ال درجة التي» ، وينتهي ال درجة الحواز - « في
 نمرقة الصرخات - « التي بنفسى على الرصيف وأنا أزعق صارخة معرلة »
 « كنت أسقط كالصروعة » وهكذا ...^١

إنها تقول لنا أن ثم شيئاً ما كان لا يستقيم على وجهه . والواقع : أن أمها
 حظرت عليها أن تقشر خوخة حمراء أعطيت لها ، وأرادوا أن يطبخوا
 لحظتها دون أن يفهموا شيئاً مما يشقها ، وكانوا يعجبون بساقها وهم
 يتحسسونها كأنها كلب صغير ، وطلبوا منها أن تحل فترة سهلة جداً -
 وباعتصار كانوا يهرحونها ، كانوا يبتونها ، إذ يرفعونها على أن تحس
 باعتمادها على الكبار . إن ما لم تكن تطيقه هو أن تحس نفسها منكورة من جانب
 تفوق يفرضه الأمر الواقع ومن الواضح لما أنها سوف تستسلم له ، أن أجلاً
 أو عاجلاً .. « كنت مغلوقة على أمرى منهزمة » لكنني لم أستسلم . كنت
 أئزى العمل الذي تتطلبه الهزيمة . كانت انقلابي ووثائي وسفطائي ، والدموع
 التي تعمى بأمرى . تكسر الزمن ونحو المكان وتلفي ، في وقت معاً ،
 موضوع ولغتي والعقبات التي تقصها عني . كنت أحرص في ليل العجز ،
 ما من شيء عاد هناك إلا حقوري العريان ، وكان يتفجر في صرخات
 طويلة .

ولعلنا قد عرفنا في هذه السطور الموقف نفسه الذي وصفناه فيما سبق
 باعتباره سبباً وراء المطلق ، محاولة للتوحد بين الذات والكيونة ، والاستيقاظ
 من النقص - بالقرار في ضربة واحدة ، سحرياً ، من الواقع العرضي ،
 ومن كل تغيرات العالم وتحولاته . إن هذا « الحضور العريان » الذي يفلت
 من قبضة الزمان والمكان ، هو جوهرها الخالد ، امكانيتها التفتة البحث ،
 السند الحقيقي والمصدر الوحيد لاستبلاء على المعادة سوف يتأكد مما قليل

١ - « مذكرات لثة سقيمة » صفحات ٦٥ و ٦٦ و ٦٧ .

باعتباره مشروعها الأكثر جلية من كل مشروع . والفرق الوحيد أنها لا تصل إليه هنا إلا بالصراع ، ودق الأرض بقدمها ، على أن الأمر فيما بعد لن يكون الا نشوات وانهاراً . ولكن لعلنا نكشف منذ الآن نوعاً من القربى بين هذه « الارتعاشات » عند الطفلة وعند المرأة الناضجة ، « بين هذا العمل الذي تطليه الطرمة » الذي تعكف عليه سيحون الصغيرة ، وبين كل ذلك العناية الذي تحضه نفسها فيما بعد حتى نحس ، من وقت لآخر ، ملكيتها الكاملة للكبوتة : بين عنف هذا الشقاء وعنف ذلك الضاوك . وما من شك أن نفس الحق والعار هو الذي يحفرها ويحركها ، هنا أو هناك — بل يكاد يقرينا القول : نفس اليأس . ومن الخير على كل حال أن نعطيها الكلمة .

« ساءلت نفسي كثيراً عن علة ومعنى غصباتي . واعتقد أنها تُفسَّر ، إلى حد ما ، بحيرة متدفعة متطلعة الجماح ، وبطرف لم أقفل عنه قط تماماً » . وقد التقينا « بحيرتها » تلك فيما سبق ، ولكن ذلك كان اسماً فيما يتعلق بتدقيقها للحياة ، للروح ، لعنى السعادة : وما هي ذي تظهر لنا الآن باعتبارها مصدر العنف ، منها يأتي أيضاً رجوعها بفناد صبر إلى المطلق ، والعدوانية الغريبة في تناولها للآخر . أما هذا « التطرف » الذي فعلته بكل هذه الصراحة ، فكيف يغيب عنا أنه التقيض والذروة معاً « للجذبة » التي رأيناها تنسبها إلى نفسها ، بعد ذلك بضع سنوات ، بشيء طفيف لا يكاد يحس ، من السخيرة ؟ ويبدو في كلتا الحالتين أننا نجد أنفسنا بازاء الظاهرة نفسها ، هي قلادة التطلُّب الجذري — وهو الذي تضطر إلى أن نطلق عليه ، مرة بعد مرة ، ونسيراً للتحليل ، وفق نظرتين هما في الحقيقة غير منفصلتين أحدهما عن الأخرى : أحدهما « بيولوجية » (مزاج مليء بفيض بالخيرية) والأخرى « أخلاقية » (وعي ظاهري إلى المطلق) . فالجراح يمدحها بالتقبض العضلي (العنف) ، والوعى يحدد الهدف (الكبوتة) . بحيث يبدو أن التطرف نفسه يظهر في النهاية كأنه نوع من التوفيق الوجودي بين عنف

الغضبة وجبرية الغايات. والسعادة، في هذه الظروف، تصبح مرارة^٩ على نحو متطرف، باعتبارها نقاد صبر حيويًا، وفي الوقت نفسه، باعتبارها مطلبًا لكيثونة الذات، لأن يكون المرء «الأساس المطلق لنفسه».

ومهما أفضنا في القول يبدو لي أننا لن نؤكد حتى التأكيد هذا الحضور في وقت معًا خلدن المتوهمين عند سيمون دوبوفوار، مثل فلقولتها: أي في من لم يكن قد حدث فيها في حياتها، بعد، شيء^{١٠} ما يتبع لها أن تأخذها على عاتقها وأن تضيفه إلى حسابها. اننا نراها، مثل البداية، تشبه في توتر، وثيبة دائرة ضد «عصف الأوامر والنواهي» وضد الغنى الذي يوقعه الكبار على «الشخص الحقيقي» فيها الذي تعرف أنها هو — مهما كان القصور الواضح في معلوماتها وامكانياتها، من ناحية أخرى. نستطيع أن نيسم هذه «الصرخات» وهذا «العويل» ولكننا لا نستطيع بالتأكيد أن نيسم من هذه الزيادة الشرسة في أن نعرف، ونحترق من الناس الذين ليس لهم من وعي يوجد بأكثر مما يوجد به وصيها، والذين يستغلون معها سلطة زائفة (أو يخشون في الامانة إلى حد أن يظاهروا بأنهم يعاملونها معاملة الكبار) ولا يرون فيها إلا طفلة، حيوانًا، شيئًا. «كانت حساسيتي كحساسية القملين».

ولكن أين إذن نضع «البيت النموذجية الصغيرة»؟ في هذا الصعيد نفسه، على وجه الدقة. ذلك أن هذه الغضبات، بالتأكيد، لم تكن إلا ردود فعل العجز: «وبالأجمال، كانت غضباتي تنمّس عصف القوانين التي تستعبدني. ولم أصع مسألة السلطة قط موضع الشك. لم يكن سلوك الكبار يبدو لي مريبًا إلا في الحدود التي يعكس فيها غموض وضعي الطفلي: كنت اتردد في الواقع على هذا الوضع. ولكنني كنت أقبل دون أدنى تحفظ تلك العقائد والقيم التي كانت تقدم إلي».

دون أدنى تحفظ؟ ربما كان في ذلك مغالاة في القول. وهناك نصاً يذهب

الى أبعد من ذلك من كثير ، وعلى نحو استعمله سارتر كثيراً حتى جعلنا
 نألفه : ^١ « لا يتطلب الأمر الكثير حتى يتغير الطفل الى فرد ، كنت فيما
 سبق أبحث وأخطر من طواعة ، ولكني أعلمت أرفض أن أشارك في
 الكوميديات التي يديرها الكبار ، كنت قد بلغت الآن من السن حداً (كانت
 في السادسة من العمر ، وكانت الحرب قد أعلنت من قليل) لا يسمح بأن
 يدعي الكبار ، وبدلوني ، وبلاطوني ، كنت في حاجة لتزايد حدة
 الى أيديهم ومواقفتهم . كانوا يفرحون عليّ دوراً سهلاً الأداء ، ومن ألق
 ما يكون ، فألفت نفسي فيه القاء ، ولم تلبث النتيجة طويلاً حتى ظهرت :
 « اكتسبت بالقسيلة ، لم تعد ثم غضبيات ولا نزوات ، قد قالوا لي إن
 الأمر يتوقف على حكمي وتعتلي وتدهتي حتى يتخذ الله فرنسا . وعندما
 تولي أمري راعي كنيسة مدرسة «ديزير» أصبحت بتاً صغيرة نموذجية ..
 كنت أجمع أوجه الإدارة تجميعاً «ومعزى الحكاية واضح بالفعل : «تحوّلت
 نهائياً الى طفلة عاقلة . كنت ، في بداية الأمر ، أؤلف شخصيتي ، فكان
 يكال لي من الثناء وكنت استمدد من الرضا حتى انتهيت الى لفص هذه
 الشخصية ، وأصبحت حقيقي الوحيدة .. وهكذا تنازلت عن الاستقلال
 الذي حاولت في طفولتي الغضة أن أملكه . وخلال سنوات كثيرة جعلت
 مني الانعكاس المطراخ لوالدي » ^٢ .

ولكن الواقع أن الثورة لم تحمداً الا مؤقتاً (لم تُكتب لتكون الكلمة
 الأمّية) ، وذلك لتخلي مكانها لتعمية من القوة بمكان - ولكن ليست من
 القوة مع ذلك ، في حينها ، بحث توفر عليها غناء البحث عن تفسير ما
 لم يتنها : « كان دمي أقل جيشاً مما كان من قبل ، وكان النمو ، والحصية
 قد أصابني بفقر الدم .. ، والحق أن خضوعها لم يكن الا طاعياً ولم يحل
 دونها وأن تحس نفسها مصنوعة من جديد « مستوحداً عليها ، كما توضّح

١ - انظر على الأخص «سان جييه» و«كين» و«الكلمات» .

٢ - «مذكرات فتاة مستقيمة» من ٢١ و ٢٢ و ٢٣ .

حادثة وقعت لها عندما اعتنقت « قضية الخير بالدفاع » : « كنت مستهترة بالغضب ، فقد خدعت » ولا بد أن نقاد صبرها العيين لم يخل عنها في تلك الفترة من العناية الزهومة ، إذ كان حبسها ، بعد بضع سنوات ، أن تعطلهم بحظر مفروض عليها ، حتى تترك من جديد مدى استبعادها : « خلعت . ولكنني كنت اعتنق بالغضب وبالخزن أساساً . كنت خلال أسابيع طويلة ، أنتظر بشغف مشوب هذا اللقاء ، ولكن نزوة من أمني كانت كافية لحرمني منه ! أتركت ، باستشاع ، مدى اعتيادي على الغير .. والمرة الأولى في وجودي ، فكرت بإخلاص أنه من الأفضل أن أكون مينة عن أكون حية »^١ وامتداداً لنزوات الطفلة التي كانت تنمرغ على الأرض عند أقل رفض (والتي كانت أمها تقول عنها ، بلطف : « عندما يلعب المرء سيمون يحترق وجهها ») ها نحن نرى التطرف والعنف عند الفتاة الناشئة التي وجدت نفسها ، فيما بعد ، مفلسة لا تملك شروى تغير في ميلانها ، فلم تقبل أن يكون من التعيين عليها حرمان نفسها من الأيام الثلاثة التي منحت نفسها بفضائها على شواطئ البحيرات الإيطالية : « فزعت دموع الغضب ، فقد كنت أصيب نزوة ، إل ذلك الحد ، بأقل تصفية »^٢ .

ولحن تترك أن هذا الغضب ، هذا السعار على أي حال ، هذه المهفة التي استشففت فيها عنفاً ما عميقاً ، لا يستطيع الوعي الذي يحس بها أن يشبعها ، في بعض الأحيان ، سواء كان ذلك الوعي سعيداً أو غير سعيد ، إلا بأن يقلبها ضد نفسه . ذلك أن من يطلب المطلق يجد كل انتصار واقعي غشاً ، وإنما يجب الاستسلام للمطلق نفسه ، ويجب أن يجب المرء ذاته لقبضته ، حتى يمكن أن يؤلاه .

وفوق ذلك فإن الحاجة إلى الدعة والمقاواة (تماماً كالحاجة إلى الاحساس

١ - نفس المراجع من ٢٠٩ - ٢١٠ .

٢ - « ثورة المرء » ص ١٦٢ .

بلذعة الخمر أو لذعة الفسقة) لا تكف عن التزايد ، بنفس القدر الذي تُشبع فيه : إذ أن الأمر يتعلق بأن يُدعى المرء ، وبفاجأ بالنسبة إلى الدهشة والمفاجآت نفسها التي كان قد استطاع أن يتمتع بها . واذن فيجب ، في كل مرة ، « الاستزادة منها » والاستيلاء على الكثرة هنا يبلغ طروته في الحاجة بالمرء إلى أن يستباح .

وبنوجات متفاوتة (حيث أن حدّة النتيجة تتوقف أيضاً على السبب البشري ، على العلاقات التي تربطها مع الآخرين) فإن كتابتنا تبدو كأنها تنظر من العالم الطبيعي نوعاً من الاستباحة ، في كثير من الحالات . ونحضي الأمور كما لو أنه كان يلزمها في كل مرة أن نحس نفسها ، على هذا النحو ، موضعاً للهجوم والارغام حتى تعود فتجد بهجتها في الحياة ، حتى تعود فتواجم مع نفسها - أو أنها تكون على هذا النحو قد أعادت تعبئة مراكزها على لفظة لطيفة يتوقف عليه وجودها نفسه ، بأن تجذب إلى نفسها هذه الصاعقة السماوية . ولكن الطريقة التي تتحدث بها عن ذلك طريقة عبادة أحياناً . ذلك أن العنف ليس محسوساً مباشرة فيها ، في كل الأحوال : وهو ما لا يدعونا للدهشة قط إذا سلمنا بأنه ما من أحد يستباح عن طيب خاطر تماماً ، في أي مجال أبداً كان ، وأنها لا بد لها إذن من أن تهجد لتسبب أنها اختارت أن تستباح . ومن هنا جاءت البساطة العجيبة التي يبدو أن مفاجآت الهبة تهبط بها عليها ، هنا وهناك ، وهي المفاجآت التي ليست بالأجسام إلا الأسلوب العادي لعلاقتها بالسما ، بالكثيرة ، بالطلق : وكانت الأشياء دائماً تتجاوز خيالي - « ألم يظم الزمن حدّة هذه البهجة : الاكتشاف ، يوماً بعد يوم ، ساعة بعد ساعة ، لوجود جديدة من العالم »^١ . أنها في آفلا ، وهي تفتح نافلتها ، وتحدث المعجزة ... ولكن يحدث في نهاية الأمر ، أن الله ينسى أن يظهر للقداسة تبرز نفسها ، فهل نسلم سيمون السعيدة بالعمة

١ - « فترة الألباء » من ٤٨ و ٣٧ .

من هذه المحنة ؟

ان نصوصاً أخرى توضح أنها لا تسلم من ذلك : « ذلك نادر ، حتى في أثناء الرحلات ، بداية حنيفة » - « .. ومن وقت لآخر كنت أشكو أن كل شيء حوالى تيهت أكوته ، واتهد في لوحة : اني لا أحس شيئاً . كنت مازال قادرة على الاحساس « بالارتدادات » ومع ذلك فقد كنت أحس احساساً لا يعرض بال فقدان » . ان ما نجبه ، فوق كل شيء ، في الرحلات ، هو أن تجد نفسها فجأة في مكان مجهول : « ذلك لا يلبث أن يحدث دائماً ، مفاجأة البقطة ، عندما أجد نفسي ، بعد نوم طويل ، قد انتقلت فجأة الى فجر بعيد جداً » . وعندما اقلت سيارة ، كانت نفسي (مع سائري أيضاً) أن تفقد « شيئاً ما » : « مفاجأة أن أجد نفسي ملقاةً بي فجأة في قلب مدينة »^١ . ولكننا بلا شك نجد في كتاب « أمريكا يوماً بعد يوم » أكثر الملاحظات استراحة للاهتمام ، عن تلك الحاجة الى أن تكون موضع المفاجأة ، والتمسك ، والدعشة ، أن تلبو الصدعات ، أن نجيا لحظات خارقة ، ان نحس نفسها موضع الهجوم من شيء مجهول وجفيد كل الجدة .

ومنذ السطور الأولى ، منذ طيرانها الى نيويورك (في ٢٥ يناير ١٩٤٧ وهي في التاسعة والثلاثين من العمر) تراها بالفعل تنظر المعجزة : « ان شيئاً ما يحدث . ان المرء يستطيع أن يحصى في حياة ما عدد الملاحظات التي يحدث فيها شيء ما . » لم تكن تلك قطعاً رحلتها الأولى ، كانت قد عاشرت فرنسا قبل ذلك نحو خمس عشرة مرة . وكانت قد عرفت كشوفاً أخرى ، ولكنها تمنع نفسها ، مرة واحدة ، أن اللعبة هنا من نوع مختلف (وتظن أنها وجدت سبب ذلك في المظهر « الاسطوري » الذي كانت نيويورك تتخلده دائماً في حينها) . وهي تبشر نفسها بأن الأمر ، هذه

١ - نفس المرجع ص ٢٢١ ، « فترة العصر » ص ٢١٧ ، « فترة الانتهاء من ١٠٠ و ٢٠٠ » .

المرّة ، ليس استبلاءً على العالم بل هو تطوّر حقيقيّ في كينونتها نفسها (أي افتناء الكينونة ، واستحواض الكينونة عليها) : «ان السفر ، في العادة ، هو محاولة فهم موضوع جديد الى عالمي^١ : وهذا مشروع يدعو الى شعف مشبوب . ولكن الأمر يختلف اليوم : يبدو لي أنني سأخرج من حياتي ، ولست أدري ما اذا كان ذلك عن طريق العطب أو الأمل . ولكن شيئاً ما سوف يتكشف . علماً من الامتلاء ، من الغنى . علماً غير متطرّ ، بحيث سوف أعرف المفارقة الحارقة بأن أصبح . أنا نفسي ، أخرى^٢ .»

وما أن تصل ، ما تكاد تهيّط بها الطائرة ، حتى تعني بأن تسترضي الآفة ، بالتأكيد ، وهو استرضاء لا يمكن أن يمدّها لا يرحلها في الطائرة ولا يركوبها بعد ذلك ، في السيارة اللدنة التي أنت لامتطاعها : «أسير على قنعي في بروغروي .. أسير ..» وقد قلت إنه ينبغي أن نرى في ذلك النشاط الحبيب إليها ، الى جانب أنه عمل فعلي^٣ ، نوع من الطقوس ، ومحاولة سحرية لتسلك كينونة العالم . وبعبارة أدق : ان تجعله يملكها باعتبارها ما هي غائبة عنه . «علماً ، سوف تصير نيويورك مدينة . ولكن هذا المساء ملك للسحر ... وأقول : نيويورك ، ولكنني لا أعتقد بصحتها تماماً ... لست في باريس بعد ، ولكنني لست هنا ... ليس لي مكان على هذه الأرضفة ، هذا العالم الغريب الذي سقطت فيه فجأة لم يكن ينتظرني ، كان مليئاً من غيري ، إنه مليء من غيري ، هذا عالم لست فيه ، التي أدركته في غيابي الكامل^٤ .»

١ - نحن نعرف ، في هذا الصدد ، ما المقصود بذلك . ان ما يحدث هنا ، في العادة ، ليس بهذا الصريح .

٢ - «أمريكا يوماً بعد يوم» من ١١ - ١٢ .

٣ - «أمريكا من ١٥ .» - وفيها يتعلّق بمدينة لعرها مع ذلك من قبل : «أبعدا تقول ، عندما تعود إليها :» أصبحت أنني أنفقت إذ فيها كان بالسحر : ذلك أنه بالسحر وجدته سوف =

إذا كان هذا العالم في عينها هو الكينونة بالذات ، فذلك أن وجودها نفسه هو موضوع النزاع البطلاني فيه ، فإنها لم تستول عليه ، لم تمس حتى تصل إليه ، بل اكتفت بأن سقطت فيه : « لم أعط طريقاً على سطح الأرض ، هذه المدينة ، وبوليس ، ليستا مرتبطتين كعنصرين في نسق واحد .. إنما لا يوجدان معاً ولم استطع أن انتقل من أحدهما إلى الأخرى » . ولأنها لم تستطع أن تلحق نيويورك بعلمها ، عن طريق جهد حقيقي ، فإن الوحشة الكاملة التي تحسها فيها تقريباً بأن تأمل تلكاً من نوع مضاد ، خصوصاً عاشقاً لهذه الكينونة التي تنكرها ، استنتاجاً بأنها منكورة من هذه الكينونة .

ويبدو أن المعجزة المستمرة قد وقعت : « شيء ما قد حدث لي .. لست أعرف بعد ما إذا كان ذلك سعادة كبيرة أو كارثة انقضت علي .. ولعلي ميتة ، كما يحدث لي كثيراً في أعلامي . ولعلي سوف استيقظ على الشاطئ الآخر من الموت . وأنا إذ افتح عيني ، عاتمة . وأذكر نفسي : ليس هذا هو العالم الآخر تماماً ، هذه نيويورك »^١ .

وعلمنا أن نذكر هذه الفقرة عندما نتناول موضوع الموت الذي تصل أعينته تقريباً إلى نفس الأهمية التي عرفناها لموضوع السعادة : في القول العميق الذي يصح هذا الوعي ، بلقاء الموت (والذي لا يصبح أن يخطئ بينه وبين هذا النوع من الرغص الذي تعارض به الشيوعية بكل كيانها) وهناك بلاشك نوع من ازدواج الميل حيث يمثل جانب الرغبة (الشجور مع كل حلم) في الانغماس بتلك الكينونة وذلك بالتنازل عن الوجود - إذ يتدخل الموت هنا باعتباره الحدث الأسس ، الشكل الحدي للملكة ، الاستباحة المطلقة . و « الخوف » الذي يتعلق الأمر به هنا ، على الأقل

- يصفى لي أن أعرج منها (« أمريكا » ص ٢٤٢) وهذا النوع من الأساليب التي يمكن أن يقول أنها ما من أحد يصح لها إلا إذا أسس الكتابة فيه .

١ - « أمريكا » ص ١٦ .

الآن ، هو الوجه العكسي لشوة جياشة . ونحن مدعوون ، الى حد ما ، الى اساطع فهم هذه الشوة ، في البداية ، الى أنها توصف لنا هنا ، من جديد ، بعبارة الاستيلاء والقسم والأحقاق . فهل كنا ضحايا وهم من الدرجة الثانية عندما طردنا شيخ راسيتيك بمجرد أن استشفاه ؟ فما هو ذا الشهد من جديد ، على أي حال ، بكل تعبطه : « اني لا أتحرك ، اني أنظر ، اني هناك وسوف تكون نيويورك لي . وأعرف على هذه البهجة ، انها قديمة قديم خمسة عشر عاماً . كنت أخرج من المحطة ، ومن أهل الدراج الشامخ وأبنت كل سفوف مارسيلا تحت قدمي .. »

ولكن لا ، ان البس لن يلبث طويلاً حتى يخفي ، مرة أخرى . فبعد بضع سطور سوف نجد من جديد فيما يتجاوز بعيد المطامح النسبة الشخصية البرازيكية - هذا الحوار الجوهرى بين جهد الاستيلاء وتطلب ان تكون موضع الاستيلاء ، الذي أقناه ، ولو قليلاً ، من قبل : « وسوف تكون نيويورك لي . وسوف أكون لها ، دائماً بقى عندما بعد ذلك أهل شاك لي المعنى الحقيقي لهذه الصيغة الكاملة التوازن فسارع الى قلب بضع صفحات ، والى تلوق طعم التعبير الذي تمدنا به الكتابة نفسها : « انا لا أوجد بعد . هذا إذن هو الأمر . اني أفهم ما جئت سعياً إليه : هذا الامتلاء الذي لا يعرف المرة لمذ الا في الطفولة أو في مبة الشباب الأولى ، عندما يُلغى المرء لحساب شيء آخر غير ذاته . تلوقت بالتأكيد ، في سفرات أخرى ، هذه البهجة ، هذا البقن ، ولكنها كانت مراوغة هاربة ... اني لم أعبط في بلاد غريبة فحسب ، بل في عالم آخر . عالم مستقل بذاته ، منفصل ، اني أفسر هذا العالم ، انه هناك . وسوف يعطى لي . بل هو لن يعطى لي أنا ، انه يوجد بوضوح بديهي باهر حتى لا أستطيع أن أفكر في أن أوقعه في حباتي ، سوف يكون كشفاً يتحقق فيما يتجاوز حدود وجودي نفسه . وهأنذا مرة واحدة ، قد خلصت من هم هذا المشروع الرتيب الذي انسبه حياتي . لست الا الوعي السحور الذي يتكشف فيه الموضوع صاحب السيادة

كلها ١.

إن كل شيء يبدو واضحاً هذه المرة : سيمون دو بوفوار وقد أصبحت امرأة ، تحاول بلا وجه أن تجد من جديد السعادة القديمة للبراعة ، ويجب أن تستولي عليها الكيونة نفسها ، المطلق نفسه ، حتى تحس من جديد ، بين وقت وآخر ، وعلى هيئة منع خبيثة « وارتدادات » لا ترد ، معادل ذلك الامتلاء الطبيعي .

فهل ثم ، هنا أيضاً ، شيء ما لا يستقيم على وجهه ، كما حدث من قبل لسيمون الصغيرة وهي في وسط سعادة مشابهة ، أنها تنسجت من الغضب إذ اكتشفت المهازيل التي كان يلعبها الكبار عليها ؟ « هذا هو الأمر ، أنني أفهم .. » كما قالت لنا كاتيتا . ونعود لنقول لنا ، بعد خمسة عشر عاماً « أنني أفهم .. » ولكن لتقديم لنا تفسيراً جديداً نستطيع أن نرى الاختلاف في لغته : « ألا ، إن وجود هذه النساء ، وهذه الأصوات ، لا يمكن أن يوفى بها في أي مكان ، لا يوجد ثم شيء مصنوع جاهز يسق مع روعة هذه الليالي ، هذا الامتلاء الذي أحلم به ، الذي كان يعطى لي من خارج ذاتي ، لن يكون أبداً إلا شبحاً ؛ ولن أوعده شيئاً أبداً إلا نفسي ، وأنا نفسي لا شيء . إذا لم يكن لدي ما أفعله من نفسي .. ينبغي أن يحدث لي شيء ، شيء حقيقي ، وسوف يعطى لي كل شيء آخر فوق ذلك ، » .

فإذا لم تكن غمطاً فإن فكرتها عن « الموضوع الذي له كل السيادة » هو موضع التساؤل والتشكك هنا : إن الحدث الحاسم الذي ينبغي أن يظهره بالفعل ، هذا « الشيء » الذي يجب أن يحدث ، رأيتاه أولاً باعتباري متطراً ، ثم بدا أنه قد وقع ، ثم تجده من جديد مسألة قد تحدث في المستقبل ، وما هو ذا الآن شرطي على شكل أمنية لا يكاد المرء أن يجرؤ على تحقيقها ... ولكننا

١ - نفس المراجع من ٢١ - ٢٢ .

٢ - « أمريكا يوماً بعد يوم » من ٧٥ .

تلاحظ أن الحدث نفسه يبدو كأننا قد تغيرت طبيعته . فليس المطلوب منه فحسب أن يكون « حقيقياً » بل من الواضح أن المطلق الذي يجب أن يصدر عنه هذا الحدث لا يمكن أن يختلط بالعالم الطبيعي : « ليس الليل إلا مجرد واجهة ديكور ، فإذا حاولت أن أمسك به ، بأن أجعل منه مادة التحظات التي أعيشها ، فإنه يتدوب بين يدي » . ويعبارة أخرى ، فإن وعيها ، بإزاء الطبيعة ، يظل شديد الوعي بذاته ، بالدور الحقيقي الذي يُلعب على أن يقوم به في هذه الدراما التي لا توجد فيها إلا شخصية واحدة ، حيث لا تعتبر الكينونة ابتداءً عن ذاتها ، إلا من خلاله . إن ما يستشفه وعيها هنا ، هو بكل بساطة أن الكينونة باعتبارها طبيعة ، المطلق باعتباره موضوعاً ، كائنة بالفعل ، بالأطلاق — ولكنها لا تفعل شيئاً لأحد : إن ما يأتيه منهما ، ما « يحدث » له من خلالها لا معنى له قط إلا المعنى الذي يختار أن يراه فيه . إن الأحداث الحقيقية الوحيدة هي التي ينتجها الوعي إذ يمارس الفعل على العالم

التي مذهب ! فلقد تركت نفسي اتساق وراء المطلق الداخلي لتعليقي نفسه ، فليظهر لي القاريء هذه الحقيقة من الشطط .. ذلك أن النص لا يتحدث ، بأي شكل ، عن فعل يقع على العالم : بل تشكو كاتبنا ، على العكس ، من أنها لا تفهم كيف تستخدم نفسها ، ويبدو أنها تتنظر ، على وجه الدقة ، أن تظهر لها الأمارات والعلامات ، عن طريق حدث ما يتعلق بها شخصياً .

وإذا أحلوا هذه المرة أن الحب كل شطط في التعبير ، أزعج أن سيمون دو بوفوار ، وقد وصلت إلى هذه الحقيقة من تطورها ، تفهم أن كل شيء يمر من خلالها (من خلال الوعي بكل الأشياء نفسه) ولكنها لم تكف عن أن تحس الحاجة إلى أن يحدث « شيء ما » يتيح لها أن تكون هي ذاتها أخيراً — إذ يكون عليها أن تفعل شيئاً ما من نفسها . إن هذا التطلب مألوف لنا ، أنها ، كما كانت تماماً في طفولتها وفي مراهقتها ، تريد نفسها مطلوبة ، منتظرة ، مختارة . ولكنها إذ كفّت عن الإيمان بالله ، وما دام

المحدث الخامس لا يمكن أن يحدث لها إلا عن طريق مجرد لقاء (معطى) ،
يستول عليه بالعتاء والشفقة أو ينال بالسر (بالعالم الطبيعي ، إلا يصعب
علينا أن نفهم أنه لا يمكن منذ اللحظة ، أن يظهر لها ، حقيقياً ، إلا إذا جاءها
من الإنسان ؟

٣ - العلاقة بالعالم الإنساني

فلنستلم على الأقل أن هذا هو الاتجاه الذي تستشفه بالفعل ، في اللحظة التي كتبت فيها تلك السطور التي كتبت منذ قليل لتُعمل فيها بمعوننا . وذلك لا يعني بالمرّة أنها منذ الآن ستنتج عن كل رجوع إلى الاتجاه السابق ، ولا تعود تنتظر إلا من الناس هذا « الخلاص » التي تصر على طلبه .

لقد كتبت قبل ذلك بأقل من عشرة أيام أن « أعظم معجزة في هذه المرحلة » هي أنها أتاحت لنا أن نعرف ، في نيويورك ، « ذلك الامتلاء » الذي يعطيه للروح بعد خلاصها تأمل فكرة نقية صرف ، وأن هذه المعجزة لم تكن قط ، أكثر مدعاة للإبهار ، وأنها في البارحة ، عندما كانت تستمع إلى الجاز في سانفري ، أحسّت أنها تمس « شيئاً لا يكفى إلى شيء » . تغير الذات ،^١ وتضيف : « خرجت من الكهف » ونحرص على أن نوضح ، بهذه الإشارة إلى افلاطون ، أنها قد « خلصت » بالفعل من الظاهر - من هذه البلية التكدسة التي تغشي الواقع الحقيقي ، واقع الماهيات الغنية ، عندما نلحظه على صعيد وجودنا العرشي .

فهذه تطورت من ٣ إلى ١٢ فبراير بما يكفي ليبنى لها أن تقبل وتحتل ، أن تعود فتهدئ إلى العياد ، وأن تبقى معهم ؟ لا ، لا بالرغم من كل شيء .

١ - « أمريكا يوماً بعد يوم » ص ٥٢ .

لهمي ، مثل الغد ، سوف نطلب ، في السينما هذه المرة ، المعجزة التي أتت بها إليها الجاز في الأسبوع الثالث : وكانت الشاشة تحوّل أشكال الموضوعات اليومية ... عن طريق هذه الصور السوداء والبيضاء كنت قد عرفت أمريكا في البداية ، وكانت ما تزال تبدو لي كأنها لادة الحفوية ، الشاشة سماء الغلاطونية كنت أدرك فيها من جديد ، بكل ثقائه ، المثال الذي لم تكن البيوت المنيئة من الحجر ، والوار النيون ، إلا تجسماً له غير بقي^١.

وبعد خمسة عشر يوماً ، ومن خلال «الاعالي القديمة الآتية من العصور الوسطى ... التي تناوفا منذ القرن الثامن عشر الموسيقيون الشعبيون في أمريكا» ، سوف نطّن أنها قد وصلت ، دفعة واحدة ، إلى الكيان الشامل لأمريكا : «أمريكا ليست كائنة في أي مكان . ولكن الموسيقى نقلت من مقتضيات المكان العارضة : يمكن أن تحتوي على ما ليس في أي مكان .

١ - «أمريكا يوماً بعد يوم» ، ص ٧٧ . من المثير بالملاحظة أن حاجتها لتغلب إلى السينما خلال رحلتها في الولايات المتحدة ، تبدو كما لو كانت جنوية تقريباً (فقد كانت تشهد في بعض الأيام ثلاث أو أربع حفلات سينمائية على التوالي) بقدر ما كانت حاجتها إلى التثنية جنوية ، لكي تتبع يومها السفر إلى الاستكشاف . وأياً كان الاختلاف بينهما ، في أكثر من ناحية ، فإننا نرى فيها نفس العلاقة بالعالم الحقيقي المتجسد بإزائنا التي يتبعها طعان النومان من السلوك أن تقيها ، القاذرة ، «تتبع بين على الميمات وبعض ذلك البعد ، تلك المسافة التي يبدو أنها تتلاشى كلما غرقت كروباً من صغير البرقشال والتي تستمر مع ذلك بقلية» (نفس المرجع ص ٧٧) . هناك أمر الغلاطونية متكرر المثال جاء : «هذا أيضاً على من جاء الطفل التي تساعدها في كهف الطفولة بعد الآن عقيدته : ليس هذا مجرد سيرة بل هو السيرة بالقات ... (نفس المرجع ص ١٥٢) . وغرابة هذه الإشارة القاذرة إلى الكهف المتعلق في أنها تنفع الظاهر العرضية على معبد الطفولة ، بدلاً من أن تعطيها ، كما كان الحال بها سلف ، هي تعصب وضعية اليوم واختياراً كبيراً تامسين ، ذلك أنها تنوع ، أكثر ، وعلى الأخص أنها يعطي بالسيرة ، أن تكون رؤيا الطفولة أكثر أسطورية ، وأدنى إلى حال السيرة المتعلق من رؤيا الشمس الناصب التي قد تكون أكثر سلبية نتيجة لكل أنواع الاضطرابات الطبيعية . ويبدو لي ، من هذه المفارقة ، أن سيدون غوبنرور لا تعطي أية فكرة لهذا النوع من الرؤيا القاذرة التي تستطبعها الطفولة : أن الرسول الحق إلى الطفل يتأخر من سبباً تعدياً لتعطيل ، ومعلناً ثقافاً في الملاحظة التهجية والفهم التأملي .

كثيرة . وتعطيني إياه ^١ ولكن هذه القضية التي نكتسبها الموسيقى في حينها . كانت قد تحدثت سيمون دو بوفوار إليها عنها . على نحو أكثر دقة : « إن الموسيقى تدخلني إلى عالم آخر حيث تسود الضرورة ، عالم تطيب في مادته ، ونغمه ، جسمانياً . إنه عالم من البراط - على الأقل حتى القرن التاسع عشر - لأن الإنسان غائب فيه » ^٢ .

ولكن أن نقول إن الموسيقى والسينما هي أعمال إنسانية . وإن الأستاذ إليها ، للاعتماد على العلم . هو ، شاء المرء أم لم يشأ ، الاستسلام للناس . ولكن يبدو لي أن العملية الحقيقية التي تقوم بها سيمون دو بوفوار إنما تتم في الاتجاه العكسي . وبدلاً من أن تستسلم للعلم الإنساني الذي يحيط بها ، فإنها تفيد من بعض منتجاته ، في الحاضر أو الماضي ، لكي تنقسم عنه ، إذ تُحلَّ محلَّ عمله والقيمة المحددة للجسم : ماهية تتطلب منها أن تكشف لها عنها : مما يمتد إلى الاستفادة من هذه المنتجات ، كما تفيد ، من جانب آخر ، بمظاهر العالم الطبيعي . وفي هذا الخلط المقصود الذي تقيمه ، عن طيب خاطر ، بين النسبي والطلق (ما فوق العرضي) فإن الخطوة الثانية من بين هاتين الخطوتين هي التي تسود على الخطوة الأولى ، كما هو مفهوم . ولاشك أن هذه العملية من التمهيد ^٣ ، إلى حد يقل أو يكثر ، أكبر دور في مجال الفنون ، ولكننا نستطيع أن نلاحظ أن سيمون دو بوفوار تنجح جزئياً في استخدام هذه العملية أيضاً بالنسبة إلى أشكال أخرى من النشاط الإنساني . فهذا مثال جديد على أحد منتجات التفكير (القطار) وتحت نوع من الترف (مقصورة صغيرة معزولة) تعتمد سيمون دو بوفوار هذه المرة في خلعة وهما بأنها « التي خلعت » بحاجة إلى أن تكون في مكان آخر : « هذا الطبع الصغير الذي أرقه

١ - نفس المرجع ص ١٢٧ .

٢ - نظرة الأنواء ص ٥١٠ .

٣ - essentialisation تعريب : التبريد إلى « ماهية » (التفكير) .

عليه هو أكثر من سرير : انه مسكن ومقام "كامل" منزلاً الى أبعاد سرير ..
 انه ملاذ ، وحدة ، انقسام .. ان حياتي لا تعارضه بعد أحداً ، ولا تتصل
 بعد بأحد ، ولا يشيء ، انها مغلقة على ذاتها في صمت الموت . وانقضى
 النور ، وأغمض عيني . وأحس الحركة الانبعاثية للقطار الذي ينطلق
 في المجهول ، هذه الحركة أيضاً تحمل الى السلام : سلام الشهادة أنني
 في مكان آخر . قلت متقصصة من كل شيء . فقط ، بل أنا لم أجد أضع
 في أي نقطة من العالم : لست الا انقلاً .. لهذا البب بلائك أجد أن
 نومي في القطارات نوم سعيد دائماً^١

ان الخلاص الذي يتعلق الأمر به هنا لا يتخذ قطعاً مظهر استيلاء ، ان
 وضعاً مرغوباً هنا يستلزم الوعي تلة لكني يتصور نفسه وقد أفلت من
 كل وضع . إنه هروب ، حلم "بعودة الى البراءة" والسعادة لا تصدر ،
 كما كانت تفعل في مواضع أخرى ، من ممارسة حرية تفرض على الواقع
 صرامة عظمها ، ولا تستهدف بعد من خلال جهد يستحق أن يبذل
 من اجل الحصول عليها ، بل هي ترك ، دفعة واحدة ، بحركة اقرب ،
 انها هي هذا الملاذ نفسه في قلب غياب غير مسئول . وسيمون دو بوفوار
 تلح على ذلك ، على نحو ما ، بنفسها : « ان هناك ذكريات من الطفولة
 في أساس هذه المتعة : أذكر شجيرة صفصاف باكية جعلت منها بيتاً ،
 وسرياً ريفياً ضحاً بأعمدة مغلقة يستتر تحية ، وهذا الصندوق المعتم
 الذي كنت أحب أن أنكره فيه على نفسي تحت سكب أبي . » ولكننا
 نراها للفور - متعلقة بأنها ترفض سلباً التفسير النفسي التحليلي « الرمزي » ،
 لفرط سهوته - (« رغبة العودة الى داخل الأم ») - نراها تحاول أن
 تدحض أيضاً تفسيراً آخر يبدو لي مع ذلك سائعاً الى حد كبير ، فهي
 تؤكد لنا أن هذا التضييع « ليس ذكرى سعادة مفقودة » فلو كان الأمر

٢ - « أمريكا يوماً بعد يوم » ص ١٠٦ . دلتا ، عابرين ، عودة الرابطة التي كنا قد توحيها
 بما بين موضوع السعادة وموضوع الموت ، الى الظهور من جديد .

يتعلق بالرجوع حتى صلعة الميلاد الشهيرة ، لكات الحيطه مسلماً بها ،
 فلن تكون السعادة قبل الميلاد أية قيمة قابلة للتحقق منها ، بالنسبة اليها ،
 حتى تمكن القامة الدليل العكسي (أي حتى يتسنى اجراء حساب مع
 جنين) . اما فيما يتعلق بالقول المأثورة ، فان هذا الشيء ، سبقاً ، لا يبدو
 لي على العكس مبرراً أدنى تبرير ، بل أنا أميل الى أن اعتبره من قبيل
 الاعتراف . وقد لاحظت من قبل أنه لابد قد وقع حدث ما ، في حياة
 سيمون الصغيرة ، حتى دفعها الى أن تُحل التنازل على السعادة ، والجهد
 والاستيلاء على الشعة المباشرة القوية بامتياز بكاد ان يكون طبعياً . فافذا
 وضعنا موضع الاعتبار العناصر الخفيفة التي استطعنا أن نجعلها بعد ذلك ،
 فلتسألن من الغفلة في القول أن نستشف . في حاجتها الى أن تُحدث
 « شيئاً ما » ، رغبة عميقة في علاج هذا الحدث الذي يوشك ان يكون
 أصيلاً (في الفساده بتعويضه يحدث في اتجاه مضاد) وان تستشف في
 الحروب نفسه (وهو نوع من التكمؤس) وقد رأيناها تطيب نفساً به ،
 رغبة في إنكار أن ذلك الحدث قد وقع قط . والا فكيف تفهم أن تلك
 المرأة التي تسيطر أعيرة ثابته دائمة بمعنى وتبرير أقل تصرفاتها شأناً ، تصل
 الى حد اعتبار القوة المؤقتة في وضعها مصدراً للهجة ، وضرباً من السعادة
 هو ، من جديد ، هبة من السماء ؟ « كان الجو صحواً ، وسحرتني ففكرة
 أن علي قضاء ثلاث ساعات في قرية أمريكية صغيرة لاسبب عندي إطلاقاً
 أن اكون فيها .. كان حضورى يبدو لي ، لذلك ، أكثر عذوبة .. الخ ،
 أو : « إن عيش وجودى هنا يتغير بعنف اكبر مما كان في روتشستر ،
 واعتاد قلبي لذلك فجأة باللهجة .. لست في أي مكان ، لقد أغلقت من
 قوانين المكان »^١ ولعل لم يكن من قبيل الصدفة أنها في أولى هاتين المراتين ،
 نجد أيضاً ، في نفس الوقت تقريباً احساساً بملالة حبيبة بهذه البلاد ،
 و « الاحساس الذي يدبر الرأس بأنها (تشهد) طفولة العالم » : ان من

١ - أمريكا يومها بعد يوم ، ص ٢٢٥ و ٢٢٦ .

يرغم الله يستعيد علاقة الحميمة بكيوتو الاشياء لا يصعب عليه أن يتصور
العالم نفسه في سبيله الى العودة لبلاده ..

ويبدو حقاً بالفعل أننا نصل هنا الى احدى القطع التي تصل فيها محاولاتها
المطلق ، الى البروة . فالعالم ، الطبيعي ، او العالم ، الانساني ، شيء واحد ،
من مثل هذا الارتفاع . والزمّت المبتدئ المعتاد في ألفاظها يجب أن يسلم
هنا بأن يترك نفسه ، الى حد ما ، يهتز . ونحن نرى أيضاً في أدل هذين
الثالين « الاحساس بعلاقة حميمة ، يبتقي في قلب » و« حركات شائعة »
حيث تدعى الى الالتقاء « بكرّم المكان الرائع » ولكن هذا النوع من
اضفاء خلقية ما على الطبيعة (أو من تجميد الحرية الانسانية) ليس عرضياً
من قبيل المصادفة : فهي نقول لنا بعد قليل : « التي أحب هذه الرئاسة
الكريمة » (في المشاهد التي تتابع عند التلقي الكبير Grand Canyon) ،
« هذه الغضبات العمياء التي تسلفها الشمس حتى نلن ونسوغ » ، « انما توجد
بعض رافع » من أجل ذاتها ^١ .

مهما صار المرء غريباً عن كل شيء ، فان القطار يصل به الى مكان ما ،
بين الناس دائماً . ومهما كانت احدى المدن الكبيرة « موحشة » عند أول
لقاء بها ، فلا بد بعد ذلك أن يصيب المرء مرارة بها ، يبطء ، يوماً بعد يوم ،
في نسبة كالملة . ومهما كان العالم الراهن موحياً بالمطلق ، فلا يستطيع المرء
أن يخفي عن نفسه طويلاً أن الكيان الذي يلقاه فيه ليس هو دائماً الكيان
الذي نطلبه منه . يتسنى للمرء أن يمتح نفسه فيه أعباداً حميمة ، وأن يحتفل
بالطقوس فيه وحده ، وأن يستقي منه ، كلها سحبت القرصة ، متعة
حارمة : ولكن هذا « الرضى » نفسه لن يرضى به المرء حقاً ، أبداً ، إذ
يشفي ان يحيا المرء أيضاً خلال الفواصل بين هذه اللحظات ، وليست
تأقظت الواقع اليومي بقابلة للاحتفاء مهما طال وجودها . ما من وسيلة

١ - « أمريكا يوماً بعد يوم » ص ١٨٠ .

لا فراغ العالم الانساني ، ولا لقراره : فلهذا عندما يحبل نفسه انما يحبل
هذا العالم معه ، ولذلك فهو في كل مكان - بما في ذلك «اللا مكان» ...

الطبيعة من غير الانسان ؟ نعم ، في أيام الأعياد والسعادة ، يستطيع
المرء بلا شك ، ان يسلم نفسه بكل جوارحه لقروعة الحشنة العتيقة في بقعة
من الأرض توشك أن تكون خاوية من الناس ، أن يسوق نفسه بالسياط
حتى يحس نفسه «كائناً» . ومع ذلك فنبغي أن يكون الناس مرجعاً في
ذلك ، حتى نستخدم ، من غياهم النسي ، تلك الرعدة التي من شأنها أن
تقضي الـ بشوة : «ما زالت هذه البلاد أكثر بلاد العالم علوية ، فالانسان ،
بمظاهر أبته ، وباعماله ، ما زال فيها ظامرة جديدة ومتائرة ولا تفصل كل
جهوده الكادحة الا الى غدش القشرة الأرضية» . وهناك أيضاً التخوف
من الانقلابات التي قد تحدث من جراء مثل هذا الانتقال الى الحد الأقصى :
«ان الآكام الصخرية (نحن في كاليفورنيا) أكثر ليواً عن الانسانية من
جبال الألب المستندة كالآبر ، فما من أحد يقم في ظلالها أو يرعى فيها
ماشيته ، وما من سائح يقامر باللعب اليها ، ومن وراء هذا الحاجز الأوك
ثم سلاسل وسلاسل من البغال لم تتأملها عين قط ، فهي غريبة حتى ليلد
معادية ، ووجودها عفوي ، عنيذ ، كوجود القمر في السماء . وتتكشف
الأرض كلها فجأة كوكباً قد نُكِر هو أيضاً الى أهوال السلام الأبدي»^١ .

وهكذا يحدث أن الكينونة ، التي يحاول هذا الوعي أن يجعلها تسوي
عليه حتى يعالج انعدام الكينونة فيه هو نفسه ، تنفر دفعة واحدة فتصير
الشي المطلق لكل وعي ممكن . وهي اذا تنكشف جيلة واحدة باعتبارها
الكينونة التي هي بحيث لا تنكشف ، قائما لا تلغي نفسها ، لا تصبح «لا
شي» : بل تفرض نفسها ، على هذا الوعي ، في هول ، باعتبارها كينونة
العدم ذاتها - أي عكس المطلق الذي كان يستهدفه هذا الوعي ، على وجه الدقة

١ - نفس المرجع ص ١٢٩ و ١٣٠ .

ذلك أنه قد حان الوقت ، فيما أعتقد ، لكي نذكر أن هناك أيضاً عند
 سيغون دو بوفوار طريقة أكثر إيجابية للاتجاه إلى العلم . فلا يمكن أن تُصور
 حاجتها إلى أن يُستحوذ عليها ، وهي على ما نعرف من النشاط ، والتدقيق
 الصارم ، بكل معنى الكلمة إلا إذا كان نزوعها إلى التوحد مع الكينونة
 نزوعاً مبرراً ، في حينها ، بالتطلب العملي أن تتوحد الكينونة بوعيها نفسه ،
 وأن يستند هذا النزوع إلى ذلك التطلب العملي ، بأن تأخذ في الكشف الكامل
 لهذا النزوع ، وأن تشرع في تحقيقه .

ولكن تلك فيما هو واضح مهمة لا نهاية لها وما من وجود إنساني يقادر
 على بلوغ غايتها : ونحن نعرف أنها تعني كل الوعي بهذا البين في الأبعاد
 (بائين) في الأبعاد كامن في «رسالتها» في «فلسفها» . ومن هنا جاء
 الضريب الخارق ، في علاقتها بالعالم ، بين هذين الموقعين اللذين رأيناها
 تنبأهما ، بالتأويب ، والذين بلوح للمرء أنهما عسبر قابلين للتوافق بين
 أحدهما الآخر : موقف حرت الأرض وتقليبها على نحو منهجي (روية
 كل شيء ، إلا بقوتها أي عنصر من عناصر الواقع) وموقف الإشراف
 والسطوع (استشفاف الكلي) بفضل لحظة امتياز وعلم ، بفضل وضع خارق ،
 حيث يتاح لها أن تختزل ذاتها) . والواقع أن هذين الموقعين المتناقضين يتضحان
 باعتبارهما متكاملين ، في نظرية ديبالكينيكية بسيطة الخطوط غاية البساطة
 فلما كان الهدف هو كشف الكينونة في كليتها ، فإن الحركة الأولى هو العمل
 على ترسم آثارها ، في مسار المواءمة ، حتى في أدنى مظاهرها . ولكن لما
 كان من المستحيل أن نصل إليها على هذا النحو ، ولما كان المرء لا يلبث
 طويلاً حتى يدرك ذلك ، فإن الحركة الثانية تميل ، كمرء فاعل ، إلى بلوغ
 الكينونة الكلية في جسدتها ، في أشكالها الشاملة (ومن ثم ، إلى البحث
 — معها — عن مقامات حساسة تنبثق منها ماهيتها الحقيقية دفعة واحدة) .

ولن نجد في الديالكينيك أن «القلبية» و «القيضية» يتحددان ، عامة ،
 على نحو دقيق ، أما الشق إلى التركيب فنبقى متبعية إلى حد ما ، كما لو كان

المرء ينفذ خلال نوع من الضباب ، بحيث يكون من غير السهل غالباً أن يعرف المرء ما إذا كان هذا التركيب قد وقع بالفعل ، أو ما إذا كان المرء ما زال يمد أمامه ذنبه دائماً وسريعة بين طرفي التنقيص . أما في الحالة التي نحن بصدددها ، فأنا أراهن أن التركيب قد حدث بالفعل .

استشف عند سيمون دو بوفوار ، وسأحاول أن أجلو ذلك - تطوراً مزدوجاً في علاقتها بالعالم : فيما يتعلق بالمفاهيم التي تفيد منها لكي تدرك الواقع « الخفي » فيه ، وفيما يتعلق بنمط الظاهرة التي يشغلها أن تستخلص ماهيتها . وعلى مستوى التحقيق المتنازع « أمريكا يوماً بعد يوم » ، فلوح أنها ما تزال في حالة طفولة كاملة : إن تعاقب التصوص وحده ، حيث يجهد أن يحدد سمات علاقاتها بالولايات المتحدة ، وعلى الأخص بنيويورك ، أمر بالغ الدلالة . وقد أوردنا فيما سبق أول هذه التصوص (ونذكر منها على الأخص ، « سوف تكون نيويورك لي ، وسوف أكون لها ») ، وهما هي ذي يفتح نصوص أخرى تتخذ نفس الاتجاه تقريباً ، وإن كانت تميل إلى التنازع فيما بينها البعض ، تحت مظهر يبدو معه أنها تؤكد بعضها البعض . « هذا الاتصال (كانت قد غاصت المدينة لفترة شهرين تقريباً لتطوف عبر البلاد) قد روتس نيويورك . انخفض فيها كل مظهر للسحر » . « أحس أخيراً ما كنت أبحث عنه بلا طائل في ليالي « التايغر سكوير » : أنني ملك لنيويورك ، ونيويورك ملكي . » « هذه هي المرة الأولى التي أرى فيها القمر يولد فوق نيويورك ، وتبرني هذه الموقعة الجديدة من موافق علاقاتنا الجديدة . ولكن أماراة أكثر استخفافاً » . « بشرني بأنني أبداً حقاً في المشاركة في أمريكا : لست مبهورة بها بعد ، ولا غنية الأمل منها ، أعلم ، كبعض ابتائها ، أن أحياها حياً مضمناً مبرح الأثم » - « من خلال السفر والعودة ، استأثرت أخيراً بما كنت اسمي إليه بكل تلك التوله العارم منذ ثلاثة شهور : أنني في نيويورك . هذا على الأقل ما يجيلني » . « - أحس نفسي قد أصبحت من أهل نيويورك إلى درجة أنني لم أعد أقوم بهذه الجولات الواسعة في الصباح ، أما الآن ، فبدلاً من

ان استكشف بخطى واسعة ، أهم في نيويورك كما لو كانت لي ^١ .
 وها هو ذا الآن نص " من آخر النصوص " عشرة أيام قبل سفرها) :
 " تطيب لي الحياة هنا ... ولكن على نحو غريب : " التي أبدأ أحسن من
 ذلك احساساً لا أستريح اليه . " والسبب الذي تعزو اليه ذلك هو المقارنة
 بين " الاحساس بأن نيويورك قد تبسّني " ، بالانتماء الى هذه المدينة كأني
 من أهلها ، وبين الوعي الذي بدأت تحسه بريف وضعها : " على الرغم
 من راحة مثل هذه الاحساسات ، وشاعريتها ، فليست الا أحاسيل خاطعة .
 ان لاصدقائي هنا عملاً يرتزقون منه ، وهموماً يومية ، أما أنا فاني ابقي
 في الخارج . وعندما أناقش فلنكي أفهم ، لكني أعرف ، ولكنني لست طرفاً ...
 لا أعاطف قط بشيء . " وأظن مفرجة . وكلما زادت حسبيّة علاقتي بهذا
 العالم ، احسست بالحاجة الى أن اتخذ فيه مكاناً حقيقياً ... ليست نيويورك
 سراياً يلزمني أن اسوكة الى مدينة من لحم وعظم : هي حقيقة تصيب المرء
 بالعموار ، خاضعة الواقع ومقاومته . لن ألقى منها شيئاً الا اذا وهبت نفسي
 لها ، ولكن يلزمني تغيير جلوتي في الوجود حتى تصبح هذه الهبة ممكنة .
 ان نصبي هنا أن اكون زائرة ، وحالة ^٢ .

ان الطفولة الذي أنشئت اليه يميل ، بالرغم من كل شيء ، كما نرى ،
 الى ان ينحل الى حدٍ يقل أو يكثر (في نحو نهاية الكتاب ان لم يكن في
 نحو نهاية المرحلة نفسها) " ذلك أنه قد انصرفت عدم كفاية الوقت الثاني ،

١ - أمريكا يوماً بعد يوم . ص ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٦٥ - ٢٦٥ ، ٢٦٥ ، ٢٦٥ .

٢ - نفس المرجع ص ٢٢٨ - ٢٢٩ . سوف تكون ما يلي ، بعد أن عادت بنسبة أيام الى
 شيكاغو ، قبل سفرها جائرة من الولايات المتحدة الأمريكية : " كانت لي هذه التوبة الكفا
 لم أعرف قط أن أتعلم بيني وبين نيويورك (ص ٢٦٨) ولكن التوقيع الخراف الذي
 فاست منه ، قد خف هذا كثيراً (انظر " قورا الأشهاد " ص ١٣٩) بلقائها بيلسون أفريز :
 يعني إذا ارتبطت به ، أصبحت بالفعل لها تعذرك على نحو أفضل ، على نحو أقل خارجية ،
 في الواقع الأمريكي .

٣ - نحن نعرف بالفعل أن هذا الكتاب الذي قدم اليها على شكل مذكرات تكتب ، يوماً بعد يوم .

موقف الكشف المطرول . ويبقى بعد ذلك أن سيمون دو بوفوار قد نشرت هذا الكتاب مع ذلك ، مما يعني ، من ناحية ، أن جهودها لأدراك الواقع الأمريكي لم تنته ، في حينها ، أن اختلاف حقيقي ، ومما يزودنا ، من ناحية أخرى ، بفرصة حسنة لتقدير إيجابية عملها في هذا السيل .

لم يكن من الممكن أن تنجم هذه الإيجابية عن مجرد التناوب بين الحركتين المتعاكستين اللتين أوضحتهما أولاً . بل يلوح على الأرجح أن سيمون دو بوفوار تجهد في أن تحفزنا على أن نكشف ، تحت المظهر اللثن المتناقض غالباً لعباراتها المتعاقبة في صياغة المبادئ التي تصدر عنها ، عن مدخل مطرد لموقف ثالث - وهو موقف لا يمكن أدراكه هنا ، من نتائج ، بل ترغمتنا هذه النتائج ، بالدقة ، على أن نعتبره مغايراً للموقفين الآخرين ، في اختيار الموضوعات التي تستهدفها نفسها ، وفي الطريقة التي تستهدفها بها .

هناك أولاً تلك الأهمية المتزايدة الممنوحة للعالم الإنساني أثناء مشروع كشف أمريكا . ففي الصفحات الأخيرة من الكتاب ، وأينما هذا التطور يصل إلى ذروته في تأكيد وعي جلري بالريف الذي فرض غسل الكتابة بوضعها نفسه كسائحة ، كمجرد متفرجة ، كشاهدة غير ملتزمة . ومهما يبدُ ذكر ذلك فجأة ، أمراً غير منظر بعد كل صريحات الانحصار ، فإن ملاحظة هذا التصور ليس من شأنها أن تفجأ القارئ إلى ذلك الحد ، إذا كان قد حرص على التيقظ للتفجيع الخفي الذي تمّ خلال سياق الكتاب نفسه والذي يجعل هذا الكتاب في عينيّ جذاباً حقاً .^١

١ - قد كتب في الحقيقة خلال ظهور أربعة . وقد كتبت له صفحات ممتدة ، فيما بعد ، فيما يتعلق برحلتها الثانية إلى الولايات المتحدة الأمريكية . (انظر ، ثورة الأنثى ، ص ١٥١) .

٢ - إن ما يلغني ، أكبر الفتنة ، من بين أشياء أخرى في هذا التطور أن سيمون دو بوفوار تعي فيه أمام أممتنا بالرمز الذي كانت قد مكث به نفسها (والذي يأمل كل منا على حلقه ، عن طيب خاطر ، مهما كان يكشف في نفسه من شجاعة على ذلك زراً سيروا) والرمز الذي يلفظها تكشف أمام نفسها ، إذ تجهد أن تكشف العالم . وبعبارة أوضح ، إن ما تكشف كتاب

انظر مثلاً كيف أن كاثيتا - التي لا يبدو أولاً أنها تعتمد إلا على الطبيعة وعلى المظاهر السطحية للعالم الانساني لكي تكتشف أمريكا - تأخذ بإطراد ، في أن تحس الواقع الانساني . فهي شيكاغو : « ألقيت نظرة إلى ما وراء اللوحات الموسومة ، وترأيت في مدينة حقيقية ، فاجعة ، يومية ، ساحرة كشكل المدن التي يعيش فيها ناس " من لحم وعظم ويكافحون ، باللايين » - « هذه المدينة مصنوعة من عجينة معتمة صفيقة ، دون خميرة ، تفوح منها رائحة الانسان كما لا تفوح من اية مدينة أخرى في العالم .. وبين أصوات اصطفاق المعادن تصالح هنا وتشكل أقدار الناس ، وفي الزوايا أيضاً ، في هباب الفحم - وفي لوس انجيلوس (وكما لو كان ذلك رداً على « أهوال السلام الأبدي » في كوكب لا انساني على بحر مطلق) : « ونظف الانوار تومض وتشمع ، انها هي أيضاً ، حقيقة ولعلها تبرز النفس هراً أعين لأنها لا تعبر عن شيء الا الحضور العريان قناس . يعيش ناس هنا ، وها هي ذي الأرض تدور في سلام الليل وفي جنبها ذلك الجرح الباهر المطروح ، وفي كاليفورنيا : « يخترق الطريق الوحدة الواحدة ثم يرقى ، في بسطات مسطحة ، إلى القمة المواجهة ، في ذلك الموقع المعادي للانسان ، انه تأكيد انساني يبرز الشاعر : الله هو الذي يعطي معنى للبلاد التي كانت طويلاً موقعاً للفتنة الشاقة المعطورة ، ونحتزل في هذا الشريط الأبيض المتصلب كل تلك المفجرات الفاجعة للرواد الأول »^١.

« هنا ، هو ما يبدو أنها لم تتعلمه قط ، هو أن كل كشف (فئات أو عالم) يتضمن نوعاً من أهوال الذات .

١ - « أمريكا يوماً بعد يوم ، من ١٠٠٥ و ٢٤٢-٢٤٢ و ١٢٢-١٢٢ و ١٢٥-١٢٥ و ١٤٤-١٤٤ . وان ينهي المرء من العضاء الفترات التي ليس فيها مشغولة بمعرفة ظروف العمل والحياة التي يحياها المواطنون الأمريكيون - وعلى الأخص منهم أفهمه ليجازاً . لقد نشر ميليل دارنجتون ، في الولايات المتحدة ، عام ١٩٦٢ كتاباً بعنوان « أمريكا الأخرى » يصف فيه الجانب المتكسي من التفكير ، أمريكا الفلور . ولولئك الذين قرأوا هذا الكتاب يستطيعون أن يقدروا مدى الموضوع الفيلق الذي أتاح لسيبون غوبزوفوار أن تخلص ، منذ رحلتها الأولى في الولايات المتحدة ، « أمريكا الأخرى » تلك .

اننا لا نلحق هنا حكايات .. ان رؤيا العالم الانساني الذي تقترحه علينا
 تلك الصفحات القلائ التي أوردناها ، ما زالت بالتأكيد رؤيا شاملة اجمالية ،
 ويبدو أنها لترجم عن تلقى لما هو خارق يلفت النظر ، وعن عكوف
 على اسباغ مسحة درامية على الأمور ، مما يجعلها تشير ، طواقة ، الى ما هو
 « فاجع » في الوضع الانساني بدلاً من أن تشير الى الصعوبات المحزنة
 التي يلقاها ناس حقيقيون . اما الصفحات الكثيرة التي تشير اليها ملاحظتنا
 السابقة والتي تستهدف هذه الصعوبات عينها ، فلا شك أنه يعيها أنها لم
 تتكامل حقاً مع سائر الكتاب بمعنى . على الأقل ، أنه يلوح أنها توحى ،
 من جانب الكاتبة ، بموقف جيد يختلف عن الموقف الذي نراها تتخلله سائر
 الوقت . أفلا نهم سيمون دو بوفوار هنا بعام الناس الا لكي تستمد منه نفس
 النوع من الارتداد والشوة التي تتطلبها من المشاهد الطبيعية (أو من ذلك
 التبعد الذي تفرضه الشاشة على الواقع) ، ويبقى لما بعد ذلك أن تستمد
 من ذاتها ، من حين الى آخر ، قرباناً للمشاكل المشروعة لقراءها اليساريين .
 بفتح شذرات من الاستنبال على هيئة تحليل سياسي - اجتماعي ؟ وبعبارة
 أوجز : أذلك أيضاً من قبيل العرض السينمائي ؟

لست أمتد ذلك : وانما ألاحظ أنها ، فيما يتعلق بالواقع الانساني ،
 تقع في قبضة نفس التناقض الذي رأيناه يعمل في علاقتها بالطبيعة ، فهي
 كلتا الحالتين ، توضع بجزئية تطلبتها موضع تساؤل : أنها تهمة الى تكشف
 المثالية الانسانية لقوليات الضحلة بقدر ما كانت تهمة ، تحت أمينا ، الى
 الالتقاء بمادية الكينونة نفسها ، في قلب الطبيعة . والاختلاف ، على نحو
 ما ، غير قائم ، إذ ان الماثل ، هنا وهناك ، هو بلوغ المطلق . ولكن اذا
 كان القصد العميق ما زال واحداً بعينه ، فان الموقف الحقيقي يتعدل بالضرورة
 عندما يتغير الموضوع الذي يستهدف هذا المطلق من خلاله : وسواء أن
 يحترق وجود الناس الى مجرد مشهد ، فان هذا الوجود ، حيثما كان ، لا يمكن
 أن يتوحد بمجرد مشهد طبيعي . ولا يمكن اكتشاف ماهية من نوع من

صورة الشوة ، بل بجهدي لفهم : لم يعد المناخ بعد هو بلوغ الكينونة ، بل التعرف على معنى ، ولا يعتمد هذا المعنى فقط على الطريقة التي يبلغه المرء بها ، إذ أن "ما يكون ، لا يكف" عن أن يكون في سبيله إلى صنع نفسه باستمرار . والفرمانا حقيقية في هذه "المشاهد" الإنسانية ، وإنما الأعراج وحده هو الروائي : إن التاريخ غير مكتوب في أي مكان ، ولكن السرح مفتوح أمام كل الرياح ، وكل مثل حر ، والعالم كله يشترط المشغلين جميعاً . إن الزعم بالوصول إلى الرجل الأمريكي (أو المرأة الأمريكية ...) هو الالتفات في داخل ديالكتيكية لا نهاية لها ، مختلفة جذرياً عن تلك التي قد تتضمنها العلاقة بالطبيعة . إن الكينونة يمكن أن تهب نفسها الوعي (أو تتضمنها يمكن أن يخلط بنفسه إلى الكينونة) بنفس الحدة ، في مشهد طبيعي من مشاهد البروقانس ، أو في قلب كاليفورنيا ، ولكن البروقانسيين ، أو أهل كاليفورنيا - أي كانت الشاعر الجمالية التي يمكن أن يستقبلها المرء منهم على صعيد فهم شامل - هم أيضاً أناس ، يوجدون بدواتهم ، يتطلبون أن يفهموا بصفتهم تلك . أي بصفة أن كلا منهم ، هو نفسه وحي منها كان مشروطاً فاته لن يكون مشروطاً على أي حال بالظرة المطلقة المزعومة للوعي متنازلاً ما .

في طفولتها ، تصورت سيمون دو بوفوار نفسها - بمساعدة الظروف - كأنها مركز العالم ، كأنها وحي له كل السيادة . ولم يكن من الممكن أن يشتت حولها الزائف مع الطبيعة هذا الوهم : فالتناقض الذي كان ينظمه لم يكن ، أجبلاً ، إلا تناقضاً من طراز تكتيكي (هل يجب استهداف المطلق جملة واحدة أم تفصيلاً ؟) ولم يكن من الممكن أن يفضي إلا إلى التعارض بين موقفين متضادين ، إلى ذبذبات لا طائل وراءها بين أحد الموقفين والآخر . أما علاقتها الإنسانية ، فقد رأينا بالفعل (وسوف نرى ذلك على نحو أفضل بكثير فيما بعد) أنها ظلت ، طويلاً ، علاقات توفر لها حيل الامتناع ، والوقاية ، والكفالة ضد النزاعات العميقة . وهي إذ

كانت غداة "بورجوازية صغيرة فرنسية لم تتصور قط أنه يمكن أن توجد
 اقتصادات اجتماعية في وسط بلادها نفسها . وأياً كانت عداياتها الشخصية
 الخاصة بين ١٩٣٩ و ١٩٤٥ فإن الحرب العالمية الثانية ، في النهاية ، كانت
 أميل إلى تدعيم موقفها الانساني المثالي الذي نهضته النازية فترة من الوقت .
 ويترتب على ذلك أنها استطاعت ، اذا جرأت على القول ، ان تأتي عذراء
 الى أمريكا ، وقد رأيناها ، عندئذ تنظر صليحة ، ونرجحها ، وتحسها بالفعل ،
 ثم تتفرض بلا هوادة ، بتوفيق يقل أو يزيد ، لكي تحسها من جديد . لقد
 كانت تلك ، عندها ، فيما يلوح لي ، تجربة مبهمة مثلية كل الانبياس .
 كانت الولايات المتحدة في البداية غريبة عليها الى الحد الذي استطاعت فيه
 أن تغفل بعيدة عن الواقع الانساني ، إذ تنظر اليه على نحو شامل إجمالي
 ولكنه سرعان ما صار في متناولها الى السد الذي احسب فيه أنها
 مضطرة الى فهمه بنفسها ، فيما وراء التوضيحات الشديدة التباين التي كانت
 تقدمها اليها ، في الميدان ، تلك الظواهر الاجتماعية التي لم تكن حتى ذلك
 الحين ، بالنسبة اليها ، في الصعيد الفرنسي ، الا موضوعات للمعرفة ،
 وأفكاراً تنقلها من الخارج . واذن فقد بدأ التكوين السياسي لهذه الوجودية
 الفرنسية ، في الولايات المتحدة الأمريكية ، على نحو ما . هناك ، على الأقل ،
 فهمت أنه لم يكن يكفي ان نعطي العالم معنى ، بل يجب ، بالإضافة الى ذلك
 أن نضع المعنى الذي يعطيه اياه الآخرون ، موضع الاعتبار : فتسكن الطبيعة
 ما هي (بالنسبة لوعي ...) لكن الناس يفعلون بها شيئاً ما ، الناس يفعلون
 منها شيئاً ما .

ولكني تمثل سيمون دو بوفوار هذا الاكتشاف ، فمن الجدير بالذكر
 أنها اضطرت الى التجرد ، في نفس اللحظة ، الى احد تراكيبها الزائفة التي
 تنجح لها كثيراً أن تلغي التناقضات الحقيقية :

« ان ما يميز الشاعر ، سواء كان ذلك في قلمة أو كنيسة ، هو تأكيد
 حضور إنساني في قلب هذه الجبال الموحدة الوحشة ، المهجورة ، ولكنها

متناقضة ، هذه الجبال التي ما تزال تبدو ، في هجرانها ، مصنوعة لكي
ترحب بالإنسان كتلك الأديرة العتيقة التي تصعدت وحشيتها إلى الوجود ،
ذلك مكان يجعل المرء يعلم بسرّ القرآن الذي يربط جنسنا بهذه الأرض ^١ .
« ... ما جعلني أمريكا أحسن به كثيراً : ليست هناك مسافة بين العصر
الإنساني وعصر الطبيعة .. إن الإنسان لا يستولي على الأرض إلا لأنه يبعث
منها » ^٢ .

لقد رأينا أن الصراع الذي نحاول هنا أن نتفاداه ، سحرياً ، لا يقع
بين العالم الطبيعي والعالم الإنساني ، ولكن بين الجهتين لعلاقتها هي بالعالم :
أحدهما يوشك أن يكون أصيلاً ، بهدف في كل مناسبة إلى إقامة هذه العلاقة
في الطبيعة ، والثاني ، وقد جاء متأخراً عن الأول ، يهدف في أن يدرك الواقع
الإنساني في الطبيعة . ويلوح لي أن هذا الصراع ينظم - ويميل في الوقت
نفسه إلى حلّ - التناقض الأول - وهو تناقض في حد ذاته يوشك أن يستعصي
على الحل - ذلك التناقض الأول الذي كان يقسم تطلّبتها إلى صوفايتين :
صوفيّة المباشرة في الكينونة وصوفيّة الم شروع اللانهاية لاسترداد
الكينونة .

ينظم ، بالتقدير الذي يتجه في داخله ، وعندئذ تنطبق هذه الصوفيّة
المردوجة على كلٍّ من طرفي التقيّص : يجب إدراك كليّة العالم الإنساني
أيضاً ، ابتداءً كان ، وإن نحاول من ناحية أخرى استنفاد التنوع والتباين في
مظاهره . ويميل إلى حلّه ، إذ ينقله لقلّة جديدة ، إذ يدخل عليه الديالكتيكية ،
أذ يدخل إلى عالمه ، بالفعل ، فرصة حوار ، فرصة اختصام له دلالته ، فرصة
مناقشة حقيقيّة - وهو ما لا يتكفي العالم الطبيعي قط لكي يستبهر في وحدة
وعجز ما : فإن المرء لا يمكن أن يحس نفسه موضع تساؤل وشك ، على نحو

١ - « أمريكا يوماً بعد يوم » من ١٩٢ .

٢ - نفس المرجع من ١٩٢١ .

بعد ، إلا فيما يتعلق بالناس ، وبينهم ، وبينهم ، ومن وجهة نظر ثالثه ،
 أخيراً ، يمكن للمرء أن يضيف إل أن هذا الصراع « الثاني » متعاصر إلى
 حد يقل أو يزيد مع ذلك التضامن « الأول » وأن نوعاً من الديالكتيك
 قد قام ، لقصور ، بين هذين المتعارضين : إذ يجب أن نعلم ، في نهاية الأمر ،
 أن سيمون دوبوفوار ، شأنها في ذلك شأن أيّ منا ، قد لقيت الآخرين
 منذ نعومة أظفارها الأول ... وذلك بلا شك هو الذي أتاح لها أن تتغلب ،
 منذ ذلك الحين ، بنجاح متفاوت ، على مواقفها المتطرفين بازاء الطبيعة ،
 إلى الحد الذي تعطينا فيه أوصافاً بكل تلك الدقة المشاهد الطبيعية الأمريكية
 في فترة كانت الانسانية الأمريكية لا تقدم نفسها لها إلا على شكل تهريجات
 مخارقة لأفنة النظر . بل على شكل سلسلة من الصحف الخاطئة ، كما يقال في
 السينما ، إذا جاز لي أن أسط قليلاً معنى الكلمات ...

والواقع أن سمة العرض والشهد المسرحي أو السينمائي هو أن يكون جذاباً
 - ومسلماً - متروحاً عن النفس ، إلى حد يقل أو يزيد - بالقدر الذي يوضع
 فيه على مبدعة ، بالضغط : أما « التجريد » من ناحية أخرى ، فهو تشكيل
 (ابتداءً من واقع ما أياً كان) موضوع لتأمل ، يستطيع المرء بلذاته أن
 يتجرد هو نفسه ، بالتساوق .. أي أن يلف على مبدعة من الواقع : « بروح
 من نفسه » عنه .. أو لعل التعقيد الواضح للموقف البيوفاري ، بمجرد
 تراوح معنى الكلمات ، قد أصبح أكثر دلالة . لذا نستطيع أن نرى نوعاً
 من الميل المزدوج يتضح بازاء الوقائع الحفيفية المهددة ، تحت هذا التكامل
 بين تجاذب ما ، وتكوص ما الذي يتكشف عنه هذا الميل المزدوج ، وهي
 وقائع مهددة ، باعتبارها ذلك ، جذابة وحداثة في وقت معاً : فالمرء مغرى
 بها كأنها يغريه جسد الكينونة نفسه ، كما أنه مغرى ، في نفس الوقت ،
 بأن يفر من تشعبها وتكثرتها اللانهاية ، حتى يستطيع ، إذ يستدير إليها ،
 أن يدرك ماهيتها دفعة واحدة . ولكن عندما يتعلق الأمر بالناس الآخرين ،
 فإن التواصل المطلق ، والتكوص المطلق غير قابلين للتحقق إلا في اللحظة

من الزمن . فعل الحدّ النهائي من التواصل يضع الحاجة للافتراح بحلول
الجماهير (ومنه الى ذلك عما قيل) . اما على الحد النهائي من التكميل
فيلحق المرب الى الطبيعة . في أحياء شيكاغو القديمة ، تبعت اشجار حضراء
في الألفية الخلفية ، بين الغابات ، وصفائح القمامة ، والأشياء الحديدية
الصدئة : « أنها أعرق من البيوت التي تتجاور معها . هي الكائنات الباقية
على قيد الحياة من استزراع عاروق للأرض ، وهي تذكر ، دون صوت ،
بوجود العصر اللاتسالي . وفي عالم مؤلف موفّق حيث العرضية دائماً
هي الوجه العكسي للإرادة ، حيث تتخذ كل فرضى سنة الشفاء ، فهذه
الاشجار هي لا مبالاة الأشياء الطبيعية ومرآة يربح القلب »^١ .

يبقى بعد ذلك أنه يجب أن نعيش في ديمومة الزمن الممدد ، حيث سرعان
ما تصبح الطبيعة من غير الانسان - كما رأينا من قبل - وازحة تنو بالنقل ،
بنفس وطأة الجماهيم الانسانية ومشاكلها الخفيفة . ففي ديمومة الزمن افئذ
يمهد المرء في أن يجعل من الليل المزدوج الذي يعاني منه ، امرأ نسياً : لا
يلقي المرء نفسه ، مكتشفاً ، بكل جوارحه ، الى لب العالم المزدوج ، ولكن
المرء أيضاً لا يزعم انه يفرّقه بأن يتكوه . بل « يضعه » المرء ، نوبة بعد
نوبة ، تحت اشكالٍ مشابهة (يجعله يتخذ أوضاعاً متعاقبة) وتلك طريقة
للتخفيف من وطأته ، لافراغه مؤقتاً من ثقله حتى يمكن اكتشاف معنى
له . وعلى هذا النحو يفتش المرء ، وفقاً للأحوال المختلفة ، بهذا الافتراح
المرسحي أو بذلك ، وهو نفسه الذي يرسم هذا الافتراح أو ذاك ، وانما
يصنع ذلك كله وهو يعرفه ، وهو يعرف في الوقت نفسه أنه ينبغي له أن
يعرب ضرورياً كثيرة اخرى من الافتراح قبل أن يصل الى فهم مرضى نسياً .

وبين اختيار اللحظة ، واختيار الديمومة ، انتقل المرء من الحرافة
المحالة للكليّة المطلقة ، الى نوع من المنهج يصدر عن كليات جزئية قابلة

١ - « أمريكا يوماً بعد يوم » ص ٢١٥ .

دائماً للدهش ، إذ من الواضح أنها لا تلبث أن تتنازع وتتصارع بين بعضها البعض . وتورد على سبيل المثال : النتيجة المزدوجة التي ينتهي إليها هذا التحديق عن الولايات المتحدة . الصورة الأولى : « ان الخفاذية التي تصيب الرأس بالدوار والتي تمارسها أمريكا على... حيث ما تزال تبج ذكريات الرواد القريبة ، هي أنها تبدو مملكة العذري . ان تاريخها ، متطهراً في الزمن ، مشحولاً منسجماً على بحر رائع غير المكان . هو تاريخ خلق العالم . ذلك ما يترن في ناطحات السحاب ، أنها تعلن بصوت جهوري بأن الانسان ليس كاتباً راقداً في كينونة ، بل هو انطلاقي ، توسع ، واستيلاء .. ان الانسان قد ألحق الشيء الغفل الخيام في أحبولة وغياته ، انه يؤكد سلطان حياته على الأمة . نيويورك ، شيكاغو تمكسان وجود هذا النصف اله ذي الاحلام المسيطرة ، ولذلك فانها أكثر المدن التي أعرفها حظاً من الانسانية واستشارة للشوة ... ان الأمريكيين قومٌ أحياء حقاً ، يعيشون لا في أفق الموت بل في أفق الحياة ، لا يطبقون نفساً ال العبود .. والمرء محسوباً بأعماله : ينبغي أن يفعل ، حتى يكون ... ويمس المرء احشاً يدعو للشوة أن كل شيء يمكن أن يبدأ الصورة ثاية : « الأساس القمحل المجدى في الحياة الأمريكية هو السأم والمثل ... ليس فيهم ناز داخلية . ولاهم قفسدوا أنفسهم في الموضوع ، وجدوا أنفسهم من غير موضوع ... والقرار من السأم ومن الوحدة يحبسهم في الوحدة والسأم . » - (النتيجة الحقيقية : «لنا طرقٌ مختلفة عن الأمريكيين نشقى بها ، ونكون غير اصلاء ، زائفين ، هذا كل شيء ... التي أوى ما ينقصهم وأوجه قصورهم . ولكنني لا أنسى أوجه قصورنا . ومن خلال ما أحبه من هذه البلاد ، وما أفتته منها ، هناك فيها شيء ما قائم : هو ضخامة القرص التي تسبح لها وضخامة المخاطرات التي تتعرض لها ، هي والعالم معها .. ها هنا إحدى النقاط في العالم التي سوف بتقرر فيها مصير الانسان ١٤ .

١ - « أمريكا يوماً بعد يوم » من ٣٦٩ - ٣٧٦ .

وعلى نحر ما ، فإن سيمون دو بوفوار نفسها هي التي تظهر هنا ، كما لو كانت من وراء غيوط رقيقة متشابكة ، تحت وصفها نفسه الولايات المتحدة . حاجتها لأن تفتن تظهر حتى في هذه النسيبة النهائية ، الجهد الذي بذلته على نفسها حتى تحسك معاً هاتين الكليتين المتناقضتين ، حتى تعطى لثناقضهما معنى بدلاً من أن تلقيه في كلية علوية ما . إن ما يقتضيه في نهاية الأمر ، هي التي ظهرت لنا دائماً مستعجلة لأن تحصل من الواقع على رد حاسم . هو هذا السؤال الذي يشككه الواقع الأمريكي ، في لحظة معطاء ، في قلب العلم الانساني .

أناخذ المرة عليها ، مع ذلك ، أنها استقطت على أمريكا مشكلتها هي : تطالبها للعدائي الدائم ، وهذا التزعج من السأم الذي تختبئ أن تبلوه عن كل أدنى هبوط في « انطلاقتها » ، في حركتها نحو « التوسع » ونحو « الاستيلاء » في سورة « نشوتها » ؟ ذلك أننا نغفل ، في وقت معاً ، أن كلاماً منا يجهد ، بالمثل ، أن يوضح الاوضاع على مقتضى تخطيط وجودي معين ، على مقتضى مشكل معاش ، وأن سيمون دو بوفوار ، إذا تصدق على هذا التحجج ، تستطيع — وهو ما لا نستطيعه لناثماً — أن تتجاوز أساطيرها الخاصة ، أن تحترم موضوع تحليلها نفسه إذ تحتفظ له بواقعه الحي الذي يحياه الناس ، والذي هو ، من ثم ، دائماً معلنى ، دائماً إشكالي^١ .

١ — وأضيف إلى ذلك أن الأمر لا يتعلق ، من جانبها ، بموقف صوري بحث . وصحيح أن ذاتي هو ما قد يحسه المرء عندما تتكلم عن الولايات المتحدة الأمريكية . ذلك أنها لطفي فيها بوضع « متفجع » إلى حد غاربي ، بمعنى أن هذه البلاد ، إما كان ما تزال لها أهداف ، فليست لها أية مقيدة ، « ليس لها موضوع » كما تعبر عن ذلك تعبيراً دقيقاً ، أنها تجري على حواصيل بل ويبدو ، في بعض القواسم ، أنها في فترة جزر وتوشك أن تتخلى عن جانب الدفاع عن النفس . ولكن سيمون دو بوفوار ، بعد بضع سنوات ، عندما تتناول الواقع الصيني ، تعرف كيف تبدي مشورتها على احترام هذا الواقع بنفس القدرة ، إذ تضع في الاعتبار ، هذه المرة ، الالبيد الذي تبناه الشعب الصيني بكل تصميم وحزم ، وهو الجهاد « تحت نموذجي » لسلوك الانساني ، متحرك ، هو في كل مكان ومكون حادثة « شرط قوتي » لكل الظروف المعطاة وكل —

كنت أريد فقط أن أعين بداية تطور نحو المشاكل الانسانية : ولكنني استبقت قليلاً : وصف هذه العلاقة بالآخرين التي ينبغي الآن أن نتناولها . ولكن ذلك أتاح لنا على الأقل أن نلاحظ ، فيما سبق ، دوام هذه الاستعدادات الطبيعية الأولى ، على نحو مرموق ، عند كائنتنا ، حتى في نفس تيار هذا التطور المحسوس ، تلك الاستعدادات الطبيعية الأولى التي كانت حتى الآن موضع بحثنا .

عند تحقيقها عن أمريكا ، حيث تظهر ، أكثر ما تكون ، تستحوذ عليها الحاجة لأن يستحوذ عليها ، وفكر في جملة الجهد الذي كان عليها أن تبذله ، يوماً بعد يوم ، لكي ترى كل ما رأته ، لكي تتحدث مع كل هذا العدد الكبير من الأشخاص ، لكي تجمع كل تلك المذكرات ، وأخيراً لكي تحقق ذلك الكتاب . وعند الآن دراستها عن الصين ، وفكر في كل الوثائق التي كان عليها أن تحصل عليها قبل الرحلة ، واثامها ، وبعدها ، وفي كل المشقة التي كان عليها أن تتكبدها لكي تتكيف ، بأقصى حد من الامانة ، مع أوضاع كانت غريبة عليها كل الغريبة ، ثم حاجتها فعلاً ، حالة ، خفية ، في عطف مع المطلق ، في شوارع بكين ، كان

- الأوضاع الملاحظة . وعندك ليس الأمر متاعاً أن تصغر من ادراكات متعاقبة بأن « تخرج » المشهد حتى تتأكد وهي في « سورة القوة » ، ان سرات الليل عظيمة على السائح ، عندما يتعرض له مشهد ، قائم يعرف أن واقع هذا المشهد يتألف ، في وقت متأ ، من بقائه على قيد الحياة بعد طائر غير . كما يتألف من أنه بداية لواقع حال . ومن ثم فان السائح سوف يتغير من طبيعة هذا الواقع لو أنه جسد ، عين التاريخ المبسط وبين الخطى الصاعدة ، لا يوجد مكان السلام ... ليس ثم هي . عرضي في الصين ، والمثل يعلق مع الشيء ، ويعتمد كل شخص لا يلاحظه بكل شخص آخر ، بل بالمستقبل المشترك بينهم جميعاً . (« المسيرة الطويلة » ص ٢٩) . قللني هذا لم يعد بعد هو ما يستطيع الترو بطريقة ذاتية وعشوائية بقدر يزيد أو يقل ، أن يستخلصه من الأوضاع ، إذ ينسحب ، مرة بعد مرة ، في حد ذاتها ، ثم يتأقلم بها التلازمات (الانطباعات) التي يحصل عليها : بل يصدر المثل من جهد كل الصينيين لكي يحولوا ، معاً ، ويومي ، جسور الظروف المظلمة . و « المسيرة الطويلة » هذا المثل ليست مسيرة رحلتنا ، بل مسيرة الصينيين أنفسهم بالليل .

لوقت الفراغ ، في يَكُون ، مظهر جيد جداً ، كل هؤلاء الناس يبدو عليهم أنهم لهم موهبة السعادة . . . يَكُون من أحد الأماكن الثابتة في العالم التي تعمل فيها بعض المحطات إلى حد الكمال ^١ .

والمرء إما أن يسلم بذلك ، أو يخطئ له ، ولكن الواقع ، في كل مكان ، أن رحلتنا نستطيع أن نضم في نفسها بين الهبة المطلق ، وبين الصبر على الشيء ، بين الحاجة للكيونة وحيث العمل — إن هذه الشغالة المخوفة ، لأنها قد تكونت في وسط صاوم من اليورجوازية الصغيرة المثقلة (التي كانت تلعب نفسها فيها وراء كل الطبقات ، باسم الثقافة ، وإن كان وضعها الاجتماعي المخرج يحكم عليها بأن تكون «جديرة» بلاهواة ، بتفوقها) ، أسست نفسها ملزمة بأن تستولي على العالم «بقوة» سابقها ، وفي نفس الوقت لم يداورها الشك في أنها كانت «مختارة» لكي تيدي هذا العالم للأنتظار ، لكي تجعله «يُظهر» واقع الخفي . ولأنها كانت قد منحت صحة مدعيتها ، فإن هذا التطلب الاعتراف — الذي كان من الممكن ألا ينجم عنه ، عند شخص آخر ، إلا «مثل عليا» في غاية العظم — قد تجسم عندما تفور ، إلى الحد الذي جعلها لا تطيق ، على نحو خفيف ، أي شيء قد يشكل عتبة في سبيل اتباعه القوي المباشر . وكان ذلك أن تمنح يد ما تنكره باليد الأخرى ، إذ كانت تدور هنا على المكان والزمان ، عندما كانت مضطرة جداً ، هناك ، إلى أن تجعل منهما شروط مشروعها . ولكن ذلك كان أيضاً أن تحكم على نفسها بأن تصوغ ، بأي ثمن ، والا تردت في الجنون ، الأداة التي تصبح لها انحرافاً أن تصل حقاً إلى حقيقة الكيونة : ومعنى ذلك أن سيمون دو بوفوار وجدت نفسها ، لكي تتحدى تناقضها نفسه ، أن تعيد ابتداء «القيومولوجية» — هذا المنهج الوصفي الذي اعطانا سارتر إياه ، وذلك لاستخدامها الشخصي ،

١ - «التيرة الطويلة» ص ١٦٢ .

بعد أن أعادت قراءة هوسرل وهيديجر ، بطريقتها الخاصة ، صنع معاً هاتين الـ (ليبيتين : ١) الكينونة لانهائية والانسان مخلوق (٢) الانسان لا يتورأ الا بالقدر الذي يكشف فيه عن الكينونة - وسرعان ما يصيبك بك اليأس من أن تأخذ على عاتقك حقاً عبء الوضع الانساني ، اذا لم تكن تتحلل بهاتين القضيتين المتضادتين : تواضع الشغاليين الكادحين الذي لا يتألم منه الوهم ، والصلف المهنتي الذي يتصف به كل من يهب الأشياء معناها^١ ، أو اذا كنت تمتلك القضييتين معاً ، وكنت لائس نفسك قائماً على أن تحيد منهما معاً....

١ - الوعي الذي له كل السيادة ، الشاعر ، الكلية التي تله في العالم كل ما تطلق عليه اسماً من الاسماء .

الجزء الثاني

تاريخ قديمها بأثره

هذا العمل هو مشروع حياة ، انه يعبر من أدناه الى أعلاه عن مشروع الحياة . ومن ثم فإن التعبد في مدى تحقيقه لا يقبل عموراً لتطوره الا في التطور الذي يتبدى فيه ، فيما يتعلق بعلاقته بالآخرين : إن وعياً ما لا يصل الى ذاته الا من خلال المرور بوعي الآخرين ، إذ يتعين له أن يعطي معنى لكل الدلالات التي قد تلقاها بالفعل من العالم ، وإن هذا المعنى نفسه الذي يريد أن يكون صاحبه ، يتعين بدوره أن يتخذ معنى في العالم . إن حقيقي تتوقف على حقيقة الآخرين : باعتبارها قد أعطيت لي ، أولاً ، آية منهم ، ثم باعتبار أنهم لا يكفون عن أن يعودوا فيأخذوها مني ويتأذعوني إياها ، حيث أنني أجهد أن أفعل الشيء نفسه .

في الجزء الأول من هذه الدراسة ، حاولت أن استخلص ، بالثأوب^١ ، العوامل الثابتة فيما يمكن أن نسميه الشخصية البوطاوية « القاعدية » . إن هذا الوعي ، باعتباره معطى لذاته ، هناك بالفعل ، متوضعاً بجملة واحدة في عالم المادة وعالم اللغة ، ليس شفاقة بحداً لذاته ، ليس نظرية صافية الى العالم : انه يستقي « تجسده » ، حضوره المحدد ، من شرطية

١ - وفقاً لنسبة ليربية ، إياها هو واضح ، ومن ثم فهي احتشافية الى حد يقل أو يزيد ، إذ أن الأمر يدور لم يكن الا ترميم آثار مفاتيح الصفات الرئيسية في موقف عام يراه العالم : هذا الموقف الذي حدد ، سائر أحياناً بعبارة « الموقف الطبيعي » على مستوى الثقافية ، وفي إعادة فهمه وتقلوله بواسطة فكر « متواضع » .

مزوجة - بيولوجية واجتماعية - تضع لنا شيئاً فشيئاً وفقاً لوضع
مواضيع جوهرية وتتخللها المعقدة (الحوية ، تلوق الحياة ، النهم ،
التهقة ، العنف ، المرح ، والسعادة ، والتفأل ، والارادية العنيدة ، معنى
المعمل ، الصبر الغريب ، تطلب المطلق ، المثالية ، الراديكالية ، نوعي
الكيونة ، والكيونة بحرية ، على نحو ملتهم أكمل ..) .

وما ينبغي أن نفهمه الآن ، هو كيف وصلت الـ أن تصنع نفسها ،
ابتداءً من هذا المعطى الذي كانه ، كيف استفادت من هذه المعدات
الأصلية لكي تقوم بمشروعها ، لكي توجد حياتها . ومن ثم سوف تصدر
عن جديد من طفولتها الصغيرة الغضة ولكننا سوف نلتفت هذه المرة
عند مواقفها المحددة بإزاء الآخرين (هؤلاء الآخرين بالذات أو أولئك)
حتى نعيد تشكيل اتجاه الانطلاق الحقيقي لوجودها ، اذا كان ذلك ممكناً .
ومن ثم سوف نتأذى ، عن كتب ، الـ اكتشاف الآفاق ، والمشاكل ،
والقيم المختلفة التي كان عليها أن تتخذ موضعها وفقاً لها ، دوراً بعد دور ،
اذا استفادت من الأوضاع التي فرضت عليها . أي انه سوف يكون علينا
أن نتعرف على أنفسنا فيها ، اذ نلجج على إلرها ، كل الأبعاد التي يفرض
علينا فيها ، بأشكال مختلفة ، أن تأخذ على عاتقنا هذا العلم كما هو ،
ودعونا في الانسانية ، في وقت معاً .

١ - البيئة العائلية المباشرة والأزمة الأصلية

« كان أبي في الثلاثين من العمر ، ولهي في الحادية والعشرين . وكنت أول أطفالهما »^١ . على هذا النحو يأتي أول ما تذكره عن علاقتها بالآخرين ، بوالديها ، إذ تعطي وزناً لوجه الامتياز فيه ، الواقعة أنه ما من أحد يشارك فيه بنفس الأولوية التي تشارك بها هي فيه . فما كانت تعي نفسها حتى كان حضورها في العالم قد اكتسب قيمة بما يحيط بها مما يشبه الغياب : أختها ، هذه الطفلة التي جاءت متأخرة عنها بستين ونصف . فإذا أخت بالغيرة منها فلن يستغرق ذلك طويلاً : ... « كنت أحس نفسي أكثر مدعاة للاعتماد من هذه الرضيع حيصة المهد . كانت لي أخت صغرى ، ولكن هذه الصغيرة المدورة الوجه لم أكن لها . » وسوف نرى فيما بعد ، على هذا الأساس ، المنور الذي سيعطي بشكل محدد لأختها الصغيرة . يمكننا الآن أن نلاحظ أن الوضع الذي يصدر عن ذلك ، تصور ، بين الأختين هو وضع النسبة الزائدة الذي لا تقع النسبة فيه إلا على أحد طرفي العلاقة .

ولكن ينبغي لنا أولاً أن نتحدث عن أولئك الذين وجدوا عندها ، أول ما وجدوا ، باعتبارهم وعياً مستقلاً . فليبدأ أولاً بأن تنهي لوز ، فهي مجرد رمز للشعور « بالأمن اليومي » . ولتج أيضاً « العائلة الوفيرة »

١ - « مذكرات فانا مستقيمة » ص ٩ .

(الاجساد ، الامسام والأحوال والعبات والحالات وابنائهم) وهي العائلة التي كانت في مجموعها تليدا ، اساساً ، بضماناً وأعبيتها « الخاصة » والتي أصبحت فيما بعد ثقلاً تزداد وطأته عليها باطراد ، تحت اسم « الأقارب » . أبني بالمثل أن تحي أباهما ؟ تكاد نعتد ذلك ، اذا حكمنا بالملاحظات الأولى التي تخصصها له . فهناك أولاً تلك الصورة التي التقينا بها من قبل في « امريكا يوماً بعد يوم » لقناة الصغيرة في نعومة أظفارها ، تقضي ساعات طويلة ملغية بنفسها مكتومة على نفسها في « العنق المحفور تحت الكتب » : الأب هنا ليس الا جواً بيتاً بعد ، جواً « العرب القديس » الذي يشغل فيه - حيث تستطيع أن تلوذ به - أن تتمرغ « في الظلمات » ، أن تحس نفسها « في الكين والحماية » . ولكن لعلنا نذكر أنها اذا كانت تستدعي هذه الذكريات ، كانت تأتي على نفسها أن ترى فيها (كما تأتي على نفسها أن ترى في وضعها ، في تلك اللحظة ، وهي ملققة مدثرة في وحدة وثيرة في مقصورة قطار) رغبة مزعومة ، في أن « تعود الى داخل الأم » . والأحظ ، من ناحية ، أنها تتحدث لنا عن ذلك عسى نحر أفضل بكثير ، في النص الثاني ، حيث يتخذ « ملاذها » الطفل بالفعل قبة إيجاية : « كنت انظر الى العالم ، وانحسه ، وأتلمسه ، في الكين والحماية » . واحترف من ناحية أخرى ، بأنني مضطرب غير متزيج ، الى حد يقل أو يزيد ، وبالرغم من كل شيء ، اذا أرى الأب هنا يظهر أولاً على شكل كيان غامض خاضعته الوحيدة تبيل الى الإشارة الى الأم ، أكثر ما تبيل .. فهل وجدت هذه الطفلة وسيلة الى قلب الأنوار بين والديها ؟ وهي سوف توضح ، على الفور اذا جرؤت على القول - أن أباهما لم يكن له في حياتها « دور محدد كل التحديد »^١ وهي تقضي لنا بأن أمها كانت « بعيدة » و « ذات

١ - « لم يكن له ضارب ولا ذلق ، كانت حيداً لرقولين » مرجح... (كان) يضحك معي .. وكان يسطي ، وكنت أعجب قليلاً عندما يتم لي » (« ذكراوات هناك مستقيمة ») ص ١٠

نروات ، (بالقدارة بطور التي لم يكن يبدو لها أنها موجودة الا لكي
تعنى بها (ياصحتها) وكانت ترحي اليها « بمشاعر عشقية » . « كنت
استقر على ركبتيها ، في نعومة ذراعيها المطرة ، وأضطى بالقبيلات
جلدها ، جلد امرأة في مجة شبابها .. كنت بحاجة الى ابتسامتها . »

أبي يمثل لها ، بالاجمال ، الأمن والمرح ، وأم هي لها عائلته :
فلتوفر على أنفسنا سخرية أن نستفي أية نتيجة من ذلك ، منذ الآن .
ولنستغل ، عابرين ، هذه الملاحظة الرئيسية عن الحلف والتفاهم الذي
كان سائداً بين أحدهما والآخر والذي لم نلبث ابتئها أن وعده :
« عندما كان يعود في المساء ، كان يعمل الى أمي زهرات يتضج من
« يارم » كانوا يبلان أحدهما الآخر ، ويضحكان »^١ .

بعد ذلك بقليل سوف نحس بداية اعجاب أبيها : « منذ أن بدأت
أذهب الى المدرسة ، أخذ أبي يهتم بنجاحي ، وتقديري ، وكان له وزن
أكبر في حياتي .. لم يكن في يتي العائلية شخص أعظم منه تشويقاً ومدة
للاهتمام وأعظم ذكاء .. كنت أراه أشبه بساحر .. » ولكن ذلك لأنه
يمرح معها ويغالبها و « يضحكها حتى تصعد الدموع الى عينيها ، متكرراً
على شكل مهرج ، أو جرسون في قهوة ، أو عسكري ، أو ممثلة تراجيدية ،
أو في دور « الطاهية البلهاء التي كان اسمها روزالي »^٢ . ولكن الحرب
تنشب ، ويحتد أبوها في الجيش : « كان قد ترك شاربته ينمو ، وكان
وجهه ، تحت شاشيته ، يؤثر على برصاة »^٣ في نحو تلك الفترة ، يبدو
أن يبدأ جديداً يظهر بالفعل في علاقتهما : « عندما كنت صغيرة جداً ،
كان يُخضعني بمرحة وملاحة حديثة ، وعندما كبرت تعلمت أن أعجب
به على نحو أكثر جدية ، كنت أعجب لتفاهده ، لذلك ، لفظته التي لا

١ - نفس المرجع ص ١٠ .

٢ - نفس المرجع ص ٢٨ .

٣ - نفس المرجع ص ٣٠ .

تجيب فقط ... كان يعني بي أكثر . وكان يرأب على الانحص معرفتي
بهجاء الكلمات ... وكان راضياً أن لدي موهبة طبيعية للهجاء الصحيح ..
وكان يقرأ لي الآثار الكلاسيكية بصوت مرتفع .. كنت أسأله أسئلة كثيرة
وكان يجيبني عنها بطيب خاطر ..^١

يبدو على الأقل أن هذه العلاقات الجديدة لا تتضمن بالمرءة أي اضطراب
عاطفي : « لم يكن برهنيني ، بمعنى أنني لم أكن أحس قط أمامه بأدنى
ضيق ، لكنني لم أحاول أن أعبر المسافة التي كانت تفصله عني ، كانت
هناك مواضيع كثيرة لم أتصور قط حتى أن أحدها عنها ، لم أكن لا جسماً
ولا روحاً ، بل كنت عقلاً » . كانت علاقتنا تقع في جو صافٍ لا يمكن أن
يحدث فيه أي اضطراب . لم يكن ينهني عليّ ، بل كان يرفعني حتى إليه
وكانت مغزاةً عندئذ بأن أحس نفسي من الكبار^٢ « والواقع أنها ، صدوراً
عن ذلك ، سوف تأخذ في أن تحس نحوه بنوع من الهوى ، لقد تعرف
عليها ، وهي له فتنة امتثالاً لطير بلبتها ، وهي تعكف على القور على أن
تزيد من اصحابها به . وتخرج معه وحدها ، ذات يوم أحد ، بعد الظهر ،
فأرى في تلك « الخلوة » (أثناء حفلة لكونميدني فرانيز) « تواطوا »
خارفاً : « أصبحت ، خلال بضع ساعات ، احساساً مسكراً أنه لم يكن
ملك أحد الاي ... »

ولما كان يتضح ، شيئاً فشيئاً ، أنه قد أخفق في حياته ، فإنها تفعل
له من ذلك نوعاً من المجد التكميلي^٣ ، كأنه يرهان^٤ بالعكس ، على قيمة
— هذا « الجرح الصامت » يسبق عليه ، في عينها ، « مكافأة » جديدة :
« في نحو تلك الفترة ، كانت مشاهري بازاء أي تلهمني بالتشوة والناسي ،
كان يوزني أن رجلاً في مثل ذلك الضيق يتلأم بكل تلك البساطة مع

١ - نفس المرجع ص ٢٨ - ٢٩ .

٢ - « ذكرات فلانة مستقيمة » ص ٣٩ .

صغار وضعه.. كنت أحبه برومانتيكية^١ ونقرأ بعد ذلك بقليل : « كان هوائي به يزايد ، وهي تحدد لنا دوران آلية على هذا الإعجاب على النحو التالي : « كلما ازدادت حياته عسراً وحرماً ، أعنى باصرقي وبهرقي تنورق أبي ، لم يكن تفوقه يعتمد لا على القوة ولا على الجاه ، ومن ثم اقلت للنسي أنه قد اضطلهما عن عمد ، لكن ذلك لم يجعل دوفي وأن لوفي له ، كنت اعتقد أنه 'يخس حقه' ، واسمي 'فهمه' ، وكان ضحية جوالع خاصة ، ومن ثم كنت محقة^٢ له ، أكثر ، لتوات مرجح التي كانت مازال كثيرة الوقوع^٣ » .

لن ندهش كثيراً إذا لاحظنا أن هذه الذروة في مشاعر سيمون دو بوفوار نحو أبيها تتفق مع فترة بلوغها المراهقة . فهنا ، على وجه الدقة ، يظهر في علاقتها لأول صديق ، يتلوه الكثير من الصدوع على كل حال ، ولكننا نستطيع أن نرى فيه دلالة خاصة ، بمعنى أنه ، على الأقل لوفي سلسلة متعاقبة .

كنت قد أشرت عدة مرات فيما سبق إلى حدث لا بد أنه وقع ، منذ طفولة سيمون دو بوفوار ، حتى تغير حسها الأولي الاصيل بالسعادة إلى ذلك التفاؤل « شبه الاصيل » - وهو من أكثر العوامل الثابتة في شخصيتها استعصاء^٤ على الدهضر ، بل يوشك أن يكون لها طبيعة « ثابتة » . وقد حان الوقت أن نحدد أنني اعتبر هذا « الحدث » صورياً ، أي أنني لا اعزّم بالمرّة أن أحده له تاريخاً صارم الدقة .

كل ما نستطيع أن نقول بعصده أنه كان تجربة « انفصال » و « فطام »^٥ وأنه يشتمل على عدد من المواقف المثابتة في طبيعتها ، وقعت في لحظات مختلفة . مثال ذلك أننا نستطيع تصور أصل هذه التجربة سابقاً على تلك

١ - نفس المرجع ص ٧٢ - ٧٣ .

٢ - نفس المرجع ص ٦٠٨ .

٣ - نفس المرجع ص ٦٠٩ .

الشفقة المرحمة التي وصلت إليها الآن في العلاقات بين سيمون وبوطوا وأبيها. وعندما أخذت مشاعرهما بازائه تبدأ في الارتفاع والسامي ، لا تستطيع أن تتجاهل أنه كان لها وجهها العكسي في ذلك الاحساس المؤلم بالقيود والحصر ، بالاعتناق ، وبالسأم : كان حسبها أن يخرج معها أبوها ذات مساء في الشتاء ، في جولة بالكسمبورج ، حتى تدعش إذا ترى شجيرة زعرور مزهرة في قلب الشتاء . « أكان الجو بارداً إلى ذلك الحد ، في تلك الحياة الصغيرة ، حتى تضطر إلى أن تتنهد ، بكل ذلك التهم ، أقل ساذجة لكني تدفأ ؟ » كان روتين أبيها على نفس القدر من الصرامة كإيقاع القبول : كان أقل خروج عنه يلقى في قلب الخارق غير المؤلف ،^١ وما هي ذي ملاحظة من نفس النمط تجددها على الصعيد الذي رأينا فيه هوانها لأبيها يصل إلى ذروته : « عندما كان يبنى في البيت ، كان يقرأ لنا فيكتور هوجو ، وروستان ، ويحدثنا عن الكتاب الذين يحبهم ، عن المسرح ، عن الأعداء العظيمة الغائبة ، عن شئ المواضيع السامية ، وكنت أنقل بعيداً عن رمانية الحياة اليومية .^٢ ولكن هاتين الملاحظتين تذكرنانا بثالثة ، صادفناها من قبل ، وسابقة عليهما : « لم أكن أطيع السأم ، كان يحول ، على الفور ، إلى القلق والمضغ .^٣ »

ولعلنا نذكر أن سيمون الصغيرة كانت منذ ذلك الحين تصور الصراع ضد البطالة (الوادة للسأم) على شكل استخدام كامل لذاتها وللأشياء ، وإدارة وتصريف صارم للوقت والعمال ، ومن ثم كانت واجباتها تتوزع بمسراتها . ولظهم من ذلك بالتأكيد أنه إذا كان واجباتها يتسببها ويطلبها لها فأنما ذلك بالقدر الذي يتقدم به مسراتها ، على وجه الدقة ،

١ - « تذكرات تلك مستظيمة » من ٥٢ .

٢ - نفس المرجع من ١٠٥ .

٣ - نفس المرجع من ٦٩ .

وقد لاحظنا ، بالضغط ، أنها تعاني من احساس بالقيء يظلمها . أنها تفضأ
بحاجة الى عالم سود فيه الضرورة ولكنها تفهم من ذلك أنه يجب أن
يكون مركزاً على شخصها ، وأن يجد وجودها بتبرير مطلق : يجب أن
تكون فيه على ثقة من أنها تشغل مكانها الحق ، أنها تفعل ما يجب أن
تفعل . يقال لنا أنها كانت تنظر ، وبعد ذلك يتضح أنها كانت تنظر
نفسها . ذلك أنه مهما كانت «سعادة» وضعها في الطفولة (ثم في
المراهقة) فإن هذه السعادة كانت في عينيها نوعاً من الشقاء ، وضعاً
زائفاً ، شقة لا تجاور فيها ، تالفاً حقيقياً لا تكاد تتحمله الا بعناء
ومشقة . أنها ، باعتبارها وعياً ، تبلو نفسها وتريد البقاء لنفسها ، للقاء
وباعتبارها بنتاً صغيرة ، يتكرها الكبار^١ . ولكن عندما لا يملك المرء
وسيلة لتجاوز الوضع ، فاما أن يأس أو أن يلجأ الى السحر ، إلى تجاوز
ما «بالقوة» ، يكفله الحق الالهي ، ويوشك أن يكون منحقاً بالفعل :
«كنت موضع انتظار» . وبعبارة أخرى : أنها (يجب أن تكون)
في مكان ما ، شخصاً متميزاً كل التميز ، ومن ثم لا يتفصها الا أن
تنضم الى نفسها العبراً ، وما دامت تتطلب ذلك ، فإنها موعودة^٢ به .
وهو وعد^٣ أن يلبث أن يتأيد لها (ويصبح عتواء في نفس الوقت أكثر
وضوحاً بقليل) بالقدر الذي يظهر لها فيه أن أباهما قادر^٤ على الوفاء به .
ولذلك أن «استخدامها» لذلك الوعد كان يناسبها : فقد رأينا على أي
حال أن أباهما قد شارك على القور في اللعبة ، إلى حد كبير^٥ .

١ - منذ أن عرفت كيف أفكر ، اكتشفت في نفسي سلطاناً لا حد له ، وعمودية تدور لشيئية
(«مذكرات لودميستية» ص ١٠) .

٢ - وذلك على أي حال هو أحد المواقف الأخرى الكوسميكية بإزاء البيت ، مواقف جميل ،
فما يصر لي ، أن تذكران الطفلة لحساب المرأة (التي هي ليست الا اختاً لا خادماً لها) وتكران
هذه المرأة التي تشر بها الطفلة ، بالرغم من كل شيء ، وذلك باسم الأخلاق . والتركيب بين
هاتين العنوين المتعارضين هو أن يحزى إلى الطفلة وهي تاتبع ، مجرد تواتر عن الجنس ،
«كان أبي يعاني كأي شخص تام الصنعة ، متميز ، لا حبساً ولا روعاً ، بل خلق »

أنها تضع الصدع الأول ، إذن ، في علاقتها به ، في الفترة التي جازعها فيها الحوض لأول مرة . إن هذه الظاهرة البيولوجية في حد ذاتها - بعد أن طرحتها أرميا ، لأن أمها لم تعد لها - قد ظهرت لها أميل إلى الإيجابية . منذ أن استطاعت أن تلعب نفسها بأنها لا تتضمن أي أمر من جانبها : بل استقت منها « نوعاً من الضحك » . ولما كانت تسمع أمها تتحدث مع صديقاتها ، حدثت نساء بعضهن إلى بعض ، لم تشعر من ذلك بأي غيب . لكنها لم تكن تنظر أن يبلغ النيا إلى أيها . وقد كانت ضربة " حقيبة " لها . هذا المساء نفسه ، عندما ظن أبوها أنه يمارسها في هذا الصدع : « كنت أتميز عجلاً » . كنت اعتقد نفسي ، بلزاء أبي ، عقلاً بحتاً ، واستبعت أن يراني ، فجأة ، كاتماً عضوباً . انحسرت بالسقوط إلى الأبد .^١

لما الصدع الثاني الذي يمكن أن ترسم آثاره ، فهو بلا شك نفس هذا الصدع : « عندما كان يقرني ويوافق علي » . كنت واقفة من نفسي ... وعندما بلغت سن المراهقة ، أحببت أمه ..^٢ والصدع الثالث يصدر

١ - (مذكرات فتاة سطيحة من ١٢ و ٣٩) . انظر أيضاً « كان أبي يراني قبيحة ، و كان يأخذ صبيون لما مع رجل . صبيون رجل . ومع ذلك فقد كانوا يداخونني » مجلة بنت ، نفس المرح من ١٢٣ .

٢ - نفس المرح من ١٠٣ .

٣ - (مذكرات فتاة سطيحة من ١٠٩) . انظر أيضاً ، « كان أبي يراني قبيحة ، و كان يأخذ ذلك علي » (نفس المرح من ١١٣) . ولأن ، كما أشرت إلى ذلك من قبل ، فقد كان ليرما يحب المرأة ، و كان يندر ، فيها ، الترفق والحياء . . . ولذلك كان قد اعتاد ، القور ، أن يستعني الأقوية المستقلة عند ابنته ، بأن ينكرها . وطالما بقيت طفلة ، على أي حال ، فإن ما كان يستلزم أن يعقبه منها ، على نحو جيد ، أنها لوحي بالمرأة ، وأنها في الوقت نفسه أقل ما تكون امرأة . ولكن عندما أخذت المسافة تحول للتأني بين ابنته وبين ما كانت تومس به ، فقد أخذت تعقبه بنفسه . في نفس الوقت الذي يتضح فيه الحق . كانت تصبح صفاء امرأة (ولم يكن يعني لها أن تصبح امرأة في حينه) ومع ذلك ظاهراً كانت تحبب رغبة ، إلا لم تكن المرأة بعد ، ولكن على نفسها أن تكون . « لم يكن يعني حبة أمه حسب ، بل أمه يعني أمها أكبر بأنها التي ما رحت طفلة جميلة » . والمفرد بالأسئلة في هذه المسألة =

عن ذلك بلا شك ، إذ أن الصراع الذي يلقي عليه الضوء (والذي كان من الممكن أيضاً نظرياً ، أن يظهر في أية فترة أخرى) لم يظهر في الواقع إلا في تلك اللحظة بعينها ، في أولى لحظات من المرافقة والبلوغ : «كنت أعلم بأن تكون لي بالي علاقات شخصية .. وفقدت هذا الوهم .^١ » والأمر هنا يتعلق بصراع مباشر بين الطفلة وأميها ، فلم تكن الطفلة تعلم أن تكون لأمها علاقات حميمة بأبيها ، أي علاقات تتخذ بازائها علاقاتها هي به وضعاً نسبياً في أية لحظة . «حتى في اللحظات النادرة التي كنا نجد فيها أنفسنا وحدها ، كنا نتحدث كما لو كانت هي هناك » .

إذا كنا نريد أن نتبع ، حتى النهاية ، التدهور المطرد في علاقاتها بأبيها ، حتى نحدد أصداءه على علاقاتها بالآخرين وعلى رؤاها للعالم ، فينبغي لنا بادئ ذي بدء أن نعود إلى أمها وأن نحاول أن نفهم ماذا كانت أمها تمثل عندها . عند السنوات الأولى . والواقع أنه يحدث أن سيمون دو بوفوار بعد أن تحدثت عنهما طويلاً وهي تميز بين أحدهما والآخر ، بل توشك أن تعارض أحدهما بالآخر ، تلوح أمليل . شيئاً فشيئاً بأطراف . إلى أن نراهما معاً ، وأن نتحدث ألياً عن والديها - ولا نجروء على القول بأنهما «تصفهما معاً» . ولكن يحدث ، إلى ذلك ، أنها حتى قبل أن تصل إلى ذلك

«أما أصبحت ، على ذلك الضوء ، في عينها أمها هي نفسها ، إذ أقت بها ، في من المرافقة ، بأمت مما كانت لطفي بعينها فيس يلوأها . وأنا أعلم حتى القيم بأن أهدا ، إذ كان يفرح بانهضان حبسها ، أنها كان يفرح ، مع ما ، أن يريها ويصلي عليها الأمر (في ظروف كانت بلا شك تصليته هو ، على نحو غير ظلي) ولكن كيف يصلي لنا أنا نرى أنه كان بعد سرورا ، أيضاً ، في الاثنا بأن برنعا ضياءً إلى حبسها ، رداً يصطد الحق الصادر شعاع السرور ، كأنما لكي يحاطها على ألياً اقتراب ذلك القرب من تلك الانقوية التي لم يكن ثم مجال ، هذه ، لأن يستمر بها ؟ من التوضع على كل حال (وسوف نعود إلى ذلك بما قليل) أن موقفه كان له ، على الأقل ، تأثير في أنه أكد عندما تلك الاستطرابات الكلاسيكية جداً القابضة من اكتشاف التوضع الانثوي .

١ - نفس المرجع من ١٠٩ .

كانت قد تأدى بها الأمر إلى أن توزع بينهما الأدوار الخاصة بكل منهما والتي كانت قد حددتها ، أولاً ، لكل منهما . فقد رأينا أنها سوف تأخذ وشيكاً في أن تحس مشاعر مشبوبة نحو هذا الأب الذي كان يمدّها بالأمن والذي كانت ذكوره لا تعني لها شيئاً . ولكنّها هي ذي الأم التي كانت عاشقة لها ، أولاً ، وكان حضورها يزودها بمشعة حافية ، سوف تغمر غربة عليها بشكل عجيب ، حتى تشمل عندها القيّد الجائر الذي يقبضها منفصلة عن ذاتها . وهذان التطوران المتضادان ، ظاهرياً ، سوف يستهان أعمى إلى هذا التوزيع المشترك : معاناة للفشل ، أو القصور على الأذى ، بحيث يكون دور الأب ودور الأم ، هذه المرة ، متزججين إلى حدٍ يقل أو يزيد ... لقد شهدنا الميوط القاسي للعلاقة بالأب كان تطورها يبدو إيجابياً ، فلنحاول أن نحده الآن كيف كان الحال من جانب الأم .

إن القسمة الرئيسية التي نستعني بصري في المشاهد التي تلهم بها الأم سيمون الصغيرة ، هي أن هذه المشاهد ذات أصل يعود إلى القلق . تكبر الطفلة وتطول قامتها بضع مستحزمات ، وتتلقى التهنة ، وتنبه بذلك فخرأ . ومع ذلك فقد كان الخوف يتل مني ، أحياناً ... كنت أنظر إلى مقعد أمي وأفكر : « لن أستطيع بعد أن أجلس على وكرتيها »^١ ثم هناك أيضاً « تلك المرأة القتيبة الضحوك المراح » ممثلة كل الامتثال لزوجها ، ومع ذلك ظلها مزاج فيه حدة واحتدام : « كان .. فيها شيء ما ، كامل ، سيطر ... كانت تتبدى مع لوز ، مع أعني ، ومعى ، متسلطة ، أحياناً إلى حد التشطط » . وعلى أنها كانت محجولاً ، ملزمة بالأمور ، في المجتمعات فإنها إذا نالها أحد من غرامتها بضييق ، أو مستها بشيء ، كانت ترد على ذلك بالغضب والثورة والنفجارات عنيفة من الصراخ^٢ ونحن نتصور إذن إلى أي مدى كانت بتاتها تحسان أنفسهما مرغبتين على « الحكمة » :

١ - « ذكريات ليلة مستظلمة » ص ١١ .

٢ - نفس المرجع ص ١٢٠ .

« عندما كانت حينها تتألقان ، لو كان معها يَزَم » ، بساطة ، فأعتقد أنني كنت أعيش الجحش الذي كنت أعيجه في قلبها ، بقدر ما كنت أعيش سقوطي نفسه في عينيها . كانت مسئولتي تضاعف اعتنادي عليها ^١ .

ولكن الشعور بالسقوط ، نفسه لم يكن أقل مدعاة للخوف ، لقد ظلت سيمون الصغيرة معتمدة اعتماداً عميقاً على هذه الأم التي كانت تعد نفسها ، من بعض التواحي ، مسئولة عنها . « في كل لحظة ، حتى في أمتع أحراق قلبي ، كانت شاعدي . ولم أكن أفرق بالمرة بين نظرتها وبين نظرة الله » . إلى ذلك الحد تقريباً (سوف يكون علينا أن نعود إلى ذلك على كل حال) أنها لم تحس أن يجرها الله ، وأنها ، بكل بساطة ، افرقت عنه بمجرد أن فهمت أنه لا يستطيع أن يضمن لها ذلك الشكل من المطلق الذي كانت بحاجة إليه ، ولكنها ، على العكس ، عرفت حتى المعرفة ذلك الخوف المروءة بأن تتكرها أمها : « كان كل عتب .. وأدنى تطليب للحاجين .. سيهدد أمتي : إذا حرمت من تأييدها كنت أسس لنفسي الحق بعد في أن أوجد » ^٢ .

وها هي ذي الآن ما صارت إليه هذه العلاقة الجوهرية بعد ذلك ببضع سنوات ، في فترة البلوغ : « كان حنان أُمِّي يُثقل عليّ . كانت لما « أفكارها » التي لم تهتم بتبريرها ، لذلك كانت قراراتها تبدو لي تعسكية ، وهكذا كان يحدث أحياناً أن سيمون ، على الرغم من طواغيتها « ودمائها » المعتادة ، تصل إلى درجة أن تنازع في سلطنة ما عادت تؤمن بها ، وعندما

١ - نفس المرجع ص ٥٣ . أنظر أيضاً : « عندما كانت غامضة ، كانت تنظر إلي بعينين واسعتين » ، كانت أعاف هذا البرق العاصف الذي يجعل وجهها دائماً قبيحاً ، كنت بحاجة إلى إصابتها . (نفس المرجع ص ١٠) . وملاحظ أن البنت الصغيرة يدور أنها تصرف هنا بقرارة أنها ، على طريقة عاشق يغشى سخط عشيقته - لأنه يخاف حكيدها ، ولأنه في نفس الوقت يحس الله مسئول عنها ولا يظن فكرة أن يزلها ، ولأنه لا يجب أن تغد نعمة بهاها عندما يستبد بها الغضب - أنظر أيضاً « كنت أسس بالمطلع ما كان يدور برأسها » (نفس المرجع ص ١١٢) .

٢ - « ما تكررت ذلك مسطوية » ص ١١ و ١٢ .

كانت ترى نفسها مضطربة^١ إلى التسليم ، كان ذلك « والسخط يستبد بقلبيها » :
« وعدت نفسي ألا أفقر ظاً أبداً ما كنت اعتبره إساءة للسلطة » . وأكثر
من ذلك لعمراً : « كنت أحنن عليها أنها أبقت عليّ معبداً عليها ، وأكدت
حقولها عليّ »^٢ . وللاحظ أن السخط ، إذ يضاف هنا إلى القلق ، إنما
يؤكد ويحدد نفس الشعور العميق الذي كان يلقى بالاضطراب من قبل في
نفسها : « الشعور بأنها ما زالت حبيسة » حدودها التي تدعو للسخرية ،
وإنه منكور^٣ عليها « سلطانها الذي لا تحده حدود » . وقد كانت بلا شك
تتواءم مع ذلك ، إلى حد يقل أو يزيد ، في خلال كل الفترة السابقة ،
حين كانت ما زالت قادرة على أن تحصل من أيها على تعريف لذاتها كان
يبدو لها مطلقاً ، ولكن كان حسبها أن يخرج هذا الملاذ من متناولها ، حتى
تصبح الأزمة لا مفرّ منها .

ولحين لم رأينا أنها تخلت من الأزمة ، عندما تعي أنها ، أيضاً ، تحت
نظرة أيها ، هذا الجسم الذي يأخذ في اكتشافه لنفسها . فعندما كان أيوها
يحكم « سيادة » على مستوى العقل (« كنت لا أتصور أنه يوجد رجل
في مثل ذلك ») فقد كان يخلصها من العزوبة - من شقاء أن تُعد غير
جوهرية ونسبية - إذ يزعم أن يقيم معها علاقة التد بالتد ، والعقل بالعقل .
ولكنه ما يكاد يحزن انتظارها ، فتحها ، إذ يردّها إلى البعد العضوي لوجودها ،
فإذا هو نفسه قد أصبح نسياً ، مجرداً من وظائفه كمخلص التي تسارع
بأن تنقلها إلى آخر - ما - بطل رواية (في انتظار ما هو أفضل من ذلك) ،
إلى ملبرس أكبر سناً من البطلة الصغيرة « يتحلّى بأعلى الخصائص » يقههما
ويغريها وينصحبها ويتزوجها : « هذا الرجل المثقون .. كان يحسّم القاضي
الأعلى الذي كنت أعلم أنه سوف يعرف قيمتي يوماً ما »^٤ .

فقد ضاعت اللعبة ، مع أيها ، منذ تلك اللحظة . ولكنها تستغرق بعض

١ - نفس المرجع ص ١٠٧ .

٢ - نفس المرجع ص ١٠٧ .

الوقت حتى تتأكد من ذلك ككل التأكد : الوقت الضروري حتى يذكر
المراء ، ويسترجع تعبيراً مألوفاً لديها : « العمل » الذي تتطلبه المزيمة . لذلك
قلت إن « الحدث الأصلي » ، الانقسام الحاسم عن سعادة الطفولة ، لا
يمكن أن يحدد له تاريخ معين بالتدقيق .

ولحين نلجدها في خلال سياق تحدد هذا الوعي نفسه ، نحاول أن نحل
عمل العلاقات الشخصية التي كانت تمنى أن تقيمها مع أبيها « تحالفاً صامتاً »
— موجهاً فيما هو واضح ضد أمها . ولكن النتيجة الوحيدة التي تحصل
عليها ، على هذا النحو ، هو أن ترغم نفسها بنفسها على أن تقدر مدى
الاختلاف الحقيقي بين الصفا من الحقيقي لوالديها بين بعضهما البعض ،
وهذا التوافق الكبير للسخرية التي ظلت أنها تستطيع الارتداد اليه . وبمعنى
من المعاني أن يحدث منذ الآن شيء « الخطر » . لقد سدد إليها أبوها « ضربة
مزدوجة » : لقد انحاز ضدها ، ظلماً ، إلى جانب أمها ، التي حكمت
عليها إذ حاولت أن تستند اليه (« ما تدعو للسخرية ! ») كان ذلك بالفعل
خيانة لسيمون ، مرتين : إذ أكر عليها شخصاً آخر ، وإذ فقد في عينيهما
« العصبة المطلقة من الخطأ » التي كفلت حتى الآن قوة الخلاص . هل أنه
بمعنى آخر ، فإن تكف الأمور عن أن تخفي من شيء إلى أسوأ ، بالتقدير
الذي لا تحس نفسها فيه ، لقور ، قاذرة على اتخاذ عبء الانقسام على
حافتها . « بقي لوالدي قوة أن يجعلوا مني آفة » ، كنت أقبل أحكامهما وأنا
أرى نفسي بعين أخرى غير عينيهما . كانت حقيقة كيان ملكتهما بعد بقدر
ما كانت ملكي ... ١٥ وعلى هذا النحو ، بين الثالثة عشرة والسابعة عشرة
من عمرها ، كان على سيمون عدة مرات أن تكشف أن « أباهما لم يكن معصوماً
من الخطأ » أنه كان من الممكن أن يرى المراء وأياً آخر غير رأي أبيه « وأن
الحقيقة ، حتى من هنا ، « لم تكن مضمونة » ، فأما أن والديها كانا متضامنين ،
وكانا متفقين على أن يشكك فيهما ، وينازعاهما ، وكانا يقطنان معاً حاجيهما ،

ويقولان : من أسف ان سيمون ليست ولياً ! ، ، واما ان أباهما كان أملاً
عجباً في كتابها البسماني ، ويعدّها فيحةً عاطلاً من الجمال ، وانها
لا تشرّفه . وأنه كان في كل النقط على غير الخلق معها ...

وقد رأينا مدى جسامه خيبة الأمل التي أصبت بها ، عندما كانت في
نحو الثالثة عشرة . كانت طالبة في السوربون (في الأدب) وكانت تدرس
« الرياضيات العامة » في المعهد الكاثوليكي ، ويمكننا أن نقاچتها وهي تضع
في اعتبارها ما يلي ، وتسجله باعتباره واقعة جديدة البقت في حياتها لتوت :
« كنت لا أطيق أسري ، أكثر ، لأنني لم أكن استريح بالرة بالبقاء في
البيت . كانت أمي ، وعيناهما الى السماء ، تصلني من أجل ، كانت تن
على ما اتا بسيله من ضروب الشطط ، هنا على الأرض ، كان كل اتصال
مقطوعاً يتنا . كنت على الأقل أعرف سبب بليلتها . ولكن تحفظ أي
وصفته كافاً بدعائتي وبخطائتي أكثر بكثير . كان ينبغي له أن يهتم بالجهود
التي أبذلها ، بظلمي ، وأن يتحدث إليّ بودةً عن الكتاب الذين كنت
أدرسهم ؛ ولكنه كان لا يبدى الا عدم الاهتمام بل نوعاً من العدا
الغامض . وكانت بنت عمي جان قليلة الموهبة على الدوام ، ولكنها كانت
باسمة جداً وجميلة : وكان أبي لا يقل من ترداد أن لأعجب بتناً لليلة ،
ويتهدد . كنت مفيضة محقة . لم أكن أرنا ب في شيء يدعو لسوء التفاهم
الذي كان يفصلنا والذي ناه بقله على شيائي ... لقد نلرتي للدراسة وكان
يأخذ عليّ أنني عاكفة طول الوقت على كتيبي ... كنت أتساءل فهم كنت
آثمة ، وأحس نفسي قلقة لا أجد راحة في جسدي وكان الفلّ في قلبي ... »

وعندئذ نكتشف ، عن طريق اين عمها جاك ، جمال الأدب ومنهته .
وتقومها أمها للقول على أنها نقرأ الروايات ، ويتقدّها أبوها في اعتبارها
لكتبتها : « كانت هذه المعجمات تثير ثائرتي . وكان الصراع الكامن بيننا

يستطيع . لقد انساب طفولتي ، ومراهقتي ، دون اصطدام ... وبدأ لي
فجأة أن انصدماً حاسماً قد حدث في حياتي .^١

التي أصف العملية التي تتكشف هنا بأنها « التليسكوبية » ويتضمن عمل
سيمون دو بوفوار أمثلة لا حصر لها على ذلك . أننا نجد القسا بلزله نوع
من الظاهرة « المتدرجة » في درجات كل منها مغلقة على نفسها ، بلزله
حركة لأصابع الكلبة على البلوزيات ، كل لحظة فيها تبدو كأنها حاسة
على نحو مطلق ، بالنسبة للحظات التي سبقتها : كما لو كنا نشهد تأليف
دمية مركبة متداخلة ، من أول وأصغر عناصرها ، إذ يغلفي كل من العناصر
التعاقبة تحت العنصر الجديد الذي يحتويه - إذ يغلفيه (ينكره) بينما يعيد
إظهاره من جديد على مستوى أعلى (يؤكده ويدعمه) . ومن هنا جاء هذا
الانطباع « بالتليسكوبية » الذي يحسه المرء أحياناً ، عندما تتلاشى كليات
جزئية ما ، بقسوة ، على نحو غير متظر ، في كلية جديدة ، لا تبدو ،
إذا استخدمنا عبارة أقوى ، بالضرورة أكثر حسماً أو أكثر « كلية » .

وقد التقينا بهذه الظاهرة من قبل عند سيمون دو بوفوار ، وعلى الأخص
في « أمريكا يوماً بعد يوم » حيث تشكل سلسلة من التصريحات القوية التي
يبدو أن كلاً منها يظل أنه قد سبقته تصريحات لا تقل عنه قوة ... ولا أعرف
بالفعل شخصاً آخر قادراً على أن يردد ما يقول ، على بعد بضع صفحات ،
بحيث يبدو أنه يكتشف نفسه من جديد (أو أن يناقض نفسه دون أن يدرك
ذلك) . وهي طريقة العمل لتبديني في تحقيق عن الولايات المتحدة كما تبديني
في ثلاثة مجلدات من السيرة الذاتية ، فلا مانع من أن نعدنا طريقة أساسية ،
ولما كان يكفي أن نلاحظ ذلك حتى نضع موضع التساؤل لنفور علاقة الكاتب
بوجوده (حقيقته نفسها ، أجمالاً) . من وجهة النظر المزدوجة للممارسة
ولمعرفة الذات) ، ولا شك أن هناك ما يدعو بالحاج إلى أن نتحرى استخلاص

١ - نفس المرجع ص ١٥٧ .

المعنى الحقيقي لذلك . على أنه قد يكون من الممكن أننا نملك بالفعل في هذا الصدد توضيحاً كافياً .

كنت منذ قليل قد لعبت على كلمة «تليكوپ» : فإذا حدث إليها للمرة الأولى فذلك أنها يمكن (في معنى ثالث هو في الحقيقة أولئك المعاني جميعاً) أن توحي إلينا بفكرة أن الظاهرة موضع البحث الآن ، عند سيمون دو بوفوار ، ليست إلا ظاهرة «التليكوپية» أي الرؤية من مسافة بعيدة — والمسافة هنا ، كما هو مفهوم ، هي بُعد الشدة في الزمن . هذا فرض شديد الإغراء . ونستطيع أن نتصور ، بالفعل ، أن المرأة الناضجة عندما تتكلم عن الطفلة التي كانتها ، مضطرة من ناحية إلى التقريب — في سلسلة متقطعة من «المساحات الحافظة» من «الصور القابلة» — التقريب بين عدد من التبلورات في ديمومتها المجسمة ، فتشون بذلك التدفق الحقيقي لوجودها ؛ وأنه يحدث لها ، من ناحية أخرى ، أن تجسم في هذا الحدث أو ذاك من حياتها الماضية المعنى الذي لم يتخلده في الواقع عندما لا يعد يضع سنوات . مما يتلخص في استنارة صعبة تكتيكية في وضع الأمور موضعها الصحيح على مستوى القصة ، وإلى وهم بصريّ منسج الآن ، على نفس مستوى استعادة الذكريات . إن القسم بين هذين العاملين يكفي ، على ذلك النحو ، لتفسير الظاهرة ، إذ يجعلها تبدو كأنها بليدة ، فيما بعد ، لديالكتيكية معاشة لم تأت خطأتها المتعاقبة حقاً على هذا الشكل التكراري اللاواعي إلى حد قد يقل أو يزيد . والواقع أن زمن النصج كان أطول ، وتحولات الوعي كانت أقل عدداً . ولكنها أيضاً كانت أكثر حسماً ، في الحقيقة .

ألا أنني أرى أن هناك احتمالاً كبيراً في أن هذين العاملين قد تدخلوا بالفعل ، ولكنني اعترف أنني غير قادر على الرضا بهذا التفسير . أولاً لأنه ليس بالتفسير المرضي عندما يتعلق الأمر بأحداث قريبة العهد تحدث إلينا عنها المرأة الناضجة نفسها . ثم ، ولغرض كل شيء ، لأنه يبدو لي أن من المستيق تماماً أن سيمون دو بوفوار قد وعت قط هذا الظهور التكراري

للأوصاف التي نلصقها لها : ان الوضوح الملحوظ الذي لا تكف عن ان تبرز من عليه بازاء نفسها ، وتلك الطريقة التي تستطيع بها أن تنفذ الى نفسها وتلتقي على نفسها الضوء بينما القارئ لم يكند يستشعر الشرح بعد ، هو الضمانة الكافية على ذلك . أنها إذ تنصر على أن تقدم نفسها لأعيننا ، تحت هذا الشكل ، قائما نضطرنا اذن إلى أن نرى فيه إعتكلاً أصيلاً ، الى حد كاف ، لموقفها العيني ، لحركة وجودها نفسها . ولعلنا نحس هنا ، بالدقة ، إحدى النقاط التي يمكن فيها لعملها أن يروءى بأكثر ما يمكن ، إذ يتطلب منا جهداً حقيقياً في الفهم — فلا نستطيع أن نقاضي ، إذ أنها قد بذلت هذا الجهد بازاء نفسها ، أن نحاربه أيضاً بازاء أنفسنا .

لو أن سيمون دوبروفان لم فعل إلا أنها أعلنت تحت أشكال مختلفة ، عن عدد معين من المواضيع الأيديولوجية ، لسهل أن نحصى عملها ونعده . وأن نضعه في بطاقات ، أن نستخلص منه موجزات «الوجودية» في صورتها «النسائية» . ولكننا هنا بازاء امرأتين عذبت عزيمتها ، مبتكرة جداً ، على أن توجد وقت وعيها ، وكانت تطلبنا ، للفرار ، من الخطرية بحيث أن أي واحد منها كان ليحس العسرة ، في كثير من الاحيان ، وعنى بالفشل . وسوف أحاول عما قليل توضيح الاسباب الدقيقة التي تجعل هذه الحياة تبدو لي ، على العكس ، نجاحاً استثنائياً : وإنما أريد أن أوضح الآن أننا نعلم منها الكثير ، لحسابنا نحن أنفسنا .

يلوح لي بالفعل ، من وجود شئ ، أننا جميعاً «فصاميون» ، بل وإنما نستطيع ، في كثير من الحالات ، أن نكتب بأن نكون فصامين بوجه أكثر — إذ تأخذ على عاتقنا ، على نحو أفضل قليلاً ، لطلباتنا العميقة ، وابتعاد الشقة المحتوم بينها وبين الواقع . ان موقف سيمون الصغيرة بازاء والديها لا يمكن البحث عن مفتاحه في زيغ منظور بأثر رجعي ، من قبيل

المرأة الصحيحة ، بل يجب أن نبحث عن مفتاحه قبل كل شيء في وضع العقولة والمراقبة نفسه : فلفورياً عن هذا الوضع ، بالعكس ، يتضح لأعيننا الكثير من التصرفات اللاحقة ، بشرط واحد على الأقل هو أن نفهمه أولاً ، في كليته . إلا أن الصعوبة تأتي على وجه الدقة من أنه تعرض لنا هنا ، بالتناوب ، ككليات شتى متباينة تقطع بعضها بعضاً إلى حد يقل أو يزيد ، ومن ثم لا يبدو أن أباً منها يمكن أن يعتبر حاسماً . وإذا كان قد وقع ، في موضع ما ، حادثة (عبور خط ما ، انقسام فعلي) فإن يجب أن نضعه ؟ وإذا بقي هذا الحدث « غير قابل للتأويل » ، أسطورياً تماماً ، فكيف يمكن أن يساعد على تحديد الوضع الذي نجم عنه ، أي الوضع الذي تأتي له أن ينجم بآثاره ؟ إن هذه الأسئلة ، نظرياً ، لها وجاهتها : إذا كان النظام الذي يقال لنا عنه قد انبسط عبر ستين عديدة ، فلماذا لا نعتبر أيضاً أنه سوف يستمر طول الحياة ؟ وإذا كان قد وقع في لحظة معينة ، فبإسم ماذا ، نقرر اللحظة التي يمكن أن تكون هي اللحظة الصحيحة بين عدة لحظات حرجية ؟ أما عملياً (وأقصد بذلك : مع اعتبار الوسائل التي يحتاجها وجود ما لكي يتغلب على الظروف الأولية التي تشرطه وتحدده ، بأي قدر من الفعالية) فإنه يجب أن نضع ، بالتأكيد ، في نفس تلك النقطة التي تركنا فيها طالبنا ، منذ قليل ، تصارع معابيتها سوء التفاهم العالي ، المرة الأولى ، في هذه النقطة يجب أن تضع تحقق الانقسام في اللحظة الرابعة : لأنه في تلك اللحظة أصبح الانقسام ممكناً . وعلى سبيل البرهان العكسي : على هذه المحاولة في تحديد الموقع ، نسجل أنه في تلك الفترة ، بالقيط ، بدأ لها الانقسام بالفعل ضرورياً . ذلك أن والجمية هذه المرأة انقسامية قدعشتا إلى حد لا نهاية له ...

لقد تم الانقسام عندما صار ضرورياً لها .

إن سيمون دوبوفوار (في السابعة عشرة ، في الثامنة عشرة من عمرها) تكتشف مرة واحدة ، معاً ، في خلال بضع شهور : حرية حياة الغالبية

(« ألقى بي أعيراً في وسط الرحمة الانسانية المتشابكة »)^١ والمكبات العادة ، والمريد من الكتب أيضاً ، من خلال صداقتها بأن معها جاك (« أخذ الأدب في حباتي المكان الذي كانت تشغله البداية : غزاها غزواً كاملاً » ، وحوّلها لحولاً »)^٢ ، والحياة الاجتماعية أعيراً ، عن طريق المحامرات جازيل . إن لديها هذه المرة شيئاً تعارض به - شيئاً ترد به حل - ما يضعف عليها ويخفقها منذ عدة سنوات : أنها تخلك وسائل الهرب ، هي في نفس الوقت وسائل لتحقيق الذات ، أنها في وضع يسمح لها بأن تلزم ، بأن تضع مشروع مستقبل حقيقي سوف يكون مستقبلها إذ أنه يتوقف على اختيارها الشخصية . إن حريتها نفسها ، بكلمة واحدة ، هي موضع المسألة . بهذه الامكانيات الأولى للمسألة الواقعية التي تكتسبها دفعةً واحدة : أي التي ينبغي أن تكتسبها منذ الآن ، والا تعرضت لعقوبة الكار لا علاج له . « ... لم اكن مقبولة ... كنت متعبة . واستأثر بي اللقي ، لأنني تحققت أن الناس تأخذ عليّ ... المستطيل الذي كنت ألزم فيه : إن تكون هذه المقاطعة نهاية : كنت دائماً مدقة ، عاطفة بالناس ، موضع التقدير ، كنت أحب أن يعني الناس : كانت قسوة قدرتي تعطيني - وقد أنزلت بها من جانب أي ، كنت قد اعتصمت على رأيي ومبادئه ، وعطفت ، ومواقفتي ، وكانت تعبئة أعمى عميقة عندما أنكرها عليّ »^٣

عل أننا لا نستطيع هنا حتى أن نضع افتراضية إعادة تشكيل الماضي : وغير دليل على أننا بازاء لزمة انفعالية هو ما تفعله بنا يوميات الخاصة بطريقة مزدوجة - بالافتراضات المختلفة التي توردنا لنا في « مذكرات ثناء مستطبة » ، وبغض حقيقة أنها تكتب يوميات خاصة ، لأول مرة ، في تلك الفترة بالذات . إن هذه الحاجة التي احسها لتحديث الى نفسها .

١ - « مذكرات ثناء مستطبة » ص ١٢١ .

٢ - نفس المرجع ص ١٨٦ .

٣ - نفس المرجع ص ١٨٨ .

لنؤكد نفسها على ذلك الشعور بلزاه نفسها ، هي "إلهاتيك المكسي" للامكانية التي تبحث لها شعيراً بأن تعترف لنفسها بوحدها وانفصالها : "التي وحيدة .
 الرء دائماً وحيد . سأكون دائماً وحيدة ... " . وإذا كانت قد صارت قادرة على أن تنظر مواجهةً الى "الحض" الذي تقاسي منه ، وتعدده بعبارات صريحة والصحة ، فذلك انها منذ الآن ، الى حد يقل أو يزيد ، في وضع يشجع لها أن تنكره وتنازعه حقاً : "لم أكن أفهم لماذا كان يديني أبوه ، وكل المحيطين به .. كنت ، على كل حال ، ضحية جور ، وشيئاً فشيئاً استحالت عيالي الى نمود .^١ وبالتالي ، اذا كانت تستطيع عندئذ أن تلاحظ "ما من أحد كان يقبلي على عيالاتي ، ما من أحد كان يعنني" ، فذلك أنها قد وجدت ، ضد هذا الضيق الذي بناها ، رداً حاسماً هو أن تحب وجودها لنفسه حياً عازماً : "سأحب نفسي الى الحد الذي يكفي لتعويض هذا الجحيمان ، هذا ما قررت . كنت فيما سبق ، اوثم نفسي ، ولكنني لم أكن أهتم كثيراً بمعرفة نفسي : اما منذ الآن فقد زعمت أنني مزدوجة ، وأتني أنظر الى نفسي ، والزمصد نفسي ، وفي مذكراتي كنت ادخل في حوار مع نفسي .^٢ ومن الواضح أن هذا الانطواء الظاهري على نفسها إنما يصدور في الواقع عن القنح على العالم كان له تأثيره العميق ، في اشكاليه المختلفة ، على الفترة التي نحن بصدددها .

لقد تم الانفصام عندما لاح لها ضرورياً : عندما أحست نفسها قادرة على أن تنكسبه قيمة . اننا نفهم قطعاً أن مثل هذه الفتاة الصغيرة ، اذا اضطرت الى أن تؤكد نفسها دون أي تأخير (كان عليها أن تنظره طويلاً) وأن تعتمد على وسائل لم تنح لها بعد فرصة تجربتها ، كان تلقاً كبيراً : ان الارض المألوفة ، والرسي العالي القديم تسوخ تحت قدمها ، يجب أن تلقي بنفسها الى الماء ولكن كيف تتأكد - لمجرد أنها رأت الآخرين (بعض الآخرين)

١ - نفس المرح من ١٩٠ .

٢ - نفس المرح من ١٩٠ .

يسبحون... أنها سوف تكون قائمة على السباحة ؟ ان تقدم .. ألا تقدم ..
 أنها قد أتت ، بالتأكيد ، وهي لا تقدم فحسب ، بل تقرر أن تجعل من
 ذلك فرصة حياتها . «كنت أعني» نفسي بهذا المضي الذي دفعني إلى كل
 تلك المتاع العالية ، كنت أحضر أولئك الذين يجهلون ، وكنت أعش لأنني
 استطعت أن أعيا ، طول تلك المدة ، من غيرها .. ساحلي الأدب ، على
 الأقل ، على أن أرتد من الحزن إلى الكبرياء ... لم أكن أعالي من شقاء خامس
 بل كنت البذل في معركة حامية ..^١

لعلنا قد لاحظنا أن النصوص التي نوردتها ، منذ بعض الوقت ، تنحصر
 في نطاق نحو عشرين صفحة من «مذكرات فتاة مستقيمة» ونحن نفترض
 أنه ليس ثم مجال ، في نطاق هذه الدراسة ، أن نتبع هذا المنحى في كل
 العمل . لذلك يعني أن أوضح على كل حال أن أكثر من عشرين فقرة أخرى
 لأبعاد معادلة - أربعمائة صفحة من المجموع - جديرة بالتأكيد باهتمام
 لا يقل عما سبق ، وأنه مما لا يظلم إطلاقاً أن نتطرق هنا بأن أضع فقرة
 ما في موضع الامتياز بالنسبة لكل الفقرات الأخرى .

إن من يفرض ، عن عمد ، مرة واحدة ، في هذا العمل ، يستحوذ
 عليه حقاً ، أولاً ، غناه الخلق أكثر من أي جانب آخر من جوانب
 العمل : هذا التدفق الذي لا يتوقف للملاحظات من كل نوع - عن العالم
 الخارجي (المشاهد والموضوعات) وعن العالم الإنساني البشري (العلاقات
 بين الوعي والوعي ، والظواهر الاجتماعية ، الخ) ، أو عن الكتابة نفسها ،
 بذاتها الحية - وتلك الموهبة الأصيلة البالغة الأصالة على الكتابة ، وهي
 الموهبة التي تقع عند منبع ذلك التدفق . وقد سمعت ، وقرأت (وحدث
 أنني قلت لنفسي أحياناً ...) أن هذه الكتابة تستغد صبراً ، إذ لا توفر
 علينا أية ملاحظة من أدق الملاحظات وأصغرها عن العالم أو عن حياتها نفسها :

١ - «مذكرات فتاة مستقيمة» من ١٩٠ و ١٩٣ .

ولكننا اذا وزنا كل شيء بميزانه الدقيق رأينا أن جمهورها نفسه هو الذي يفهم قلبه بذلك ، في سمته ، وفي عمقه معاً . ان ما لم يثبت التقاد حالياً ، والا لفسى أحياناً ، لكي نسجله (ذلك أننا بلا شك كنا نسعى وراء « أفكار ») كان الآخرون يقرأون حقاً ، بكل روحهم ، وبكل حسهم ، إذ يتعرفون فيه على أنفسهم ، ويصلون فيه أن يروا العالم . ولكن هذا العمل أيضاً يتضمن مع ذلك مواضع ، وأشدّ خصوص هذا العمل غلوّاً انما يشعرون تأثير هذه المواضع بأكثر بكثير مما يتكرونها . وإذا كان يمكن لهذه الدراسة أن تكون لها أدنى أهمية بإزاء ذلك العمل ، فمن يكون ذلك بلا شك الا بأن نتوخى أن تفرج قراءة له تُظهر هذه المواضع الجوهرية وفقاً لهذا العنصر الجوهرى .

فإذا اعتبرت الآن إن ألح بصفة خاصة على هذه المرحلة الحرجة - من بين مراحل أخرى كثيرة - من وجود كاتبنا ، فذلك أنها بدت لي ، من وجهة نظري ، نموذجية حقاً . هي نموذجية بالظهور القوي لظاهرة التوضيح الذي استخلصته منها العوامل الرئيسية شيئاً فشيئاً ، وهي نموذجية أيضاً باعتبارها أزمة انفعالية أولى ، ونموذجية تخطيطاً لكل الأزمات المستقبلية ، ولكن عليها نموذجية فوق كل شيء ، بمعنى ثالث ، لا ينظر على الأرجح إلى أن يكون وثيق الصلة بالخاصيتين السابقتين ، ويبدو لي بالفعل أنه منها يصدر التحلل الواعي والحاسم لبعض خطوط القوة التي تشكل بتتبعها فكر سيمون دو بوفوار . ولذلك ينبغي عليّ أن أعيب بالقارىء أن يصير صبراً لا نهاية له ، وإن أدعوه إلى أن يعود مرة أخرى إلى بدايات هذه الحياة ، وإلى العشرين صفحة هاهنا ، لكي يرى فيها أخيراً مجموع العمل كله بخلاف نظاماً ، وهيكلاً .

سيمون الصغيرة إذن تأخذ في أن تحيا ، تحت أمينا ، انزعاجاً ما ، واتصالاً وطعاماً : أي تحيا الثقة من نوع من « الحاضر » المطلق ، مطمئناً بالعلاقة على نفسه ، إلى حضور في العالم مفتوح على مستقبل حقيقي ،

بناصبها الجمال ، يتهددها ، ويضعها موضعاً نسيأ . ونحن نعرف أن البنت الصغيرة جداً التي كانت ترى القراب المحطة التي لا تعود تستطيع فيها أن تجلس على ركبتَي أمها ، كانت تحس مثلك الخوف من أن تطرد من ذاتها هي ، أن تفقد كثير منها نفسها ، و «لقتها - حياتها» : «كان المستقبل يوجد فجأة ، كان سوف يغيرني الى العزى تقول أنها أنا ولا تعود هي أنا . لقد احسست كل ضروب القضم . والانتكار . والمجران ، وتعاقب موتى .. كنت أعرف نفسي محكوماً على» بلشفي .»

لا داعي أن نجادل المرأة الناضجة هنا ، عن المحتوى الحقيقي لومي الطفلة : تنطق الأدلة : من جانب أومن آخر ، والحجج الطريفة لا تكفي قطعاً لتعويض هذا النقص . وللاحظ بدلاً من ذلك أن هذا الخوف على أي حال قد ظل في حالة الخوف المارود للكثوم ، طالما لم تتصور سيمون الصغيرة المستقبل الا على جنس نموها الطبيعي نفسه ، أي باعتباره بأنها دون أن تملك من أمره شيئاً : «كنت قد ازددت طولاً بمقدار سنتيمترين أو ثلاثة .. وظللت ازداد طولاً» . ولكن لا داعي لأن تنهر ذلك لكي تُغفل الدقة التي نجدها في هذا الصدد ، حتى لو افترضنا أننا نعتبرها سابقة لتاريخها الى حد ما ، الدقة التي تتحدث بها عن المظهر النهم لملابستها بالعالم : «كان العالم ، عن طريق فمي ، يدخل اليّ على نحو أكثر حميمية مما يدخل عن طريق صينيّ أو يدي .. كنت استفيد ، على نحو مشوب عتيد ، بامتياز الطفولة التي تروى في الجمال ، والترف ، والسعادة ، الأشياء» توصف ، كنت أمام محلات الحلوى في شارع قاقان ، أجمد ، ممتلئة بالسطوح النير لتأكلتها المكثرة ، وتقلب الألوان للكثوم في مربيّات الفاكهة ، والازدهار المحيط للونيون الحامض المرّ ... كنت أفرقع تحت اسناني قشرة فاكهة مكشّعة ، فنيغير بازاء سقف فسي فقاعة النور ، بطعم الزبيب أو الانساناسي ، كنت أملك كل الألوان وكل ألصق

الذهب ... كنت أملك العيد كله ... هذا العالم الذي نسكنه ، لو كان كله قابلاً للأكل ، قابة لنبضة كنا سوف نحكمها عليه ! . على أننا نجد فيما يلي أنها لم تعد البنت الصغيرة بل سيمون دويغوار التي تحدثنا : « وانا فاضحة كنت أود لو قفست اشجار التوز المزعرة ، وعصفت في توز مغيب الشمس . بلزاه سماء نيويورك كانت ألوار الثيون تلبو حلوى هائلة ، وأحسست بالهبوط ^١ . » والواقع أننا لنا بحاجة الى هذه الاشارة الصريحة البالغة الصراحة لكي نعرف ، في هذه الذكريات من الطفولة ، الرغبة للشهقة لتتملك المباشر ، جنون الشراب والشبع الذي سوف يظهر بعد ذلك في التزهات عبر البروفانس أو في الرحلة الى أمريكا . والفرق الوحيد هو أنها ، مع ذلك ، قد خرجت عن المرحلة القصبة ، التي يحدثنا عنها المحللون النفسيون ، وأن الحاجة الى التملك عن طريق القم قد أصبحت رمزية صرفة بالنسبة الى حصة معمة شاملة تظهر ، حسب الأحوال ، كرسية في أن تأخذ أو أن تؤخذ ، في مداعبة العالم أو أن يداعبها العالم .

ما زالت هناك بعد نقطة العبارة في هذا التخييل الشهم : ذلك أنه يبدو ، من خلال نقلا شئ متعاقبة ، تحتفظاً بمعناه الأصلي - هذا المعنى الذي نقترحه علينا سيمون دويغوار ، في حكاية شارلوت التي كانت لوزير نقرأها لها عندما كانت صغيرة جداً ، وكانت « تقتلها » . شارلوت ، ذات صباح ، تجد بجانب سريرها قبضة من السكر الوردية ، توشك أن تكون كبيرة كبيرها : « كانت هذه الببضة هي البطن ، هي المهد ،

١ - مذكرات غدا مستظية ، ص ١٠ - ١١ - « كنت أملك برقي وحصى ، حلوى السكر هذه ، كنت سوف أفرح بطورما بين أمالي ، سوف أسبق بلزاه مغف لسي جلديها الفلاح ، وسوف يكون لي حل اللسان طعم الزبيب أو الليمون ... كنت أريد أن ألق حول مغني هذه الألوار ، أن ألبسها وألبسها ، أن أكلها ... (أمريكا يوماً بعد يوم) ص ١٣ و ١٩) .

ومع ذلك فقد كان في الامكان قسمها وأكلها . « هذه البيئة » ، بالتأكيد ، هي العالم . بصورته المزدوجة باعتباره بيئةً محيطيةً وافيةً . وموضوعاً قابلاً للأكل : فانا قبلت أن تكبر ، فانا ستجد حماية أقل فأقل ، وانا تطافرت بأنها تملكها . اذ تأكلها ، فانا نحكم على نفسها ، بنفسها ، بالعدم . وبعد أن تتخذ شارلوت الموقف الثاني ، تصغر وتصغر حتى تصبح دقيقةً في غاية الصغر . وقد أفضت في آخر لحظة من هذه الظاهرة الغريبة للتطور العكسي . وها هي ذي قد رُدَّت ، بالعدم والخوف ، الى الموقف الأول - الذي يتلخص في أن نكلم نفسها ، في جشع ، بالغذاء الخفيفي ، أي نلتهم العالم مجسماً ، لا بالصورة فقط . وتتوحد شارلوت الى الطيب في حالة انفتاح بالغ ، فتعود في النهاية الى أبعادها السوية ، اذ تتبع نظاماً للأكل أعقل وأحكم . أما سيمون ، من ناحيتها ، فتعود الى السلام والهدوء : « كنت أخرج سليمة معافاة من الظاهرة التي اعتزلتني إلى جنين ، وغيرتني الى سيدة كبيرة ، بالتأويب . » والغلامية : يجب أن نقبل أن تكبر ، بلا شك ، ولكن مع احساس مسبق بأننا سوف يكون علينا أن نتكبد عناءاً كبيراً لكي نحفظ ، عبر تعصبات النمو ، بسيادة لا يمكن أن يكفلها ، مرةً واحدة وإلى الأبد ، لا البحر ، ولا الحرب والتنازل عن الحياة (اختيار وضع المطلق في عدم الكينونة) ولا السلوك « العدواني » ، الذي لا يفتأ جوعه ، لتملك العالم تملكاً كلياً (محاولة تمثيل الكينونة على نحو مطلق) .

وهذه العلاقة المعقدة بين الأمن الأولي للطفلة وتطلُّبها السادة ، الوثيقة الصلة ، دفعةً واحدة ، بأول تحفُّلات الوعي عندها نفسها ، هذه العلاقة هي التي سوف تشكل حفدة تلك الأزمة التي يجب علينا الآن أن نعود إليها . لقد تأكدت سيمون أولاً ، في عيشها نفسها ، بحب والدتها وسعادة ستواتها الأولى : وما أن أحست ادنى تهديد بالخفي يُفعل عليها حتى وأبناها تحاول أن تؤمكد نفسها بنفسها . ولكن طالما كانت الوسائل تعوزها ، فقد كان عليها أن تلجئ بالاحتجاج ، بلا طائل ، دون أن تستطيع حتى أن تعترض

المبررة الأولى ، خيرة السيادة المعطاة ، بتأكيد عليّ ما لطلب أن تكون ذات سيادة . ونحن نقسم أن هذا الطلب ، من هنا ، يمكن له طويلاً أن يحتلظ بالحكم بأن تكون ، ما تزال ، معترفاً بها ، أن يحتلظ بحاجة للنوام ، برفض النظام رفضاً بحتاً كاملاً : « لم يكن أريد أن يفرض عليّ المستقبل الخصامات ، كان لا بد أن يحتوي عليّ كل ماضي » كنت قد فقدت أمن الطقولة : ولم اكسب شيئاً في مقابله ^١ .

وعلى ذلك النحو تظهر لنا ، وهي في نحو السابعة عشرة من عمرها ، مرحلة الحساسية بالبحور الذي وقع عليها ، اذ وقعت عليها تلك النسبة في وضعها الأصلي وفي الدلالة الإيجابية المطلقة التي كانت قد عزتها إليه . كان لها حقوق ، كان لها مدخل إلى الكينونة : ولكنها أحيطت ، في ذلك شيئاً غريباً . كانت تعرف نفسها متفردة ومبررة ، وكانت تعتقد أنها نجا في الحب وفي الحقيقة ، كانت تتصور نفسها معترفاً بها كلى الاعتراف ، محبوبة كلى الحب ، ومع ذلك فقد كانت ، منذ الآن ، وعلى غير علم منها ، بُعد لها في مكان ما ، مصير مضى الحب ولو اصبه ، والاستخفاء ، والكذب ، والشك ، والوحدة ، والسأم . ليس ذلك فقط « جوراً » بل هو « خيبر » : وقد مسّت مشاعرها من ذلك بمخرج حقيقي ، بقدر ما تحسّ نفسها محدودة ، مصنوعة من جديد ، مفضلة - معني عليها ^٢ .

١ - « ما كرات ثلاثة مستقيمة » ص ١٠٦ - ١٠٧ .

٢ - « كل أولئك الذين أحسوا وأسمعن ، قد أنشروا ، في انظارهم ، بل في قلوبهم ، بالكلمات الأخيرة من « قوة الاقبياد » التبر القرمزية لكي أتبر - قبل أن استطع أن أوفى بمناماً حياً من « صرح الصل » - إل أن القيادة للسطور : السبت : « لقد خدمت ، كلمة تقع سويةً نسبياً للغاية ، منذ الآن ، من عدد من التصريحات السابقة ، تخصني إلى نفس السقط وإن كانت قليلة أكثر . وعلى سبيل المثال : « لقد اجتاحوا عليّ » لم أعرف من الغطاء ، وكنت بعيدة من السام كده - « من ذا قلبي قلبي ، ولوفني في التسمية ؟ ماذا ؟ وكيف ؟ » - « كنت أعين لنسبتي نجا ولم أكن إلا أداة ثانوية : لقد استأثروا عليّ » (« قوة العسر من ص ٧٥ »)

« ما كرات ثلاثة مستقيمة » ص ١٩٠ و ٢١١ .

ولا نتردد في القول ، ما دامت أوحشت اليها هي نفسها بذلك : ان موتها حقاً هو الذي توتّر أن به هنا . ولهذا السبب وأنها ، دوراً بعد دور ، تسوّف وجدانها به ، حتى اللحظة التي يبدو لها فيها ، أخيراً ، ثباتاً أن نفلت من هذا الموت ، بأن تأخذ على حافتها حياتها : ويبقى أن هذه اللحظة هي أيضاً اللحظة التي يغيّر وجدانها فيها من طبيعته ومن معناه . حتى لو كان مصوغاً بعبارة معروفة من قبل . إذ يصبح ، بلا رحمة ، هيباً محدداً . ذلك أن الأمر هنا لم يعد أن نتصور بل أن نحيا هذا « الشقاء » هذا التشكل السبتي لحياتها هي . إن ما تضطر طاليتا الصغيرة أن تحس به ، في جلدها ، هو الوجه العكسي نفسه لما كانت تظنه كميوتتها ، هو اللامعة للشمس الذي كانت تُعيّط بحياتها . وهذا الانطواء الشاق القاسي . الذي سوف يجعلها نائياً تعي نفسها إذ يرغمها على أن تُحمل تطلّعات حقيقية على التأكيدات الساذجة والتهافت الخلة لاستعداداتها الطبيعية الأولى . هذا الانطواء إنما كان عليها أن تلقاه من نفس أولئك الذين أحبتهم أعظم الحب ، من أدنى اقاربها إليها ، كأنها تتلقى منهم نوعاً من العنة الأليمة .

ليس في ذلك ما يدعو للتعفّف . فالعلم يعرض لنا ، ونحن نصل الى أن نمسك به ، من خلال الآخرين وبهم : ومن ثم فإن كلاً منا ، عليه أن يكتشف ، في الآخرين ، « الصورة السلبية » لتلك الصورة الغريبة « الاختيار » لنفسه . ما هو له ، وما هو ليس له ، هذا الاختيار الذي يتم تلقائياً ولكن صاعداً من وضع يستطيع الآخرون وحدهم أن يأخذوه على حافتهم . إن « الصيّر » الذي يوقد بنا العلم ، يعلمنا لنا الآخرون ، ومن خلالهم نحسّ ، وهم أيضاً الذين يكتشفون لنا ، بمعارضتهم لنفس الآمال التي ولدوها هم فيها ، عن المحتوى العملي « خلقنا » الشخصي .

إن « العمل » الذي تتطلبه الجريمة ، والذي أشرت اليه فيما سبق ، هو العمل الذي يُعمّله فيها الواقع ، هو القول الصعب المؤلم لهذا الوجه العكسي متاً ، من هذا الواقع الآخر الذي يتأصّبنا الفصام ويجعلنا نسيبين في أعيننا

نحن أنفسنا ، بنفس القدر الذي كان قد أعطي لنا به أن نكون ، أولاً .
ويبدو لي أن سيمون قد استخلصت أفضل ما في هذا الصراع الجوهري الذي
عاشته على محور الخاص من الحياة والتمهيج (وذلك في نفس الوقت تقريباً
الذي استطاع فيه جان - بول سارتر ، كاتب « الكلمات » في المستقبل ،
أن يصوغ لنفسه فكرة شطبية على ألقاض طفولة « سعيدة ») : ولكنها
استخلصت بطريقة الخاصة ، بمقتضى إيقاعها الخاص ، ومع اعتبار خيرة
محدودة لم تكن لتختلط بأية خيرة أخرى .

أنا سوف نرى أن « كل » « الكلمات - المقاييس » في عملها ، تتحمل
معنىً لن يزداد فيما بعد إلا محققاً (أو ربما ميلاً وانحناءً ، إلى حد يقل أو
يزيد) ولكنه معنىً لن يكون أبداً ، على أي حال ، منكوراً . هنا تمت
سيمون الصغيرة ، هنا تولد امرأة سوف تدور همومها الجوهرية حول العالم ،
لأنها سوف تعرف كيف تقياسها وتعبّر عنها باسمه .

في هذه الثقة ، من الحياة المعاشة ، إلى الوجود ، إلى الحياة محمولة
مسؤوليتها إلى حد يقل أو يزيد ، يبدو من ثم أن تشكلت مسبقاً الموت بلعب
دوراً منذ الآن وليسياً . ان كل « الفصل » واعٍ هو بالفعل نوع من الموت
يتضح أن امثلة كثيرة منه ، قد تكون نهائية كالطمران من الحياة نفسها .
ان سيمون ، وقد التزعت من نفسها ، وطردت إلى النفي ، وانكرها أهلها -
بعد أن أصبحت فتاة - ترى القلق المجرد الذي كانت قد خبرته في طفولتها
الصغيرة ، يتجسّد وينجسّم .

ان ما كان يلقاها عندئذ هي أنها لم تكن توجد قبل مولدها وأنها توجد
بمحضر من عالم من الموضوعات التي لم تكن توجد يومي ، التي لم تكن
تستطيع أن تقول عن نفسها . « في القرون الغابرة ، أي صمت الكلمات
التي لا حياة فيها ، كنت استنصر غياني أنا : كنت استنصر حفيظة موتي ،
وقد استحضرت بقياس خاطيء » ولكن قلقها لم يلبث طويلاً ، فقد

كان الله هناك لكي يضمن مخلوقها . فلتذكر من ذلك على الأقل أنه كان يكفيها أن تصور نفسها وقد انحطت (ولو لم يكن ذلك إلا تحت قساعات حورية من حوريات البحر تنزل عن المخلود ، في سبيل الحب ، وتستحيل إلى زبد) حتى تحس نفسها في « رعدة » من العدم ، إذا كان يبدو لها ، في نفس الوقت ، أن « العالم كله قد تردى في الصمت » : ونحن نراها ، من ثم ، مبهكة جداً (وهذا ألبتأ لا يهم كثيراً في أي تاريخ محدد دقيق كان ذلك) تربط مصيرها بتصوير العالم الذي كتفت رسالة بأن تقول عنه - لو تقول عن نفسها على أي حال - والذي يبدو لها أنه يعتمد عليها بقدر ما تعتمد عليه .

على أنه إذا كان يمكن لهذا القلق أن يولد من جديد ، ويتجسم ، فذلك بقدر ما سوف تحس طالبة الآداب والرياضيات نفسها ميتة من العلم الوحيد الذي كانت تألفه ، دون أن تعرف بعد ما إذا كانت أوجه الحرب التي تخلفها إلى عالم جديد سوف تصبح عندها قبضات حقيقية على الواقع أو إذا لم تكن هناك إلا لكي تفصلها وتوقعها في الصعوبة بطريقة أخرى إذ تُكدر لها موتاً عالمياً ما : « في ذات ليلة ، في «الاجريتر» عندما كنت قد رقدت لثو في سرير ريفي فسيح ، انقضّ القلق عليّ ، كان قد انفق لي التي عشت من الموت حتى تصعد اللعوم إلى عينيّ ، حتى أصرخ : « ولكن هذه المرة كانت أسوأ : كانت الحياة قد ترحلت منذ الآن ، وسقطت في العدم ، ما من شيء عاد شيئاً ، إلا إذا كان ذلك ، هنا ، في هذه اللحظة ، هو هذا الطلع الذي بلغ من العنف أنني ترددت في أن أذهب أدنى على باب أمي ، أن أزعج نفسي مريضة ، حتى أسمع صوتها . وانتهت بأن تحت ، ولكنني احتفظت من هذه الأزمة بذكرى مروعة . »

إن عذاب والديها يزاء هذا العالم الأوسع الذي هي بسبيلها أن تكتشفه

كانه فرصة للتحور ، ما يزال يشلها الى حد كبير : وهي ما زالت الى حد
 بقل لو يزيد تمثل لنوام لا تقلها ، ونحس نفسها ، لذلك ، عاجزة فاصرة
 القوي الى دوجة خطيرة . «لم يحكم عليّ فحسب بالنفي ، بل لم ينح لي
 أيضاً أن افاضل ضد جذاب مصري .. سررت على السبل الى أيّ ملاذ ..
 كنت قد أصبحت متعلقة ، وكان يلزم أن يكون حوالي عالم مختلف : أي
 عالم ؟ ما الذي كنت أتمناه بالضبط ؟ لم اكن أعرف حتى أن أتقبله - وكانت
 هذه السلبية تدفعني الى اليأس . لم يبق لي الا الانتظار . الى متى ؟ ستين ؟
 أربع سنوات ؟ تلك فترة طويلة عندما يكون المرء في الثالثة عشرة من عمره .
 وإذا قضيتها في السجن ، موقفة بالاخلال ، فسوف أبعد نفسي ، عند
 الخروج ، ما زلت وحيدة ، دون حب ، دون حداثة ، دون شيء ما ...
 والسرّة الأولى في وجودي ، فكرت باخلاص أنه كان من الأفضل أن أكون
 ميتة على أن أكون حية .^١

إذا أردنا أن نفهم ما هو الموت عند سيمون دوبوفوار ، فيجب أن
 نفهم العلاقة بين هذا الخوف من الحياة وحيدة ، في غير طائل ، ومجرد
 الخوف من الاختفاء الذي نقينا به من قبل ، والذي تقع أول صياغة له ،
 في ذكرياتها ، في نحو الخامسة عشرة من عمرها . "إن ما يتضح من ثم أن"
 الهول الجسدي للموت ، إذ يمر بهذه الأزمة الحاسمة التي وصفناها ، يميل

١- نفس المرجع ص ٢٠٩ - ٢١٠ .

٢- نفس المرجع ص ١٣٩ . «بعد ظهر أحد الأيام ، في باريس ، أتلفت أنني محكوم
 على بالموت . لم يكن هناك أحد غيري في الشقة ، ولم أكنج جماع بأيّ : صرخت ، وأنتجت
 انقباضي في قطع الأهر للفروش على الأرض . وعندما نهضت متيلة ، سألت نفسي :
 «كيف يفعل الناس الآخرون ؟ كيف فعل ؟» كان يجوزي من المستحيل أن أها حياها كلها
 ولقيبي بضره الموت . وقت نفسي : عندما تقرب النهاية ، عندما يكون بالفعل في
 الثلاثين من عمري ، في الأربعين ، ويخطر : «إن ذلك سوف يحدث غداً» فكيف يظنه
 المرء ؟ كنت أعيش ، أكثر من الموت نفسه ، هذا الخلع الذي مرعان ما سوف يكون من نصيبي
 والى الأبد .»

الأن أن يخطئ بهول العجز وفقدان القوى - أي الضعاف والعدم الدلالة .

وهي إذ رأيت عنها يموت ، وهي في الثامنة عشرة ، تقول لنا آية « حاصفة »
« عانت بها » طوال يومين : « ... لم أكن أطبق هذه النظرة الفارقة التي
كان عمي قد ألغىها إلى امرأته قبل أن يموت مباشرة ، والتي كان قد
تمّ فيها بالفعل ما لا يمكن تداركه . ما لا يمكن علاجه : تلك الكلمات
راحت تدقّ رأسي ، حتى لتكاد تنفجر ، لتجيب لنا كلمات
أخرى : « عتوم لا مفر منه . لعلي أنا أيضاً سوى أرى هذه النظرة
في عيني الرجل الذي سوف أحييه طويلاً »^١ . فهي إذن تلقي هنا بصورة
موت آخر ، ولكنه آخر سوف يتعرف عليها ، سوف يكون « قاضياً
الأجل » ، وانقضاه سوف ينفد حياتها هي ككل معنى . ذلك على أي حال
هو هبتها الأول منذ الآن : ألا تحيا من غير طائل في سبيل لا شيء . فإذا
كان ما يزال يحدث لها أن تخطئ وتناضل « كما لو كانت في الخامسة عشرة »
- أن تصرخ « مرتعبة ، وبداها ميلولتان فديتان ... ضائعة القلب : لا
أريد أن أموت ! » - فذلك وهي تعرف هذه المرة أن المرء يمكن أن
ينتهه الموت في سياق الحياة نفسها : « ولا لم أكن ملتزمة بأي مشروع ،
كان الوقت يتحلل إلى لحظات تتكرر لبعضها البعض بلا نهاية ... « كنت
أجد أن الموت أخوف ، لأنني لم أجد سبباً للحياة »^٢ .

فسوف يكون الموت إذن ، بنفس القدر ، هو الغياب عن العالم ، وحيث
الحضور فيه إذا كان مفقوداً إلى معنى . ومن ثمّ فسوف يكون الموت ،
دوراً بدور ، « معاشاً » في السأم (في القول ، عند الحاجة القصوى) وعلى شكل
قلق ، تبعاً إذا كان تأكيد النعمة على المعطى الموضوعي أو على التطلب الذاتي
لتجاوزه . والرابطة الأساسية بين هذين الشعورين هي العلاقة بين الوضع
والحرية التي تحدد القدر الإنساني في الوجودية : فالسأم هو الوضع ، والقلق

١ - « مذكرات ثلة منسية » ص ٢١٤ .

٢ - نفس المرجع ص ٢٢٩ .

هو أن يكون على المرء أن يتغلب على السأم ، وهو لا يعرف ما إذا كان سوف يكون « في مستوى الظروف » . وكل فكر سيمون دو بوفوار يقرب بحلوله في هذا الصراع الأصلي بين الطائيات المطلقة بالحرية ، وقسوة الأوضاع المحددة ، بين القامرة بالوجود وهذا الموت الكامن في قلب كل حياة .

وهي ، محكومة عليها بالموت ، وعليها أن تحيا في علم ليس في عينها ما يجب أن يكون عليه ، تحسن من ذلك ، أولاً حقاً عيناً ، وسخطها أكثر استناداً بقدر ما يتأهبها الشك في أنها تستطيع أن تتأهل هذا « الضيق » الذي يوقع عليها ، بمشروع واقعي ما : ولكن هذا الشك نفسه يشير إلى أنها تستشف منذ الآن ، إلى حد يقل أو يزيد ، إمكانية استرداد « حقوقها » بواسطة الخاصة . فمثل هذه اللحظة (وبقدر ما تبدأ اتفاق جديدة أن تتفتح أمامها بالرغم من كل شيء) يجلب الصراع - بينها باعتبارها مركزاً للعالم وبين العالم باعتبارها متارعة جزئية « لسيادتها » - إلى أن يدخل في طور ديبالكتيكي ، ويكشف عن أن يكون معارضة لا طائل فيها بين تعدد استراتيجي وعرضي لا يمكن تجاوزها . ولن يكون عملها كله ، وحياتها جميعاً ، بعد الآن ، الاكتفاء لا هوادة فيه ضد كينونة العدم نفسها (شبح غيابها القادم أو اللامعنى المحتمل في حضورها) وضد عدم الكينونة (وهم حضور أو معنى معطين إلى الأبد) : ولنقل إننا بصدد كفاح تمس ضد سأم أن تحيا وهول أن تموت .

ولكن من المسلم به أن أهمية كل من هذين الشعورين سوف تتباين كثيراً تبعاً لفترات حياتها المختلفة . فالسأم باعتبارها راجعاً إلى العجز المؤقت الذي عرفته بالفعل إلى حد يقل أو يزيد قبل أن تصير امرأة ناضجة ، قد يخضع انخفاض بوشك أن يكون تاماً منذ أن زاولت مهنة ، وبخاصة عندما أتبع لها أن تتأهل جمهوراً حقيقياً - فلا يعود للظهور ، بشكل مختلف أقل الاختلاف إلا بعد أن تبلغ عامها الخمسين . أما هول أن تموت فيبدو أنه

ظلّ يحضرها طوال حياتها ، ولكنه قد تعدد ، في وقت مبكر الى حد ما ،
 يقول متزايد من أن تشيخ . وهالك على سبيل المثال ، فيما يتعلق بعض
 ردود فعلها وهي في نحو السادسة والعشرين من عمرها ، أيضاً بالغ الدلالة
 يمثل فيه معاً (الأول مرة بلا شك) هذا السأم أن نحبها ، وهذا القول المردوج :
 وفي يوم من أيام نوفمبر ، ونحن جالسان تحت شجرة مفهى «دي مويث»
 في الماهر ، كنا قد استنكرنا طويلاً ، وثابة مستقبلاً . كانت حياتنا قد ألزمت
 احداها بالآخرى ، وصداقتنا قد ثبتت ثبوتاً نهائياً ، ومستقبلنا العملي قد
 ارتسمت خطوطه ، والعالم يحضي في سياق سيء . لم تكن قد بلغنا الثلاثين ،
 وما من جديد بعد كان سوف يحدث لنا ، أبداً ! كنت في العادة لا آخذ هذه
 الشكاوى على محمل الجد . ولكنني كنت أحياناً اسقط من الأوليب الذي
 كنت ألق عليه . كان يحدث لي ، اذا شربت يوماً كأساً أكثر مما ينبغي ،
 أن أذرف سيولاً من الدموع ، واستيقظت صبوتى القديمة الى المطلق :
 واكتشفت من جديد غرور الغايات الانسانية ومثول الموت ، كنت آخذ
 على سائرته انه ترك نفسه يقع في أحبولة تلك التعمية البشعة : الحياة . وفي
 البد كنت ما أزال تحت أثر ضربة نور هذا الوحي . وفي بعد ظهر أحد الأيام
 كنا نتمشى على سفح تلك الكتلة من الطباشير التي يكسوها العشب الباهت
 النقي ، والمظلة على السين ، في «روان» ، ودخلنا في مناقشة طويلة .
 كان سائرته يتكرر لنا فلفتي بالحقيقة في الحمر والدموع ، فالخمر ، حسب
 ما كان يقول ، كانت تصبني بالانقباض والكآبة ، فالتمس لحالي اسبابا
 ميتافيزيقية ، على نحو مغلوط المطلق . اما أنا فكنت ادافع بأنني إذ أحطم
 الرقابت والدفاعات التي تقينا عادة من البدييات التي لا تطاق ، فأنسا
 الحمر ترغمني على أن انظر مواجهة الى تلك البدييات . واعتقد اليوم ان
 الحياة ، في الظروف المتأثرة التي اتجمع بها ، تحتوي على الحقيقتين اللتين
 لا يمكن الاختيار بينهما ، واللتين يجب مواجهتهما معاً : مَرَح أن أوجد
 وهول أن أنتهي . ولكنني في ذلك الوقت كنت اتلهذب من احدهما الى

الأخرى . ولم تكن الحقيقة الثانية تتطلب على الأول إلا في حطقات ساطعة وجيزة ، ولكنني كنت أظن أنها حقيقة من أصدق الحقائق .

« وكان يفتني هم آخر : كنت أشتج . لم تكن مسخني ولا وجهي تعزيبهما غضون الشيخوخة ، ولكنني كنت ممن وقت لآخر أشكو من أن كل شيء حوالي يهت لونه : كنت أئنّ بأنني لم أعد أحسن شيئاً . كنت ما أزال قادرة على أن أحس «رعدات» النشوة ، ومع ذلك فقد كنت أحس بفقدان لا يعرض . وسطوح الاكتشافات التي اكتشفتها عند تخرجي من السوربون كان قد أخذ ينشت ، شيئاً فشيئاً . كان تطلي إلى المعرفة ما زال يجد ما يزوره ، ولكنه لم يعد يصادف جديداً باهر اللاأ^١ .

ومن ثم فإن السعادة نفسها ، في هذه الفترة ، تصبح متازعاً فيها عندها ، إلى الحد الذي يحدث لما فيه ألا تضعها في مقابل الشقاء إلا على نحو ملغوف ،

١ - « قوة السر » من ٢١٤ - ٢١٥ - من الممكن بلا شك لصديق بصورة خدات من النصوص كثيرة (من هذا الجهد) نسج ، في قصود ، أسب النصوص لتصور المواضيع الرئيسية في هذا السجل : ولكن ذلك ليس في غنى هذه الدراسة ولا في نطاق أهدافها . وإذا كنت قد طرقت أنه لا بد لي من قياس قدرات كثيرة ، حتى الآن ، فذلك لأنه كان من المهم علي أن أعرف القاري بالأسس المنهجية لهذا الفكر (الاستعدادات الطبيعية الأولى لصاحبه هذا الفكر والأزمة البدائية التي اضطرتها أن تدرك ، عند الصالح بالإنسان الفارسي ، في سرقها « الطبيعي » كما أعرفه بمبدأ التكراري من طيب عامر - حتى يمكن - بالقبض ، أن تستخلص من عوارده الكبرى دون أن يكون علينا أن تتبع خطوة خطوة كل تغيرات التلويح المتعاقبة التي يشكل بها كل موضوع ، ويصير ، دون توقف . هذا أن القاري لا بد قد استطاع أن يلاحظ بنفسه ما في مثل هذا المنهج لثقلات والثروات والثقافات التي ، من حرج وصعوبة ، إذ أن المواضيع كثيرة كما في الحال الآن ، لتفاعل والتشاك في نفس مهلك هذا السجل ، فمن هذا الآن ، يصعد « فهم » و « فهم » Comprendre ، على الموضوعات ، و « لها » يطبقها إلى البطل بناءً « poco d'ensemble » ، ويجب أن نقتنع ، بالنسبة لكل منها ، بأن لترك « روحها » (عل أن يكون لها أن تذكر ، بالترقيم من كل شيء . هنا هناك ، شيئاً أو آخر من « حرف » الموضوع بنصه ، إذا كان يبدو حالة دلالة خاصة) .

عقليّ غنائس ، يوشك أن يكون مُعْجَلاً ، تحت شكل «مرح الوجود» . ولكنّ ذلك ، في الجملة - على شكل مصغّر وموّد إلى النسيب - صدى انقسام الخطر وقع في الثامنة عشرة من عمرها ، في نفس لحظة لزمتها : «السعادة ... كنت قد عرفتها ، كنت دائماً قد أردتها ، ولم أكن استسلم بسهولة إلى فكرة أن أُنشِج عنها . فإذا كنت قد قررت ذلك ، فإذا ذلك لأنني ظننت أنها متكررة عليّ إلى الأبد . لم أكن لأوقها عن الحب ، عن الصداقة ، عن الجنون . وكنت ألزم بمشروع قد نُكِّر إلى وحدة لا علاج لها . وكان لا بد لاسترداد السعادة ، من أن أعود إلى الوراء ، من أن أسقط : وقررت قانوناً يقضي بأن كل سعادة هي في حد ذاتها سقوط . كيف أوقى بينها وبين الفسق ؟ ... لم يكن محظوراً عليّ ، في مقابل ذلك ، أن أرحب بالبهجة ، وكانت البهجة غالباً ما تأتي . ذُرفت دعواً كثيرة في خلال هذا الفصل ، ولكنني عرفت أيضاً البهارات عظيمة .»

وهكذا يتحدد منحنى الظاهرة العامة المتولدة ، على كل المستويات معاً ، عن تلك الأزمة التي اخترنا أن نعدّها أصلية حقاً . إن موقف سيمون دو بوفوار لا يمرّ ، من جراء ذلك ، دفعة واحدة ، بنسيب جنسية : فإنها ، في نشاطاتها العقلية وفي علاقتها بالطبيعة وفي معظم «نسلاتها» ، سوف تُبدى ، لفترة طويلة إلى حد يقدّر أو يزيد ، تطلّبات مطلقة ، ومطالبات عنيفة ، و«فأولاً» «هأذا» ، و«هنا» بالكثيرة «قريباً» من القصص . ولكن الواقع أنها منذ هذه اللحظة سوف تُجدّ نفسها تجاهد متعانة مزدوجة قيمها الأولى ، لمولفها الأكثر تلقائية : فهي من ناحية ، بالتفصيل ، تشهد تفجير المطلقات المعطاة لها ، والاضطراب الرئيسية التي تحكم روتابها الأكثر مباشرة ، للعالم . وهي من ناحية أخرى تعي منذ الآن العلاقة العملية التي تميل للقيام بينها وبين العالم وسوف تجعلها أكثر مسئولية باطراد عن وضعها هي في العالم . ومنذ هذه اللحظة ، إذن ، فإن الدود

في قلب الفاتكة ، وقد استقرّ النسي في قلب المطلق .

ولعلنا نحصل على أسلم تعريف للغموض الذي يشجع عن ذلك ، على صعيد علاقتها بالله .

ذلك أن الله عندما ، كان أولاً الأب (« هناك في أعلى ، كان الله ، وكان ينظر إلى »)^١ . ثم ظهرت لها هذه « الكينونة » العليا التي كانت تحدثها ، أساساً ، من خلال الطبيعة ، كأنها عليا أكثر مما ينبغي ، إذا جاز القول : كاملة بلا طائل ، غريبة كل الغربة « عن العالم الذي يضطرب فيه الناس » . أما هي فقد كانت متعلقة جداً « بالبعثات الأرضية » ، ومطلقة للغاية حتى أنها لا تتصور « مصالحات مع السماء » ، و « لا تؤكّد الله وهي لا تعيش من غيره » ومن ثم فقد كان لا بد لها أن تنقطع الوشيجة ، كما تقول لنا ، وهو ما فعلته وشيكاً^٢ . إذا كان الله موجوداً ، فقد كان محكوماً عليها بأن تحس نفسها آتمة : كان ذلك يبرهن بما فيه الكفاية على أن الله لم يكن موجوداً .

على أنها في قلب أزمتها ، سوف نتمسّ على تلمّس « خلاص » ، على « الاستقرار في المطلق » : إن الهمم هو أن يتزعج المرء ذاته من الأرض ، وعنده يمسّ الخالد . « أو تقول (بعد ذلك بقليل) : « لم تكن الأرض عندي شيئاً ، كنت خارج الحياة ... كان العيب البشع لكل شيء قد أخذ بثنائي ، ولكنني كنت قد ضلّت ذرعاً بالمعاداة ، كنت قد بكيت كثيراً في الشقاء القاتل ، واغترعت لنفسي أملاً » . وفي لحظات التباعد الكامل عندما كان العالم يبدو كأنه قد أُحْزِلَ إلى لعبة من الأوهام ، عندما كان يتلاشى الأنا عندي ، كان ثم شيء يبقى : شيء لا يقبل التدمير ، شيء خالد ، كانت

١ - « مذكرات فلاد ستيفنة » ص ٨٢ .

٢ - « ما بعد الكائن » دارتات في ذلك (انظر المرجع السابق ص ١٣١ - ١٣٩) .

٣ - نفس المرجع ص ١٩١ - ١٩٥ .

لا مبالاة في تظهر لي ، في الغواء ، حضوراً لعله لم يكن من المستحيل بلوغه .
لم أكن أفكر في الله السحيقة ، كانت الكاثوليكية تتجاوزني أكثر فأكثر ..
كنت اتساءل ما إذا لم تكن عبرات معينة ، فيما وراء حدود عقلي ، قادرة
على أن تسلمني المطلق ... وأعلنت أنني أريد أن ألتصق بالله أو أصبح
الله ،^١ .

ولنسجل هنا الإبهام الخاص في طريقها الوجودية : هذا الأسلوب
الذي تستمد به القائلة بما يضعها وضعاً نسبياً ، مع تأكيدها أكثر من
أي وقت مضى دعواها في المطلق .

ويعني من المعاني ، لا يظهر أي تقدم ، بل نستطيع ، دون إساءة نية
إلى أكثر مما ينبغي ، أن نحمل هذا الطلب « أن تصبح الله » على محمل
تكويري ما ... إذ تعد الثقة البسيطة السابقة في الوجود على نحو مطلق تحت
نظرة الله ، أكثر تواضعاً . ولكن كيف لا نلاحظ من ناحية أخرى أنها ،
في الثقة من هذه الثقة إلى ذلك الطلب ، بعيدة عن أن تضع نفسها داخل
حدود ضيقة ، عن أن تتركب رأسها في أن تعود فتصنع من جديد ذلك
التأكيد البسيط اللطيف لكنوتتها الذي كان ممكناً حتى ذلك الحين نتيجة
للاتعزال الوافي في مقولة مدبرة ؟ كيف لا نرى أنها تدخل هنا ، على نحو
لا رجعة فيه ، في عالم الأخلاق ؟ هذا « التواضع » النسبي جداً الذي كانت
تتصرف به فيما سبق ، لم يكن كبرياءً ، بالفعل ، ولكنه كان ضرورياً بحثاً :
كانت سيمون هي سيمون وكانت تفتن بأن تكون . وكان كل شيء حولها
يضمن ذلك : والله نفسه أيضاً ، من ثم - فقد كان دوره دائماً أن يتكرر
لغاية كل حياة أرضية إذ يعدها بقيمة سماوية ، أي بأن يحرك أدنى « مخلوقاته »
بطبيعته ، فيجعله فلاناً قريباً ، بأن يضعه في مركز خليقته ، بالنظرة المطلقة
التي يتعطف أن ينظر به إليها .

١ - ص ١٤٤ - ٢٩٥ . والارجع أن الامون الأخير مشته من يومياتنا الخامسة .

على أنه مما يحذر بالملاحظة ، فيما يلوح لي ، أن سيمون الصغيرة قد اعتادت لفور ما بين هذين الدورين ، أن تعزو اليه الدور الثاني ، ولعلّه ينبغي أن تلاحظ بعد ، أنها إذا لم ترضَ به على تعري دأتم ، فذلك ، بالضبط ، بفكر ما أدركت وشيكاً أنه لا يختلف قطً عن الدور الأول ، ذلك أن هذه الطفلة لم تكن تحس نفسها «مفردة» بطريقة سلبية رضية . راضية بالمرّة : فما أن «كانت» مفردة ، حتى أرادت أن تكون ذلك^١ . أي أنه كان عليها ، في مهلة وجيزة ، أن تنزل هذا الإله عن عرشه ، ما دام حديه على العالم لم يستطع ، بالضبط ، أن يمنحها الكينونة إلا ضمن الاختلاط بكل أشباهها من الناس ، ذلك أنه كان يتبع لها ، بالتأكيد ، أن تعدّد كينونتها الخاصة حتى الابتعاد اللا محدود للكينونة المطلقة ، ألا يكون لها «حضور بعد» وأن يكون لها «وزن أكبر» : ولكنه إذا كان يتبع ذلك للجميع ، فإن المفرد والامتياز ؟ وطوق كل شيء أين المني - القيمة - في هذا الاعتراف ، المزعوم ، بها ؟ لقد رأينا سيمون دو بوفوار تفسر نفسها ، منذ قليل ، أن خيبة أملها ، بإزاء إله المسيحيين ، إنما جاءت من قصور كاهن كانت تعترف على يديه وكان يحكم عليها بأن تجد نفسها وحيدة في مواجهة الله . ولكن من الواضح أنها كانت لتتوأم مع هذه الخطوة لو أنه لم يكن ، في عينها ، من قبل ، موضع منازعة ، نتيجةً للحاجة شبه الجبرية التي كانت تحسها بأن «تكون شيئاً ما له وزنه» ، بأن توجد باسمها الشخصي وبذاتها ، بإزاء هذا الإله الذي كانت تنتظر منه تأكيد كينونتها هي . لقد تابعت معه ، بالتأكيد ، حواراً ، بلا نهاية ، نعم : ولكن ذلك في الواقع لم يكن إلا حواراً زائفاً مع الطبيعة ، بدت لها بالمقارنة به ، علاقاتها المتنازعة مع أيها قادرة

١ - لتذكر هنا عبارة الطينبا جا من قبل : «هذا الحضور الذي كان يؤكد لي أنني أنا ، لم يكن يعرف على أحد ، ما من شيء كان يحسه» . ومن المصعب أن يكون قد حسه أحد ، ولو كان الله ، فقد انحصر على أن يفهم بقلوب . وهي ملاحظة كانت قد طرقت عليها سابقاً بهذه الكلمات النصية : «كنت أحمّد مقدرة القادر على كل شيء ، على القيد مسن كل القاصب الارثوذكسية» . (مذكرات هانا ستيفينة ، ص ٢٠١) .

على توليد اعتراف بها أكثر تحسباً وتحييداً. كانت أولاً ، بإزاء أيها ، متفردة حقاً ، بينما لم تكن الطبيعة تمنحها إلا صوراً متضادة : صورة شجرة البلوط المشوكة ، بالتأكيد ، ولكن صورة « الوحشة بالاشتراك مع الامتساب » أيضاً . لقد أرادت دائماً أن تحس نفسها « الأخرى » وأن ترى في اختلافاتها عن الآخرين « غماسة تفرق سوف يعترف به العالم كله يوماً ما »^١ : كان ذلك أن تحكم على نفسها سلباً بأن تستبعد نفسها ، أن أجلاً أو عاجلاً ، من مملكة الكينونة ، لكي تدخل شامت أم أيت ، عالم القيعل .

إن ما يبدو لي مميزاً في هذه الطريقة الخاصة ، هو أن تكون الثقة من مملكة إلى أخرى ، معتبراً عنها بهذا الظهور ، ومتفوعة في الوقت نفسه بهذا التصميم : ذلك أن عنها الوحيد سوف يكون إذن (ولفترة طويلة) أن تصنع نفسها كينونة ، أن تستولي بنفسها على هذه الكينونة التي لم تكن قط عن أن تدعيها . ونحن هنا ، كما نوحى به كل الدلائل ، بصدد تركيب راجع بين الفعل والموى ، نجد اغراء قوياً بأن ندحضه ، إذ نضع في معارضة سيمون دوبوفوار (في معارضة هذا الموقف الجسم المحدد الذي كان موقفها) لفكرة « وجودية » معينة تتحمل مسؤوليتها المشتركة من جانب آخر . وأسارع بالقول إن طريقتها ، في عيني ، ليست متعقبة بالمرء ، بل أنني أرى فيها ، على العكس ، مرجع كل مشروع أخلاقي له أقل قدر من التماسك .

هذه المرة تحس بهول الموت ولا معنى الحياة : أنها تريد أن تكون وأن يكون لها معنى . ولكن كيف « تكون » دون أن تكون عائدة ، وكيف يبق المرء في المعنى الذي « له » إذا كان هذا المعنى لا يفرض نفسه على كل وعي آخر ؟ يجب إذن أن تكون أخرى ، مختلفة ، متفردة ، لا تقارن ، بإزاء أحد ما ، ودون أن تكف عن أن تكون أبداً ... وفلورنس تخدع نفسها ، أنها ليست إلا فتاة صغيرة بلا عبقرية ، ما من امرأة يمكن أن تقارن

١ - « مذكرات فتاة مستقيمة » ص ١٠٧ .

تسبها بي . ولكن كيف البرهة على ذلك ؟ فعندها وعندي على السواء نفس اليقين . وهي لا يساورها القلق بشأنى ، بينما هي ذلك الجرح الكاوي في قلبي . قالت لنفسها في اضطرام سوف أبرهن على ذلك ^١ . وحينئذ بالفعل ، بحاجة ان تكون مركز العالم ، وهي لا تطيق كل حين يظهر تحت عينيها ، ومن هنا فانها لا تنجيه الى شخصها . انها تميل الى المطلق ، ولكن عندما يقول لها فوسكا انها مجهولة لكني تؤمن بالله ولدخل الدبر ، فان اجابها تأتي مباشرة : « هناك من المختارين أكثر مما ينبغي بكثير .. ومن القديسين أكثر مما ينبغي بكثير .. كان ينبغي الا يحب الله أحداً سواي . » ^٢ . هذا هو ما نعرفه حتى المعرفة حول أن تكون تالفة غير متميزة : « كان ذلك عذاباً قديماً جداً . كانت متبددة على أرض معشوشة تماثل هذه ، وعندها على الأرض ، والحشرات تجري في ظل العشب ، وكانت الأرض المعشوشة غابة هائلة وروية تنصب فيها آلاف من عidan العشب الصغيرة الخضراء ، كلها متعادلة ، كلها متشابهة ، تُخفي العالم عن إحداها الأخرى . وكانت قد فكرت ، بقلق ومضيق : لست أريد أن أكون عوداً من العشب . - « صعد الى شفتي ريجين غيثان يشع : في البراري ملايين من اعواد العشب ، كلها متعادلة ، كلها متشابهة .. وأعطت وجهها رين بديها . عود من العشب لا شيء أكثر من عود من العشب . كل أحد كان يظن نفسه مختلفاً عن الآخرين ، كل أحد يؤثر نفسه ، وإلجميع يندعون أنفسهم وكانت قد حددت نفسها كالأخرين . - « ... كان قد اختفى ، لكنها ظلت كما صنعها : عود عشب ، ذبابة صغيرة ، تسلمة ، مرققة من زيت . ونظرت حولها : ربما كان هناك فخرج ، ومس قلبها ، على رهبة ، شيء ما ، خفي مستدق كأنه طرفه جفن . » ^٣ ومع ذلك فني هذه الصفحة

١ - « كل البشر قانونه من ١٢ .

٢ - نفس المرجع من ٦٣ - أظن أيضاً « كان الله يحب كل البشر ، لكنها لم تستطيع أن ترضى بهذه النهاية الجيدة التي لا تميز فيها ، كانت قد كفت عن الايمان به » (نفس المرجع من ١٩) .

٣ - « كل البشر قانونه » من ١٦ و ٦٨ و ٣٥٩ .

الأخيرة من «كل البشر قانون» نتردى ويحين في الجحيم ، وتعلق سيون
دويونوار على ذلك : «لقد استشقت ... خلاصاً ولكنها لم تجد القوة
على أن تطف عنه : كان ينبغي لها أن تثبت بمحدوديتها» .^١

ولن يصعب عليّ أن آتي بعشرين مثلاً آخر ، ولكن الحركة العامة ،
هنا ، والتي بما فيه الكفاية ، وموضوع الرواية نفسه ، من جهة أخرى ،
معروف . المرء ليس ما يزعم أنه يكونه : بل يجب أن يصيره ، يجب البرهنة
على أن المرء هو ما يكون . المرء ليس متفرداً في نظرة الله أو الأبدية ،
ولا يستطيع المرء ان يكون غير قابل لأن يحل محله أحد ، في وعي الآخرين ،
الا بأن يتخذ ، معهم ، محدوديّة مشتركة . الانسان هو فان : ولكنه يستطيع
أن يجعل كل لحظة من هذه الحياة أبدية بأن يقبل أن يحياها مع الآخرين .
في نسبه المطلقة . وهذا الامتلاء محظورٌ على فوسكا العاليه . فهو ، محكوماً
عليه بأن يحيا دائماً أبداً ، لا يفاقر قط بأية خاطرة واقعية ، لا يستطيع بالفعل
أن يحس حياته نفسها ، أن يبلو واقع أفعاله ، أن يخلّد أخيراً متعانه ونمرداته
بأن يذهب حتى الموت في سبيلها إذا اقتضى الأمر . «نظر أرمان وجارنييه
إلى أحدهما الآخر ، وأضحت بعينيّ . بتلك النظرة كانا يريان أحدهما الآخر
تلك البهجة التي تنفجرت في قلبهما ، كانا يجدان القوة على مواجهة الموت ،
وأسياباً للحياة ، في هذه المبادلات الطاقرة .» - «كانوا رجالاً» يرينون
أتمام قدرهم كرجال ، باختيارهم حياتهم وموتهم ، رجالاً أحراراً - «كانوا
يؤمن حياتهم حتى تكون حياة رجل - لم يكونوا تسلاً ، ولا ذباباً صغيراً ،
ولا كتلاً من الحجر ... وكانت الأعطاب تشعل ، وكانوا يفتنون .» -
«كانوا ينظرون إلى أحدهم الآخر ، كانوا يضحكون معاً .. ولأنهم كانوا
ينظرون ويتحدثون إلى بعضهم البعض ، فقد كانوا يعرفون أنهم لم يكونوا
ذباباً صغيراً ، ولا تسلاً ، ولكن رجالاً ، وأنه كان من المهم أن يعيشوا
والن يكونوا ظاهرين منتصرين ، كانوا قد خاطروا ، أعطوا حياتهم لكي

١ - «قوة الأتله» ، ص ٧٥ - ٧٦ .

يقتضوا بذلك ، وكانوا بذلك مقلّنين : لم تكن هناك حقيقة أخرى .^١

ثقة ، ذبابة صغيرة ، أو حود من عشب ، ذلك بالفعل هو ما نحن عليه ، كل منا ، في هذا التكاثر البغيض المزعج الثلاثة آلاف مليون من أنشباها على سطح الأرض : وما أقل ما يهم ما ينطبعه كل منا ، في مقابل هذه البهنية . ان ربحين تريد أن تكون ، وهي تحس تماماً أنه يجب عليها ، بأعمالها ، أن تيرهن على ذاتها : لكنها تختار على السهولة ، وتنتظر خلاصها هي من رجل يبدو لها خالداً ، وعندما تأتي لحظة الانفصال ، القطام ، تموزها القوة لمواجهة وضع واقعي تستشفه أخيراً ...

بحيث أن «التوس» الذي يمكن ان تستخلصه من الكتاب أعقد ، ربما ، بما قد يبدو لأول مرة ، اذا وضعنا كل شيء موضع الاعتبار . فإذا كان يقال فيه إنه يجب التخلي عن المطلق ، وإذا كان يقال فيه ، بالفعل ، وبكل تلك القوة ، إنه يجب ان يريد المرء على نحو مطلق ما يريد ، وأن يستطيع الاعتماد على نحو مطلق على ذاته حتى يستطيع أن يُعَد به وسط الآخرين ، أن يعتمد به معهم ، ومن أجلهم . ذلك في نظري هو النضال الحقيقي لسيون دويغوار ضد الله ، ضد كل مطلق ، ضد كل وعي متعدي (الحائق ، الأب ، أو أي رجل جدير بالاعجاب) ، أي ، أخيراً ، ضد الانحراف الذي تحس به هي نفسها بأن تضع المطلق موضعاً في غير ذاتها ، موضعاً في غير قدرتها هي على الوجود . لكنها لن تراها تتخل أبداً عن هذا المطلق الشخصي المرتبط ارتباطاً حقيقياً بحريتها نفسها . ولن تهبط حدة تطليقاتها الأساسية أبداً بقدر درجة واحدة : سوف تأخذها على عاتقها ، على نحو أفضل بأمراد ، سوف تجعل منها ، أكثر فأكثر ، قضيتها ، وهماطرتها ، وسوف تسجل ضروب النجاح النسبي فيها كما تسجل ضروب الفشل النسبي - وعلى أي حال ، فالواقع أنها لن تتنازل عنها أبداً .

١ - «كل البشر قانون» ص ٢١٧ - ٢١٨ ، ٢٢٧ ، ٢٢١ ، ٢٥٢ .

أنا نرى أن هذا الانقلاب الكبير في آفاق نظريتها ، الذي لاحظناه بين لحظة البلوغ وبداية من "التضوج" ، لم يكن على أي نحو إنكاراً لمطلق المصلحة النسبية ، ولكنه ثقة من حياة نسبية ، مضمونة ، يفسلها المطلق ، إلى مطلب مطلق يجهد أن يتحمل عبء نسبية الفعلية .

وقد لاحظنا وقوع هذه الظاهرة على عدد من المستويات (مواضيع السأم ، والقلق ، والموت ، والمعاناة ، والمطلق نفسه) ^١ . ولكن كل المواضيع الجوهرية التي تولد هذا العمل تضرب بجذورها فيها ، بنفس القدر ، كلها تصدر من هناك ، وكلها تتأثر بهذا التغير في النظرة ، بهذا التحول الدقيق المرهف - الجليدي مع ذلك - في الموقف .

فلنأخذ على سبيل المثال ، الوضع النسائي : ويقدّر ما يكون سخيفاً أن نزعّم أن كل الأفكار التي عبرت عنها سيمون دو بوفوار في "الجنس الثاني" كانت من قبل هي أفكارها في نفس مستوى تلك الأزمة ، بقدر ما يبدو لي من الواضح أن هذه الأفكار تمنح عصاريتها الحقيقية من تلك الأزمة ، وتضرب فيها بأقوى جذورها .

ولعل القارئ يذكر هذا الوضع من النسبية الرائقة الذي نشأ بين سيمون (في الثانية والنصف من العمر) وأختها بوييت ، منذ ولدت هذه الأخيرة ، فقد كان أحد طرفي العلاقة يحفظ ، في حينها هي ، بقية مطلقة ، بينما لا يمثل الطرف الآخر بالعكس في هذه العلاقة إلا على نحو نسبي كل النسبية . ومع ذلك فبعد ذلك بقليل (« وعندما كنت في نحو السادسة من عمري ») أصبحت « الدمية المدورة الوجه » ، أنثى صغيرة ، وسوف تكف عن أن تخرج بالديكور أو تلعب دوراً مفيداً ، لكي ترى نفسها قد لوتفت إلى مرتبة شخصية فعلية . على أن هذا الارتقاء إنما يرجع إلى أن وجود بوييت

١ - أما عن هذه ثلاثة الأخيرة ، فقد استلطنا من قبل في الجزء الأول من هذه الدراسة ، أنه يترسم أكثر تطوراً ، إلى حد ما ، ولكن دون أن نستطيع أن نقولها حقاً : لأنها لم تكن تعرف بعد ، مثلاً ، حوافرها الأمامية ، الأكثر أسالة .

تفه يُشجِّع عندئذ سيمون « ألا تكون مُسلماً بها ، بدون ملاذ ، للكبار » :
« لم أكن أحميا وحدي ، وضمي كطفلة ، كان لي مثل ... »^١ أن مجرد
التحليل لامتنادات هذا الانشغال الأول ، وتحولاته المختلفة في تلك الفترة
المرجحة ، سوف يتيح لنا أن نفهم ، في وقت متأخر - في جوهرهما المحدد ،
في تحفظهما الوجودي - موقف كاتينا من العلاقات بين الرجال والنساء ،
وموقفها من طقوسها ، وسوف نفحص هذه النقطة الثانية أولاً.

ولنحزن نعرف ، من قبل ، أن سيمون دو بوفلوار ترى الطفولة شقاء ،
ونوعاً من العجز . وقد رأيناها تبدو مرهقة الحساسية بالفعل ، باستبهاام وضع
نفس فيه ، بالفعل ، باعتبارها وعباً ، نطلب أن تكون ذات سيادة ،
ولكن دون أن تكون قاهرة على أن تجعل الناس يعترفون بها على هذا الوصف ،
وقد استطاعت أن تقدّر مدى حثتها إذ يعاملها الكبارُ معاملة طفلة .

وعندما نقول لنا ، وهي تتحدث عن عامها الخامس أو السادس : « لا
يلزم الكثير حتى يتحول الطفل إلى فرد »^٢ فنحن نستطيع ، بالتأكيد ،
ألا نرى في ذلك إلا مجرد ضيق تحسه المرأة الناشئة ، بأثر رجعي ، إذ
لا تطيق أن تعود فترى نفسها تسعى إلى ادخال السرور على بيتها المحيطة بها .
وتترك نفسها فريسة لتضليل وتعمية القيم السائدة . ولكن بعد عشر سنوات ،
سوف تثور سيمون الصغيرة نفسها (داخلياً) على موقف الكبار ، عندما
يتهزون سلطتهم الفعلية لكي يرضعوا أن تنظام ، أن تقبل أفكاراً لا
تقرها : « كانوا يرضون عليّ تواطؤاً لم أكن أجروء على رفضه : كنت
أحس أنني ضحية عنف ... » - « صررت على أسناني ، رفضت أن يدخلوا
بالقوة كلماتي في فمي .. »^٣ وبعد ذلك بقليل ، إذ نتكلم عن ابن عمها
جياك : « كان هناك القليل من الأطفال في مثل ما اضطر إليه من أن

١ - « مذكرات غداً مسطوية » ص ٥٥ .

٢ - نفس المرجع ص ١٥٧ .

يغير من نفسه .. ١ ثم عن نفسها وعن صديقتها زارا : «كالفننا معاً ضد القدر الكافر عن أيابه الذي كان يترصد بنا .. ٢» .

وسلاحظ في هذا النص الأخير الذي يتعلق بعوالي سنتها العشرين ، أن موضوع الكفاح هو الذي يقع في المقدمة ، كأنها انتهى ، بأن يحل محل القوة الصامتة والعقيمة بالضرورة لسنوات الطفولة الصغيرة ، أو السنوات القليلة للمراهقة المتعاصرة مع الأزمة . والحاصل أن سيمون دو بوفوار ، قد افلتت ، لحسابها الخاص ، من هذا القدر الذي تهددنا به طفولتنا جميعاً ، والتي تتخذ في مجتمعاتنا الغربية مناحي أقل عنفاً بلا شك ، وإن كانت لا تقل ، بالضرورة ، وثابةً ونشطةً ، عنها في البلاد المختلفة . لقد كان لها حظٌ ألا تولد في الظروف التي ولدت فيها ، على سبيل المثال ، الأخوات بابان («خادمات» جنيه ، في فيلم «الحركات») : أي ألا تكون ، دفعةً واحدة ، ضحية اليتم ، و «الميطام» ، وهذه «آلة الطاحنة» ، و «كل هذا النظام البشع الذي يصنع المجانين ، والقتلة ، والسرقة ، والذي دبره الناس الطيبون» ٣ . وكانت لها الطاقة ، إذ ولدت «على الجانب الطيب» أن تتزعزع نفسها من الديانة ، ومن الاخلاق البورجوازية ، ومن التقاليد مع الأصول والمواضعات الاجتماعية : أي أن تؤخر ، بلا هوادة ، استقلالها الذاتي - عندما كانت حريتها في الفعل متقدمة تقريباً - على سهولة قبول ورثتيها ، واستسلام فعلها ، كان من شأنها أن توفر عليها كل صراعٍ مع يثتها .

والواقع أن المقاسيات لم تعوزنا حتى الآن لكي نلاحظ أن هذا الوعي لم يمنع قط الى تلذذ السهولة : بل يبدو أن «تطلباً» جثوثاً بازاء نفسها كان أولى مواهبها . ولما كانت تعرف أيضاً الحظ الذي أتبع لها بأن تولد سعيدةً ،

١ - نفس المرجع من ١٩٨ .

٢ - «قوة السر» من ١٩٦٩ .

٣ - «قوة السر» من ١٩٦٩ .

فأنتي أنتك في أنها مألوت نفسها قط (حتى في أمنق دعائلي نفسها) بأنها
لجعت حيث قتل الآخرون . بل عل العكس أراها تحق وينفذ صيرها
من كل عفة ، أو فح أو كمين أو لعمية وتطليل مما يضعه باستمرار
عالمنا ، الناصح فيما جرى به الزعم ، بإزاء إنسانيتها القاسية ، إذ يضعه بإزاء
شباب يضيئ هذا العالم بتطلباته . ولا شك أنها أحست للمرة الأولى ، فيما
يتعلق بأبن عمها جاك ، وفهمت مرة واحدة وأخيرة ، إلى أي مدى يكون
كل إنسان مهدداً بأن « يصنع من جديد » حتى قبل أن يستطيع أن يشرع في
أن يصنع نفسه . « إن الطفل هو المتمرد : أنه أراد أن يكون عاقلاً كترجيل ...
فرض على نفسه المعايير والنواهي التي أملاها عليه أب عل قيد الحياة . »^١
وللهم من ذلك : ليس للطفل حظ في أن يخلص من موقفه إلا بالقدر الذي
يتبرأ فيه ، ولكن الظروف غالباً لا تجتمع له لكي يصل إلى ذلك (رخاء
ملوط ، والدان غائبان أو لا يحبونه بما فيه الكفاية ، أو عقيات مادية لا
سبل لتتطلب عليها) - وهذا هوذا ، من هنا « يتغير إلى فرد » إلا إذا جعل
منه « مسخ » شاك . وبعد ذلك فإن جاك ، إذ جهد أن يقلد الكبار ، لم
يصبح مع ذلك أحد ممثلي هذا النظام الاجتماعي الذي كان يزعم أنه يسترشد
به : فلا شك أنه كان ، في وقت معاً ، أضعف من أن يثقل « عن هذا النظام ،
وأقوى من أن يلتصق به حقاً »^٢ .

ولا شك أننا لاحظنا ، هايرين أن وضع الطفل (بورجوازيّاً أو غير
بورجوازي) في المجتمع بورجوازيّ يتسابق إلى حد كبير مع وضع « الأهالي ،

١ - « مذكرات فلاد مستيقية » ص ١٩٨ .

٢ - جاك ، عل كل حال ، قد مر على جانب حياته ، وفاته حياه تماماً . وثقل سيمون وبوفوار
عل ذلك : « ليس هناك أمل لك أن هذا الصغير قد إتخذ في قلب الصبي الصغير المجهود
الثقافت ، التي كان يتصورها ، مبدأ ، وهو في نحو السابعة من عمره ، بين أجداد وأزواج
الصنيع في « ليجيرون » ، وإذا كان في شبابه يحدنا بكل تلك الكثرة العالية عل ، أن لنش كما
يمش كل الناس ، فلك أنه كان يساوره الشك في أنه سوف يستطيع ذلك ، أبداً ... (نفس
الترجم ص ٢٤٨) .

في بلد مستعمرة . فكلاهما مضطر أن يتكلم بكلمات ليست كلماته .
وعليه أن يتظاهر باحترام (إن لم يكن بإجلال) سلطة نصيب عليه اختيار :
كلاهما مهدد . مثل الآخر . بالعجز . ومن الصراع الذي يقوم في كليهما
(حتى في رؤيتهما للعالم . حتى في تطلعهما للكونية) تدخل الضرورة
المادية للبول لخصوعهما . والثورة التي هما متخبران بأن يعارضا بها هذا
الخصوع . ومن الناحية الاحصائية . بالتأكيد . تنتج الطفولة يوماً ما على
سنّ التصوح . وينتهي القضاء على الاستعمار بأن يكون حقيقة واقعة :
ولكن يبقى أن نعرف - بالنسبة لمن يقال . من بينهم . أطفالاً أو مستعمرين .
أنهم قد بلغوا سنّ الرشد - أية حال يصلون فيها إلى سن الرشد - وإلى
أي مدى هم قادرون عندئذ على أن يوجدوا لدوائهم ومع الآخرين . حتى
يسهوا في انشاء الإنسانية على هذا العالم . إن هناك الكثيرين من العبيد أو
التاترين الذين يجدون أنفسهم يوماً ما - كالأطفال وقد أصبحوا رجالاً -
بقوة الانشاء - متحررين دون أن يكونوا قد شاركوا مشاركة نشطة في النضال
التحرري : أي دون أن يكونوا قد شرعوا في أن يتخلوا عن عقلية العبيد
أو عقلية التاتر فيهم هم أنفسهم . أو يتخلوا عن الصراع المثلّ الذي ينجم .
في أغلب الأحوال . عن تواجد العقليتين معاً . ولعل الشبه - وكذلك -
التشبهات العملية الممنلة - بين مشاكل الطفولة والعبودية . عند بلوغ
سنّ التصوح أو القضاء على الاستعمار . يتضح كأوضح ما يكون . على
مستوى القدرة على الحوار . بالضغط : فالأطفال السابقين الذين هم
نحن . كانوا أقدر حقاً على التواصل فيما بينهم . لكان أسهل عليهم بلا
شك أن يفهموا . في بعض الأحيان . خطبة المستعمرين ...

والواقع على أي حال أنه لا الأطفال ولا العبيد تدور بينهم حوادث
حقيقية . طاك أنهم لا يشعرون . بأنفسهم . في أن يكونوا ذواتهم باعتبارهم
وعياً بآراء أيوية الكبار والسادة . أولاً . لأنهم مسحوفون بنظام . بقواعد

« لعبة » لا تدع مكاناً لتعبير عن مشاعرهم الشخصية^١ ، وبعد ذلك لأن الكلام الذي يقولونه ، مهما كان عافياً ، يبدو لهم دائماً ، إلى حد يقل أو يزيد ، على هامش الواقع ، وإلى حد يقل ويزيد مقتصراً إلى الالهية . ولبدو في هذه النقط الأخيرة رئيسية : إن مضطهدين هما أعمق ارتباطاً أحدهما بالآخر ، قطعاً ، مما يمكن أن يكونه ظالمان ، ولكن هذا الوضع المشترك الذي يُصنع لما يحيل بالأكثر إلى أن يجعل علاقتهما « تفقد الواقعية » ، أن يجعلها مجردة^٢ ، وصغراً من الدلالة ، أكثر فأكثر — طلاً أنها لم تتغير إلى علاقات من التضامن العملي .

وليس مما يقتصر إلى إثارة الاهتمام أن نسجل هنا أن « سيمون دو بوفوار » قد مرت ، في فترة مبكرة جداً من حياتها ، بخبرة هذا النوع من الحوار المخلص الذي هو في الوقت نفسه حوارٌ مُخاض : « كان والداي يشكلان لي » ، وكنت أتكلم إليهما ، ولكننا لم نكن نتحدث معاً^٣ . « أو » : « كنت مدينة لأنني بأنني هددت أسلاماً كثيرة . إذ كنت أليها ، وعلى ذلك فقد أتاحت لي أن أخلص حياتي اليومية من الضمت : تعودت معها عادة التواصل . وفي غيابها كنت ألتذذب بين طرفي تقيض : فاما كان الكلام صحيحاً فارغاً أهدله نفسي . أو ، إذا كنت أنتجته بالخطاب إلى والذي ، عملاً جدياً . عندما كنا نتحدث ، أنا وبوبيت ، كان للكلمات معنى ولم تكن تنوء بفقر رازح . لم أعرف معها متعة التبادل ، فقد كان شيء يننا مشتركاً .. »^٤

١ - لم أكن أتصور أنه يمكن للمرء أن يتواصل باخلاص مع الآخرين .. في الحياة ، المرء لا يتفق أبداً بكلماته أو أفعاله . إن ما يقال يحكم بقوامه ونظم بقدر ما يقبل .. (« مذكرات فدا سبطية » ص ١١٩) .

٢ - « مذكرات فدا سبطية » ص ٩٢ .

٣ - نفس المرجع ص ٩٦ . أنظر أيضاً : « لم تكن لي وبين أختي المسافة التي لا تقي منها المبادلات ، (ص ٩٢) . - ويمكن ، من الوجهة العملية ، أن نستخلص بسهولة من التجربة التي عاشتها سيمون السطحية ، بعداً من المبادلات قد يسطر منها الآية التي يقولون من أنفسهم -

ذلك أننا بصدد نوع من التضامن ، إذا شئت ، وسوف نقف البستان الصغيرتان ، غالباً ، موثقاً واحداً بالفعل - عند الأطفال الآخرين أو عند الكبار (المدرسات مثلاً في مدرسة «ديزير» الثلاثي كانت غيابتين تضحكهما)^١ ومع ذلك فإن طريقتهما في أن تكونا « متضامتين » توحى بعلاقات العبد بالعبد كما توحى بالعلاقات التقليدية بين السيد والعبد . إن السيد والسود ، إذا أوجعا كلاهما إلى الله ما ، إلى وضع ما فوق - إنساني ، يمكن بالفعل اعتبارهما كالأشياء ، ولكنهما ، على طريقة شخصيات «أوروبيل» تمتلك الذين هم « أكثر مساواة » من الآخرين في قلب نظام قائم على المساواة ، ليساء أشياء على نحو متماثل في داخل الوضع الانساني نفسه . بويت « مثيلة » سيمون ، وليست مثيلتها : « لم أكن أقارن بأحد ، ولكنها كانت

أنفسهم إلى جديهم إلا « بطريرك » أنفسهم عن الضالعين . وسأحاول من ذلك مثالين فقد :
مثال التواهي التي يقتضون بها دون أن يشعروا أنفسهم بها ، يبرزها ، ومثال الصراعات التي تعارض أعضائها الآخر دون أن يتكونوا قادرين على الاحتفاظ بها لأنفسهم .

« كنت أرغب أن استسلم هذه القوة غير الملموسة : الكلمات ، وما كان يتغير هو أن عبارة التبت باعك : يجب ... لا يجوز ... كانت تفسر في حلقه مشروحاتي وأقراحي كان الصنف في الأوامر والتواهي التي كنت أصطدم بها ، يتم من تلقاها ، بالأسر القمطرة عوية ، فلم لا أشعر هذا البرقعة ؟ ماذا أترك نفسي في هذه الحقيقة بالذات ؟ كنت ، في كل مكان ، أصادف قيوداً ، لكنني لم أكن بالقصيرة في أي مكان ... » (نفس المرجع ص ١٦)
« أنظر أيضاً نفس المرجع ص ١٥٧ - ١٥٨) وهذا أيضاً : « لم أكن حلقه ، كنت أنا ، أأر ... وجدت نفسي ، حين أكبر ، ألا أشعر أن القرء في الخامسة فرد كامل » (نفس المرجع ص ٦١ و ١٧) .

« في ذات مساء ... طفت أن الأرض مادت تحت نفسي ... كنت ، ذلك المساء ، في الخديقة مع لوز ، وفي الواجبة المظلمة التفتت قاطعة عن غرفة مجهزة : يرى فيها النضدان ، وتسمع أصوات غامضة بحاجة : قالت لوز : « هذا السيد والسيدة يقتضيان »
عندما انقلب التكون رأساً على عقب . كان من المستحيل أن يكون باباً رجاء طويلاً ، وأن تكون لوز عليها ، وعندما يتحقق التضميل ، تخرج الماء بالجمجم ، وتغلق الكلمات بالأوتار . وتحدثت في القوم التي سبقت المظلمة . » (نفس المرجع ص ٢٠) .

١ - « مذكرات خاتة مستظيمة » ص ١٠٦ و ١٢٥ .

تعاون ، باستمرار ، لي . « وهي ، بدلاً من أن تكون « شريكة » حقيقية ، متواطئة ، في الواقع ، وفي داخل هذا « التآمر » الذي يفصلهما عن الكبار ، في قلب هذه « الحديقة السرية » التي هي ملاذهما لديهم . هما بالتأكيد « بحاجة » إلى أحدهما الأخرى . ولكن ليس بنفس الطريقة بالمرّة . وعلى أن سيمون دو بوفوار لا تستخدم قط هذه الكلمة لتعدد المواقف الذي نحن بصدده . فإنها فكرة العنصرية التي يبدو أن كلّ غيرنا الأول يوضع تحتها ، نوحى بها .

هناك أولاً « القلة تفوق معين » باعتبار أنه يعرض دونيّة بعثتها الخائب الآخر : « إن ما كنت أقدره أكثره الكثير التقدير في علاقاتنا ، هو أنه كان لي قبضةً حقيقية . كنت تحت رحمة الكبير ... وهي وحدها التي كانت تعرف لي بالسلطة . » وهناك أيضاً التبرير الأخلاقي الذي يفترون به هذا النوع من التعويض ، من ثمّ ، والذي يقوم عاملةً على الرسالة التي بدّتها السائدة لنفسه في التكوين والتدريب (أي يقوم على اضطراب يسمح له القُروف بأن يوحى بأحد معنيي كلمة « السيد » (باعتبارها تعني « السيطر » أو تعني « المعلم »^١) : « إن من أسس العلاقات التي توطدت بيننا كانت علاقة المعلم بالتلميذ ... وعرفت منذ سنّ السادسة كبرياء القدالية والكفاءة ... عندما أجهز العمل عرفاناً ، عندما كنت أطبع حقائق في عقل بكر ، فقد كنت أخلق شيئاً حقيقياً ... للمرة الأولى ... كنت أقدم ... كنت أدخل في الدورة الانسانية الكبيرة التي يكون فيها كل واحد نافعاً لكل ، فيما كنت أعتقد . » وما هو ذا غيراً تعريف العنصرية : « بفضل اعني - المتواطئة معي ، الخاضعة لي ، مخلوقتي - أكتسب استقلالاً . من الواضح أنني لم أكن اعترف لها إلا بالمساواة في الاختلاف . وهو ليس إلا أسلوباً في ادعاء التفوق والصدارة . »^٢

١ - maître (واللاحظ أن كلمة « السيد » في الإنجيل تعني « المعلم » - المترجم) .

٢ - مذكرات ، هذه مقتطفة من ١٠٩ و ١٢٥ .

على أنها في نفس الوقت بصدد رابطة بين الحامي والمحمي ، بين المولى والقبيل « كانت وليتي ، الثانية بعدي ، المزدوجة معي » ، وكانت تستفيد « باعتبارها نائمة ، من السيادة التي كنت أعزوها إلى نفسي » : « كنت أفكر أنني لو اضطررت إلى مقاسمة أحد فيها ، لفقدت حياتي اليومية كل معنى » . إن مثل هذه العلاقة ، من الطراز الأفطاسي ومن الطراز العصري معاً ، هي ، بالجملة - وبصفة عامة إلى حد كبير - العلاقة التي ما تزال باقية بين الرجل والمرأة (تحت أشكال تبين إلى حد بقل أو يزيد تبعاً لبلاد ، والنظم والطبقات) في معظم المجتمعات الراهنة .

على هذا النحو إذن لعبت سيمون أولاً ، إذا جرؤت على القول - دور الرجل بازاء بوييت ، والواقع أنها طلبت بهذا النوع نفساً طامعاً أحست نفسها تستند إلى ضمانات السلطة الأبوية : هي التمردات العابرة لأغبتها كانت تبدو لها عندئذ بلا خطر ، وكان الغبط الذي تصب منها ينشبت على الفور تقريباً .^١ ولكن عندما بدأ غيرها يراها « فريحة » ويديها « اهتماماً أكبر من ذي قبل » بوييت « التي ظلت طفلة جميلة » وعندما كتبت بوييت في نفس الوقت عن أن تعبد سيمون « دون تحفظ » ، بدأت هشاشة مثل هذه السيطرة تظهر لذلك التي كانت المستفيدة منها حتى ذلك الحين . مرة واحدة^٢ ، في قمة أزمئتها ، حاولت أن تخفي إلى غاية منطلقها الأول ، متجاهلةً هذه العاقبة الصغيرة^٣ ، ومع ذلك فهي سرعان ما سوف تجد معها من جديد « علاقة حميمة جداً ، فلا تخفي عنها شيئاً ، وتشاركها في أعمال « طيشها » الوحيلة ، وفي أكثر أمانها شططاً » بل تذهب إلى حد أن تجربها معها في مغامرات مريبة .^٤ ذلك أنها عندئذ ستكون قادرة على أن تصور نفسها امرأة دون أن تحس من ذلك تقيلاً لها ، وذلك أنه سيكون عليها ،

١ - عدة كرات لغة مستقيمة « من ١٠١ » .

٢ - نفس المرجع من ١٨٤ .

٣ - نفس المرجع من ٢٢٢ ، ٢٢٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ - ٢٩١ - ٢٩٢ .

أولاً ، أن تستخلص غير ما يمكن استخلاصه من اختلافات موقف أيها
وأما يلزأها .

كما ، في البداية قد استطعنا أن نستشف ذلك ، فلم يكن ذلك في حينها
الا ظاهرة رسمية ، نوعاً من تقسيم العمل : كان أبوها لكي يعتبرها مثل
« شخص تام التحقيق » ، وأما لكي تبرزها اذ تقبل « كل تصور » في
سنتها ، أحدهما كان الذكاء ، والأخرى الختان ، أحدهما كان يقف على
معدة ويظل مجرداً والأخرى تحيا معها في « حميمة » حقيقية ، « في
نوع من التكامل العضوي » . ومن وجهة النشاطات اليومية والأخلاقي
العائلي ، كان أحدهما « مسئولاً » عن الزيد ، وكانت الأخرى تحكم كل
شيء . « كان أحدهما شكاكاً ، فردياً ، يعقل الأمور ، وكانت الأخرى
مؤمنة » إيماناً عميقاً ، متدينة ، ومن انبعاث التقاليد . « تقدم التوازن هذا
الذي كان يؤدني بالزراع يفسر الى حد كبير أنني قد أصبحت من المثقفين
العقلين » .^١

والملاحظة هامة ، من وجهة تصورها المصطف ، وحدها . فمن الواضح
بالفعل أن ظاهرة « الزراع » قد عملت هنا في العنين وأن سليبتها (كان
موقف أيها يتكرر موقف أيها ، والمثل بالمثل) من طراز ديباليتيكي ،
باعتبار أيها مهدت الظروف « لتعد » مزيج : نقد الأخلاقي تبعاً للأيدي ،
وأخلاقية النقد تبعاً للأهم . وهكذا فإن المثقف ، في الوقت الذي يدحض
فيه كل إيمان ، لا يستسلم لأغراء الفردية المشككة (وهو إغراء سلمي بنت) .
وسوف تكون سيمون دو بوفوار ، طويلاً ، أخلاقية شرسة ، مما لا يستبعد
عندها أبداً حاجتها الى فهم أقرب المواقف والتصرفات وأبعادها عن اختيار أيها
نفسها . وعندما نقول لنا إن هذا الوضع الأصلي قد « وضع الله » عندها ،
نخارج العلم ، اذ عودها على أن تعتبر حياتها العقلية (« التي يحسمها أي »)

١ - عندما كنت أعيط الى المسعى العادي ، كنت أصعد على دماء (نفس المرجع ص ٢٤) .
٢ - نفس المرجع ص ٢٥ . انظر أيضاً ص ١١ - ١٢ .

وجوانها الروحية (« التي توجيهاً أسمى ») « كانتا مجالين مختلفي المصالح لا تتماثل بينهما ، على نحو جلوي » ، فعلياً أن نفهم أنه كانت هناك عندها ، من جانب ، معرفة وفهم « الأشياء الانسانية » (الثقافة) - ومن جانب آخر العلاقة بالمطلق ، من الطراز اللغوي الذي بدى ، والتي تكشف بعد ذلك عن طبيعتها الحقيقية من أنها تطلب أخلاقياً ، على أنه من الحق كل الحق أن هذا التطلب نفسه ، بطريقة ما ، غريب على العالم ، على الرغم من أنه يجب أن يلتزم به ، إلزاماً يولي على الغاية ، حتى يتخذ قراراً .

ومع ذلك فإن سيمون دو بوفوار لا تجدنا من المثقفين هنا ، بل من حالتها هي ، حالة إحدى المثقفات : عن امرأة ، بعبارة أولى ، هيأتها بقولتها لأن تبدي على كل المستويات موقفاً من مواقف النزاع الاجتماعي . والآن بالذقة ، أن المسألة تدور ، فلور ، عندها ، على مستوى الجسد نفسه ، مستوى الجنس ، مستوى الأخوية . فأما ، كما رأينا ، أوجعت إليها ، مبكراً جداً ، بتمايز عشقية على صعيد جسدي بحث ، ولأنك أن لذلك صلة بحساسيتها المرحفة المرموقة بالسحر الأنثوي ، والتي يبدو لي أن كل عملها تقريباً مشبع بها . ومن ناحية أخرى ، فقد كان جانب أمها هو في وقت معاً جانب الله وجانب رفض الجسد (« كانت لا تكاد تبين حياة الجنس : فقد فرحت دائماً بين فكرة الجسد وفكرة الخطيئة قرناً ولبناً ... ») كانت المسائل « الجسدية » تنفرها إلى حد أنها لم تتأولها قط معي («) ، مما يتيح لنا أن نفهم الفتح الحر إلى حد كبير جداً على الخفايا الجنسية ، هذا الفتح الذي تصطبغ به نزعتها التطهيرية اليهودية و ميلها إلى السرامة والزمّت . وما إن التحق الله ، عندها ، حتى ظهرت أكثر تطلباً بإزاء نفسها (وقدّمت بذلك تكلية عملياً لكل الحساسات التي ماسترال أو تُسمع هنا وهناك عن ضرورة الإيمان « لبقاء » كائنات أخلاقياً) ولكنها كفت في نفس الوقت عن أن ترى الجنسية « معية » ، ويبدو ، تحت هذا الضوء ، أن النزاع

« الأب - الأم » قد لعب دوره كاملاً ، بالمعنى الإيهامي الذي حاولت منذ قليل أن أثير إليه . ويبقى أن أمها كانت تشكل عندها ، بالإضافة إلى ذلك ، منذ تلك اللحظة ، « صورة معينة للمرأة » وأن هذه الصورة - إذا كانت أولاً - قد نازعتها صورة أبيها - سوف تدحضها وترفضها سيمون دو بوفوار نفسها على نحو أكثر خطراً : سيمون التي كانت تحشى ، في قمة ازمتها ، أن تضطر إلى التعرف على نفسها في تلك الصورة . على أنه من الحق أن أباهما كان مسئولاً عن ذلك إلى حد ما ، ولكن بمعنى أنه ، هذه المرة ، كان يسير إلى دحضه هو إذا أكرر الموقف الذي كان قد تبناه أولاً بأزائها . وهكذا ، فيما يبدو لي ، نستطيع أن نرى ، في هذا التعقد وهذا الازدواج في الديالكتيك الأصلي بين صورة الأب وصورة الأم ، جلور القضية البوفوارية عن الوضع الأنثوي .

ونحن نعرف بالفعل أن أم سيمون كانت « ضحوكاً مرصعاً » ولكنها في الوقت نفسه كانت كلية ، مشطرة ، تحب السلطة ، « حتى الشطط أحياناً » . ولنسجل في هذه الصفحة من الآن أن كاتبتنا - بكل موهبتها على الفهم وكل فهمها إلى بلوغ الفهم في كل فرصة - ترى نفسها إلى حد يقل أو يزيد مضطرة إلى أن تتراجع عن الدخول في المباراة عندما يتعلق الأمر بغضبائها هي : « ساءلت نفسي أحياناً كثيرة عن سبب ومعنى غضبائي . أظن أنها تقصر جزئياً بحبوبة مندفعة متطلقة الجماع ، وبصطوف لم تتنازل عنه قط ، تماماً . »^١ ومن هنا فإني أميل جداً إلى استنتاج أن الجزء الباقي (في غياب أي تفسير لظهورها) يمثل في عينها ما بقي غير قابل للتسل ، ولا يمكن قبوله ، في صورة أمها . وذلك على نحوين معاً : أولاً لأن ثورتها تظهر لها ، أكثر فأكثر ، مما تستبهر أمها باعتبارها السلطة الأخلاقية التي تصوغ التواهي والمحظورات - تلك التواهي التي ما لبثت تطلبها هي للاستقلال الذاتي أن يكشف عما فيها من اعتساف ؛

١ - « مذكرات فناء سيمون » ص ١٤ - ١٦ .

ثم ووفق كل شيء ، لأنها اذا كانت تسلم بأنها مدينة لأمرها بحيويتها ومرحها ،
فإنها لن تطيق ، على نحو مطرد ، فكرة أنها يمكن أن تأخذ عنها أيضاً
ذلك السلط المسيطر اللاعقلي القائم على القزوات وتقلبات المزاج . إن
ما لم تكن الطفلة قد أحبته (هذا الاهتمام على مزاج أمها ، بفرد ما كان
حيها لها يعاني من الانحساس بأنها شقية ، ومن رؤيتها تنشوء في خاطريه)
هو الذي تتكبد المراهقة أولاً أكبر في أن تطيقه ، منذ اللحظة التي ودعها
فيها أبوها - وجعلها تتوحد تقريباً - بأكثر مظاهر أوليتها عرضية .
وقد كان ذلك ، كما نعرف ، في فترة حيضها الأول ، ودعوتها «سن»
المراهقة : ولكن الأمر لم يكن يتعلق بعد ، على هذا المستوى ، إلا
بصرار يضعها في معارضة هذه المرأة ، أمها - وذلك بالأحرى
لأن أمها كانت تظهر عندئذ كأنها «متنافية» حليقة بارزة
أب كانت مازال تأمل أن تستعيد فهمه لها ، وشيئاً يشبه الاعتراف
بها . وبعد بضع سنوات ، في نحو نهاية الأثرية ، فإنها سوف تحضنها المرأة ،
في أمها ، إذ تأخذ عليها في وقت ما ، عقمها ، ومرحها المتكلف ،
وأبدل حيويتها فيما لا طائل وبراءة ، وحناها ، وسعيها إلى التواطؤ معها
(عندما كانت تطالب ثقة بنتها ولا تحرم نفسها من أن تفتح خطاباتها) .
عندئذ تبدأ سيمون ، وقد فقدت الآن كل إمكانية في الرجوع إلى أبيها ،
تفتش على نفسها مثل هذا المصير ، مصير المرأة : « كانت مدموأزيل
لاميرت ، وأمي ، يتابعان أياً ما ميته ، كانتا تكتفیان بشأن تشغلا
نفسهما... »^١

١ - نفس المرجع من ٢٢٦ . ويجب أن تسجل أيضاً ، على هذا المستوى وعلى كثير غيره ، أنه
أي مدى حيث الأرض لا تخلو موارث قاطعة ، زائلة مقابلة ، مواقف يراد بها أن تكون
حصالات ، في نهاية الأثرية ، نتيجة لوعي « بقرارات » معينة سابقة لم تكن ولا شك إلا مدونة
الفعالية ظاهرياً . إذ سيمون ، في نحو الثانية عشرة أو الثالثة عشرة من صرخا (في أول
نثرها الخرجة) تساعد أمها ، تحفظ الأطفال : « كل يوم ، في الشتاء ، في الصيف ، كل
يوم يسجل الأطفال ، هذه الساعات التي تبدأ من جديد ، بلا نهاية ، لا تقص إلى أي مكان... »

يبدو إذن ، بعبارة موجزة ، أن المرأة يستطيع أن يفرق بين ثلاث فترات في مولدها بلزاه أمها ، خلال العشرين عاماً الأولى من حياتها . ففي الفترة الأولى : هو موقف الطفولة الصغيرة ، إنها تعيش أمها ، وتعتمد عليها كل الاعتماد : ويبدو لها أن النساء هن اللاتي يقررن كل شيء . ليس لها أخ (ومن ثم فلا نقطة للمقارنة هناك) وهي تؤمن بالله (الذي لم يعمل فروقا بين الجنسين) : « كنت لا أعزو القيود التي كانت توقع علي إلا إلى ستي ، كنت أحس آثار حقوقني ، بحدّة ، لم أحس لها بأثار القوي . »^١ وفي الفترة الثانية (حتى عهد زومتها) ، تبدأ أن تحس وطأة السلطة الأموية ، سلطة روثينية ، متسكة بالأصول والمواضعات ، ومحدودة الأفق . وفي نفس الوقت تطلّح بها الزوات . وتأخذ في العمل ضدها إذ تعارضها بالذكاء والحس النقدي والروح الفكاهة عند الأب : وكلما ودّعت إلى عرضيتها الاجتماعية (حالة التبعية) والجسدية (البلوغ ، القبح المزعوم) تشبث بسراب اعتراف ذكوري : الأب ، القاضي الأعلى . رجل حياتها . وفي الفترة الثالثة : (في نهاية زومتها) تصل إلى أن تتحرر من أمها ، إذ تكشف أنها موهلة دقيقة في وضعها الأنثوي ، غير مسئولة جسدانياً (حيوتها التي لا يمكن التحكم فيها ، تقلبات مزاجها) ومفصلة معيّن عليها اعتلائياً (بخضوع لثلاث ضد ، لزوجها ، والمواضعات يتهم الاجتماعية) . واعتقد أن سيمون تحقّق لذلك ، من عدة وجوه معاً : تحقّق لأنها كانت قد خضعت لنموذج هذا الخضوع نفسه ، ولأنها خطعت ، بالأكثر ، نتيجة تعلّقها الجسدي الذي كانت

١ - هل سأشير على هذا الصغرى .. قلت ليني : لا ، وأنا أرتب عموداً من الأطباء في المجلات . إن حياتي أنا سوف تفتي إلى مكان ما (ليس التراجع من ١٠٥ - ١٠٦) . إن هذا الصغرى . معنفاً ، بين ردمه قبل التعاليم تولّد أن تكون مشوبة الاضطراب . وبين وهي تافج أياضت الظروف أن يظهر سيكراً جيداً . هو التي يمكننا من أن تقيم الاقتران الخاص والخاصة الاستثنائية التي صار فيها تطور هذا الرمي في جهراء .

٢ - « مقاربات فلا منطقية » من ٥٧ .

نفسه لها ، وتحقق لأنها ظنت لحظة أن حب أمها لها يبررها ، وتحقق لأنها تركت نفسها يخلطها رجل " كان يتظاهر بأنه يعترف بها ولكنه في الواقع لم يكن لا الشريك المثالي مع هذه الضحية النافسة (السيد والعبد معاً) . ولعلل أنها وعدت نفسها عندئذ ألا تعود فتكون طفلة وألا تصير « امرأة » أبداً ' ، معاً .

ذلك أنها قد عبرت اختراياً مزدوجاً ، في نفس الوقت . ووجدت اللائح الحاسم الوحيد من هذه الظاهرة ، في نفسها هي . قلنا أضفنا إلى ذلك أنه بالرغم من كل شيء بقيت عاطفتها ومحبها الوالديا محبة كبيرة ، وإن العنف الذي كان يحدث لها أحياناً أن تحس به بازائها لم يتضمن قطاً أدنى مظهر للكرامية ، وإن هذا الوعي الفني ، على الجملة ، لم يعرف قط شقاء التنازل - إذ أنه قد أصبر على أن يريد ذاته حتى من خلال أنفسى فطام له وأبعده عن العذاب - فسوف تكون بلاشك أقسى على فهم أن سيمون دوبوفوار استطاعت ، دون أن تفكر اثويتها ، أن تشجب وتستنكر ، بكل تلك القوة ، فطبيعة الوضع الأثوري .

وسوف يكون علينا مما قليل أن نعود إلى أثويتها ، إلى طريقتها في أن تحياها ، إذ نحاول ، في النهاية ، أن نصف علاقة كاتبنا بذاتها ، في أبعادها الرئيسية . وهناك على الأقل ما يصور ، دفعة واحدة ، نوع التركيب المؤقت الذي كشفنا هنا عن تطلبه (ألا نكون بعد طفلة وألا نصبح « امرأة »

١ - ولكن لا نلعل أن نلاحظ أيضاً أنه منذ تلك اللحظة ، تصبح قادرة على أن تكون غام مع أمها علاقات حثيثة : « كتبت إلى أمي أخالياً وفتها : أكتفد لها أنني سوف أصبح ، فيما بعد ، شخصاً له لها ، وزدت على رداً لطيفاً جداً . » - كانت لي قصتي كثيراً أن أهيئها ... (نفس المرجع ص ٢٥٩ و ٢٠٩) .

أيداً ، وبعبارة أخرى : أن تجعل من نفسها امرأة ناضجة وإنسانية الى
أكمل حد : « كنت أطري على نفسي أنني اجمع في نفسي « قلب
امرأة ، وعقل رجل » . كنت أعود فأجد في نفسي الكائن المفرد »^١ .

١ - « مذكرات فداء سلطانة » ، ص ٢٩٦ .

٢ - الحب والصدقة : العلاقات ، الآخرون بصفة عامة

... أما عن «العقل» ، فليس مما يلحق بنا أن نقلقنا ذاته . أما عن «القلب» فسوف نسعى أن نتأكد من أنه لم يلبث طويلاً حتى أدى مهمته .
فهو ، بين السنة السادسة والثامنة من عمرها ، تعلن أنها ذات ساء :
«أنا أعرف ما هو الحب !» كانت قد أمضت بعد الظهر في التوكسبورج ،
ورأت هناك «قناة كبيرة توتدي» «تاتبير» الأخضر في حفرة التفاح
تمسك الحبل لأطفال ، وهم يلعبون ويلبسون على الحبل ، وكانت «وجتها
ورديتين وابضامتها مثقلة رقيقة» . وقد كانت تلك صدمة (القطار
القلب) ودرساً تلتفه حقاً لأول مرة : «أبي ، أمي ، أعني : أولئك
الذين أحبهم كانوا أهلي . ولكنني استعرت للمرة الأولى أن شعاعاً آتياً
من ناحية أخرى يمكن أن يمر في قلب ذاته» . وفي أثناء هذه
الفترة أيضاً تبدأ أن تحس اهتماماً حاداً بأبن عمها جاك (وهو يكبرها بسنة
أشهر) . ولنتذكر من الأوصاف الأولى التي تقدمها إلينا أن سحر جاك
كان يتضمن في عيني سيمون شيئاً من الإبهام . هو «صبي صغير جميل
جداً» (نلتقي به أساساً في الدروس الخصوصية التي تلتها من «قناة

١ - «مذكرات لولا ستيفية» ص ٥٦ - ٥٧ . كلمة «ناحية أخرى» توكدها سيمون جيولوجياً .

شقاء حلوة « : وهو من جانب آخر ، فيما هو واضح ، معادل ما تعجب به اكبر الاعجاب في أيها ، مثله على نحو مزدوج . فإذا قمنا هذه الفكرة قليلاً على النص ، ولما نكد ، قلنا إننا بصدد صورة مرفقة الحاشية ، مؤنثة (ومن هنا أقرب الى التناول) لكافة الرجل عندها — فيها أساس من المعرفة ، من الثقة ، من التفوق : « كان عادة يحضر البنات ولذلك كنت أقدر صداقته » ونحن نعرف أن أبا سيمون كان متاهضاً للمرأة على نحو قاطع . وإذا كان جاك يفرض الاعجاب به على سيمون ، فذلك أنه ، بالإضافة الى ذلك ، لا يقبل ، هو أيضاً ، وضعه كطفل : « كان يعامل الكبار معاملة الد لتد » ولأنه أنهرأ من عليها هذه السلطة ، بمنحها بطريقة الاعتراف الذي تنتظره من أيها : « كان قد قال : سيمون طفلة ميكرة التضوج . وسرتني هذه الكلمة اكبر السرور . »

وعلى ذلك فإنهما يقران أنهما « زوجان من حب » وهو يسميها من الآن « عطيتها » : « وحملت عطوبتنا على حمل الجدة » . ولنتنهر هذه الفرصة لنلاحظ مرة أخرى أنه إذا كانت جدية سيمون تتواجد دائماً تقريباً بنوع من الإقبال المشهور على الحياة فإنها لا تخرج به بسهولة ، عندها ، حتى ينجم عنها تعلق عاطفي مشبوب : « في غيابها لم أكن أفكر فيه بالمرّة . ولكنني كنت أرفض ، في كل مرة أراه ، وإن كنت لا أفقده قط »^١ ولاشك أن السبب في ذلك كان في ذلك التطلب المتعدد الأشكال ، المطلق ، الذي يكاد يكون كونياً ، والذي كان يكمن ، باستمرار ، في أدنى مظاهر حيوتها .

وعندما كانت في الحادية عشرة أو الثانية عشرة ، وكانت وصيفة شرف في حفل زواج إحدى عماتها ، أيهبها أن يكون زميلها « في

١ - « تكرات غداً متقدمة » من ٦٢ - ٦٣ .

وسبباً في التاسعة عشرة من عمره ، يتحدث إليها كما لو كان يتحدث
 إلى «لغة كثيرة» ولكن لا هذا القى بدوره الثاني ، ولا أين منها جاك
 نفسه (الذي تقتصر في شأنه على أن تحمل أحياناً بأن «ثبت» صداقتها
 «القديمة» من الموت) لن يكون لها كبير وزن في حياتها ، في تلك
 الفترة : فقد وصلت زازا ... وسوف تفس سيمون جانب الإنكار
 - بازاء زوجها من حب ، وخطيئها ، وصديقها القديم . «أتبع لي
 حظ أن القى بالصداقة ... لم اكن أنصوّر في العالم أفضل من أن اكون
 ذاتي وإن أحب زازا .»^١

وما كانت ضحية للمقولات الاخلاقية التي تحملها لغة بيتها ، فأنها
 لا ترى أولاً في «اليزابيت ماييل» الا «أقرب صديقاتها» إليها . وهي
 مفتنة بسلوكها الطبيعي ، وحبوبتها ، بحبها للتكاهن ، وهنا أيضاً ، بنوع
 من الخفة السهلة يتبع لها أن تتحدث إلى «تلك المدرسات» (في مدرسة
 ديور) «حدثت لك منذ تقريباً » . «كان جاك ، الصبي «جيداً» جداً » ،
 اما زازا ، البنت ، فقد كانت «بتاً سمراء صغيرة ، شعرها مقصوص
 وقصير » ، «هزيلة مشة الجسم ، نحلة الماقون » ، ولوندي وبتاً «كريمي
 الصبيان» ساحراً في مشهد كوميدي قصير تلعب فيه أمام سيمون دور
 «ابن عم شاب محترم المزاج » . نحن هنا قطعاً بصدد ابهام كامل ، لا
 نخرج منه الا بأن نعرف ان اكبر متعة لسيمون هي أن «تتحدث» مع
 صديقتها الجديدة ، أن تدور بينهما «محاداثات حقيقية» ، كما يدور
 الحديث في النساء بين بابا وماما » . ولكن الأمر واضح ، حتى هذا الحد ،
 فمهما كانت سيمون مرهقة الحساسية ، تلقائياً ، بقسمات النعومة النسائية
 فإنها لا تستسلم لها حقاً الا اذا كانت تتخايل عند صبي ، وتؤثر عليها ،
 بعد كل شيء ، صورة الاستقلال الذاتي ، بما لها عندها من مكانة رفيعة

١ - نفس المراجع ص ٩١ - ص ٩٥ .

سواء كانت في صبي أو فتاة : « كانت حيوية زازا ، واستقلتها ،
بأسرائتي . »

الا أنها يسيلها أن تكتشف ، على وجه الدقة ، أن صداقتها حب ،
وأن زازا « كانت تنفص في عينها معنى الاستقلال الذاتي ، فأنها تضعها
في وضع لا يجعلها تحس كل الاحساس باستقلالها الذاتي هي : « كنت
بعد ظهر احد الأيام ، أطلع ملاسبي في غرفة خلع الملابس بالمعهد ،
عندما ظهرت زازا ، وبدأنا نتكلم ، ونروي حكايات ، ونعلق .
وتدافعت الكلمات على شفهي ، وكانت تلور في صبري ألفت شمس ،
ولفت نفسي : أنها هي التي كنت أفتقدنا ! .. كانت تلك بداية ساطعة .
وفجأة طارت التقاليد والمواقفات والروتين والقوالب المحفوظة ، وبدأ ،
وغمرني عاطفة لم يكن لها مكان في أي تقنين . تركت هذه البهجة التي
« كانت تتدفق علي » ، ترفضني ، عيفة وصاحبة عذبة كصياة الشلالات ،
عازية مثل جراثيم جميل . » وبعد ذلك بضع أيام التقطت عليها هذه
البديهة نفسها كالصاعقة ، من جديد : « لم أعد استطيع الحياة بعد من
غيرها . » ونحن ، إذ نبدأ نعرف سيمون الآن ، لانستطيع أن نتخيل
أن هذا الكشف لا يقرن به شيء من الخوف : « كانت كل سعادي
وجودي نفسه يستقران الآن بين يديها . » وهي تقول لنفسها ، في الواقع ،
أنه إذا ماتت سيمون .. « ... سأموت على الفور ! » ولكننا نعرف
أيضاً مدى تفاوتها وأنه لن ينجح لها طويلاً أن تخشى حقاً موت زازا :
« ذهبت الى حد الاعتراف لنفسي باعتمادي عليها الذي وضعني فيه
تعلقني بها : لم أجروا أن أواجه كل النتائج المترتبة على ذلك . »

ولكن هذا التفاوت لا ينتهي الى أن تعتمد على الله لكي يبقني زازا
على قيد الحياة (وسيمون أيضاً ، على سبيل التبعة) . ولا يوحى شيء

١ - « تكررت فتاة مستقيمة » من ٩٨ - ٩٩ .

بماحية هذا التطاوع الحقيقية ، بلاشك ، بقدر ما يوجه رد الفعل عند العاشقة الصغيرة بإزاء حبها الحقيقي الأول « من أول نظرة » : « لم أكن أعلم أن تحس زائرا في عاطفة » يمثل هذا التحدد والقطع : « كان يكتفي أن أكون زميلتها المفضلة . لم يكن الإعجاب الذي أكتفه لها يقلل من قدرتي في عيني » . فالحب ليس هو الحب ... « أما أنا فأنني معجب بأن هذه الطفلة أرادت لنفسها مثل هذه القوة ، وحمل هذا النحر من الكمال والكلية ، بحيث استطاعت ، دفعة واحدة ، في مثل هذه الظروف ، أن تحس - وأن تحيا ، الى حد يقل أو يزيد - مثل هذه الحية للذات التي لم تكن اغتراباً بل كانت الحركة الحرة لوعي غل مغموماً بأن يوجد وبأن يعطي نفسه قيمة ، بوسائله الخاصة . ويقال لنا في موضع ما أنها تعرضت لأغراء المازوخية ، وأن ورعها الديني كان يهتسماً لذلك : ولكننا قد اقتنعنا من قبل أن أعظم نشواتها استناراً لم يكن لها ، في عينيها ، ثم ألا بقدر ما تغل واحة بها ، فادرة على التعبير عنها ، ونحن نستشف هنا أن الحب نفسه لم يكن ليضلل عندها معنى إلا في حدود المعنى الذي تعطيه له في وجودها .

ولنا هنا بصدد تركيب زائف ، أو التزوير المصطنع بين عاطفة شديدة الاحتدام وتطلب يعارضها ولا يقل عنها احتداماً . فبعد أربع أو خمس سنوات ، يميل الى أن تستخلص ، من علاقتها بزائرا فكرة الديالكتيك الايجابي في داخل الزوجين : « كنت دائماً قد أعطيت للحب قيمة عالية ... ولاشك أن صداقتي لثاذا هي التي جعلني أعطي كل هذه القيمة على القواد كاتين : يكتشفان العالم معاً ، ويهتان أحدهما للآخر ، فأنهما يمتلكان العالم ، فهما كتكت اعتقد ، على نحو فيه امتياز ، وفي نفس الوقت يجد كل منهما العلة النهائية بوجوده في احتياج الآخر اليه » .

١ - نفس المرجع ص ٥٩ .

٢ - نفس المرجع ص ١١٢ - ١١٤ .

وقد دخلت ، في تلك اللحظة ، في قمرها الممرجة (كانت في الخامسة عشرة من عمرها) : فقد أصبحت تحس بوجودها أكثر من أحاسيسها بالحداد ، وإذا كانت صورة أبيها التي صنعتها لنفسها ، لزودها أكثر من أي وقت مضى فإنها سوف تبلى أكثر فأكثر إلى اسقاط هذه الصورة على رجل حياتها - بنفس القدر الذي يبدو لها فيه أن وجود الأفعال الأبدية غير مرضية لكل الأرواء . أنها تتطلب أن تكون سعيدة وأن يُعترف بها ، ولكنها لا تكشف حواشيها إلا السأم ولبدأ تحس نفسها وحيدة جداً .

إنها في العاشرة من عمرها ، في نفس اللحظة التي تلقي فيها برزاً - وقبل أن تدرك المكان الذي سوف تشغله هذه الصداقة في حياتها مباشرة - فهي نوعاً من السأم من الحياة : « ما من وعد تحقق لي ... كانت للفرصة تصيرني ... لم يعد لأبقي طعم . كل شيء كان معطى لي ، وكانت يدي صفراً من كل شيء ... كنت أسير في بوليفار راسياني بجانب أبي ، وسألت نفسي فجأة ، بفضول : « ماذا يحدث ؟ أعذه حياتي ؟ أليست هي إلا ذاك ؟ هل يستمر ذلك دائماً على هذا النحو ؟ » وانقطعت الفاصلة لفكرة تتابع أسابيع ، وشهور ، وسنوات ، حتى مدى البصر ، لا يبرها أي انتظار ، ولا وعد : حتى كان العلم ، على انتظار ، قد مات .^١ على أننا نعرف تماماً أنه لم يكن قد حدث ، في هذه اللحظة ، شيء مما هو سلبى حقاً بينها وبين والديها . ولكن الواقع أنه لم يعد يحدث بينهما ، من جانب آخر ، شيء إيجابي أيضاً ، بينما كانت الحاجة إلى التواصل تغلب عندهما ، يوماً بعد يوم ، أشد الحاحاً وسيطرة . وسوف يزيد من تدهور هذا الموقف « تصفية » إله كانت كل الأشياء الأرضية حتى ذلك الحين لا تتوقف عن أن تصونه (« كل الأشياء كانت تشبه ، في خطوات ، تجده ») إذ تضطر سيمون إلى إعادة النظر في تصورهما الأول لوحدهما .

١ - « ذاكرات فلاد مستيقظة » ص ٩٤ .

عندما كان يكتبها أن تنظر إلى والديها وأختها، وتقول لنفسها :
«لن الأربعة !» حتى «بدأ عليها» . كانت تفكر في الزواج «في
غير سرور» باعتباره يبدو لها «شيوعاً» غريباً . كانت في ذلك الحين
«بحاجة ملحة مبصرة» إلى أن تستطيع «الحياة أحياناً» بفتح الحظائ
من غير شاهد عليها» . إلى أن تحدث إلى نفسها «في سلام» . إلى
أن تهرب من «حزن» النظرات «المسددة» إليها باستمرار . بل إلى
أن «ليكني لمجرد البكاء» أحياناً : ذلك أنها كانت هي نفسها المتحدثة
لنفسها وكانت «خطونها» مع الله تؤسس هذه العلاقة الجوهرية بذاتها .
ولكنها عندما بلغت إلى رفض الله (وقد كان موضع نزاع قوي من
جانب التشكك الأبوي) . ولم يكن يبدو أن أحداً يهم بأن يفسده في هذا
العالم) «انقصر» صمت الأجواء اللامتناهية على نحوها لنفسها . وهذا
بأن يحرمها من كل دلالة : «كانت الأرض تدور في فراغ لا تحترق
نظرة» . وكنت وحدي . ضائعة على سطحها التاسع . في وسط الأثير
الأممي . وحدي : لأول مرة فهمت معنى هذه الكلمة الخفيف . وحدي :
بلا شاهد . بلا متحدث . بلا صلاة . أنفاسي في صدري . وهي في
ضرايبي . وهذا الضجيج في رأسي . لم يكن كل ذلك يوجد من أجل
أحد . «كانت» . وقد تحررت من الله . سوف تعتمد منذ الآن على
الآخرين : «قمت» . وجرئت إلى المنزه . وجلست تحت الأشجار بين
أمي وخالتي مزجريت . فقد كانت حاجتي بذلك القدر من الانحلال .
إلى أن اسمع أصواتاً .»

إن التي تتكلم هنا مزاحمة . ولا تردّد هنا أن تأخذ الكلمة بمعناها
المزدوج . فهي «لينة خربة اللسان» وهي «دائماً تميل إلى التواصل
بالكلام» . ولأنك أنه ينبغي أن نضيف أنها منذ الآن أشد وعياً بسمها
من أن يكتبها الحوار مع زارا لكي يجعلها توجد كلية من أجل أحد :

فهي من ثم سوف تدأب على مناجاة النفس ولكن بعد « أن تغير الأسطوانة »
— بعد أن نحل ، بالجملة ، « صوت سيدها » محل صوت الله ...

كنت أقول إنها كانت تحس السأم ، وتحس نفسها وحيدة . أنها في الخامسة عشرة من عمرها . وتحلم بشخصيات من الروايات : بطة تحس السأم . بالفصط ، وبآلي في^١ وسيم مندفع لكي يتزعمها من زوجها (« في ثوب من « النوال » عارية اللوازم ، تطير الريح بشعرها ، تتوالب عبر البراري ، يدها في يد عاشقها ... » لم أكن قط أحست ، أو تأملت ، أو تخيلت مثل الهجات الماذبة ... بقيت منهورة^٢ من كشف هذه الملمات التي لم أكن أعرفها ولم أعرف كيف أسسها وإن كانت سوف تقضى في يوماً ما : كانت تلك هي الحرية ، كانت تلك هي المتعة ... ») وهي تحلم أيضاً ، في أحد ممالي غابة بولونيا ، بزوجين كانا يسيران أمامها : « قلت لنفسي ، وقد اهتزت مشاعري فجأة ، إنه لابد^٣ كان علياً أن يتقدم المرء عبر الحياة وعلى كتفه يد^٤ لشد ألقها حتى لا يكدح يحس لقلها ، يد^٥ حاضرة حتى لتطرد الوحدة إلى الأبد . كائنات موحدان ، كنت أحلم بهاتين الكلمتين » .

ولكن أين يظهر « السيد » في هذه القضية ؟ صبراً ، هلك هو : ولم أكن أعطي زوجي المستقبل قسمة محددة^٦ ما . وفي مقابل ذلك كنت أضع فكرة^٧ محددة^٨ عن علاقتهما : كنت سوف أحس له اعجاباً مشبوحاً عندم الاضطراب . كنت في هذا المجال ، شأني في كل المجالات الأخرى ، طامعة^٩ إلى الضرورة . كان ينبغي أن يفرض المخاض نفسه علي^{١٠} ، كما فرضت زازا نفسها ، بنوع من الوضوح البدني ، والا لسانت نفسي : لم هو وليس شخصاً آخر ؟ لم يكن هذا الحب يتفق مع الحب الحقيقي . سوف أحب ، يوم أن يتضمنني رجل^{١١} بذكائه ، بثقافته ، بسلطته^{١٢} .

١ - « تكرات لغة مستطبة » من ١١٤ - ١١٥ .

وهو مع ذلك سيد غريب ، فمن نتاج لريقته أبدأ أن تكون رقيقة
مكتلة الى أي حد : «أما أنا فكنت أريد أن يوضع كل شيء بحيث يكون
مشاركاً بين الرجل وامرأته ، كان يجب أن يؤخذ كل منهما في مواجهة
الأخر دور الشاهد الدقيق الذي كنت أعزوه فيما سبق له . كان ذلك
يستبعد أن يحب المرء شخصاً مختلفاً مغايراً ، لن الزواج الا اذا التفت
بشئ ، بكتان مزدوج معي ، أكثر تحاملاً مني .. »^١ ولأشك أن تصور
سيمون يضع في اعتباره هنا ضروب فشل معينة خلقت بها في محاولاتها
للتواصل : فقد انتهت ، مع أبيها ، الى الاصطدام بخائط الاعتراف
الذي يفصل بين الكبار والصغار ، وقد مرت مع أحبتها بنفس التجربة ،
في اتجاه مفسد ، إذ فهمت أنه لا يمكن للمرء أن يحصل على اعتراف
الأخر به عندما لا يعترف هو به حقاً . « يلزمها إذن وعي محدود » مادام
الله ، الوعي المطلق ، قد مات بالفعل من جراء تجريده . ولكن يجب
أن نفرض عليها قيمة هذا الوعي بوضوح ينبغي لا يتسامح ، دون أن
يحول بينها مع ذلك وبين أن تعامله معاملة الله للند .

وبعبارة أخرى لن تقبل «شاهداً» الا شخصاً يبدو لها جذيراً بأن
يكونه : وكيف نستطيع أن نتأكد من أن هذا الشيء ، هذا «الشئ» ،
هذا «الكائن المزدوج معها» ليس مضافاً عليها بطريقة ما ؟ لا ينبغي
لا أن يكون آخر ولا هو نفسها تماماً ، بل ينبغي أن يكون لنفسها على نحو
أفضل ، على نحو «أكثر تحاملاً» : بل ينبغي أن نستطيع أن نفهمه كل

١ - نفس المرجع ص ١٦٦ . كلمة «معاير» تركها سيمون دو بولوار وكانت قد أوضحت قبل
ذلك بقليل أنها كانت تعارض زارا عندما كانت تصور هذا الأخير : أنها تستطيع يوماً
أن تحب رجلاً «وسط الآكام» وكان من ناحية أخرى على حسابية وحدة خيال الفنان
أو الشاعر : «إن المصور أو الموسيقي ما كان ليتمني كل ، وكان ليظل جزءاً من معنى
السامع» .

٢ - أظن تلك السمات القليلة التي تحت فيها سيمون إذ تلاحظ الفنان أو نسبة سلطانها على بورتيت
(مثال ذلك : «مذكرات لثلاث مستظيمة» ص ١٠١ و ١١٢ و ١٨١) .

القيم ، لكنه ينبغي أن يفهمها إلى حد أن تزداد في حينه قيمتها . فمن
نرى أن التناقض لم يُلغَ ، بل تغيرت معناه . لقد حل موضوع الاختلاف
في المساواة على موضوع المساواة في الاختلاف ، (هذا الموضوع
الذي أدانته بشأن علاقتها بويت) .

ولسناح بالقول : هذه الصيغة المعكوسة لن يكون من شأنها أن ترضي
كاتبنا . ففي هذه الصفحات القليلة التي تشغلنا الآن والتي تشرح فيها ،
بلاشك ، وجوه رئيسية ، يبدو أن سيمون دو بوفوار قلبي بالمثل
وفهمها في أن تحجب يد ما أعطته لنا يد أخرى ، فهي تقول لنا بنفس
الكرم والقوة ، إن رجل حياتها يجب أن "يخضعها" ، أن يتجاوزها ، أن
يكون متفوقاً عليها ، أن يظلم عليها وأن يكون نموذجاً لها . ولكنه لن
يكون ، على أي نحو ، مغايراً لها ...

وهي تتساءل : لماذا كنت أطلب بأن يكون متفوقاً على ؟^١ .
ولعلنا على الفور (كما حدث من قبل في مناسبة أخرى) أنه ليس
لتطبيقات علم النفس التحليلي شأن في هذه القضية : لا أعتقد بالمرّة
أنني كنت أبحث فيه عن عطف لأي .^٢ ولنا مقطع بأنها يجب أن تسلّم
في هذا الصدد أنها محقة ، ولكن ليس بالضرورة نتيجة للأسباب التي
تعلّوها^٣ .

والحق أن هذا الانكار يبدو لي مشروطاً بظن ما أصبحت سيمون
مستطيعت^٤ . منذ عامها الثالث عشر ، أن تُعْمَلَ في مقارعتها بأزاء أيها
(أن "تخضعها" لنفسها . وأن تفلت على هذا النحو من شرطها الأول)^٥
وذلك مع ظهور الصدور الأول التي كان عليها أن تحس بها في علاقتها

١ - ذلك إلى حد أقل وأقل بظن ما تكلمت في نفسها من قوة هذه الأسباب ، إلا تسلّم به ذلك
يضع سطور : "وج ذلك فإن الفكرة التي كانت عملي هي أنا وزوجي . قد تأثرت كثيراً
بجو مناخ بالمناخ التي كنت قد أصعبت بها بأزاء أبي .

معه . ومن ثم فقد بلغت بالفعل إلى أن تنعكس معنى الموقف الذي ترفضه ،
 إذ تبحث منذ الآن ، في أيها ، عن خلف زوجها المختار : هذا الآخر
 الذي سوف تستطيع يوماً أن تختاره ، يفيق من أنه سوف يعترف بها ،
 في وقت ما ، على نحو كنفوك له السلطة فيه ، ومع سيادتها هي الكاملة ،
 كيف لا نلاحظ على أي حال أنها إذ كتبت عن الإيمان بالله ، كتبت تأثير
 أيها ، فإن تصورهما القديم قد - أكثر بكثير من أية صورة أيها - هو
 الذي تطيله سيمون دوبوفوار على تعريف المختار ؟ أن الرجل
 الذي يعطي به القدر كان سوف يفهم في وجودي دون أن يزعج عنه
 سيادته ، ذلك ما يوحى مباشرة بما نعرفه من قبل عن أعمال ، عبادتها ،
 على الصعيد الديني : " كنت متفرقة وكنت مطلوبة ... كنت أحرص
 حوائلي بحضور الله ... لم تكن سيادته تنزع عني سيادتي " .

وعندما نحاول ، من ناحية أخرى ، أن نبرز حاجتها إلى رجل يكون
 متفوقاً عليها بأن نفسر لنا أنها كانت ترى هذا الآخر ، من الخارج ،
 باعتباره شخصاً تاماً مكتملاً ، بينما كانت تفكر في ذاتها ، من الداخل ،
 باعتباري في سبيل أن أصبح نفسي ، - أو بأنها ، كانت حشة جافية
 أكثر منها كرمية معطاء ، ، وأنها كانت ترغب ، أن تتلقى لا أن تعطي ،
 - فاعتقد أنني استشف أن سرّاً نظرياً ، لا أكثر ولا أقل ، يحول دونها
 وأن تعطينا هذه المرافقة التي كانتها ، حفظها من التقدير ، (والتعظيم ،
 في نفس الوقت ، بأن تحول دونها ، إلى حد يقل أو يزيد ، وأن نفهم
 كيف استطاعت أن تصبح هذه المرافقة التي هي) ، ذلك أنه من الواضح
 تماماً ، بالرغم من كل شيء ، أنه كان لابد لها أن تخضع إلى حد يقل أو
 يزيد لتأثير تعديلات اجتماعية معينة ، لتأثير اتجاهات نسائية سائدة في

١ - يترك القارئ ، بالطبع ، وأقول أن الوضع لا أكثر ، وبما يلي ، أنها هنا يصعد أسوأ كل ما
 يمكن أن نقوله لنا أنها سيمون دوبوفوار ، من الحب والصدقة ، من الأمومة والوضع
 الأسري ، من علاقها بالآخرين وعلاقتها بقاتها .

التي لا تردده معظم النساء أنفسهن في الانقضواء تحتها (النساء يتبعن إلى طائفة أدنى) - وهي تعميمات يوطئها «المكانة الأبوية» عندها، وتريدتها قيمة: بحيث أن «رجلاً» تميزه، يخاطر بأن يضع نفسه في عيبها تحت مستواها، إذا لم يضع نفسه بالفعل إلا على مستواها، إذا لم يبلغ أن يكون إلا «تدأ» لها^١. ولكن في مقابل ذلك أبدي اعظم التحفظات على الحجج التي تلزعت بهما منذ قليل. ان ما شرعت في أن تستدير به في اتجاه أيها، على شكل تطلب واعٍ (بعد أن استمدته منه، إلى حد يقل أو يزيد، على شكل امتياز غير مؤكد) ليس فكرة اعتراف استثنائي سوف يقدمه إليها «شخص تام» مكتمل، بل هو تخطيط لمشروع مشترك، حيث يكون «الطموح إلى التقدم حتى ما لا نهاية» هو نفس الطموح من كلا الجانبين: «ان الصورة التي كنت استدعيها كانت صورة ارتقاء وصعود كان شريكى، وهو أقوى مني قليلاً» وأفسد قليلاً على غثة الحركة، سوف يساعدني على أن أرفع نفسي إليه من درجة إلى درجة^٢. اما هذا الافتقار المزعوم إلى الكلام، الذي تحاول أن تقم عليه تفسيرها من جانب آخر، فليس يقاض على أن يقتضا، ونجاحه أننا قد رأينا هذه المرافقة تعطي نفسها - دون أدنى تحفظ، وبدون أدنى خطوع مع ذلك - حبثها لرازا.

١ - ويجب مع ذلك أن نحفظ نسبة هذه الظاهرة، إلى التلاعب أن يبدو في تلك الفترة، كانت تحكم على أنها بالفعل (وتحكم على تعبيرها كإمرأة) منذ ستين أو ثلاث، وأنها كانت تعبر نفسها بالفعل قاهرة على أن تقرر أنها لن تنجب أطفالاً، وأنها بلزا الله نفسه، كانت قد أظهرت، مبكرة، اشتغالا بالتيار، لا يقبل التنازل.

٢ - اما الاعتلاف الذي أراحت أن نفسه موضع الصدرة (بين ثبات الآخر، الذي يرى من الخارج، والتعبير الذي يمر به المرء لنفسه، من الداخل) فيبدو لي، مقابل ذلك، مجرداً كل التعبير في الحالة المحددة لعلالاتها مع زوايا: «كنت إلى نقطة معينة، معينة سراب. كنت أحس نفسي من الداخل، وكنت أراها من الخارج، لم يكن الطرفان متساويين في القوة». «مذكرات فتاة مستقيمة» ص ١١٥.

ولكن لماذا إذن كانت تطلب من شريكها في المستقبل أن يكون متفوقاً عليها ؟ لسبب أول يبدو لي واضحاً : أن يبعثون التي تريد لنفسها ناضجة كبيرة باعتبارها وعياً (لأن كل وعي هو لقور « حرية » أي مقدرة غير محدودة على التعدي) ما تزال تشعر من ناحية أخرى بوضعها الفعلي على شكل افتقار جلوي إلى قبضة على العالم . ما تزال تمارستها لخريتها تمر من خلال الكبار ، من خلال وعيهم الذي يملك خبرةً بالعالم ويعرف كيف يتصرف معه : ومن ثم فإن الصورة التي تستدعيها لقور هي صورة متعلق الخيال الذي يصعد الجبل ، في مقدمة رفاهه المربوطين معه بجبل واحد ، فيختار ويؤكد ويضمن مواضع القبضات التي سوف يستلهمها الآخرون بعده . وهي بهذا المعنى لا تحس نفسها أدنى بالمرّة من شريكها (فهي في مثل شجاعته ، وفي مثل قدرته على أن تصبح متعلقةً للخيال ، ولها مثل رغبته أن تصل إلى القمة) ومع ذلك فإنها تريد أن يرشدنا ويفودها ، هو الذي قد صعد الجبل قبلها مرات عديدة . فليس موقفها إذن موقف امرأة في المستقبل بمعنى عليها فضيلة بالوضع الأنثوي ، بل موقف مراهقة الرجل الناضج عنده بالفعل كائن متفوق : لأنه ناضج كبير ، ثم لأنه يحدث بعد ذلك ، بالتأكيد ، أن الرجال ، في العالم الذي بدأت تستشفه ، يملكون وسائل للفعل والعمل أكثر حسماً من الوسائل التي تملكها النساء .

يبقى مع ذلك كله سبب ثان يجب أن نستدعيه بلا شك ، إذا أردنا أن نضع موضع الاعتبار أن هذه الفتاة الصغيرة — فيما زالت بعيدة عن أن تدخل عالم الناضجين ، اجتماعياً — هي في نفس الوقت ، منذ الآن ، امرأة تقريباً : بحيث يبدو لها أن المعرفة الحقيقية التي أحست دائماً بحاجتها إليها ، لا يمكن بلوغها إلا عن طريق وساطة وعي ناضج ، وعي رجل . ولكن الأنثوية هي بالضبط التي تشفر عندك في حرمانها الواعية ، باعتبارها بعداً جسمانياً ، جسدياً ، وجنسياً بمعنى الكلمة من أبعاد كيانها الإنساني . والاحظ أن هذا الانتماء للأنثوية ، إذا كان على القور موضع نزاع ، من أولى

وجود الفعل الأيوية ، فقد كانت قد ثباتت له ، بالرغم من ذلك ، الحنان الرقيق العاشق الذي كانت تحسه في طفولتها الصغيرة بازاء أمها (ثم بالأصدقاء اللاحقة لهذا الحنان ، على شكل حسامية مرهقة أمام البحر الأثوي) - حتى أن فتاتنا المراهقة ، وقد أصبحت امرأة ، تجد نفسها بالفعل موزعة بين الرفض المطلق لانثويتها ، وقبولها المطلق . ولا شك أن هذا ، مضافاً الى أنها في الواقع ليست الشخص الناضج الذي تتطلب أن تكونه ، يمنع لنا أن نفهم أن سيمون دو بروفوار لم تنكر أبداً فيما بعد أهمّ تطلّب لها ، وأنها لم تتخذ أبداً ، بازاء الرجال ، موقفاً عدوانياً كان من شأنه أن يفضي بها الى أن تزيد نفسها أكثر « رجولة » باطراد . وعلى هذا النحو وجدت نفسها ، بالإضافة الى ذلك ، مستطبعة ، إذ تدور فكرة « الاختلاف » العنصرية أداة حاسمة ، أن تستخلص أكبر الفائدة من امكانيات الفهم والاعتراف الحقيقي التي يمكن أن تظهر ، بين الوعي الانساني والوعي الانساني ، على أساس من الأخروية (من طراز جنسي مثلاً) .

ولكن لن بدعشنا أن سيمون ، في الخامسة عشرة من عمرها وفي الظروف التي حاولت أن أيتها ، لم تعرف حق المعرفة الى أي مدى سوف يفيها عليها أن تريد نفسها موضعاً للتعدّي في داخل العلاقة المثالية التي تتصورها بين نفسها وبين زوجها ، (ذلك اذا وضعنا موضع الاعتبار أن انثويتها التي تحسها الى حدّ يقل أو يزيد ، ما زالت في عينيها ، بالرغم من كل شيء ، سراً يدعو للقلق) . ومن هنا ، فيما يلوح لي ، جاء هذا الاختلاف الذي يرفض أن يكون اختلافاً ، وهذا التطلّب للتبادل مع الآخر - على أساس سيطرة معتبة من جانبها .

لنا نرى الدور الرئيسي الذي قامت به زارا . فقد أثارت هذه الصداقة لسيمون ، مبكراً ، أن تعرف نفسها محبةً لكاتب تعجب به : متجهة في الواقع الى فتاة ، في نفس عمرها ، لم تكن تبدي فتوتها الا بحرية اكبر بازاء الكبار ، فلا يحكم عليها اعجابها لا بأن تقضي آثار أمها في حضورها أمام

الرجل ، ولا أن تعود فنتسقط ، باعتبارها غير كبيرة ، تحت السلطة العرضية للأشب ، ولا أن تحقر نفسها ، أخيراً ، بأن تعطي نفسها لـ شريك (إذ أن الفضيلة الجوهرية أرازا كانت سيرة ، بالضبط ، في اتجاه تعطيها هي) . إلا أنه حدث لها ، في هذه النقطة الأخيرة ، أن أحست بشيء من « الانتفاع » : كانت سخرية صديقتها ، وسهولة تصرفاتها ، ولطفها ، تعطيها عن نفسها ، في مقابل ذلك ، صورة مثيرة السخرية لتلميذة جديدة ، مثيرة ، متحسة ، ومحرومة من كل حسن قلدي بأزاء الآراء الجاهزة . ولكن يبدو أن ذلك نفسه كان إيجابياً ، إذ أتاح لـ سيمون أن تكتشف أنها لم تكن وعياً بحدٍ واقعاً في مركز العالم وأنه كان ينبغي حقاً أن يكون لها « وجه » ، أن تغلب بطريقة ما أن تكون موضوعاً ، تحت نظرة الشخص المحبوب .^١

« لم تكن زازا يدور بفكرها إلى أي حد كنت أجبتها ، ولا أنني نزلت ، من أجلك ، عن كل كبرياء ... » : « أما بأزاء جاك ، على كل حال ، فلم يكن الأمر على هذا النحو ، بالمرّة . فمتدما تلتقي به من جديد (وتشاء الصدف أن يكون ذلك تحت علامة حضور أثري مستطاب الطعم ، حضور « تيتيت » : « كانت تسطع وتومض طراوة وطراحة ، كانت لها شفتان جميلتان مكثرتان ، وكان المرء يكاد يمس تحت جلدها بنقشات دمها ») ، ويبدو أن جاك يشجع عنها متجهاً إلى بضع فتات « اجتماعيات » ، ونحن نذكر أن سيمون ، عندئذ ، لم تظهر متأثرة بذلك عمل الإطلاق ، إذ ترى ، بكل هدوء ، أنها أفضل من أولئك « الطالبات اللزقات كالشرطة » ، وأن جاك نفسه سوف يضطر يوماً إلى التسليم بذلك .

١ - « إنها لم تكتشف ذلك ، بهذا النحو ، في الحب ، سهل عليها أن تتوهم معه على الصعيد العقلي في أقل نظر ليس من شأنه أن يدعها ، فهي تلمس بالفعل بأن هناك « كائنات موهوبة وكائنات مستعصمة » ، ولكن إذا كانت هذه الأخيرة مدبة للأول ، بالانجذاب والولاء ، فإن لم يمض أن « ينكروا النكود » أن ينكروا « ذاكرته ووجوه » ، فيما لا تصل الكائنات الأولى أبداً إلا أن ينظروا إليه باعتبارهم شخصيات مرموقة .

٢ - « ذاكرات غداً مستقيمة » ص ١٢٠ .

وصحيح أنها في هذه اللحظة يسيلها إلى أن تستعيد لثتها بنفسها ، على المستوى الوحيد الذي كانت تميل ، حتى ذلك الحين ، إلى أن تشكل في نفسها عليه : « كان وجهه قد أخذ ينصلح حاله ، ولم يكن جسمي يضايقني . »^١ وها هو ، بالتساوق ، تأكيد الدور الذي عزوانه إلى صديقته : « كان نقاهتي مع زارا ، وتقديرها ، يساعدني على أن أتحور من الكبار وأن أرى نفسي بعيني »^٢ . كان أبو سيمون قد حاول ، على الجملة ، أن يكون بعيد النظر ونصير النظر بآرائها في وقت معاً ، ولكن بهت لم تلبث طويلاً حتى تحررت من هذا النظر المزدوج الزيف . ها هي ذي أخيراً تصل إلى أحد معابد المعرفة (مكتبة سانت جنتيف) وها هي ذي منذ الآن ، بطريقة كلثها ثقافية ، في الأيام الأولى من حياتها كخطابة ، تحيا هذا الطغلب الذي سوف تصوغه بعد ذلك بقليل على مستوى الوعي الثألي نفسه . أن تكون انسانية دون أن تكف عن كونها امرأة : « كنت البس ثوباً اسكتلندياً ، خيطت حاشيته بنفسي ، ولكنه جديد ، مفصل على مقاسي ، كان يبدو لي ، وأنا استشير الكتالوجات ، وأذهب ، وأجيء ، وأشغل نفسي ، أنني كنت ساحرة المرأى »^٣ .

١- « ذكريات فلانة مستقيمة » ص ١٥٣ . ونحن نعرف أنه الزيت مايل مستوي بعد أوج سنوات ، وأن الفتاتين ، حتى موتها ، لم تقطع صداقتها الصيفة ، بالرغم من بعض سوء التفاهم العابر ، الذي كان يرجع إلى التوفي والحجل الذي كان يسود علاقتهما . « كانت تظهر لي غالباً ما في الليل ، سفراء كل الصفرة تحت مصطف ودي ، وكانت تظهر لي بعبء . كما قد كانت معاً عند القدر الكثير عن أنيابه التي كان يترأس بنا ، وفكرت ، قوة طويلة ، أنني دفعت لمن حوطني يموتها » (نفس المرجع ص ٣٥٩) . وسوف نقارن سيمون على الدور ، علاقتهما بساتر بملابتهما زارا ، « كان مثل زارا ، لها ، وذهبت معاً لكشف العالم ، و صنف ، « طيلة الظلمة » ، متصل متصل إلى حد أن قلبي ، إلى حد يقل أو يزيد ، لهاب صداقتها الفجائي . « حتى موت زارا ضاع في لهابته (لهابته علاقتهما بساتر) . كنت أكره » . كنت أفرق ، كنت أفرق . . . ولكن ذلك حدث ليأ بعد ، على نحو سترق عني ، أن الحزن مثل طريقته في ذهني » (« قوة العمر » ص ٣٦) .

٢- « ذكريات فلانة مستقيمة » ص ١٧١ .

هي في السابعة عشرة من عمرها وهي «هبة» لابن عمها جاك ، أي أنها تعرض لأن تلزم دموع السعادة عندما تراه من جديد ، وتفكر : «أنا أبكي ، إذن أنا أحب» . ولكنها ما زالت عند بنت العم الصغيرة ، النافذة إلى حد ما ، التي ترى نفسها مضطرة ، لكي تجلب انتباهه ، لكي تتزوج تقديراً ، أن تثبت جذارتها ، على مستوى طفلي بالطبع . وهي سرعان ما تتجسس في ذلك ، ويظهر بالفعل أنه قد تأثر بذلك .

الا أنه ينبغي أن نلاحظ أن هذا الجهد نفسه في سبيل أن نحصل على الاعتراف بها (كما كان الشأن ، تماماً ، من قبل ، في مطلبها البسيط أن يعترف بها) يحول دون أن تتغير المشاعر التي تحسها بإزاء الآخرين إلى هوى مشبوب : «كنت أكره الدموع التي ذرفتها في تعجب ذات ليلة ، لا ، لم أكن أحبه ، لو كنت أحب ، فلم يمكن هو الذي أحبه ، ولكني كنت أطمح في صداقته .»^١ فما لم يتعاضد مع ذلك أن تحس نفسها «سعيدة» حتى لتظهر بإزاء زارا نفسها ، مسرورة المرح لا تكاد أقوالها أن تكون متماسكة عندما يأخذها جاك على محمل الجد بما يكفي أن يلقنها ، حقاً ، أول دروسه لها في عالم الأدب .

«لو كنت أحب ، فلم يمكن هو الذي أحبه...» كان الآخر ، ذلك الذي كانت تعتقد أنها تحبه بالآخرى في تلك اللحظة ، هو روبرت جاريك . كان مدرساً للأدب الفرنسي في معهد سانت مارى ، وكان بالإضافة إلى ذلك مؤسس «الفريق الاجتماعية» وزعيمها الرئيسي . وهي حركة كان ينتمي إليها جاك (وكانت حركة) «تهدف إلى نشر الأدب بين الطبقات الشعبية» . ومن ثم فقد فتتها مؤقلاً ذلك الذي كان ، في عيني جاك ، يجب أن يكون ضامناً لقيمتها . لا أن جاريك كان في الحقيقة قاتلاً ، بل لقل بالآخرى أنه كان ، خلال بعض الوقت ، بديل الله . كان جاك يروى

١ - نفس المربع ص ١٨٥ .

لعيني سيمون ، وكان يعجب بجاريك : واذاً فقد كان جاريك (يمكنه
ذلك) وعمله (يشكل عند سيمون ضمانتها في معنى جاك ، كما كان يشكل
ضمانه جاك في عينه هو .

ولكننا في الحقيقة التي يصبح فيها الأدب ، عندما ، عن طريق ابن عمها ،
بدلاً للديانة . واذاً فسوف تكون الكتب منذ الآن في متناول يديها باستمرار ،
وواقع العالم من خلال الكتب - بشرط أن شخصاً « مختاراً » ، ما يتقدم لكي
يُدخلها في البعد المقدس من أبعاد هذا الكون المنيهم . أما جاريك الذي
يبدو لها حقيقياً بالاعجاب ، فيبقى « معبوداً بعيداً » ويترقى إلى « المستوى
الثاني » بينما جاك (الذي يفتقر بشأن مشاكلها ، والذي يفتقر الكلام ، معه ،
يتخذ « أهمية أكثر فأكثر » : « وسرعان ما أدركت أنه وجد في قلبي
المكان الأول »^١ .

وجاريك يوشك أن يصبح في غير متناولها : فهي محاصرة الأخيرة ،
وخلال الأيام القليلة التي تلو ذلك تحس « بالموت في روحها »^٢ ، بل
غامرت بنفسها حتى « يلقيل » ، حتى الشارع الذي يفتن فيه ، حتى إلى
أمام يته ، ثم تحبو هذه الشعلة الصوفية - الرومانتيكية ، وسوف تسجل
هذه الواقعة وهي تتحوط كل الحيلة من أن تشعل جلوتها (« كان جاريك
قد انطوى إلى الأبد ») - أما جاك ، فعل العكس تماماً ، يظهر لها مكتوباً
على نحو باقٍ في كونها هي : فهي اذن تستمر في التعلق به ، دون حور ،
ولكن بطريقة أهدأ كثيراً (« جاك ، كان من المؤكد أنني سألتقي به في
أكتوبر ، وودعته دون حزن ») .

ومع ذلك فبعد أن انطوى ، جاك يروق في عينها حقاً ، واذا كانت

١ - « تكرات لغة مستقيمة » ص ١٨٤ .

٢ - « كنت أحفظ من ظهر قلب هذا الوجه الذي كان سوف يظفر » ، إل إل إل . ان المصدر
كلّ تماماً ، والعياب جلدي تماماً ، وما من شئلة كانت تبدو ممكنة بينها ، (نفس المربع
ص ٢٠٢) .

نحب فيه ما يساعدها هو على أن تكتشف ، فذلك على وجه الدقة بالغير الذي نجده فيه محبوباً . هناك ، هناك المدهشتان ، وفيه المدهش ، وما يبدو عليه من صحر ولفظ ، ، وهناك فوق كل شيء ، هذا التور الملاحظ في عينيه عندما كنت أنكلم إليه عن نفسي ، ، إن علاقته بخاريك (، له من العمر أكثر قليلاً من ثلاثين عاماً ، أشقر ، أصغر قليلاً ... وفي كلامه شبهة من لغة أهل ، أوفري) ترجع إلى مثالية صوفية معينة ، تنقلها عندها والقيمة نظائرها ، أما علاقته بجاك فأكثر استهزاماً ، أكثر واقعية ، أكثر التمازجاً بوجودها هي - أقل إطلافاً ، إذا شئت ، وبالتالي أقل تعرضاً للتهديد أن تتغير فجأة إلى غياب جذري . ولكنها تحس الحاجة إلى هذه العلاقة ، مثلك ، على مستوى حياتها اليومية نفسها ، فقد كانت هي العلاقة الوحيدة حتى ذلك الحين ، التي يتيح لها أن تحس نفسها معترفاً بها ، وفي الوقت نفسه ، صورية : كما هي على علاقتها ، كما نزع منها أنها هي .

هل هو الحب الذي نكلم عنه هنا ، أم الصداقة كما نختار أن نقول في معظم ملاحظاتها عن جاك ؟ لا هذا ولا ذلك ، فيما يبدو لي - ولكنه في نفس الوقت ، بلا شك ، المثلث السبتي ، الاستعمار سلفاً ، الانتظار ، والمطالبة المبهلة بالحب : بما سوف يجب أن يكون عليه الحب عندها . وصحيح ، بمعنى من المعاني ، أنها لا تحب ابن عمها : « كان جاك وسيماً . وسامة طفلة وجسدية ، ومع ذلك فإنه لم يجعلني قط أحس بأدنى الاضطراب ولا بقل الرغبة »^١ . هذه النقطة رئيسية باعتبار أنها تدل على الغياب المؤقت ، عندها ، لكل حاجة محددة لأن تهب نفسها للآخر ، ومن هنا جاء ذلك الموقف الذي رأيناه ، والذي لامت سيمون نفسها عليه ، تحت أعيننا ، والذي يبدو أنها فيه لا تشترك في الاعتراف بالآخر إلا مع نظائرها أن تحس نفسها ، هي ، معترفاً بها من قبل شخص له قيمة . إن ما يهمها قبل كل شيء ، هو خلاصها هي ، وليس الآخر هناك إلا لكي يتيح لها أن تصل إليه .

١ - « مذكرات ليزا سيمون » ص ٢٠٨ .

وبعبارة أخرى ، فإن الآخر ليس ، بعد ، على نحو ما ، إلا بديلاً له
(« كانت الشاعرة التي أحبتها له تنجبه إلى ملكة ») والاتحاد الذي تتصوره
معه ينتمي إلى نمط صوتي : « كنت إذ أحب جاك ، أفكر أنني أتمم قدرتي ...
كانت هذه الأثوية مكتوبة في السماء .. وإذا آمنت بقدرتيها ، فلذلك
أنني ، دون أن أعبر عن ذلك لنفسي بوضوح ، كنت أرى فيها الحل المثالي
لكل معضلاتي ... » .

إن سيمون بحاجة إلا تحس نفسها بعد في المنفى ، أن تتصالح مع الآخرين ،
ويبدو لها أن هذه المصالحة يمكن أن تمرّ عن طريق ابن عمها جاك : « كنت
أفكر أكثر ، نحن الاثنين » كما كنت أتمم فيما مضى « نحن الأربعة » ... ،
وكان أهلي قد رقت حاسيتهم لي ، كنت أعود من جديد تلك التي يحبها
الناس جميعاً ... هكذا صنعت خلاصتي في سلام القلب لا في التمرق . »
وإذا كانت هذه الجملة الأخيرة تبدو لي حاسمة على نحو مطلق ، فلذلك
أنها تؤكد بقوة - منذ هذه اللحظة التي لم تتأدّ فيها سيمون مع ذلك أن
أن تحيا في جسدها موهبة ذاتها - ذلك الديالكتيك الذي سوف يظل عندها
جوهرية : بين الحب والخربة ، بين الحاجة إلى الاحساس بنفسها
محبوبة ورفض الاغتراب من جراء ذلك . ذلك إن سيمون دو بوفوار ،
لأنها عجزت في وقت مبكر جداً ، وفي نفس الوقت تقريباً ، حنان الغير
والتمرد على الاعتصاف ، لأنها ظهرت قاهرة منذ صغرها أن تؤكد ، في
كل مناسبة ، هذا التطلّب المزدوج ، قد استطاعت بعد ذلك بكل تلك
السلطة الفارقة ، أن تدوين موقف الرجال من النساء ، وأن تحيا ، مع رجل ،
ذلك الاتحاد المسّوق الذي يستند ، تحت أعيننا ، منذ أكثر من خمسة وثلاثين
عاماً ، حيث أكبر الحرية فيه تتكسب الرقة والحنو ، يوماً بعد يوم ، كل
عقدها .

كانت تعد نفسها ، وهي في الثامنة عشرة من عمرها : « لن أنازل عن
شيء » : « لم تكن السعادة بالقرب من جاك لتصبح يوماً ، أبداً ، كانت

أيامنا سوف تتكرر ، في رقة وحنن . ولكننا كنا ، يوماً بعد يوم ، سوف نابع بعثنا ، كنا سوف نوه جنبا الى جنب ، دون أن نقل طريقتنا أبداً ، إذ يوحدها قلنا ... » . وهي لم تتأثر عن شيء . بالفعل ، عندما أصبحت امرأة ، ولكنها استطاعت أن تترك هذا التطلب للسعادة الذي جعله سعادة طفولتها بفرب يجلور في أمهاتها ، يعتبر عن نفسه ملء التعبير - وأن تقوم . حل ذلك النحو ، في العالم ، يعمل أكثر واقعياً من هذا القلق ، وهذا البحث المتلصص الذي تصورت نفسها قد انتهت إليه ، سلفاً ، في قمة أزمته . ذلك أن سيمون ، عندئذ ، « خفية » وذلك هو الذي يحول دونها وأن تحب ، في نهاية الأمر . ونحن نعرف أنها تحس السأم ، إذ لا تستشف بعد كيف يمكن لها أن تصرف لكي تواجه أعبراً هذا العالم الواقعي . في سيادة وعيها هي . ونحس بنفسها وحيدة وحيدة حقيقة ، ولكنها مع ذلك لا تطبق بعد صحة الكبار . وهي تأخذ في اكتشاف جوانب معينة من أكثر جوانب الوضع الانساني مدعاةً للأذى . وأنا أبل كل الليل أن أجد في ذلك المعنى الحقيقي لهذا الاستيهام الغريب الذي يقل عيشاً حل مشاعرها بازاء جاك . ذلك أن هذه الفتاة الصغيرة ، في النهاية ، فاضحة جسدياً ، لقد عرفت من قبل اضطرابات جسدية معينة ، وهي أحياناً قاهرة على أن تحب صورتها هي ، ولم ينقطع ابن عمها عن أن يبدو لها تحت أكبر المظاهر فتنة (وهي أكثر المظاهر مدعاةً للاطمئنان أيضاً ، نتيجةً للأنثوية النسبية التي يسم بها سحره) . وفي مثل هذه الظروف لا يمكن أن نكتفي بالقول أن سيمون لا تحس أية رغبة بازاء جاك : " وينبغي بلا شك أن

١ - في « نورد » مثلاً : « أصبحت بصدية ، المتخفرون ، والسجزة ، والتمورون ، أمام هذا المركب البشع ، وحيث بقصة : أن العالم ليس حالة من حالات الفرج . كان القاسم أليسان ، وكانوا ينامون ويتأثرون ، في أجهلهم ... لم يكن هناك شيء . جيلبي الا هذا اليوس المشتم ... » (مذكرات فتاة مستقيمة ، ص ٢٠٥) .

٢ - وأن تصور ذلك بالاشارة خلا الى القسط المشتم الذي كانت يبعثها الباشرة تمارس على الفن والفتاة ، لم تنقطع العائلة فقد عن أن تسبغ نفسها طيلة ، سواء كانت مصادفة لنا أو راضية ..

لضعف أنها تحاط كل الحيلة من أن تحس مثل تلك الرغبة ، وأنها اختارت ألا تحس بها - بل قد ما تستطيع ذلك حقاً ، معاً - وربما كنت تخطئ ، عندما كتبت بشيء من الدفعة في مذكري أني (جاءك) لو أني بحركة نمت عن الختان والرقعة ، لتقبض والسحب شيء ما في ذهني : ذلك يعني أنني على الأقل في خيالي كنت أتلف على مبدئية ، ولشرح هذه الكلمات الأخيرة : إن ذلك معناه ، في نفس الوقت ، أنها كانت كبيرة ناضجة إلى الحد الذي تفكر في ذلك ، وأنها تفضل مع ذلك لو أن ذلك لم يكن قد حدث .^١

ومهما كانت سيمون تتصور نفسها ، في تلك الفترة من الأزمة ، شقية ، فإنها تصر مع ذلك على أن تريد السعادة ، بحركتها هي ، هناك اليأس الانساني ، هذا صحيح ، ولكنه مع ذلك «معم» حقاً في عينيها ، لا يكاد يفهم : «انفست بضعة أيام في القول ، ثم استأثفت خيط همومي من حيث القطع ، وجاءك ، على وجه الدقة ، يشعل الصدارة في المشهد ، من هذه الناحية : «هو وحده كان يستطيع أن يساعدني» - «كان أملي الوحيد» ، وانظر كيف هي مستعدة بالفعل ، لأن تنظي مساعدته ، وكيف بقيت فضيلة حماسها كاملة لم يتوردها نقص في قلب وحدتها ، وهي تلقي بحالك عند العودة من العطلة ، ويكرثها خطاباً لم يكن قد حرو على إرساله لها ، يستهي بهذه الكلمات : «هل تخمين أن لعمري مني صديقاً لك ؟» : «أشرفت في قلبي شمس هائلة» ، ولكن جاءك ، للأسف ، بأحد في الكلام : «وعنهم العشق» ، حتى ذلك الحين كانت سيمون قد أمكن لها أن تعتقد أن علاقتها به كانت تعاني من أنه لا يهتم بها بما فيه الكفاية : لكنها اكتشف عندئذ أنها محكوم عليهما ، بطريقة ما ، في حدود أنه لا يستطيع حتى أن يهتم حقاً

١ - سوف تعود عما قليل إلى ما يتطوي عليه هذا الوقت ، عندما نتناول ، بطريقة مباشرة أكثر ، العلاقة بالذات مع سيمون دويغولوار ، على مستوى الجسم ، والجسد ، والاشوية ، (انظر الثالث ، الفصل الأول) .

وجوده هو . « لن أحب أبداً أحداً غيره ، ولكن الحب بيننا مستحيل » ،
كما نكتب في يومياتها الخاصة ^١ . ذلك أن المرء في عيניה ، لا يمكن أن
يحب عندما لا يكون سعيداً : « جاك لا يحبها ، لأنه يعيش ، كما هو واضح ،
في جذب وضيق » ، إذ أنه قد اتخذ لنفسه أسلوباً أن يكون ، قبل الأوان ،
ضحية لا يبرء منها . « وأن خلفه السهولة لا تمنعه من أن يحضر نفسه ، من
ألا يعرف بعد ، ماذا يفعل بنفسه » . وما دام لا يحبها ، فإنه لا يستطيع
ألا أن يردّها هي أن تفلتها ، فيحول دونها ، بدورها ، وأن يحب حقاً .
ذلك ما كانت قد استعمرته سلفاً عندما أتت على نفسها ، قبل ذلك بقليل ،
أن تفصل السعادة عن الحب وعن الصداقة وعن الرقة والحنان . ولكنها
سالم تكن قد التزمت (بإزاء نفسها) بمشروع الحياة مع جاك ، فقد اقتضت
عندها على أن تدبر تطلّعها هي أن تكون سعيدة : « قررت قانوناً أن كل
سعادة في حدي ذاتها هي سروط . كيف أوفق بيننا وبين القلب ؟ » أما الآن ،
فإنها تدبر الحب ، حتى لا يكون عليها أن تنكر « التزامها » : « يستحيل
التوفيق بين الحب والقلب » ، « متحيا معه ، سيكونان قلقين معاً » . (وكان
سوف يتعين عليّ أن أبعده في طرقه العنيفة الوحيدة) ، ولكنها لن يتحدا ،
ولن يجعلها سعيدة : « كانت الأسباب التي من أجلها أربط بين مصيري
ومصيره ، تستبعد أن يأتي إليّ بالسعادة » .

كانت سيمون ما تزال غارقة حتى العنق في لأمعنى عالم بشرها في أكثر من
ناحية ، ويستعصي عليها ، وهي تجد عندها ، في حاجتها إلى جاك (وكذلك
في الشفقة الرقيقة التي يوحى بها إليها بألمه المزمن وقلبه معاً) نوعاً من الدعوة
إلى الكرم المريب ، وإلى التسليم : « كنت أتردى في هوة التخلّي » ، ولن
يكون عليها ، فيما بعد ، أن تطلب طويلاً عند الطريقة التي استطاعت بها
سيمون دو بوفوار أن تحيا الحب طوال حياتها . ذلك أن الجوهر في موقفها
من هذه الناحية ، سوف يتحدد - على طريق الاتيات بالتفصيل - في هذه

١ - « مذكرات فلاد مستقيم » ، ص ٢٢١ .

السطور القليلة التي لم تلبث تطور علاقاتها بذاك في السنوات الثلاث التالية أن أظهرت مضمونها : « من المستحيل أن أطيق أن أعزى ستكون زوجته : ومع ذلك فقد اكتشفت أن فكرة الزواج به تقترني ... لم أكن أريد فيه بعد خلاصي ، بل ضياعي .. كانت فكرة حب نفسه تلجني .. وإذا اغت الحاجة التي أحسها إليه ، كنت أحس نفسي أقل قدراً ، ولكنني كتبت الآن : « إنني بحاجة إليه ، لا إلى أن أراه . » كانت محادثتنا بدلاً من أن تبحث في حياة ونشاطاً ، نصيبي بالعجز والخور ... »^١

ومن هنا فلم يكن الأمر عندها إلا صراعاً بين ولايتين : أحدهما ولاءٌ لها هي عليه بالقل ، والآخر ولاءٌ لما تريد أن تكون ، ولحن تعرفها الآن بما يكفي لأن تتوقع أن الولاء الثاني هو الذي سوف ينتصر . ولكن هذا الفنى « الساحر ، القاتن » الذي « تطلعه .. النعمة والرفقة » قد فتنت به سيمون بالرغم من كل شيء على نحر دام ملوياً . لا شك أنها كانت بحاجة إليه طالما كان هو الوحيد ، في بيتها ، الذي يمكن أن تعرف له بشيء يمت بصلة القربى ، من بعيد ، بالاعتراف الذي كانت تطلبه هي من الآخرين ، لكن ذلك لا يكفي بالضرورة لتفسير أنها كتبت مثلاً في يومياتها الخاصة : « أحبه .. أحبه بخون » . وما تستطيع أن تحفظ به ، على الأقل ، عن هذا الحوار (الذي استمر في دخيلتها تقريباً حتى اللحظة التي أدركت فيها سن الضدوج) ، هو أن سيمون كانت ، منذ الآن ، امرأة بما فيه الكفاية ، وأنها أرادت نفسها ، منذ الآن ، أن تكون إنسانية بما فيه الكفاية ، حتى تبلغ من ذلك « أن يسلجها الأمر ، بازاء الكائن المحبوب » منذ أنها كانت تستشف فيه لا قوةً تساعد على أن تصنع نفسها ، بل نوعاً من الضعف الطبائي ، تفرغاً زائفاً متقلب الزوات سوف ينبغي عليها أن تصحى له « بقيتها » . و « أمانيتها الشخصية » وحاجتها المطلقة إلى أن تتصور نفسها

١- « ذكريات لثلاث مستقيمة » من ٢١٢-٢١٣ (والكلمات « إليه » و « أن أراه » تعبر تعبيراً سيمون ديغولر خطاً لتؤكد لها ، في يومياتها الخاصة .)

سيده نفسها ، الى أن «تخترق»^١ ، أن تكون دون توقف في صعود منطلق .
 «أما أنا فقد كنت أبحث عن تعدد ، عن تنام» . أما جاك فليبدو أنه استطاع
 الاكتفاء بممارسة حرية غير ثابتة القوام ، على شكل ضروب من «القوضى»^٢
 في داخل نظام اجتماعي يحرص فيه من ناحية أخرى على أن يلعب بالضبط
 دور «شخصيته كصاحب عمل فني» ، و«رب عائلة» . وعلى هذا النحو سوف
 يجب على سيمون أن تأخذ في أن تحس له بالاحترار حتى لا يكون عليها أن
 تحضر نفسها : «لن أستطيع أبداً أن أرفض بما كان يرغبه»^٣ .

نحن نعرف أن معظم الفتيات الصغيرات يسفرن في مثل هذه الدعاوى ،
 منذ عامهن^٤ السادس عشر أو السابع عشر ، وتعرف أيضاً ماذا يحدث لهذه
 الفلذات الخاصة ، وهذا الزيف عن الجادة ، في أغلب الأحيان ، تحت
 ضغط التزام الأصول والمواضعات الاجتماعية التي تهب العائلات الحريصة ،
 عادةً ، على تقويتها عند بناتها . على هذا النحو تشكل النساء ، في أيامنا
 وفيما مضى على السواء : بالعب على هذا الكرم المعنى عليه الذي يحفز
 العبد أن يخلص الولاء لسيدة ، والأجير لصاحب عمله ، والمخلوق لاله ،
 إذ يبدو لهم أن المسيطر يجب بهم بينما هو يحتفظ بقوة السيطرة عليهم .
 إلا أن القلق الذي يعيش في صدر جاك ليس هو القلق الذي يعيش في صدر
 سيمون . كان اهتمامه بها ، وما استطاع أن يقلعه إليها من مساعدة ، كانت

١ - وهذا هو ما تنجب به عند جاك أكثر ما تنجب به : «كان حراً ، كان يتصرف» من
 الصباح حتى المساء ، ويسل ويوفج ، ويخترق ، . وسوف نلاحظ هارين ، الطريقة
 التي تنسج بها نفسها هذه القفيلة التي تتوزع له بها : «كان له وجه طريقة ، لا بيت ،
 لا مهنة ، لا رولين ، ليست في أبهى أية تقاليد : كان وحيد .. الخ» . («مذكرات
 فداء مستقيمة» ص ١٩٦) .

٢ - في نحو هذه الفترة نفسها ، كتبت : «أنتي عندما لمحبته أكثر الحب أنتي ، أكثر ،
 هذا الحب الذي أمته له» . وتقول كاترينا : «كنت أعني أن تجري هذه الفتاة إلى
 أصبح أمرها ، وكنت أرفض ، بقراءة ، الحياة التي كانت تنظر من أمام ليجون
 المستقلة» . (نفس المرجع ص ٢٢١) .

دائماً أكثر ما يمكن أن يكونوا قلبياً وتذبذباً ، لم يتعلق بها قط كما لا تزال متعلقة به ، وهي تعالي من ذلك يوماً بعد يوم ، ولكنها مجردة من كل أداة ومن كل عُدَّة (مضطرة الى الفرار من الدنيا ، وغير مستطوعة بعد أن تستند الى العالم) الى حد أن الأمر يصل الى أن تشكره على هذا العذاب ، وأنه لكفيها ، هنا وهناك ، انصاصة ، أو نظرة ، أو نغمة في الصوت ، حتى تفكر أنها مدينة لنفسها أن تقاسمه صراعاً لا يتصور ، حتى ، أن يغويه ... « كم كنت ممثلة بفلك لتراوجه بين الشك واليقين ! كنت أريد أن أساعده كما ساعدني . وكنت أحس نفسي مرتبطة به ، بأكثر من ما عينا ، بتوقع من الحلف يجعل « خلاصه » أكثر ضرورة لي ، من خلاصتي . »^١

فلنضخص ، الآن ، قليلاً هذه الحية للذات ، هذه « المقدمة للنفس قرباناً » - ولنفهم كيف يحدث أن كل هذا العدد الكبير من الفتيات الصغيرات يحدن أنفسهن مزوجات دون أن يكن قد شرعن في الوجود بدواتهن ، ويترغن بذلك لخطر أن يحسن أنفسهن نهائياً في الوضع الأنثوي ، أن يبقين « نساء » في نظر أنفسهن وفي رؤوس الرجال ، ألا يصبحن أبداً نساء حقاً : « إن السبب الرئيسي في مثابرتي المشيئة ، هي أن حياتي ، في خارج هذا الحب ، كانت تبدو لي مغاوية عقبة الى حد يدعو ليأس . لم يكن جاك إلا جاك ، ولكنه ، من بعيد ، كان يصيح كل شيء : كل ما لم أكن أملكه . كنت مدينة له بيهجات ، وآلام كان عشتها وحده يختصني من السأم القحل الجلب الذي كنت أقفص فيه « ان « الجنس الثاني » كله . في هذه العبارة ، وقد تعصبتا جلور ذلك كله ، تماماً ، من قبل ، فلم يعد أمامنا إلا القليل مما يمكن أن نقول .

أما فيما يتعلق بجاك ، على كل حال ، فالمسألة مفروغ منها . لا تهم التفصيلات والتذبذبات الوسيط : أما المرحلة النهائية للعلاقات بين سيمون وابن

١ - مذكرات ثمة مستقيمة ، ص ٢١٨ .

عنها فإن تكون إلا النتيجة المطلقة لصراع لم تقف فيه سيمون في معارضة أحد إلا نفسها ، بين تطلب كينونتها ووضعها الفعلي . ولا بد أن هذا الوضع كان بنوئها ، بقله الراح ، إذ أن كائنا علما تستدعي الأيام الأخيرة لهذا القرن الوهمي ، تستطيع بعد أن تكتب : « كان الماضي يسلك بي : كنت قد تحببت كثيراً ، ومنذ زمن طويل ، أن أحمله كاملاً معي ، إلى المستقبل ! » . الكرم نفسه ما يزال هنا ، ما يزال مفضلاً معصياً عليه في حدود أن موضوع هذا الكرم لن يهتم بالمرء بأن يرد كرمياً بكرم : نجد سيمون ، مثلاً ، أن تقابل في هدوء معرفتها بعلاقة نسائية أقامها جاك ، إذ تقتصر على أنها بالرغم من كل شيء القسطنطين بلانكا ، ذلك أنه عرف كيف يقول لها إنه لا يقدر النساء ، وأنها كانت عنده « شيئاً آخر غير مجرد امرأة » ... ومع ذلك فإنها تستألف تفكيرها فيه « باشمزاز » ، وتذكر حزناً (« لم يكن ليحلك ، في نهاية الأمر ، أهمية أكبر من أشجار هذه الحديقة ») ، وأن تمي أنه ليس هناك أدنى سبب أن تؤكده ، ما دام يشبه الجميع ، وما دامت تعرف حتى المعرفة أنه « في عدد كبير من النقط ، أقل من الكثيرين » : « انتهى التسامح إلى لامبالاة » ، وإذا تكتشف أخيراً أنها ليست بالنسبة إليه بعد وضع كل شيء موضع الاعتبار ، إلا واحدة من بين الأموريات ، تراها تذهب إلى حد أن تقول لنفسها إنها « ربما كان من فائدتها أن تنتهي من هذه الحكاية القديمة وأن تبدأ من جديد شيئاً مختلفاً كل الاختلاف » : « لم أكن أرغب بعد ، بصراحة ، مثل هذا التجديد ، ولكنه كان يفريني . قررت على كل حال أنني لكي أحيي ، وأكتب ، وأكون سيدة ، أستطيع الاستغناء عن جاك تماماً »^١.

١ - « مذكرات فداء مستقيمة » ، ص ٣١٨ - ٣١٩ . إن يلو جاك طويلاً حتى يزوج فدا لها زوجة كبيرة ، وأن يهدمها ، في نفس الوقت الذي يضع فيه المصنع القديم ، وأن يصنع عسة أو سعة أطفال ، وأن يجد نفسه في الشارع ، تقريباً ومات في الشابة والأربعين ، من العيون إلهيالي البيت . « كانت بنت عمه قد زارت قبل ذلك بعام واحد . لأول مرة منذ عشرين عاماً .

ويتفق على ميل الصدفة المُنْجِية ، أنها كانت قد لويطت منذ قليل بصداقة مع أندريه هيريو - وهو بدوره صديق لساوتر وفيزان ، وهو فوق ذلك يذكّرنا بحاك : « هو أيضاً ، كان يحل غالباً إصامة محل عبارة ، وكان يبدو أنه يعيش في مكان آخر غير الكتب »^١ ، وتكتب ، في نفس الساء أن عند « نوحاً من الذكاء يستأثر بطلي ... » .

مهما كانت سيمون تعرف أنها سريعة التحسس والاندفاع « ويضي أن يتلاشى السحر سراً » ، فإنها « تندعش مع ذلك لعنف الشغف الذي يستبدّ بها بازائه » - إل حد أن تتألم في يومياتها عما إذا كانت ، بلغتها هيريو ، لم تكن بطريقة ما قد التفت بنفسها : « لماذا أنا مضطربة كأن شيئاً ما قد حدث لي حقاً ؟ » وكانتنا عندما تعيد قراءة هذا السطور التي ترجع إلى عالمها الخاص والعشرون ، وتعطيها لنا لكي نقرأها : توحى ، بشيء من المكر ، أنه قد حدث لها بالفعل شيء ما ، (« فترى بشكل مباشر : كل شيء حيائي ») ولكنها لم تدرك ذلك إلا بعد قليل ومفهوم أن ذلك هو لقاءها بساوتر نفسه . ولكن كل ما نستطيع أن نقول عنه ، في نهاية الأمر ، حدث ، أنه في « الأيكول النورمال » ، وأنه ينتمي إلى « قبيلة » صغيرة جداً مغلفة كل الاغلاقي ، وأنها شخصياً - إذ نراه من بعد - لا تأخذ عليه أي شيء . « عطر : « لم يكن شكل ساوتر سيئاً ، ولكن كان يقال إنه أنقطع الثلاثة ، وكانوا يهتمونه حتى ، بأنه يسكر » . فلنحلم قليلاً حول هذه الومضة الغريبة ، حول هذه المقدمة المليئة بالسخرية ، التي سبقت الفجر الباذخ ، ذلك الفجر الذي سوف تجد السماء البوقاوية من لحظة إلى لحظة ، أنه قد غزاها إلى الأبد . فلنحلم حول مثل هذه المعجزة التي تنهيا هنا ، حول هذه البدايات الغامضة لحب أصبح شهيراً شهرة مزدوجة ، ولكن لا بدعنا ذلك أن نبعد عن هذه الواقعة البسيطة : أن سيمون في ذلك

١ - نفس المرجع من ٣١١ . هيريو ، كما نذكر ، هو الذي التقىها « بالقدس » .

اليوم ، تعرّف لنفسها بأنها قد اضطربت اضطراباً ميقاً بلقائها مع هيريو ،
بينما لم يزل سائر عندنا الا شكلاً فيه شيء كثير من التجريد .

وقد رأينا أن صديقها الجديد يذكرها بحاك : هل أنه يصح أن نحدد هنا
أنه لا يذكرها به الا لكي يتعير عنه ، هل القور ، في نقطة رئيسية . يظهر
هيريو ، دفعة واحدة ، رجلاً حليفاً ، من لحم وعظم ، ان له جسماً ،
ولم يكن في وجهه جاك ، بالتأكيد « شيء ملائكي » . ولكن فيه نوعاً من
التلمية البورجوازية التي تخفي جشبهته القاذرة . لت أود أن أثبت عن
أوجه التبع في الخصام مع كاثينا ، حول نقطة من هذا القيل : وإنما أود
أن ألاحظ فقط ، أن بنت العم الصغيرة قد أظهرت نفسها متأثرة ، فيما
مضى ، وفي مناسبات كثيرة ، بهذه الحسنة ، على الرغم من كل شيء .
ولعله ينبغي أن تعطي أهمية اكبر لتلك الملاحظة الأخرى التي تقول إن
سيمون ، « وقد تعبت من الملائكية » قد اجتهدت من أن هيريو يعاملها
هي « كما عاملتها ستيلا وحدها - باعتبارها مخلوقة أرضية » . ان عودة
وجيزة إلى الوراء سوف تتيح لنا أن نلحظ الى أي مدى تستأثر هذه الذكرى
الأخرى بقلب سيمون أكثر مما تستأثر به ذكرى ابن عمها .

ستيلا طالبة بولندية في مئة شابها لقبها سيمون في العام السابق ، أثناء
العطلة التي أمضتها سيمون مع زازا : « وجدتني ساحرة ... كان لها شعر
أشقر جميل ، وعينان زرقاوان واعتنان فائرتان وساحكتان معاً ، وفم
مزدهر متفتق ، وفتنة خفية غير مألوفة لم يكن عندي من المرأة عندئذ
ما يجعلني أطلق عليها اسمها : الخرافة الجنسية . كان لديها التبحر الشفاف بكشف
عن كفتين شهيتين ... » أو « كنت أطلب نفساً معها . كنت أحب رقة
ياقتها القرو ، وقلنسواتها الصغار ، وفساتينها ، وعطرها ، والتدليل في
صوتها ، وحركاتها اللطيفة المداعية . كانت في علاقتي مع صديقتي -
زازا ، وجمالك ، وبرائلي - صراحة بالغة دائماً . كانت ستيلا تأخذ بفراعي
في الشارع ، وفي السبعا كانت تضع يدها في يدي بعمدة وكانت تقبلي

سواء قلت نعم أو قلت لا. ١ - وبمثل الوجه هيريو إلى سيمون كلها - لا إلى روحها : « كان يضحك لي في وجهي ، و يضع يده على خراحي ، وكان يتهددني بأصبعه وهو يناديني « يا صديقي المسكين ! » ، وكان يدي عن شخصي طائفة من التأمّلات ، لطيفة أو ساخرة ، دائماً غير منتظرة . » وعبارة جملة ، تحس سيمون نفسها امرأة منذ بعض الوقت ، ولكن الوقت يفوت وهي لا تتأكد من ذلك ، من نظرات الرجال . يكلّمها هيريو عن طريقها في المشي (« سريعه ») ، وفي الكلام (« صوتك المبحوح الغريب ») : وهي تكتشف أن لها طريقة في السير ، وصوتاً ، وتغنى بزيتها ، وبطريها على ذلك ، وتعرف له بفوقها من أنها « ليست أنثوية جداً » : فيجيبها ضاحكاً : « أنت ؟ » - « بطريقة تخلفني كثيراً » ... « كنت مسرودة معه ، يزاد سروري معه يوماً بعد يوم ، وكان المستطاب في ذلك أنني ، من خلاله كنت مسرودة بنفسي . » ٢

والى ذلك ينبغي أن نصيغ أن هيريو يمثل في عيني سيمون هذه الميزة الأخرى الخامسة : أنه يريد ، كما تريد هي ، أن يبي نفسه ، لخارج الإطارات القديمة ، حياة فيها الكبرياء ، والبهجة ، والتأمل - أي أنه ، إذ يأخذ الوجود على حمله الجدي ، لا يفعل ذلك بلزاه نفسه ، بل يتصرف في كل مناسبة بأكثر الطرق حيوية وتشاطاً ومرحاً : « إن بما لا يقاوم فيه ، إلى آخر حد ، ضحكك : عندما كانت ضحكك تنفجر ، كان يبدو لي كل شيء جديداً ، مدعشاً ، لذيذاً . »

ومع ذلك فإن هيريو متزوج ، وهو ، في الثلاثي الذي يشكله مع سائرته وليزان ، يرتبط بسائر أساساً : وسوف ينزل إليه عن مكانه وشبكاً ، مهما كانت صداقته لسيمون صداقة غيوراً .. ذلك أنه قد

١ - مذكرات فلاد مستظية ، من ٢٧٥ إلى ٢٨١ .

٢ - مذكرات فلاد مستظية ، من ٢٢٢ .

لجسمت كل الشروط أخيراً ، هذه المرة . لقد شرعت في التغلب على علاقاتها الأصلية بأبيها وأُمها ، بطريقة أفضل وأفضل ، من خلال جاك ، وزارا ، أو ستيغا ، ثم بفضل صداقتها مع هيريو : أي أنها تغلبت على حاجتها المركبة إلى أن تتوحد آنآ مع «رجولتها» هي ، وآآآ آخر مع عرضية الجسد ، مع الميل إلى السيطرة آآآ ، وآآآ آخر مع ميلها إلى الحبسة الكلية للذات . لقد صارت قادرة على أن تناصب نفسها الزاع دون أن تفصح بنفسها ، على أن تريد ذاتها دون أن ترفض نفسها على الغير . إنها تكشف نفسها امرأة ولا تكف مع ذلك عن أن ترى نفسها معترفاً بها كزوجة منفصل كامل . إنها سعيدة ، إنها تعتقد أوأصرها مع المرح من جديد ، إنها تهز فرحاً وجدلاً ، إنها تتعير بهجة واستبشاراً : إنها على استعداد لأن تحب . « هذه المرة ، كانت الحياة تفتح حقاً . »^١

هناك بالتأكيد ما يمكن أن يكون دراسة مرموقة ، من كل ما نقول لنا سيمون دوبوفوار عن جان بول سارتر ، وليس ذلك ما ألفصد إليه هنا . إن سارتر قد قال «الجميع هو الآخرون» : ولكن الآخر ، عندها ، كان هو النعمة ، في ذلك الحين . نعمة إيجابية ، وليس مجرد هذا المظهر للنعمة ، هذا الوهم (الجمال الفيزيقي مثلاً) الذي من شأنه أن يفتن المرء بكيان بطل ، من ثم ، غريباً عليك إلى حد ما : «كان قد أتيح لي أن أوهب حظاً عظيماً وفجأة ، لم أعد وحيدة . حتى ذلك الحين كان الرجال الذين تعلقت بهم - جاك ، وهيريو إلى حد أقل - من فصيلة أخرى غيري : كانوا يتصفون بالسهولة والحفة في الحركة والكلام . أميل إلى التفلت والشرود ، ينجحون إلى قليل من تفكير

١ - ونضيف أن سيمون لم تكن تقدر مقدراته الفلسفية بالمثل الفيلسوف للكلمة ، تقديراً كبيراً ، وأنه سوف يخفي ضياء من ألقها بعد أن يخلق في امتداد «الأمرجيسيون» ، الصوري ، ربما تمنح سيمون في نفس الوقت مع سارتر ونيزان .

التعاضد والفكر ، يتميزون بنوع من الرشاقة المشوّمة ، كان من المستحيل التوصل معهم دون تحفظ . أما سارتر فقد كان يولي بالمضبط أهمية الخاصة عشرة من عمري : كان هو الكائن المرفوح في الذي وجدت فيه كل غروب جنوني ، محتلة الى حدّ التوهج المضطرب . كنت سوف استطيع أن أنقاس كل شيء ، دائماً معه . عندما تركته في أوائل إبريل ، كنت أعرف أكثر من أي وقت مضى أنه لن يخرج أبداً من حياتي ^١ .

إن «حقاً» يدوم أكثر من خمسة وثلاثين عاماً ، بصير وجوداً : وعندما يطوي على الحب المعاش ، فإن الناقد ، مهما كان ميله الى التأصيل والضمير ، لا يملك إلا أن يسرق نظرة غثلة الى عُدته وأدواته ، فيجدها حقاً أدوات فاصرة "غليظة" لا نفي بالكثير . ومع ذلك قلت أزعج أنني أتجاهل أن سيمون دو بوفوار قد حرصت ، فيما حرصت عليه ، أن تعلن عن تصوّرها للحب ، وأن هذا تصوّر لا يمكن إلا بمت بصلة بتحليلاتها العميقة للوضع الأنثوي . وإن فسوف تناول ذلك هنا ، ولكن بأوجز ما يمكن : وسوف أصلي سبين جوهرين لانهيازي الى هذه الوجهة .

لأنما أنه يلوح لي أن هذا الحب يعرفه كل القراء من خلال أعمالها بالتأكيّد ، ولكن من خلال معلومات لا حصراً حصل عليها القراء من نواح أخرى — فيما يتعلق بحياة نالت من الشهرة ما يكفي لأن يتقلب واقعها نفسه ، في أعينهم ، على الحقائق المغلوطة والتفسيرات المطلوبة على سوء النية التي حاول الناس كثيراً أن يسبقوها عليها . إن هذا القراء ، بعبارة موجزة ، يبدو لي نحيلاً يؤكّده أن الأمر يتعلق بكائنين كانوا يملكان ، من وقت مبكر جداً ، كل الوسائل (المعنوية والمادية) التي تتيح لها على أسير نحو أن يتعدا عن أحدهما الآخر لو تحالفت لها في ذلك رغبة ، وأنه لم تعوزهما القاسمات ، فيما يبدو ، على الاخلاق ، لا من جانب ولا من الجانب الآخر ...

١ - (مذكرات فلا مستطبة ، ص ٢٤٤ .

والسبب الثاني هو أنني أعترف بأنني ألتزم على جعل الجدل يقين سيمون دو بوفوار ، هذا اليقين العنيف الذي شهدت به على الفور ، من أن علاقتهما سارتر علاقة دائمة : لا لأنها تعبر عنه بقوة كبيرة (فقد رأيناها من قبل « تحكي لنفسها حكايات ») ولكن لأنها تعبر عنه في لحظة من حياتها تصبح فيها بالفعل قادرة على مثل هذا اللقاء ، قادرة على أن تحياه وأن تستخلص منه غير ما فيه . أقصد إلى القول بأنه من هنا كانت لو أن محاولاتها للاتحاد متأسفاً لما حطت اللقاء والدوام ، ولكن بشرط أن يلبي حقاً امتيازها الصارمة التي لم تنقطع عن أن تحدد معناها واتجاهها ، من عامر إلى عام ، على الرغم من الظروف المتعددة العادية لها والمتباينة العذراء . وبعبارة أخرى ، لو أن سارتر لم يكن هو الرجل الذي يتفق مع الوضع ، لما لبثت سيمون طويلة حتى تترك ذلك .

وذلك بالقياس هو ما يهمني ، أكثر ما يهمني ، في هذا الحب : أنه حتى قبل أن يولد ، كان قد أريد ، طويلاً . « كان من الممكن ألا أجد هذا التوافق الكامل مع أي أحد ، ولكن عندما أعطيت حظي ، التهمت بكل هذا التعجل ، وهذه المثابرة والاصرار ، ذلك أنه كان يلبي نداءً قديماً جداً . »^١

على أنه من المسلم به أن سيمون ، في شبابها ، لم تكن تستطيع أن تخترع هذا الحب مضمونه المحدد سلفاً . كان الجوهرى عندئذ في حينها هو « أن تعرف تفاهماً جسدياً مع أحد ما » : والتفاهم ، مهما تصورته المرء جسدياً ، لا يمكن مع ذلك أن يصبح حقيقياً إلا بشئ أن يعاش ، أن يتحدد بحدود وجود عملي . ومن الحق أن سارتر والقدس كليهما ، كانا يبحثان دون تحفظ عن « نوع من الخلاص » : « كنا صوفيين »^٢ ولكن رسالتهما في الحياة من ناحية لم تكونا متطابقتين تماماً ، (كان سارتر يضع القيمة العليا في الأدب

١ - « قوة العبر ، ص ٣١ .

٢ - نفس المرجع ص ٣٠ كلمة « الخلاص » في كلمة الكتابة .

بينما كانت القديس تضعها ، بالأخرى ، في الحبال) ، ومن ناحية أخرى لم يكن هذان الصوفيّان من اللائكة . ومن هنا جاء الحلف المزدوج الذي عقداه معاً ، سراً ، واقترح له ، جملة " واحدة " ، هذه الصياغة السريّة : فقرر ما سوف يأتي به هذا الأمر ، ولكن علينا أن نراه ، حقاً .

والنقطة الأولى هنا : « لم يكن سارتر مؤمناً بأحادية الزواج ، كانت تسره صحة النساء ، وكان يمدحهن أقل المارة للسخرية والضحك من الرجال ، لم يكن يعزّم ، وهو في الثالثة والعشرين من العمر ، أن يؤول إلى الأبد عن تنوعهنّ الساحر » ومن ثمّ فهو يشرح لما أنّ الأمر بينهما يتعلق « بحب ضروري » ليس من شأنه أن يمنعهما من معرفة « أنواع من الحب العرسي » من جانب أو من آخر . والنتيجة المؤقّعة : « فلنوقع عقد الزواج بستين » : أي فلنحجّ معاً خلال هذه الفترة ، بأقصى ما يمكن أن نطلق من حميميّة ، ثمّ نترك بعضنا البعض (كان ينوي أن يسافر لليابان لمدة ستين آخرين) ، « حتى نستأنف خلال فترة قد تقصر وقد تطول حياة » مشتركة إلى حدٍ قد يقل وقد يزيد » . كانا بالتأكيد يصددان الافلات من آثار القيود أو مجرد العادة التي من شأنها أن تتدهور بعلاتهما . — والنقطة الثانية : « أشفقّ بينما حل أن يقول أحدهما للآخر كل شيء » .

ونحن نعرف أن سيبون لم تكن مستعدة لكل الاستعداد لتوقيع أيّ من هذين الميثاقين : ولكنهما وقعاً لأسباب غير متعادلة ، من جانب ومن الجانب الآخر . عندما اقترح سارتر عليها الميثاق الثاني فقد كان يقلب منها ، على الجملة ، أن تغلب على واقعة عرسيّة (هذا الاختيار نصبت ، لاخذاء الحقيقة ، « للسريّة » التي كانت قد اضطرت إلى اللجوء إليه لتعارض به ، طوال سنوات ، عدم الفهم من بينها ، ومحاولات البحث والتقصّب من أمها) وأن تغلب عليها باسم تغليب للتواصل الكلّي كان دائماً هو مطلبها . ولكنه عندما اقترح عليها الميثاق الأول فقد كان يذهب في اتجاه معاكس لما اعتداه من همّ « حين بالولاء » . ومن ثمّ نراها (وفيما يبدو بموافقة سارتر

نفسه) نحوّر مؤقّلاً للمعنى العميق لهذا الشئاق، فلا تحتفظ منه الا باحتمال
افراقى في المستقبل، وتحتفظه من جانب أكثر بالشئاق الآخر - حتى يتمكنها
أن تفكر أنه يكتبيهما أن يقول كل شئ - لأحدهما الآخر، خلال هذه التجربة
الأولى للحياة المشتركة، حتى لا يحس أحدهما بحاجة لاستخدام هذه الحريات
التي «سلم بها أحدهما للآخر نظرياً».

«كتبنا من نصبة واحدة وكان حلفنا سوف يستمر طالما بقينا» -
«هذه العلامات التوائم على جبهتنا» - «الأخوة التي كانت تتلاحم
بها حياتنا»: ذلك ما كان سوف يتبع ليعمون دو برغوار،
إذا تغلب على غيرة كان من المقلق من جانبها ألا تحس بها بالمرّة،
أن تقدم لنا قصة من أجل قصص الحب التي أتيح لنا أن نسمعها
أو نقرأها، تقدمها لنا صفحة بعد صفحة، بطريقة الدقة الصارمة الدقيقة
التي تكاد تثير الغيظ لبساطتها، دون أدنى معالاة أو تأكيد، خارج كل
ادعاء من نمط شاعري أو مأساوي: قصة «على كل حال - ولكنكم هنا
عني شخصياً» - لا تبدو لي أية قصة أخرى يجانبها أسلم وقنناً وأصبح نصبة،
أو أعمق عزاً للمشاعر.

ولنتناول هذا الحب في نقطة بدائية: «... لماذا نخشى أن نضع بيتنا
مسافات لا يمكن أبداً أن تفصلنا؟ كان بحركتنا مشروع واحد: أن نعاين
كل شئ»، أن نكون شاهدي كل شئ». وكان هذا المشروع بوصينا أن
نتبع، في بعض المناسبات، طرفاً غفلة، دون أن نخفي عن أحدنا الآخر
أدنى لفتياً مما يجده في الطريق، كتبنا، معاً، نصدح لتطلعات هذا المشروع
الى حد أنه في نفس اللحظة التي كتبنا نقسم فيها، كانت ارادتنا تخرجان ..
ذلك أن ما كان يربطنا معاً كان بقل أو أصرافاً، وكتبنا بهذا الاتصاك للأوامر،
نجد أنفسنا مرتبطتين في أعمق ما بقينا». ثم نتناول هذا الحب، بعد ثلاث
قرون: «كان في حياتي نجاح مؤكّد: علاقتي مع سارتر. في خلال أكثر
من ثلاثين سنة، لم تم ليلة واحدة غير متحدتين. وهذه التوأمة لم توهن الاهتمام

والشوق الذي كنا نلذ به في محادثتنا ... ان الشيء الوحيد الجديد والغامض
معاً الذي يمكن أن يحدث لي ، هو الشفاء . حيث أرى صابراً شيئاً ، أو أن
أموت قبله . محطت ألا يكون المرء هناك لكي يعزي الآخر عن الألم الذي
يتركه به عندما يتركه ويرحل ، مخيفاً أنه يهجرتنا ، ويصمت .^٦

نعم ، هذه المرأة قد عرفت القيرة : أنظر مثلاً قصة علاقات سارتر مع كاميل ، مع ماري جيراو ، مع أوليفيا ، أو مع م.م. " ولكن انظر أيضاً أول رد فعل عندها ، حينما التقت م.م. (في نيويورك) : « كانت سوف تسافر الى باريس حيث تبقى حتى عودتي . كانت ساحرة » كما وصفها سارتر وكانت لها أجمل ابتسامة في العالم . " وانظر من ناحية أخرى ما يقوله عن ميشيل فوكو : « كانت ميشيل قد انفصلت عن بوريس ، وارتبط سارتر ، الذي كان يحدها دائماً جاذبية جداً ، ارتباطاً حقيقياً بها . كنت أعيها كثيراً ، كانت صريحة دائماً لأنها لم تكن توكر نفسها أبداً . كانت

0.945 ± 0.008, $n = 10$ trials).

$1149 - 145 = 1004 = 101^2 - 11^2 = (101 + 11)(101 - 11) = 112 \times 90 = 2^3 \times 3^2 \times 7 \times 5$
 $1150 - 145 = 1005 = 101^2 - 6^2 = (101 + 6)(101 - 6) = 107 \times 95 = 5 \times 23 \times 19$
 $1151 - 145 = 1006 = 101^2 - 3^2 = (101 + 3)(101 - 3) = 104 \times 98 = 2^4 \times 13 \times 7$
 $1152 - 145 = 1007 = 101^2 - 2^2 = (101 + 2)(101 - 2) = 103 \times 99 = 3^2 \times 11 \times 31$
 $1153 - 145 = 1008 = 101^2 - 1^2 = (101 + 1)(101 - 1) = 102 \times 100 = 2^4 \times 3 \times 5^2$

٢- «قوة الأمل» ص ١٣٧ . تولدت أعلى الميقات أخيراً ، وفي تفرج في أعلى يديها بصورة الخاضع من الحب ، وفي اليه الأخرى شهادتها السجدة بأنها للخدمة ، أن تخرج لنا ، حل السيرة السوداء ، أنه لا يمكن قراءة أن تعجب ، إلا أنها قالت في سبيل ذلك بالظن والكتاب : «أن سيون ديونقوار عندما ظهرت بحيث تكون مرحلة الحسية أمام أستاذة متخيلة لها ، قد أثبتت بالملحة ، أنه لم يكن بينها وبين جارتها ، حل أصل القروض ، إلا ، صياغة كبيرة جداً . ولكن جارتها نفسها بالبرهان الصلبي على القبول ، وهذا برهان بدا لي حاسماً ، ولو لم يكن ذلك إلا بأنه فقد السيطرة على أعضائه ، حل نحو جارتها وقتاً ، عليه ، على كل حال ، هي متعجب ، متعجب أساليب ، حين يخطئ من القراءة ، حتى في الحب ، جنوناً لرجل .

زميلة ساحرة : مرحلة وفادمة قليلة ، حريصة جداً على مشاعر الآخرين ، ولا يمكن للمرء أن يفلت محضرها ^١ .

نعم ، هذه المرأة عرفت مشاعر المولى المنيب ، أنظر تلسون أليسون ، ثم كلود لانزمان ^٢ . إن ما يحوّلها في عيني أكبر الحق في أن تستكر وتدين لا إنسانية الوضع الأثوئي ، هو أن حبسها العقلية مهما كانت صحيحة سليمة على صعيد تصور الإنسان يتعدى الحسنيين ، تبقى بعد ذلك حبسها تقدمها امرأة ثم ترفض أن تعيش أثوئتها . لقد أثبت لها « المتفكرون » بحاضرة جونكور ، ويستطيع المرء بلا شك أن يرى فيها خير تاريخ لأعظم ما في فرنسا حيوية وحياء ، على صعيد الفكر السياسي ، في خلال الأعوام السبعة أو الثمانية التي أعقبت الحرب : أما بالنسبة لي ، فإذا كان هذا الكتاب يظل حاضراً مائلاً عندي ، فليس ذلك نتيجة لهذا الاستدعاء البالغ الدقة لفترة كاثوية مفرقة (قريبة جداً ما تزال ومع ذلك بعيدة كل البعد منذ الآن) بقدر ما يرجع إلى التسعين صفحة التي أفرقتها الكاتبة للمغامرة الأمريكية التي قامت بها شخصيتها الرئيسية في الكتاب . وسوف أوحى هنا ، بعد كل شيء ، بضع لحظات نفس مشاعري على أحق ما يكون ، من هذه المغامرة ، من هذا الحب .

إن آن ترغيب في لويس : « كان صوته جازاً مثل زفرة نفّس » أصبحت

١ - « ثورة الأشياء » ص ٢٢٧ .

٢ - فيما يتعلق بالأول ، يرجع لا إله إلا الكوردة المتأخرة من الإمبراطات القوية التي عصى بها مجلة أمريكية في العام الماضي ، ردت متلفاً بصفة صحيفة يومية فرنسية ، بل إلى « أمريكا يوماً بعد يوم » ص ٩٨ و ١٠٤ (المجلد) وال « المتفكرون » (حيث يظهر على شكل لويس بورجوان) ص ٣٠٣ - ٣٣٩ ، ٢٢١ - ٢٥٧ ، ١٠٠ - ٢٣٨) وال « ثورة الأشياء » (ص ١٢٩ ، ١٤٠ ، ١٥٣ - ١٥٠ ، ١٥٧ - ١٧٠ ، ١٧٥ - ١٧٩ ، ١٨١ - ١٨٣ ، ١٨٥ - ١٩٦ ، ٢٠٣ - ٢٢٤ ، ٢٢٩ - ٢٤١ ، ٢٤٦ - ٢٦٨ ، ٢٧٠ - ٢٧٣ ، ٢٨٤ - ٢٠٩ ، ٢١٦ - ٢٢٩ ، ٢٣١ - ٢٣٤) . أما عن الثاني فهو يكاد يكون موجوداً دائماً في « ثورة الأشياء » بين صفحات ٢٧١ و ٢٢٩ .

يده وقالت الكلمة التي تقولها كل النساء اللاتي يخترن أنفسهن بآراء الختان :
 « أحب بديك » . أنها تحس " أن" لويس يرغب فيها أيضاً ، لكنها تعالي .
 إذ تعتقد أنها قد فهمت أنه يتجهّد في أن يرغبها : « حاولت أن أتمم :
 يا لكل هذه اللعاب والجهود حتى أصل إل ألا بفيتي ! ولكن هذه السخرية
 لم تساعدي . أن أكون مدعاة للسطرية إل حد ما . أن استحق التأييد أو
 التوم من نفسي . لم يكن لذلك ، بعد ، أدنى أهمية . لم تكن هذه الحكاية
 تدور مني إلي ، كنت قد وصفت نفسي ، مربوطة اليدين والقدمين ، تحت
 رحمة آخر . أي جنون ! ، ذلك أنهما لم يكونا بعد ، قد تبادلنا قبلة واحدة
 حقيقية ، وما هي ذي قد جاءت (« الآن أو تنوت إل الأبد ») لحظة
 الفرصة الأخيرة . وينتهيها لويس : « كان بضمي اليه ، بالفعل ، صفك
 شغفي " قيد" من اللحم ، وكان لسانه يقطب في فمي ، وثبتت جسدي من
 بين الأموات ومارسان الحب ولا يمان إلا عند الفجر . وفي اللحظة :
 « ... كنت ، تحت حدي ، أرصد نبضات قلب لا أعرفه . لم يكن مطلوباً
 مني شيء : كان يكفي أن أكون بالفيض ما كنته ، وكانت رغبة رجل تغيرني
 إل معجزة كاملة . كم كان ذلك مريحاً ... » وهي تطلب منه بعد ذلك بقليل ...
 ولكن لا ، لن أنهي ، هنا أيضاً ، من أن آتي باقتباس بعد الآخر - ولعني
 أقتد بعض الفقرات الزدهارها . ومع ذلك نورد نصاً شعيراً : « أنا التي
 اسألت نفسي دائماً في لوتياي عن المشاعر التي أوحى بها ، لم أسأل قط
 عما كان يحبه لويس في : كنت على يقين أن ما يحبه هو أنا .. لم يكن يعرف
 لا بلادي ، ولا لغتي ، ولا أسدقائي ، ولا عمومي : لا شيء إلا صوتي ،
 وعيني وبشرتي ، ولكن " لم تكن لي حقيقة أخرى غير تلك البشرية . وهذا
 الصوت ، وهاتين العينين » .

فليقبل القاريء عقلي إذا كانت تبدو له طريقي يعجزها الولاء : ذلك
 أن الحب الذي أحاول أن أتحدث عنه هنا هو ، في جوهره ، حب " أن"
 ليبر دبيري . أي حب سيمون دو بوفوار لسارتر . نقول لنا أن بالفعل

أنها لن تستطيع أن تستجيب لأمنية لويس أن يحفظ بها ، كلها ، له ، لأن حياتها تنظرها هناك ، في باريس : « حياتي التي كنت قد بينتها خلال عشرين عاماً والتي لم يكن هناك مجال أن أثير عنها أية مسألة » . وعنف مشاعرهما نحو لويس هو الذي يؤكد في عيني حقيقة حيها لغيري .

وهنا بالطبع نوضع مسألة الزوجين ، مسألة حرية القرينين ، مسألة « الاخلاص » . لقد جمعنا من الدلائل على اختيارات هذه المرأة ، وعلى وجود فعلها الصيغة ، ما يكفي ألا بدعشنا أن نراها الآن ، في وقت متأخر ، لحل المشكلة على طريقتها وتسلم بأن المشكلة تبقى ، نظرياً ، غير قابلة للحل . ذلك أن الأمر يتعلق هنا أيضاً ، عندما ، بهذه المواجهة الأبدية بين النعمة والأعمال ، بين الخط والاستحقاق^١ ، بين ما هو معطى وما يصل المرء إلى أن يصنعه به . كيف كان سوف يتسنى لما أن نتجاهل الخط الذي أتيح لما بأن تقع على سارتر ؟ وكيف يتسنى لما أن نتجاهل - بعد أن قدرونا إلى أي مدى أحدثت نفسها ، طوال صباها ، لأن نحبها مثل هذا الاتحاد - كل العمل على الذات الذي كان عليها بعد ذلك أن تقوم به ، لكي تفعل منه ذلك النجاح الذي تستطيع اليوم أن تشهد به أقدامنا ؟

ولينا أنها ، على نحو تلقائي ، منسلكة ، ونحب التفرد عن طواعية ، وربما كانت لديها الآن فكرة محددة عن الغيرة عندما ، بعد قراءة النصوص التي أشرت إليها فيما يتعلق بعلاقات سارتر مع هذه المرأة أو تلك ، وليست مبهمة هنا معرفة ما إذا كانت هذه الغيرة مشتركة : فالواقع على كل حال ، أنها كانت شيئاً معترفاً به بما فيه الكفاية ، منذ أول لحظة . وقد دُفن عقد الايجار الشهير « يستين » ، بالفعل ، باتفاق متبادل ، على حين كانت حرية الفلسفة الشابة على وشك أن تسافر إلى مارسييليا لتشغل أول وظيفة

١ - انظر مثلاً ، فيما يتعلق بزارا ، « مذكريات فلان مستطية » من ١٩٤٥ ، وفيما يتعلق بجاك ، نفس المرجع من ٢٠١٥ .

رسمة لها : « راجعنا ميثاقنا ، ونحللنا من فكرة « انجاز » موثقت بيتنا .
كان نقاشنا قد صار أوثق وأكثر تعقيداً مما كان في البداية ، كان من الممكن
أن يشمل هذا الحلف قنرات قصيرة من الافتراق ، لا معارفات متهورة
بقوم بنا كل طرف وحده . لم تبادل القسم على اختلاص أبدي ، ولكننا
طوّحنا إلى الثلاثينات البعيدة من عمرنا ، بكل عريتنا المحتملة مستقبلاً .^١
والأحظ أن سيمون دو بوفوار ، في نفس هذه الفترة ، يبدو كأنما نحس
شعورين مختلفين : نوع من الملح ، من جانب ، لفكرة أنها مضطرة لأن
تترك سارتر (الذي يشغل بدوره وظيفة في الحاضر ، « البوفيل » التي يعيش
فيها وروكتان ، « في » « العثيان ») ، وشعور آخر من التزم الحاد ، إذ
تقول لنفسها إنها يسيلها إلى انكار اهتمامها الشوط المبرمج بالاستقلال ،
وهو الاهتمام الذي كان يشغلها حتى ذلك الحين ، وذلك من جراء حاجتها
إلى أن تسلم نفسها بكليتها إلى هذا الصلح بسارتر . إنها تعرف سارتر منذ
ستين ، وهي تعرف فجأة أنه لن يذهب إلى اليابان ، وتفرح لذلك (« كتبت
موثقة الافتراق الكبير الذي كنت لأعاقه . وسقط من قلبي حجرٌ هائل .. »)
ولكنها في نفس اللحظة تلوم نفسها على ذلك (« ألا أن شهادة الغياب التي
كان يحتدّها في المستقبل قد أنهارت في نفس الوقت . ما عاد هناك شيء »
يعني من ندمي ») . بل فراعها تلعب إلى حد أن تكتب في يومياتها :
« كنت أريد أن أعلم الوحدة من جديد : كم مضى وقت طويل منذ أن
كنت وحيدة ! » ولكن « كاتيتا تدقني في الحظيفة ، قولها : « كنت بلا
شك قد ضربت قليلاً » : « كنت أعاق الوحدة أكثر بكثير مما كنت أزعج
إليها » . على أن ذلك لا يمنع أنها تنزل تلقائياً عن الحل السهل الذي يقترحه
عليها سارتر بأن يعرض عليها الزواج لكي يعرضها عن احتمال افتراق
يقلقها ، هذا الحل الذي يبدو لها زائفاً وخطراً من عدة وجوه : « أعتقد

١ - « ثورة الصر » ص ٥٣ .

قراري بدوني^١ ، ويبدو أنه قرار إيجابي ، إذ سوف يكفل ، بعد ستين ، بالتجاع . « خرجت متصرة من الامتحان الذي أخصمت له : الغياب ، والوحدة لم يثبنا سعادتي . كان يبدو لي أنني استطعت الاعتماد على نفسي . »^٢

وسراها ، بعد ذلك بقليل ، تلعب لنفسها (في محاولة لرواية لم تكتمل) أكثر مشاكلها جدية : « التوفيق بين همّي أن احتفظ باستقلالي الذاتي ، وبين الشاهد التي كانت تزدلف لي ، باندفاع لا يكتبح ، نحو آخر . »^٣ . ثم بعد ذلك ، في نحو ١٩٣٧ ، عندما كانا قد نقضنا ابديهما من الربف ، وهما الآن يستطيعان أن يجتمعا معاً في باريس ، يسكنان نفس الفندق : « كنت اشغل غالباً في غرفتي ، كان سارتر يسكن الطابق العلوي . وبذلك توقرت لنا كل ميزات الحياة المشتركة ، ولم نعرف شيئاً من مضايقاتها . » لكن الحقيقة ليست بهذه البساطة : إن هذا الوعي لم يكتف عن أن يريد لنفسه السيادة ، وسيادته لا تكف أن تظهر له ، إل حد يقل أو يزيد ، موضع نزاع . وينبغي أن نرى أن وجود سارتر ليس في الحقيقة ، من هذه الوجهة ، إلا أكبر المظاهر كخدبة (أكثرها مباشرة وأدومها حضوراً) في صعوبة أساسية أصحت بها سيمون دوبوفوار دائماً في علاقتها بالآخرين . إن بعض معالم الطريق سوف تتيح لنا أن نقدر مدى ثبات هذه الظاهرة .

نحن نعرف أن سيمون الصغيرة ، قبل أن تستطيع أن تزعم نفسها مسئولة عن ذاتها ، بوقت طويل ، كانت تحس منذ ذلك الحين بالحاجة إل أن تحيا من وقت لآخر « بضع لحظات دون شاهد عليها . » وإلى أن نتحدث إل

١ - « قوة الصبر » ص ٤٠ - ٤١ . وهكذا نصل إل النتيجة التالية : « إن الوحدة ، على جرعات متدنية ، لها بلا شك مبررها ، وبالتالي ، لها فوائدها . كنت أرى أن لتري عزمي ضد الاقتران الذي كان يصاحبي طوال ستين . أنه القابل . ولقد كان علي أن احتفظ طول حياتي بذلكى لفظة عن هذه الفترة التي كنت أعتبر فيها أن أكون سيبي . »

٢ - نفس المرجع ص ١١٤ .

٣ - نفس المرجع ص ١١٠ .

نفسها دون مقاطعة. ونحن نذكر أيضاً رفضها للاعتصاف وكل سلطة غير مبررة مؤسسة على الإكراه وحده. في وقت مبكر جداً. وفي فترة البلوغ، تصاعدت هذا التطلّب الثقافي، بالطبع، نتيجة لأنها وضعت موضع السؤال من جانب أبيها: «كنت غير متأكدة من نفسي، سهلة على الاستياء والمهجوم، وكان لا بد لعلاقتي بالآخرين أن تتغير نتيجة لذلك». وفي اللحظة التي تبلغ فيها نقطة الذروة من مرحلتها الخرجية، إذ انفصلت عن الله، إذ تحس نفسها وحيدة أكثر وأكثر وحده، على غير وفاق، أمكنها فأكثر مع والديها ومع أختها العاتية تجد ملاذها (بطريقة شبه دينية وصوفية) في الروايات التي تتاح لها قراءتها، وتضع فيها حاجتها الملحة إلى الاعتراف بها: «كانت الروايات تخلق نوعاً من التواصل بيني وبين الأرواح الشقية التي كانت توجد في مكان، في غير متناولي. وبدلاً من أن أحيى حكايتي الخاصة الصغيرة، كنت أشارك في ملحمة روحية كبرى. وخلال شهور طويلة تغلبت على الأدب: ولكنه كان الحقيقة الوحيدة التي كان يمكنني أن أصل إليها في ذلك الحين». «وما كانت لا تزال على اعتقادها، بلطاعة الأبوية» لكل فرد إنساني: «ولو كان أقل الناس مبرأاً على هذه الأرض» (في طغي تعدد نفسها بأن تحصل على الأدب اللازمة لكي تخلق عملاً) يساعد الآخرين على الحياة «بأن توصل إليهم» تجربة الوحدة «التي كانت تمر بها»^١ ونلاحظ أن «الآخرين» على هذا المستوى يندرجون إلى طائفتين

١- في هذه اللحظة، بالفعل، تتروح لأول مرة في كتابة روائية. وتسمي نفسها فيها إيليان، وتكتسب في متنوع مع أبناء وبنات عمها، وتلتقط سبرائلاً وتحتل أن تزيح الآخرين منها يلمسون عليها في ذلك: «أفقت يدي في حرمي جود». وبعد أن تنتج في الافلات منهم، تعود وحدها وهي تقول لنفسها: «إن يعرف أحد أبداً، ذلك أن موضع المسألة هنا هي سلامة وعيها وإكثاله». «كانت تحس نفسها من القوة بحيث تتألف من ترويتها الوحيدة» ضد القدرات وهذه العلاقات، وتبقى بعدها دائماً معلقة». وتعلق كاتبتها: «كانت هذه الحرافة تترجم أكثر عموماً استحواتها: أن الواقع عن نفسي ضد القدر». (ذكرات فنانة مستقيمة، ص ١٩١).

متميزتين : أولئك الذين كانت لها بهم ، حتى ذلك الحين ، علاقات فعلية .
 وأولئك الذين يتكونون العالم ، من ناحية أخرى ، يتكونون الواقع الانساني
 الحقيقي (الذي ليست لديها عنه ، بالطبع ، الا فكرة مثالية تماماً) . وهي
 تلوم الأولين على أنهم يحاولون دونها وأن تصل ال ذاتها وال الآخرين بما :
 «كنت أفكر أحياناً في أن القوة سوف تعوزني وأني سوف أسلم
 بأن أكون مثل الآخرين . - وكانت هذه الفكرة تخيفني أكثر ، بقدر ما
 كنت عندئذ أرد عليهم عبادة» بالعناية التي كانوا يقدمونها لي ...
 ثم كانوا على ثقة من أنهم على صواب ا كانوا يرفضون كل تبادل وكل
 نزاع ، كانوا يتكبرون كل المشاكل ، كان يجب علي أن أتخذ نفسي منهم ،
 لكي أفهم العالم ، لكي أجد نفسي ، وسيمون ، إذ تبحث على ذلك النحو
 عن «خلاص» في الأدب ، «في المطلق» ، في الكهنة ، «الأبدية» ،
 «للأنا العبين» ، «الفرع عن الأرض» ، تصر على أن تريد «خدمة الانسانية»
 ولكنها تزل لحظة عن أن تعترف بها الانسانية : «لم يكن رأيي الغير يجب
 أن يهمني» ، أي أنها دخلت في الاحتمار ، وأنه سوف يتعين عليها بعد
 ذلك أن تبدل جهوداً كبيرة لكي تعيد عقد الأوامر مع موقف كان دائماً
 هو موقفها : موقف مضلل معين عليه ، إل حد ما ، بلا شك ، نتيجة
 لوضعها نفسه طفلة أو مراعاة ، ولكنه موقف كان يتضمن على الأقل
 تطلبا إيجابيا . «كنت قد أغلقت مكالي في المطلق حتى استطعت أن أنظر من
 أعلى الى هذا العالم الذي كان يردني ، اما الآن فافدا كنت أريد أن أعمل ،
 أن أصنع عملاً» ، أن أعبر عن نفسي ، فقد كان علي أن أعود فأعبط إليه :
 ولكن احتفاري كان قد رده الى العدم ، ولم أكن أرى حوالي الا الخواء ،
 وسوف تكون هذه العودة للعالم أصعب عليها إذ سوف تغلق ، بعض الوقت ،
 تحبس نفسها بخلقة عن بعض الآخرين ، من عائلتها على الأخص ، «يعاملونها ،
 على نحو سافر ، كأنها الحتمسك الأجرب» .
 وصدوراً عن ذلك فاتها سوف تتلذذ بين وجهتي نظر متضاربة :

« كنت أزعج في يومياتي أن الناس ، في عيني ، لم يكونوا موجودين » ،
والحقيقة أن كل شخص بمجرد حضوره ، كان بهم » . ولما تدعشنا
المنظرة التالية ، كما لم تدعشنا الأولى . ذلك أن سهون كانت قد أحست
تنسها محبوبة بعض ، في خلال سنواتها الأولى ، بما يكفي لأن يجعلها غير
قادرة ، عندما أصبحت فتاة شابة ، أن تذكره حقاً : « كنت معلقة أسعد
بكثير مما يتيح لي أن أبحث في نفسي ، بسهولة ، الحقد أو حتى الكراهية .. »
ولكن ذلك هو الذي يجعلها ، أيضاً ، سهلة على الأبناء ، عرضة طيبة
للهجوم : « ... لم أكن أعرف كيف أدايف عن نفسي ضد سوء النية » .
ومن الناحية العملية ، فإن هذا النوع من التلهذب الذي أشرنا إليه ، سوف
يرجم من نفسه بتصنيف معين للناس « إلى طائفتين » : « كنت أحس
لبعض الناس تعلق حاد بالغ الحدة ، ولغالبية من الناس بمبالاة متعالية »
وهو تخطيط سوف يعود للظهور فيما بعد ، من ظروف كثيرة ، ولكنه
سوف يميل لتتعدد بدخول طرف ثالث « الطرف الاجتماعي » (وبانتمائها
الطرد بالسياسة) — بحث يكاد هذا الجانب الاجتماعي يختلط تقريباً بالجانب
الثاني من ذلك التخطيط أحياناً ، أو يتميز عنه بالعكس تمزجاً عميقاً (على
نحو يزايد عزماً ويطلب ظهوره أكثر فأكثر) .

وهكذا سوف نرى القندس طويلاً « تعيش في عصابة » في وسط
مجموعة صغيرة من الأصدقاء ، « في داخل وعاء مغلق » ، وسوف تسبهم
« العائلة » ، وسوف يكون لبعض العناصر الخارجية — مولودجي مثلاً —
امتياز أن يُعدوا « قريين » منها . ولا شك أنه يقدم النجاح سوف يفتح
أفقها اليومي إلى حد ملموس : « كان ذلك لغزاً كبيراً في وجودي ، عندما
اتسعت دائرة علاقاتنا فجأة . لكن ذلك لم يمنعنا من أن نكتب فيما بعد أن
سائرنا كان يشريح اسماً إلى « الدائرة الصغيرة » المكونة من بينهما المعتادة ،
« العائلة » ، والحرس القديم للاحتفالات » : « كان بيتنا من التواطؤ ما يجعل
إتسامة تعدل خطبة كاملة » ، وعلى ذلك تحول الكلام إلى أكثر لعبة من لعب

الاجتماعات تسلية ، فعندما يغيب مثل هذا التوافق يصبح الكلام عملاً شاقاً ، وعقياً في الغالب : كنت قد فقدت عادة المقامات العابرة ١٩ ، ولكننا سوف نراها أيضاً تلوح الأرض في كل الجاه ، وتحدث حديثاً كله تنفج مضطرم مع مجهولين ، وتستقبل الشبان الذين يكتفون اليها ، ويكون طامعهم حواري من أكثر الحوار حياة ، وتنشط فجأة في سبيل هذه القضية أو تلك - أو تعاني من عجزها حتى لتضع فريسة للمرض ، حتى لتفقد ، بشكل دائم تقريباً ، وفون أي سبب شخصي ، حسن السعادة الخارق الذي لعرفه فيها . ويبدو أن حرب الطواير مثلاً تشكل أكبر مناسبة عرضت لها في الحياة استحواداً لكسي تحس « كيف يمكن أن يحل السلام الأسود بالقلب » .

ويبين هذين الموقفين اللذين يصلون كلاهما عن حرص شديد التطلع ، على الحقيقة في العلاقات الاجتماعية ، أين ينبغي أن نضع ميلها إلى الجماعير الغفل من الاسماء ، الناس الذين يهرون في الشارع ، ويبلهوا أيضاً إلى « الأماكن المريبة » و « الخفيض السفل » من المدن والبلاد ؟

« كنا نحب الضجيج والراب الذي تثيره الجماعير .. » المختلطة بالجماعير في « كاتيبير » .. كنت أحب التراموايات المترعة التي تنطلق بها عقائد انسانية - « في كل مكان كنا نجسد سروراً في السير وسط الجماعير » .

١ - « قوة الأبناء » ص ١٩ و ٢٠٨ - ونلاحظ بالإضافة إلى ذلك ، التشكيلات « الثنائية » التي كانت تسود في داخل « العائلة » نفسها (فيما عدا إسماعيل واحد تقريباً) . « كنا دائماً نأمل - وسوف نأمل دائماً بهذا المثل - إلى الخطوة بين اثنين ... » « عندما يواجه الفرد كثيرين مرة واحدة يصبح الحديث أحياناً مبهلاً - إلا في ظروف خاصة - يصبح ترجيح الوقت ، تسلياً ، لا طمحاً ، بل مرفقة أحياناً ، ولا يعود ذلك التواصل الحقيقي الذي كنا نتمناه .. » (« قوة المرء » ص ١٩٢ - ٢٠١) وانظر أيضاً نفس الموضع ص ١٩٧ - ٢١٨ .

إن سيمون دو بولوار نفسها تضع في الاعتبار تناقضاً من شأنه أن يوضح الأمور توضيحاً كبيراً ، وأحد طرفي هذا التناقض يُرجعنا إلى الوصف الذي عرضناه في البداية لموقفها « الطبيعي » بإزاء العلم الانساني (الجزء الأول الفصل الثاني) أنها تتساءل : لم هذا السرور ؟ بينما هي قد لاحظت أنها تعسر ، من جانب آخر ، على « رفض الانساني » : « كنت أحب هذه المشاهد الطبيعية التي يبدو أن الناس غائبون منها ، والخواجز التي كانت تخفي عني حضورهم : اللون المحلّ ، والطرفة » . كان هذا الموقف الطبيعي في الواقع موقفاً عجيباً إلى « انعدام الخصائص الطبيعية » على ما هو ليس كذلك . ولعل أنه كان موقفاً جمالياً^١ ، بالمعنى الذي يشكل فيه الاختيار لأن تشمل هذا بدلاً من ذلك ، أو تضع الجمال في هذا الميدان بدلاً من ذلك ، يشكل أولاً كمرء فصل من نوع من « الحساسية » التي يعاني منها المرء بإزاء العالم المألوف . كانت سيمون الصغيرة ، وهي في سن لم تكن فيها معارضة بالمرّة بإزاء والديها ، تجد من الخير أنها تصرف ، حاليها في كل مكان ، في « موضوعات للتأمل أكثر جدارة بالاهتمام من الصور المسطحة : لرجال والنساء من لحم وعظم » . إن هؤلاء الناس بالتأكيد كانوا « موهوبين بوضعي » ومع ذلك فلم يكونوا بقلوبها : « كانوا أشياء » . ولكن ذلك لم يكن بمنزلة بصلّة ، على وجه الدقة ، إلى بيتها المألوفة : « في اللحظة التي كانت الواجبات تهمي فيها شائعة ، كنت أترصد التوافد المضادة .. في الريف .. كانت الطبيعة تغرقي ، في باريس كنت جوعى إلى الحضور الانساني ، إن حقيقة مدينة هي من يسكنونها : كان لا بد لي على الأقل أن أراهم ، ما دمت لا أستطيع أن أوجد بهم علاقة أكثر لصوقاً »^٢

١ - وهو ما تريد ، الكتابة صراحة ، بشأن رفض الانساني ، « التي كنت استوحى من زكريا الجالية » (« فترة الصبر » ص ١٦٥) .

٢ - « مذكرات فتاة مستظية » ص ٤٦ .

ليست تلك هي نفس الحاجة الى الوحشة عن الوطن والتعلق بالطرفة الأجنبية التي تظهر بعد ذلك في الصورتين المتناقضتين اللتين تقدمهما لنا عن علاقتها بالناس ، عندما نراها تتساءل أيهما يتصدر عندهما بازائهم : هل هي اللامبالاة أم هو القوى المشبوب ؟ ذلك أنه يبدو لي حقاً أن كلا منهما ، بالناب ، يميل الى الشطب ، وأنهما يصدران كلاهما عن نفس الحركة العميقة - التي أحاول الآن أن استخلص معناها . ولتلاحظ من الآن الشاب المرموق بين الأمثلة التي تقدمها ، هنا وهناك . فمن جانب اللامبالاة أو الرقص : « في روان ، كان المكان الذي أفضله هو شارع «آو - دي - رويك » : كانت البيوت التي لا شكل لها ، المتمايلة ، السابعة في المياه القلوة تبدو كأنها مخصصة لتفصيل عارية . ومن جانب القوى المشبوب : « لماذا كنا نحب ، في لندن ، كل هذا الحب ، الواجبات القلوة في «ستراوند » ، وأرصفة المولي ، والمخازن ، والمراكب ، ومداهن الصانع ؟ لم تكن هذه أعمالاً فنية ، ولا موضوعات شاعرية أو عجيبة تنتمي الى نوع « الباروك » . لم تكن هذه الشوارع ، وهذه البيوت التي لا جمال فيها ، تتجاوز الوضع الانساني ، لم تكن تهرب منه : بل كانت تصده ، فاذنا كنا نعلق كل هذا التعلق المشبوب بهذا التجسد فلذلك أننا لم نكن نحس لامبالاة « بالناس » ومن هنا نحس أن « لنا الحق تقريباً في استخلاص النتيجة التالية (ذلك أن الوضع الانساني لم يكن أقدر على « التجسد » في أرصفة التيمس منه في الاحياء القديمة في روان) : أن سيمون دو بوفوار كانت ، عندئذ ، لعلمنا الذين يذهب جمالي » من الطراز الشعبي والعمالي الى حد ما ، ولكن نظرياً ، على كل حال ، بقيت نظرة تبعية الى حد عميق بازاء الناس الواقعيين - اذ انها كانت تختار أن « تجسدهم » في غيابهم ، تحت المظاهر اللاإنسانية لأنها كانت تفعل ، في روان ، تحت المظاهر اللاإنسانية لمساكنهم .

ولكن هناك لصحباً يفرض نفسه علينا ، نفور : ان الناس هم الذين يملأونها بالفعل ، وليست الآثار الموضوعية لوجودهم ، فقط . فهي في الخامسة عشرة من عمرها ، كما كانت في الخامسة ، ترصد من نافذتها ، بمنظار أبيها « الحيات المجهولة » : « ما كانت تهني سوقية المشهد أو ابتذاله العادي ، في قليل أو كثير : كنت - وما أزال - مرحلة الخصاية بسحر هذا السرح الصغير لحيال الظل : غرفة مضادة في قاع الليل ^١ » . فهل سيمون شواقة ؟^٢ نعم ، ولا .. بالطريقة التي كنا نحن بها أيضاً تتعلق بالنظر الى الأشياء ، حين كنا لا نستطيع أن نوجد حقاً ، حين كنا نحس بالحاجة الغامضة لتكملة الحياة ، ولم يكن يعرض لنا عندئذ بالفعل الا مشاهد لا نستطيع أن نشاؤك فيها . ولكن ها هوذا الحيال يسارع الى تجميد هذا التأمل السلي والمسحور ، بقدر ما يتسنى لسيمون أخيراً ، وهي طالبة ، الى أن تعيش مع الرجال والنساء الواقعيين : « كان يحدث لي ، عند الخروج ، أن أتابع بعيني طويلاً فناءً مجهولة كانت تدعشني وشاقتها ونضارتها : إلى من سوف تخفي لكي تعطيه الانضمام المرسومة على شفتيها ؟ كنت ، إذ تحسني هذه الحيات الغريبة عني ، أعرف من جديد تلك السعادة الحميمة الغامضة التي عرفتها ، طفلة ، على شرفة شارع راسباتي ^٣ » وهي في نفس الفترة تنتهز ، بنوع من التهم ، أدنى فرصة ، في المساء ، لكي تزي واجهات المحلات المألوفة ، والسيارات تجري في الشارع ، والمارة .. يمترون : « كان الليل يحيا ، في الخارج ، » وهي أحياناً تفرغ أعينها : « كنا نهم بلا هدف ، نحاول أن نملك بعيدى ، بالتمكاس من الأعياد العظيمة التي كنا مستهدين منها ، وفي العشرين من عمرها : « كنت لأريد أن أحوض في الليل ، أسمع الجاز ، أصف بالناس !

١ - نفس المرجع ص ١٥٦ .

٢ - Voyeuse -

٣ - مذكرات فناء مستقيمة ص ١٦٤ .

ولكن لا ، كنت حية البقدوان .^١ وفي العام التالي تكتب في يومياتها الخاصة : «الحزاز ، الناء ، الرقصات ، الكلام الذي ، القمر ، الاحتكاكات الحسية .. كيف يمكن لي أن أحب هذه الأشياء بكل هذا الاضطراب الذي يأتي من بعيد ، والذي يحكم عليّ قبضته ؟ ما الذي أذهب يبحث عنه في هذه الأماكن بحرها المضطرب »^٢ . وفي مارسيليا ، بعد قليل ، سوف يسحرها «نظراً لما كنت أدرك به من أساطير ، كما تحدث ، شارع «بونيري» ونساق الزوايا ، والسلام القديمة ، والأزقة العجيلة ، وأسواق السك ، والمناوين في الميناء القديم : «كانت تملأ صيني وأذني حياة جديدة أبداً»^٣ وفي تطوان سوف تكتشف «نشوة جامعة ، ازدحام الأسواق المراكشية وجيشان الناس بالحركة فيها ، وفي انطيلية «التسليّة والتروية الذي يأتي به انقلاب في الحكم ، هيجان جمهور فسطاط من الناس يهرون في الشوارع «صائحين ، مغنين ، يزغنون» ثم يندفعون «غالبين مشتتين في كل اتجاه» . وفي هامبورج : «كنا نتمشى على أرصفة الميناء ، حول الأحواض .. وكنا في السماء نستكشف الأماكن المريبة ، كانت كل تلك الحركة تدعونا إلى السرور ..» وفي الدار البيضاء : «بحثنا عن الأحياء الفقيرة التي يسكن الناس فيها بيوتاً من الصفيح القديم .. ، وذهبنا إلى «بومس - بير» الخ ... وفي روما أخيراً ، بعد ذلك بكثير : «كانت هناك السماء الزرقاء الداكنة ، سماء ليالي روما ، فوق البيوت الكبيرة الحمراء الداكنة ، بنوافذها المستديرة منيرة ، وكل هؤلاء الناس الذين يسيرون ويشككون ، وكان ذلك هو اكتشاف اللحظة» ثم هذه الملاحظة التي تعود بنا إلى نقطة البداية : «ما أدعى ذلك إلى السرور ! عبر الشارع الضيق ، كانت نافذة حمامي تطابق

١ - نفس المرجع من ٢٦٥ . أنظر أيضاً من ٢٢٩ و ٢٤١ .

٢ - نفس المرجع من ٣٠٧ .

٣ - نفس المرجع من ١٠٥ .

بالضبط مع إطار نافذة يجري من أمام ، وهي تحيط بجهاز تلفزيون ، وهو جالس ، وحده ، على كرسي ، وأنا أرى تماماً كل ما ينظر إليه ...

والواقع أن هذه الحيوانات المجهولة هي حيوات واقعية . ولكن يجب أن نسلم على الأقل ، أن سيمون دويغوار ، بطريقته في الاهتمام بها ، نفسها ، بأن تظهر لنا طليعة متحركة بأزائها ، قائما تميل في أغلب الأحيان إلى أن توقع بها نوعاً من التجريد عن الواقعية . وقد التقينا بهذا الموضوع ، موضوع المشهد عندما (في مستوى تحقيقها عن أمريكا) : ولاحظنا عندئذ ميلها إلى التبعيد السينمائي أو ، بصفة عامة ، إلى كسل تجريد من نخط عازق لانتظار ، باعتباره جاذبية وترويعاً في وقت معاً . وكل هذه النصوص التي قرأناها الآن تؤكد ذلك التحليل الأول ، إذ تضعه في سياق نظرية تطورية . فللمشهد عندما لم يكن في البداية إلا نوعاً من الحلم السليبي ، للعارض ، بكل بساطة ، لواقع مباشر تحس قصوره ويزداد ضيقاً به فلا تكاد تحيطه . ثم يصبح ذلك عملاً يعمل فيه الخيال ، مفروضاً هذه المرة فوق واقع مختلف ككل الاختلاف مازال بلاشك غريباً عليها نسبياً ، وإن كان متاحاً لها ، كل يوم ، أن تقرب منه على نحو لائق (بفضل قراءاتها ، وتحريها المتطرد من السلطة العالمية) . وفي نفس الوقت ، بالتأكيد ، كانت الاستعالة المؤقتة ، لأن نحيأ بُعداً جنسياً قد دخل مسرح حياتها مع ذلك بالفعل ، تتألف مع القصود الخفوي للخيال ، لكي تنفسي سيمون إلى البحث عن أكثر المشاهد إثارة ، وأبعدا عن المألوف ، وأبعدا على الاضطراب . ونحن نعرف أن هذه الحاجة إلى أن يستولى عليها ، أن تبعد عن وطنها ، أن تسبح نظرياً ، حاجة طالت قائمة طويلاً في مجرى حياتها .

وما يعني أن ألاحظ هنا ، هو أن موقفها بإزاء الغير سوف يظل

١ - قوة الصبر من ١٦٦ و ١٦٩ - ١٦٠ و ١٦٢ و ١٦٩ و ٢٢٨ و قوة الأشياء ، ص ٢٥٠ .

يتوقف دائماً ، الى حدٍ يقل أو يزيد ، على الجوانب الثلاثة التي اشترطها إليها هنا ، أي نفس الوقت : فهل يتعين علينا ، في هذه الظروف ، أن نصيره ، جوهرياً ، موقفاً ينزع الى التجريد عن الواقعية - أي ألا نرى فيه ، بعد وضع كل شيء موضع الاعتبار ، إلا رفضاً قاطع للواقعيين ، نوعاً من القرب أمام الواقع الانساني ؟ يبدو لي ، على العكس ، أننا أخيراً على وشك أن نفهم (بقدر ما يمكن لأحد أن يفهم أبداً ..) حقيقة كاتبنا ، حقيقة حضورها في التاريخ الذي تعيشه ، حقيقة مشروعها في الكفاية ، والأسداء القوية الخادرة التي يليها عملها ، في دعيشتنا - مهما كان من وضوح اختلافنا عن بعضها البعض .

ذلك أنه ينبغي أولاً أن يكون الكاتب حاداً : ولكن لا يكفي أن يعلم لكي يصير كاتباً ، بل يلعب بعض أصحاب المذاهب الوضعية الى حد أن يستدعوا فكرة الاستثناء لكي يصلوا خصائص الموقف الأدبي ، ولكنهم عندئذ لا يصلون الا الى شبح هذا الموقف ، وصورته الكاريكاتيرية : والمشكلة الوحيدة ، بكل وضعية ، هي بالفعل معرفة ما اذا كان نتاج هذا الموقف الأدبي يجد قراءاً أم لا يجد ، فإذا كان يجد قراء فلذلك معناه (على أسوأ الفروض) ان هذا الشكل من الاستثناء ظاهرة جماعية لا يمكن بالتالي منازعة واقعيتها . ومن المفهوم أنه تبقى بعد ذلك امكانية النزاع في قيمتها : ولكننا نعرف ما فيه الكفاية ، منذ « مونتي » من قبل ، أنه ما من اختلاف موضوعي يمكن أن نخدنا في هذا الصدد بأدنى معيار مريض أقل الرضى (ونحن في وضع يسمح لنا الآن ، في هذا العصر ، أن نقول نفس الشيء عن كل جمالية أدبية مقننة) . ومن ثم يجب أن تلجأ الى معايير من نمط آخر - اذا كنا نعتزم أن تصدر حكماً على قيمة عمل واقعي حقيقي (وبالتالي على قيمة الجمهور الذي يحققه) - وهي معايير لا يمكن أن تصدر الا عن الطلب الانساني لاضفاء الانسانية على هذا العالم : أي عن موقف أخلاقي هو ، في نفس الوقت ، واقعي بما

فيه الكفاية ، وجذري بما فيه الكفاية ، لكي يرفع في الاعتبار الأوضاع المحددة في اللحظة نفسها التي يختار فيها أن يقرر بكل شيء على تجاوز هذه الأوضاع ، أفعلّ التجاوز وأعضاءه .

وقد يعترض المرء هنا بأن الموقف «القديم» ، بالضبط لا يتصف عامة ، بواقعية مقال فيها : ولكن ذلك الشيء ، فيما يبدو ، من عدم التباه لما يتضمنه كلّ تساؤل حق عن الواقع ، من مثالية : لمشكلة العلاقة بالواقع لن نوضح ، فيما هو واضح ، في نفس الحدود ، من ناحية ، بالنسبة لأولئك الذين تثير المبادئ الاجتماعية مشكلة حياتهم إذ تبهم في حالة من العوز بأكثر اشكالية مباشرة : ومن ناحية أخرى ، بالنسبة للمتنازعين - الذين هم نحن - والذين يستطيعون أن يسمحوا لأنفسهم بتصرف تصورات التغيرات المتصلة مستقبلاً لموضع ، في حدود تطلب انعطاف . ولكن نفس كفاح الجماهير المشتعلة أكبر استغلال جذري ، لا يمكن أن يكون كفاحاً ثورياً إلا ضمن مشروعات في مستقبل معين ، مستقبل لا يوجد ثم شيء يقسم هذه الجماهير أنها سوف تصل إليه حقاً . ومع وضع كل شيء موضع الاعتبار ، وسواءً هل صعيد مشروع جماعي أو هل صعيد مشروع شخصي ، فإن المشروع يستهدف دائماً اختراع ما ليس بكان على أساس ما هو كان : ومن ثم يظهر «المشروع» باعتباره ، في نفس الوقت محدداً متعباً ، كليةً ، بالنسبة لما يتكره (في الكفاح الذي يخوضه ضد المبادئ القائمة فعلاً) ، وبمجرداً ، كليةً ، بالنسبة لما يؤيده (فيما يتعلق بالعالية التي يعزم الوصول إليها) .

فانظر الآن كيف تتكون «مثالية» سيمون دو بوفوار ، بالفعل ، وجوهرياً ، من معارضة دائمة بازاء الواقع ، وكيف أن هذه المثالية ، مهما كان من جذورها ، تظهر تلقائياً مهمةً بأن تحظر على نفسها ، في كل الظروف ، أدنى تحيل حدد متعين للمستقبل الذي تنعكس فيه غيالاتها . أنها تريد التواصل ، وأن يُعترف بها ، وأن تصل مع ذلك

الى الحادى حقيقى : ذلك أنها تحس نفسها مبنوة الصلة بالغير ، معصورة ، مستعدة من العالم الوحيد الذي أعطى لها أن تمارسه ، ولكن لا تحاول أن تجعلها تقول عن ذلك أكثر مما قالت ، ذلك أن الوسائل لبارغ هذه الغايات تبدو لها أهم ، بما لانهاية له ، من الأشكال الخاصة التي سوف تتخذها هذه الغايات ان أجلاً أو عاجلاً ، عندما تتحقق ، وهنا يستطيع المرء أن يفهم ، فيما اعتقد ، المصدر الحقيقي للموقف العملى : ما يتيح له أن يتجاوز « الواقعية » و « المثالية » الناجمة عنها ، في وقت معاً ، بواسطة إحداهما الأخرى . وإذا كانت هذه المראה قد استطاعت أن توجد من أجل ذاتها ، أن تعبر عن نفسها علناً ، وأن تجعل الناس يسمعونها ، فذلك بلاشك لأنها لم تكن غريبة عن العلم الانساني بقدر ما قد يجعلنا بعض ما أفقت به البنا من أسرارها ، نفترض .

وبعبارة أدق : ذلك أن جهدها المتصل للوصول الى هذا العلم ، دخل في صراع مكر ودائم مع الشغافا الحاد بأن تدافع عن نفسها ضد أحد جواب هذا العلم — هذا الجانب الذي كان قد ترك عليها أثره ، أولاً ، على شكل اتصالات عميقة وجروح كاثوبة . وفي هذا التناقض الحثيث الحريف ، أجروا على أن استشف خطا حياتها .

من الذي يستطيع أبداً أن يقلص ، أن يكتب ، أن يفعل « عملاً » انسانياً ، سواءً أحسن في ذلك أم جالبه التوفيق ، اذا لم يكن ، في مواجهة الضرورات الحيوية الأكثر مباشرة ، على التزام (وعلى مقدرة) مهما كانت قليلة) يتبع له أن يخترع نفسه — نتيجة لخطئه بما فطنت من يقبه ، لتخليه ، ولاصاغ معنى عليه ، وإرادته — حتى يقامر تحسيراً بأن يتعرف في أشباهه على هذا التطلب لانضواء الخصائص الانسانية على الاشياء ، هذا التطلب الذي يقطن في داخلنا جميعاً ، سواء رضينا أم أبينا ؟ ينبغي أن تتوفر ثقة كبيرة حتى يمكن الانتهاء بالخطاب الى الناس ، وينبغي أيضاً ، بلاشك ، حتى يكون للمرء ما يقوله له ضم . الاحتفاظ

بنيء من السعد عنهم ، مع ذلك ، ينبغي أن تتوفر لذلك (فيما يبدو) تلك الحاجة المزدوجة التي عرفناها عند كاتينا : أن ترى دون أن تكون مرئية ، أن تكون هناك دون أن تكون ، أن تتواصل حقاً بهذا أو بذلك وأن تصل ، سحرياً ، اجمالياً ، الى ماهية وجودهم المشترك نفسها .

إن هناك هؤلاء الناس المتحددين المتعينين بالذات ، وهناك « الناس » : وقد عاشت سيمون دي بوفوار منذ عاشت ، وحدة ، علاقتها الشخصية ولكنها لم تكن نتيجةً لذلك أقل حدةً في اهتمامها بالشرب بمصير البروليناريا ، ومصير بعض الشعوب المضطهدة . ولكن هناك أيضاً « الناس » وعلى وجه أكثر تحديداً ، هناك النساء - في قبضة عالم الرجال : ولكن هذه المرأة التي لم يكن لها أطفال ، والتي لم تعد تُعتبر قط ، منذ عامها العشرين ، أدنى قدرأ من الرجال الذين عرفتهم ، أنظر كيف وصلت الى أن تحس ، وتبصر عن المشاكل الحيوية للوضع الأنثوي ... أيمكن أن نعتقد أنها ، بدون هذا التراجع الذي رأيناها تتخذه من الوقائع الانسانية - وقد كانت تسحرها من جانب آخر - كانت قادرة أبداً على أن ترى ما رأيت ، وأن تُربيه للناس ؟

إن التوازن الصعب الذي بنت عليه عملها وحياتها على السواء ، لا يستقر ، فيما اعتقد ، إلا على دوام صراعٍ فيها ، صراعٍ أصيل جداً ولا يمكن اعتزاله ، بين جموح جنون أن تحبها (أن تشارك في الكينونة على نحو مباشر) وبين تطلب الوصول الى ماهية الكينونة ، نفسها (باعتبارها وحيأ مستميتاً في جهده لكشف كل الواقع) . فإذا تأملنا من ذلك أن تعامل « الآخرين » في كثير من الاحيان باعتبارهم موضوعات ، فذلك ليس من شأنه أن يثير غضب أحدهم ، إلا بعض الناس الطيبين الذين ترضى نزعة الفريسيين فيهم « بحب الغير » طالما بقي الغير بعيدين عن متناول اليد ، ويبقى أنهم غير قادرين على تبادل ثلاث عبارات متتالية ، بشكل سليم ، مع أولئك اللاتي

اعتبارهم ورفقات الحياة . أما سيمون دوفور ففهم اعتماداً محتسماً
 بالآخرين ، وتفقد بهم ، ونسعى الى أن « نحتاجهم » ، نحتاجهم على
 الحالة التي لن يكونوا فيها أبداً حاضرين فيها ، لأنها هي : « كما
 يوجدون في غيابنا »^١ . ولكن ذلك لأنهما لم تتحل قط عن أن تعزل
 الى كليوتهم نفسها ، الى ما هيتهم ، ما هيتها . وعندما نتاح لنا الفرصة
 أن نحيا علاقات محددة ، يستطيع المرء أن يسلم بسهولة ، فيما أعتقد ،
 بأنها تقليد من الفرصة ، على الفور ، في أكثر المرات إيجابية .

إذا كنت لا أضع الناس في كليتهم باعتبارهم أمراً لشروعي (مهما
 كانت محددة) ، فإني أحكم على نفسي - هناك خوف معين في
 يحكم عليّ - بأسوأ ضلالات الطفلية ، والملحية ، والقومية الرجعية ،
 أو العنصرية ، وبصفة أعم ، بأسوأ ضلالات التمسد^٢ « الشمولي » ،
 (بالمعنى السيئ للكلمة) . ومع ذلك قلن أستطيع بأي حال أن أكون
 على علاقة محددة بكل الأحياء من الناس ، إلا ، بالأحرى ، أن أشارك
 في كفاحهم . يجب عليّ إذن أن أحصر نطاق نشاطي الواقعي ، اعتباراً
 من المكانيات العملية . ويجب عليّ إذن ، بالثاني ، أن أصغر من الأدنى
 الى الأبعد ، بلاشك ، إذا كنت لا أريد أن أجد نفسي ، وشيكاً ، تحقاً
 في صراع من أجل معاداة الشعوب ، واعتراف الإنسان بالإنسان ، على
 أساس من نقص واضح جداً في المجال الشطحي^٣ ، على صعيد علاقتي
 المحددة مع أولئك الذين يحيطون بي . ونحن ، كما نعرف ، نستطيع أن
 نلاحظ كل يوم أن هذا الوضع المقلق الذي أشير اليه هنا ، هو ، للأسف ،
 وضع عدد معين من الرجال والنساء الذين لم يفلتوا غسل أنفسهم اسم
 « المناضلين » إلا لكي يهربوا ، إذ يلقون بأنفسهم مندفعين للدفاع
 عن هذه القضية أو تلك ، من صعوباتهم الخاصة - التي لا يدركون أنفسهم

١ - مقدمة « بنت الحرام » القبولت لودوك .

قادرين على التغلب عليها . وأني كفاح انساني جدير بهذا الاسم لن تسعده مثل هذه المساعدات . ولكنني ألاحظ أن سيمون دو بوفلور ، قد اتخذت ، في هذه الناحية ، الموقف المضاد : شرعت ، دفعة واحدة ، في أن تواجه مشكلاتها الشخصية في نفس الوقت الذي أعطت فيه لنفسها أنفاساً من الكلية الانسانية . والخوف الذي أحست من ذلك بالفعل (شأنها في ذلك شأن أي منا) لم يُلغض بها إلى أن تترك ذاتها . باسم انصواء عظيم ، بل أن تأخذ نفسها من جديد ، بحلها يدربها ، حتى تجعل نفسها قادرة على عمل ينير لنا في نفس الوقت إمكاناتنا الخاصة في فهم أنفسنا ، كما ينير لنا عدداً من المشاكل الانسانية الجماعية . وعلى ذلك النحو نجسست أن نضع التاريخ بين قوسين أو أن نتصور نفسها دفعة واحدة في حالة من التواصل مع العالم بأسره . وأنا أرى قوتها الحقيقية ، على البحر الهائلي ، أنها تنبثق من هذا القلب نفسه الذي أثاره وجود الآخرين دائماً في أعماق أعمق قلبها ، في أكثر مواضع وعيها بذاتها احتداماً وحيوية . ذلك أنه قلق والعجز ، لنا به ، بالضرورة ، خبرة مباشرة بمجرد أن نلشع في تصور أنفسنا في حدود الحرية .

وهي تقول لنا إنها في مواجهة الغير « كنت أترك نفسي المثنى ، وأتسل ، وأتخير أمام انعكاسات المظاهر ، دون أن أسأل عما تغطيته . ولكنني كنت أستطيع أن أتخلص من هذه الجمالية : فإذا كنت قد أصررت على ذلك ، فأنما ذلك لأسباب عميقة : لقد ظل وجود الغير عندي خطراً لم أفر أن أواجهه بصراحة . كنت قد كافحت كفاحاً شاملاً عسيراً ، في الثامنة عشرة من عمري ، ضد العرافة والسحر اللذين زعما لغيري إلى سخر شاهة : ألزمت جانب الدفاع^١ . » - « إن وعي الغير ، كاللوت الذي نتكلم عنه دون أن نراه أبداً وجهاً لوجه ، ظل عندي شيئاً » يقال

١ - « ثورة السر » ص ١٣١ .

عنه ، ، وعندما حدث لي أنني تفقت من وجوده ، أحست بضفي
أصابع في قبضة فضيحة من نفس النوع كالموت ، وذلك ، لا يمكن
قبولها ..^١

نعم ، هذه الرأيا كانت ، في البداية ، هيكلية ، عمل غير علمي
منها ، إذ أنها قد ذهبت الى حد تصور قتل « الآخر » حتى تفقت من
السلطة التي كانت تعزوها إليه ، على العالم وعلى نفسها^٢ . ولكن هذه
بالفعل ، فيما يلوح لي ، نقطة الرسو لكل معرفة حقيقية : أي قيمة ،
بالفعل ، يمكن لوعي الآخر أن يتخذها في صنيء أبداً ، إذا لم تكن أنطلب
من وعيي ، من قبل ، أن يكون « الوعي » مرادفاً « للسلطة » ؟ ولعل
الأمر هنا يتعلق ، بكل بساطة ، بالأمانة : تلك الأمانة التي تفرض
نفسها ، على كل حال ، من جانب كل من يتطلع الى الاتجاه بالمخاطب
الى الآخرين فيما وراء امكانياته الخاصة للاتقاء بهم حقاً .

إن سيمون دوبوفوار التي تبدأ في أن تألف أن همتها المزدوج هو
التواصل والكشف ، لم تحاول قط ، على أي حال ، أن تبث فيها أدنى
وهم عن موقعها في المستوى السياسي : بل على العكس ، ضاعت في
هذا الصدد عبارات التحديد الدقيقة من الطراز السليبي ، تكرر بلا وهم
أن مشكلتها لم تكن هناك - دون أن تفقد الاهتمام حقاً ، أبداً ، مع
ذلك ، بالمصير المحدد للجماعات الإنسانية التي أتبع لها أن تقرب منها ،
ولعله ليس من قبيل الصدفة أنها استطاعت ، في هذه الظروف ، أن
تمارس مثل هذا التأثير على مجتمعا ، إذ دعت النساء الى كفاح اجتماعي

١ - نفس المرجع ص ٢٢٤ . وفلاسل هذا التناقض الواضح الموضوع مع السارتر الذي يرى وقتاً
له أن الجميع هو الآخرون ، (جلسة مرية) أو أن العلاقات مع الغير تقع أصلاً في جو من
الصراع (« الفكر والعدم ») .

٢ - ذكرت أيجل عبارة هيجل : « كل وعي يمسر وراء موت الآخر » لم أقرأها الا في عام
١٩٥٠ ، (« ثورة العصر » ص ٢٢٤ - ١) .

مضموناته السامية واضحة بما فيه الكفاية ، ولكنه يحتاج يبدو أنه سوف يتوقف قبل كل شيء على الموقف الأخلاقي الذي يستلزم أن يتخلله للسيطرة على وضعهم نفسه ، على المستوى الشخصي .

صور تذكارية



صفت الفلسفة بمعهد دوزیر ۱۳۲۵



صفت الفلسفة



مع صديقتها زاري ، صيف ۱۳۲۸



مع أبيها وأختها بريت ، ۱۳۲۶



مهرشایا ۱۳۲۹



في ليدیه مهرشایا ۱۳۲۹



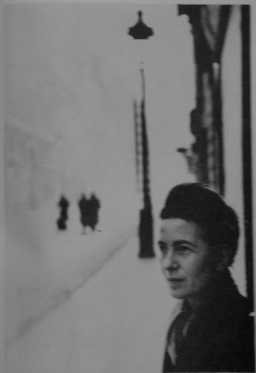
في ليدیه مولیر ۱۳۲۹



في إيطاليا ، صيف ١٩٤٦



في مكتبة السيدة مارغريت بروم ، صيف ١٩٤٦



1998, 1999, 2000, 2001, 2002, 2003, 2004, 2005, 2006, 2007, 2008, 2009, 2010, 2011, 2012, 2013, 2014, 2015, 2016, 2017, 2018, 2019, 2020, 2021, 2022, 2023, 2024, 2025, 2026, 2027, 2028, 2029, 2030, 2031, 2032, 2033, 2034, 2035, 2036, 2037, 2038, 2039, 2040, 2041, 2042, 2043, 2044, 2045, 2046, 2047, 2048, 2049, 2050, 2051, 2052, 2053, 2054, 2055, 2056, 2057, 2058, 2059, 2060, 2061, 2062, 2063, 2064, 2065, 2066, 2067, 2068, 2069, 2070, 2071, 2072, 2073, 2074, 2075, 2076, 2077, 2078, 2079, 2080, 2081, 2082, 2083, 2084, 2085, 2086, 2087, 2088, 2089, 2090, 2091, 2092, 2093, 2094, 2095, 2096, 2097, 2098, 2099, 2100, 2101, 2102, 2103, 2104, 2105, 2106, 2107, 2108, 2109, 2110, 2111, 2112, 2113, 2114, 2115, 2116, 2117, 2118, 2119, 2120, 2121, 2122, 2123, 2124, 2125, 2126, 2127, 2128, 2129, 2130, 2131, 2132, 2133, 2134, 2135, 2136, 2137, 2138, 2139, 2140, 2141, 2142, 2143, 2144, 2145, 2146, 2147, 2148, 2149, 2150, 2151, 2152, 2153, 2154, 2155, 2156, 2157, 2158, 2159, 2160, 2161, 2162, 2163, 2164, 2165, 2166, 2167, 2168, 2169, 2170, 2171, 2172, 2173, 2174, 2175, 2176, 2177, 2178, 2179, 2180, 2181, 2182, 2183, 2184, 2185, 2186, 2187, 2188, 2189, 2190, 2191, 2192, 2193, 2194, 2195, 2196, 2197, 2198, 2199, 2200, 2201, 2202, 2203, 2204, 2205, 2206, 2207, 2208, 2209, 2210, 2211, 2212, 2213, 2214, 2215, 2216, 2217, 2218, 2219, 2220, 2221, 2222, 2223, 2224, 2225, 2226, 2227, 2228, 2229, 2230, 2231, 2232, 2233, 2234, 2235, 2236, 2237, 2238, 2239, 2240, 2241, 2242, 2243, 2244, 2245, 2246, 2247, 2248, 2249, 2250, 2251, 2252, 2253, 2254, 2255, 2256, 2257, 2258, 2259, 2260, 2261, 2262, 2263, 2264, 2265, 2266, 2267, 2268, 2269, 2270, 2271, 2272, 2273, 2274, 2275, 2276, 2277, 2278, 2279, 2280, 2281, 2282, 2283, 2284, 2285, 2286, 2287, 2288, 2289, 2290, 2291, 2292, 2293, 2294, 2295, 2296, 2297, 2298, 2299, 2300, 2301, 2302, 2303, 2304, 2305, 2306, 2307, 2308, 2309, 2310, 2311, 2312, 2313, 2314, 2315, 2316, 2317, 2318, 2319, 2320, 2321, 2322, 2323, 2324, 2325, 2326, 2327, 2328, 2329, 2330, 2331, 2332, 2333, 2334, 2335, 2336, 2337, 2338, 2339, 2340, 2341, 2342, 2343, 2344, 2345, 2346, 2347, 2348, 2349, 2350, 2351, 2352, 2353, 2354, 2355, 2356, 2357, 2358, 2359, 2360, 2361, 2362, 2363, 2364, 2365, 2366, 2367, 2368, 2369, 2370, 2371, 2372, 2373, 2374, 2375, 2376, 2377, 2378, 2379, 2380, 2381, 2382, 2383, 2384, 2385, 2386, 2387, 2388, 2389, 2390, 2391, 2392, 2393, 2394, 2395, 2396, 2397, 2398, 2399, 2400, 2401, 2402, 2403, 2404, 2405, 2406, 2407, 2408, 2409, 2410, 2411, 2412, 2413, 2414, 2415, 2416, 2417, 2418, 2419, 2420, 2421, 2422, 2423, 2424, 2425, 2426, 2427, 2428, 2429, 2430, 2431, 2432, 2433, 2434, 2435, 2436, 2437, 2438, 2439, 2440, 2441, 2442, 2443, 2444, 2445, 2446, 2447, 2448, 2449, 2450, 2451, 2452, 2453, 2454, 2455, 2456, 2457, 2458, 2459, 2460, 2461, 2462, 2463, 2464, 2465, 2466, 2467, 2468, 2469, 2470, 2471, 2472, 2473, 2474, 2475, 2476, 2477, 2478, 2479, 2480, 2481, 2482, 2483, 2484, 2485, 2486, 2487, 2488, 2489, 2490, 2491, 2492, 2493, 2494, 2495, 2496, 2497, 2498, 2499, 2500, 2501, 2502, 2503, 2504, 2505, 2506, 2507, 2508, 2509, 2510, 2511, 2512, 2513, 2514, 2515, 2516, 2517, 2518, 2519, 2520, 2521, 2522, 2523, 2524, 2525, 2526, 2527, 2528, 2529, 2530, 2531, 2532, 2533, 2534, 2535, 2536, 2537, 2538, 2539, 2540, 2541, 2542, 2543, 2544, 2545, 2546, 2547, 2548, 2549, 2550, 2551, 2552, 2553, 2554, 2555, 2556, 2557, 2558, 2559, 2560, 2561, 2562, 2563, 2564, 2565, 2566, 2567, 2568, 2569, 2570, 2571, 2572, 2573, 2574, 2575, 2576, 2577, 2578, 2579, 2580, 2581, 2582, 2583, 2584, 2585, 2586, 2587, 2588, 2589, 2590, 2591, 2592, 2593, 2594, 2595, 2596, 2597, 2598, 2599, 2600, 2601, 2602, 2603, 2604, 2605, 2606, 2607, 2608, 2609, 2610, 2611, 2612, 2613, 2614, 2615, 2616, 2617, 2618, 2619, 2620, 2621, 2622, 2623, 2624, 2625, 2626, 2627, 2628, 2629, 2630, 2631, 2632, 2633, 2634, 2635, 2636, 2637, 2638, 2639, 2640, 2641, 2642, 2643, 2644, 2645, 2646, 2647, 2648, 2649, 2650, 2651, 2652, 2653, 2654, 2655, 2656, 2657, 2658, 2659, 2660, 2661, 2662, 2663, 2664, 2665, 2666, 2667, 2668, 2669, 2670, 2671, 2672, 2673, 2674, 2675, 2676, 2677, 2678, 2679, 26



مع مولوی فی الحسن - ستمبر ۱۹۵۵ء



مع مولوی فی کورا - اکتوبر ۱۹۵۵ء





لی آریس، ۱۹۵۳



الجزء الثالث

المصنفات الوثائقية في عصرها الثالث

إن الدراسة التي قد شرمت فيها كان يمكن لها ، على نحو ما ، أن
تنتهي هنا . والتي إذ التمس من القارئ ، أو القارئة ، قليلاً من
الصبر ، فلت اعتزم إلا أن أقترح عليها تفسيراً (هو في أغلب الأحيان
مباغلة مبددة) لكل ما أتبع له أن يتضح لها من خلال التحليلات
السابقة . ذلك أنني لم أتناول بالاعتباس ما تقول كائنتا عن "عشر
الموضوعات التي استطعت أن أجدها في أعمالها ، ولكنني أعمل أنني قد
توصلت مع ذلك إلى استخلاص الجوهرية في موقفها ، ووجود أعمالها
الثابتة بازاء موضوع ما أياً كان .

وما يبدو له أنه على أكبر الدلالة ، على أي حال ، في النقطة التي
بلغناها الآن ، هو الالتحاق الخارق الذي تأخذ به سيمون دو بوفوار على
حاشيتها . أمام أعيننا : الجواب لعلاقتها بالعالم ، والتمتع المتصل الذي
تتيحه بأن تتولى هذه العلاقة ، دون تحفظ ، بأن تجعلها دائماً تتوقف
على اختيارها هي نفسها : أي تتوقف على هذه العلاقة بالذات التي
تفرض نفسها علينا ، بهذا الشكل ، وفي نهاية الأمر ، باعتبارها نظاماً
أساسياً يرجع إليه — إذ أن هذا الوعي لم يشرع قط في شيء ما ، في
هذا العالم ، إلا في حدود طلبه للكينونة . وسوف يكون علينا ، بالتأكيد ،

لأن نساءه ، عندما تنتهي ، عن معنى مثل هذا الموقف ، وقبته ،
عندما : ولكن يبقى علينا ، قبل ذلك ، أن نصوغه صياغة دقيقة ، في
خطوطه العريضة على الأقل .

وعلى ذلك فسوف نضع موضع الاعتبار ، من ناحية النظرة إلى هذه
العلاقة بالذات ، الكتابة ، ثم المرأة (إذ لا تظهر المرأة لأعيننا إلا
صدوراً عن الكتابة) ، أي أننا سوف نضع الأدب ، ثم الحياة ، موضع
الاعتبار ، حتى نحاول أخيراً أن نلوك الاختيار الانجالي للذات الذي
أتاح هذه المرأة أن تكتب ذلك الأدب ، ولذلك الأدب أن يصل إلى
كل أولئك النساء (وإلى العدد الكبير من الرجال ، بالإضافة إلى
ذلك .)

١ - النزعة الى رواية السيرة الذاتية « الأوتوبيوغرافية » ،
« الترجسية » وصور الذات

إذا كنت أعطى الصفحات القليلة التالية عنواناً فيه كل هذه العذابات المتعمدة ، فذلك أنه يبدو لي من الضروري أن نضع في الاعتبار بضع مآخذ نقدية وجهت إلى سيمون دو بوطوار ، بالفنر الذي يكشف به صحتها الأدبية جناحه هذه المآخذ ، بغبوضه واستهزامه نفسه ، وبالتناقض الواضح الذي يشكل أكثر حركات هذا العمل نشاطاً ، من أدناه إلى أنصاه .

سوف أسلم بذلك إذن ، في البداية : نعم ، هذه الكتابة لم تصد إلا لأن نقول عن ذاتها ، تحت أشكال متباينة ، والا لأن نصف نفسها ، لأن تمكينا لنا حكاية حياتها ، لأن تردنا إلى ذاتها كل المشاكل الإنسانية التي لقيتها في هذا العالم . إن كل كتبها تقريباً يمكن أن تعتبر من قبل السيرة الذاتية ، والكتب التي هي من هذا القبيل على شكل سافر ، قد تخدع أحياناً ، من هذه الناحية ، ولأسباب متباينة .

فذلك أنه من الحق ، بالرغم من كل شيء ، في البداية ، أن أعمالها الروائية (مهما كانت أحداثها وشخصياتها قد نُقلت إلى أوضاع أخرى ،

إذا التقى الأمر مستوحاة على نحو مباشر جداً من وجودها الواقعي .
هذا حق إلى درجة تصدم الكتابة نفسها ، فيها يبدو : « فرأت المدعوة »
من جديد ، من أوقا إلى آخرها ، وندوت ما أراه فيها . إنني أجد
فيها « كلمة » بكلمة تقريباً ، أشياء أقولها في مذكراتي . وأشياء أخرى
عادت للظهور في « الثقلون » . نعم - وليس ذلك متبسطاً لهمة على
أي حال - أن المرء لا يكتب أبداً إلا كتبه هو . »

فليكن . ذلك موضوع كلاسيكي يمكن أن ينحني له النقد التقليدي
نفسه . ولكننا إذا رجعنا إلى السورة الدائمة باعتبارها نوعاً أدبياً ، بالمعنى
الذي نلصقه للكلمة ، ألا يجعلها المرء تأريخية ومسطحة ، ألا نأسف فيها لهذا
الترفع من الموضوعية الساذجة التي تبذل الجهد المستبث في ذكر كل
ما وقع ، كما لو كان الاهتمام برواية الأحداث يطلب على الاهتمام بفهمها ،
كما لو أن الحقيقة يمكن ألا تكون إلا تخصيصاً من خصائص الواقع ،
وتصلو مباشرة عن مجرد تراكبها ؟ وقد كان يمكن الاختيار لهذه الناحية
أن يكون مقبولاً ، بعد ذلك ، لو أنه على الأقل كان يضعف للقراء
حتى النظرة الطالقة على حياة الكاتب الخاصة : ولكن الحال ليس كذلك ،
حتى « يجب أن أحذرهم من أنني لا أنوي أن أقول لهم كل
شيء . لقد رويت ، دون أن أحذف شيئاً ، طقولي ، وصيبي ،
والكنني إذا كنت قد استطعت أن أعرفي ماضي البعيد ، دون حرج
ودون كثير هتاج أو تفحتم ، فأنني لا أحس بنفس هذا الابتعاد بلازاه
عمري في سنّ النضوج ، ولا أملك نفس الحرية ... سوف أترك في
الظل ، بعزم ، كثيراً من الأشياء . » - « في باريس ، في الظلم ،
في روان ، كان الموضوع الرئيسي في حديثنا هو الناس الذين نعرفهم ،
كانوا يشغلونا إلى حد أنني إذا حظرت على نفسي أن أحكي حياتهم ،

بهذه الصورة التي أرسمها لحياتنا : ولكن أنشأها واضعة تقضي على
هذا الصمت . - - ومن المستحيل قول كل شيء . . .

فليكن . وبما سلم بذلك كل حسن الية الذي يعنى . من حيث
البدء ، في قلب أشد أفكارنا إمعاناً في النقد : ذلك أننا لست مضايين
بسلوك الرغبة في النظر إلى الحرمان ، ولكن ، في النهاية ، نستطيع
أن نلهم أن كانوا ما ، هو أقل منا محرراً فيها هو واضح ، قد يلعب
إلى حد أن يحظى على هذه المحطة أو تلك من حياته . ولكن مثل هذا
الاغتيال ، ألا يجعلنا ، في مقابل ذلك ، أشد صرامة بأزاء موقف يقوم
قبل كل شيء على أساس الدقة المتصلة للذاكرة لا هوانة فيها ؟ هذا
الموقف الذي لا يبدو مبرراً ، بالضغط ، إلا بشموله الجذري في السرد
وتقديم الحساب ؟ وإذا كانت الحقيقة في الوقائع ، أفن تشوّه الحقيقة
على نحو خطير . في نهاية الأمر ، بإلقاء عدد معين من الوقائع التي
لا تعتبر ، كلها ، فيها يبدو ، من بين أكبرها دلالة ؟ ومن جانب
آخر ، أن يكون ثم مجال لحد أدنى من الشك بأزاء مقدرة خارقة بهذا
الشكل على الاحتفاظ بالماضي وعلى استرجاعه ؟ يقال لنا : « دون حذف
شيء » : ولكن ألا يراودنا الشك ، إذ نرى كل هذه الذكريات الدقيقة
تنصب وتدفق علينا ، في أننا هنا بأزاء مقدرة عقلية على إعادة
البناء ؟

٥ - « قوة العمر » ص ١٠ و ١٣٠ : « قوة الأنياب » ص ٥ . كلمة كل شيء في الشعر الأول
وفي الثالث تؤكد هذا الكلام . - وإذا تحدثت ميمون دي بولوار عن هذا الخلف السلي
مفاده مع سارتر (من إمكانية كل من الطرفين أن يحيا سباعياً عرضياً ، وليس فقط ميسره
« زواجات جنسية ماهرة » ، تؤكد مسألة كفاية « لقادهاها بطيش » في تلك الحين ، هي
مسألة شخص ثالث ، والطريقة التي كانت متفاوتة مطابقة الخاصة مع الترتيب السلي
وعدمه لأنفسها . وهي تفيد ، بشأن هذه النقطة : « إن الحقيقة والتجربة ضروري
فقد تلا من هذه الفرصة التي أرسمها « قوة العمر » ... » (« قوة الأنياب » ،
ص ١١٠) .

أما أنا فسوف أحاول أن أعبر عن اليقين الذي استطعت أن اتقنه ،
في صدد هذه النقاط المختلفة ، من إعادة قرائتي لأعمال سيمون دو
بوفوار على نحو من الانتباه والتبليط لم تلق هذه الاعمال مثله ، أبداً من
قبل ، بلا شك .

ولتبدأ بأخر مسألة أثرت هنا . إنني أشهد بزيغ الموقف التقسدي
الذي تمّ عنه هذه المسألة ، إذ يبدو لي موقفاً لا يمكن الدفاع عنه
بإجمال ، وذلك من حيث المبدأ نفسه . ذلك أننا هنا بإزاء أمرين لا ثالث
لهما : فإما أنّ سيمون دو بوفوار قد صنعت حياتها من جديد وهي
ترونها لنا ، وإما أنّها تذكرت هذه الحياة حقاً ، من أوطأ لآخرها .
ويجب استبعاد كل فرض ثالث ، على الفور : لا يمكن للمرء أن يخترع
وأن يتذكر ، في وقت معاً ، بكل هذه الدقة ، بكل هذا البلغ من
التفاصيل ، دون أن يحكم عليه ، وشيكاً وبشكل واضح جداً ، بأن
يتردى في أسوأ الاضطراب والبلبل . فإنت إذن حرّ ، من حيث النظرية
المجردة ، في أن تصور كاتبنا أربع روايات في هذا القرن ، أو أن
تصورها امرأة أضلّت على عائقها بشجاعة أن تقول عن ذاتها . أما في
الواقع المحدد فليس لك الخيار : ذلك أنه قد حدث بالفعل أنّها ، من
ناحية ، قد لجأت إلى وثائق عديدة (يومياتها الخاصة ، مذكراتها ،
كل أنواع الرسائل التي تبادلتها مع أصدقائها الرئيسيين) ، وأنت تحكّم
من ناحية أخرى ، البراهين الكافية ، الموضوعية ، العامة ، التي
لا تدحض ، لتأييد سلامة وصفها لنفسها ، وفقاً لتأسك هذه الحياة .
ومن ثمّ فلسلم بما يلي : إن القصة التي تحكي لنا () فيها أمكن أن
يكون فيها ، هنا وهناك ، اضطرابات في التفاصيل ، أو لغزات مقصودة
أو غير مقصودة (هي في جوهرها قصة مطابقة للحقيقة ، وتلك الوقائع
التي ترد فيها وقائع حدثت في الحقيقة .

أما عن الثغرات المقصودة ، فاعترف الآن أن التفسير المفضل لها عند كتابتها يبدو لي تفسيراً غير كافٍ : وهي نفسها تقترح علينا تفسيراً أكثر على كل حال ، حينما اقتضت المسألة - تفسيراً فاعلاً لا على أساس مراعاة الحقيقة والتبصر بشأن أشخاص ما زالوا أحياء ، بل على أساس المسائل التي تثيرها عندها . علاقتها هي بذلك : « لماذا توجد أشياء أتى أن أقولها ، وأخرى أتى أن أدونها ؟ لأنها أشياء تثير نفيسة » (مقدمة ربما) أكثر قداسة من أن يتناولها الأدب كما لو كان الموت وحده . الشبان وحده ، يرتفع إلى مستوى حقائق معينة ... »^١ .
وللاحظ هنا أنه إذا كان الأدب بالنسبة لسيمون دو بوفوار - هو ، في البداية « القدسي » فإنها بعد ذلك قد صارت قادرة على أن تكشف فيه أحياناً موقفاً متجدداً إزاء حقائق معينة تبدو لها أكثر قداسة .

أعتقد أن من المهم أن ننظر واعين بذلك قبل كل شيء ، عندما نحاول أن نفهم الحاجة المسألة التي كانت تحسها دائماً لكي نقول عن ذاتها : « كنت أستهني أن أتحدث عن نفسي » - « كنت أريد أن أصبح ليد كل شيء » عن نفسي ، كما قالت عن عاولها الأولى لكتابة كتاب عن طقوسها : « الرغبة القديمة في أن أروي ذكرياتي ، ولكنها ، إذ تصف لنا الطريقة التي نهضت بها أحياناً بذلك المشروع ، وإذا تعطينا ، على نحو أفضل ، ملاحظات مؤرخة في تلك الحقبة ، لكي نقرأها ، إنما تتيح لنا ، بلا شك ، أن نتغلغل أعمق المتغلغل إلى هذا الاهتمام المحتدم الذي تحسه هي بتاريخ حياتها نفسه : « تصورت دائماً ، غلبت ، أن حياتي قد وضعت ، بكل تفاصيلها الدقيقة ، على شريط آلة تسجيل عائقة ، وأني يوماً ما سوف أفرغ كل ماضي ... »
كنت أظن ، في الخامسة عشرة من عمري ، أن يقرأ الناس يوماً

١ - « قوة الأشياء » ص ١٥٢ .

تاريخ حياتي بقضول جيكاش ، وإذا كنت قد أردت أن أصير « كاتبة » معروفة ، فقد كان ذلك على هذا الأمل . ومنذ ذلك الحين ، فكرت كثيراً أن أكتبه بنفسي . إن النشوة التي كنت أداعب بها هذا الحلم قد أصبحت اليوم غريبة عليّ . ولكنني احتفظت ، في قلبي ، بالرغبة في أن أحققه ... »^١

وسوف تفسر ذلك ، على أي حال ، بالرغبة التي لحسها في أن تبصت ، أمام ناظرينا ، الفتاة الصغيرة التي كانت ، في أن تجرّ لها « من العدم » : ولكنها من الكبر بحيث تعرف أن لا مجال لتحقيق ذلك قط ، وأنها لن تصل إليه حقاً . والواقع أننا بصدد « مشروعها القديم » دائماً (« رغبتي في أن أحكي عن نفسي ») : إن ما نريده هو أن تصل إلى الكينونة إذ توجد تحت نظرة الغير . ولأنهم ، في كثير أو قليل ، النعمة الانفعالية (سواء كانت نعمة نشوة أو نعمة هدوء) التي تنصر بها على أن تريد ذلك ، في تلك اللحظة من حياتها . وهي فيما بعد ، عندما تصحح تعارب المطبعة لكتابتها « مذكرات فتاة مستقيمة » وتقرر أن تكتب بقية هذه السيرة الذاتية ، تدون ما يلي : « في هذه اللحظة ، كل شيء يشجّعني على الرجسية »^٢ .

ولكن هل يحتاج لي الوقت أن أشرح ، إذا قلت هنا إنني أعتقد ، بعد أن يوزن كل شيء ، بميزانه الدقيق ، أنه لا يبقى عندها أدنى لرجسية ؟ ومع ذلك فقد حدث لي أن ظننت ذلك .. ولكن ذلك لأنني

١ - « قوة الشهادة » ص ٢٩٢ . إن الكتابة تصعب خطياً تحت هذا الصن كذا ، كما هو واضح . وقد قالت سيمون دو بوفوار ، من ناحية أخرى ، « نادين شابسال (ه الكاتبة بالإنجليزية) » (يونيو ١٩٩٠) : « كنت لأود أن تكون مثلي بسرعة وتأتي عائلة من حياتي ، كنت لأجد في ذلك ما يلزم الاعتراف المشهور » .

٢ - « قوة الشهادة » ص ٢٣٠ .

خلطت عنده بين الالتئام الصارم الدقيق الذي تنوّه وجودها نفسه ،
 ماضيه وحاضره ، وبين الرضى عن النفس الذي يتعلّق على المرء أن
 يكشف عن أدلى أثر له في كل أصاغها . أنظر مثلاً ، في نفس الفترة
 التي نغزو فيها إلى نفسها مثل هذا الموقف ، كيف أن مسلكتها الحقيقيّة
 ينكر على هذا الموقف كل حقيقة . إحدى الأمارات التي تدلّل بها على
 ترجيحها للرغوة تكمن في الاهتمام الحاد الذي تعبّر إلى ... اليوميّات
 الخاصة لقناة أميركية شابة اسمها جوان ، وهذا ما تقوله عنها ، قبل
 ذلك بأسبوع ، في يومياتها هي : « اليوميّات الخاصة ، عامة » ،
 فتستفي ... أن المرء يفرّص حقاً في حياة أخرى ، في نسق آخر للمراجع
 والإرشادات ، وذلك ، بمعنى ما ، هو أكبر النزاعات حدة : فيها
 أفرأها تكون هي الذات المطفلة ، وليس أنا . « والرجية ، إذا لم
 أحسن خطاً ، لا تشكل قط في آن بهم فيه وهي ما ، أياً كان ، ترجية
 وغير آخر ، اهتماماً مشبوهاً ... وكيف يزعم المرء ، أعيراً ، أن تتناقى
 سيمون دو بوفوار في هذا الاعتراف ، بينما من الواضح أن حاجتها إلى
 أن تقول عن ذاتها (حاجتها للكيونة إذ « تقرأ ») كانت دائماً تتوازن
 مقابل حاجتها أن تكون لها قيمة (حتى تقول شيئاً له قيمة) ؟ وهي
 تعترف ، يصدده هذه « اليوميّات الخارقة لجوان » حيث تراها تغوص
 فيها وتوحد ، أن مشاعرها قد اعترت بالتأكيد بحرارة هذه المرأة
 الشابة وذكاها . في تقدّرها لها حيناً ، ودقّامها عنها حيناً ، بعد أن
 قرأت أصاغها ، ولكنها تستطرد للقول أن السرور الذي تستقيه منها
 منطليّاً بالفاق : « سوف ينبغي علي أن أكتب كتباً أخرى ، أفضل ،
 أن أستحق من جديد ، أستحق حقاً أن أوجد من أجل الغير على هذا
 النحو . »

هنا يكمن ، فيما يبدو لي ، الضناح الحقيقيّ ، لترعها نحو رواية
 السيرة الذاتية : ذلك أن نظرة الغير يمكن بلا شك أن تجعلك تصل إلى

شكل معين من أشكال الكينونة ولكن بشرط أن ينجح المرء في أن يوجد من أجل ذاته . وبدلاً من أن تلقى برية الترجسية حل المسلك الأدبي لسيمون دو بوفوار ، فتسجل بالأحرى ، في طريقها أن تناسب نفسها النزاع وأن تعرض نفسها عن عمد لأسوأ تنازعاتنا لها . بلوغها الحقيقي من النضوج : التجاوز الحاسم لموقف مراقب (وبورجوازي) صغير بشكل مميز) يتخصص بتحفظ مسرف بإزاء أقرب الاصدقاء إليها ، وبالسرية المطلقة التي كانت تحيط بها عندئذ حوارها مع نفسها . وهكذا كانت قد كتبت ، إذ افتتحت يومياتها الخاصة : « لو أن أحداً أياً كان ، قرأ هذه الصفحات ، فلن أقهر له أبداً . سوف يكون ذلك من عملاً قبيحاً وسيئاً . والرجو احترام هذا التحذير بالرغم من رصانته المثيرة للشفرة »^١ .

وقد يزعم المرء مع ذلك أنها لم تنقلب على ترجميتها ، بهذا الشكل ، إلا لكي تنساق مع الاستعراضية ، ومن ناحيتي فقد أبدت (في الجزء الأول من هذه المراسلة) صورة ليس فيها الكثير من التوفيق ، للندس على شكل من يقشر عنه أوراثة ، ويتعري .. نعم ، ذلك ما لا أنكره : فصحيح أن هذه المراسلة قد اختارت أن تتعري تحت أعينا ، أكثر بكثير مما سوف تفعله أبداً أية فتاة من فتيات « السويب - تيز » ، وهي لذلك بالذات ، بلا شك ، تستحق أعين احترامنا ، وأكبر امتناننا حقاً .

ليست هناك إلا طريقتان للكتابة (سواء كانت كتابة جيدة أم رديئة ، لا يهم) ، تلك مسألة أخرى) : فلماذا يزعم الكاتب أنه يستهدف الموضوع نفسه (العالم الخارجي) في غياب الذات ، الذات في داخليتها البحتة) ، أو أن يأخذ المرء على عاتقه كشف العالم إذ يكشف عن نفسه

١ - « مذكرات فتاة مستقلة » من ١٩٨٧ .

فيه ، أي أن يقترح على القارئ تجربة معينة لهذا العلم - تجربة ذاتية وموضوعية معاً (كما هو مفهوم) ولكنها تجربة واعية ، إذن ، باستيعابها الذي لا مخصص منه . إذا كنت تريد أن تقول عن العلم ، محاولاً أن تعطيه معنى ، فينبغي أن تقول أن تقول عن ذلك ، وإذا كان يطيب لك أن تتكلم عن نفسك ، فإن تستطيع ذلك حقاً إلا بأن تتكلم عن العلم . ولذلك فإن كل كاتب حقيقي هو بالضرورة استعراضي ومهرج . ولذلك أيضاً ، فإن استعراضي الكاتب ، ونهريجه ، يشكّلان ، سواء شاء أم أبى ، نوعاً من الكرم . إن الرجل أو المرأة ، عندما يختار أن يكتب ، عندما يصعد إلى المنصة ، ويتج نفسه تحت أعين الجمهور ، ويسلم نفسه للجمهور ، إنما يسعى ، بلا أدنى شك ، وراء هولة خرافية شخصية : ولكنه إن يتاح له ، من وقت إلى آخر ، أن يعتبر نفسه معترفاً به من العلم إلا بشئ أن يعطي العلم لقراءه ، أن يوصل إليهم رؤيا لعالم . أما ذلك الذي لا يريد التواصل مع الغير (والعمل الذي لا نهاية له الذي يفترضه ذلك التواصل) والأعتراف بكيونة نفسها في وقت واحد معاً ، لن يصير كاتباً أبداً - اللهم إلا باستثناء أقلية ضئيلة للغاية معلقة ، على نحو يدعو للشفرة ، بالأساطير الثقافية (المذهب الجمالي ، المذهب النفسي ، المذهب العتيق) التي تشيع في أوساط البورجوازية المحيوسة في نطاق جمودها نفسه والمقطرة إلى الدفاع عن نفسها . ومعنى ذلك أن الكاتب ، مهما كان الأمر ، لا يستهدف لا العلم ولا ذاته ، بل يستهدف حقيقة معينة لحضوره هو في العلم - وأن أكبر طموح جوهرى له هو أن ينجح في أن يوصلها إليها ، حتى إلى درجة أن يتقاسمها معنا لو أن ذلك كان ممكناً .

وما زال بعض النقاد يفكرون كما لو كان المرء يستطيع أن يدين عدلاً أدبياً للاعتراف بالآداب العامة (والحياة العام ؟) كما لو كان من البلاهة ، بالضرورة ، أن يتكلم المرء عن نفسه عندما يتوجه بالخطاب

إلى الآخرين . ولعل الوقائع تضعهم ، في أغلب الأحيان ، موضع الحق : ولكن يجب أن نغيرهم ، أساساً ، غطين . ذلك أن كلامنا يجب أن يريد نفسه قادراً على فهم كل ما هو إنساني - أي كل تحقيق في الواقع الراهن ، عند الغير ، لامكاناتنا المستقبلية المشتركة .. أما البنيء فهو فقط ما لا نستطيع أن ندعجه في كل متكامل ، هو كل ما لا نستطيع أن نعطيه معنى : فإن من التوائف الاجتماعية الجوهرية للكاتب ، بلا شك ، أن يحفزنا إلى احتزال «تصيب الشيطان» في وعينا وفي قلوبنا (أي هذا الطامش الذي تسوده غياهب الظلمة والذي نسميه «الشر») ، وذلك بأن يجهد أن يعطي معنى لما يبدو لنا بديهاً ، مما يفترض ، بعد كل شيء ، حداً أدنى من الجهد من جانبنا نحن أيضاً .. أما أنا ، فأفضل ألف مرة أن أرى بعض كبار «مصدقين» بأزاه بسط و «قرش» مشاكل إنسانية معينة ، سوف يفهمون من الصدمة ، عن أرى كل هذه الوجدانات الثابتة وقد أسست ، حتى اليوم ، إلى أننى الحاجات التي يمكن أن تعرض في الحياة ، لمجرد أن أولئك الذين كانوا يستطيعون أن يهبهم هذه الحاجات ، يخافون من أنفسهم (ومن أسيائهم) خوفاً أكبر من أن يسمح لهم بالتعبير عن أنفسهم بعبارات واقعية حقيقية . إن ذلك الذي يبحث عن الحقيقة ، كيف يمكن أن يكون أعظم ، عندما ، من الأخطاء التي نموت منها ، معاً ، دون أن نعرف ، يوماً بعد يوم ؟

إلا أن هناك شيئاً ، على كل حال ، لا يمكن أن نخرده عن الكاتبة التي ننظر الآن : هو أن حرصها على الحقيقة همها بها ، في أكبر الحدود تطلبا ، كان دائماً في نظرها الحياة الوحيدة لمشروعها . كانت سيمون دو بوفوار ، بالتأكيد ، تطمح أيضاً إلى أن تضع أشياءً من حياتها في عبارات ، أن تنقل تجربتها بالكلمات : ولكنها لا تراها فقط تهم بأن تخدع ، أو تغوي وتسكر قراءها ، أو تلج على نفسها غير

حقيقتها ، لكي تحسن عملها الأدبي ، لكي تزيد من فرصها للخلاص . إنها تريد أن تكون معترفاً بها . في حقيقتها ، فهي إذن سوف تحاصر هذه الحقيقة لأنها ، وتحيط بها ، وتحدق بها ، دون هوان ، وباقرب وأوثق ما تستطيع - وليكن ما يكون إذا أثر بعض الناس أن يشبهوا عليها في حياة ، تلك هي نفس الحاجة الملحة ، نفس « البية » في عبقها وغلوطها لرسم الذات في أكثر مواضعها حياة وعدة ، التي كان يمكن أن تلقاها ، مثل أربعمائة عام ، عند رجولي أراد أن يكون هو نفسه « مادة » كتابه وحذر قارئه على النحو التالي : « كل ما سوف أعرف به عن نفسي ، أيا كان ، طالما كنت أعرف به عن نفسي كما أنا عليه ، يعني بما أريد ... » فلسمع ، بعد موشيتي ، إلى القديس نقول : « كنت أريد أن يعترفني الناس ، ولكنني كنت بحاجة ، جوهرياً ، إلى أن يبليني الناس ، في حقيقتي » .

وعندما تقدم على كتابة المجلد الثاني من سيرتها الثانية ، تقول هذه « الترجسية » : « سوف ينبغي أن يعود إليّ ، في باريس ، قليل من الاهتمام بنفسني ، قليل من الحساسية ، صديقاً عن هذه المواد التي سوف أجمعها خلال شهر ، أجربها من رأسي . وهذه « الاستعراضية » تلاحظ أن في خلال تلك الفترة ، كان يبدو لها أن الكلام عن النفس ، بهذه الكثرة ، هو اعتداد مغالٍ به بالنفس » . ذلك أن صعوبة الكتابة ، مقرونة هنا وهناك « بصعوبة الكينونة » المشتركة بيننا ، تكفي

١ - « ما كررت عدة مستطمة » من ١٢ ، أو ما يلي أيضاً : « كتبت هذه المذكرات ، في أظفها ، لسكني لوسي الحظيقة » (« ثورة الأكلية » من ٦٧٧) ، أما عند موشيتي ، فسندع نقول : « التي جعلت لي أن أعرف نفسي ... وأعثر حشية الموت أن يكون ذلك على جميل ليدل على أولئك الذين يتفكحون أن يعرفوا الصبي » .

٢ - « ثورة الأكلية » من ١٤٢ و ١٤٦ .

إلى حد كبير إلى أن تجعل الانغماء المزدوج بالالهيام بالنفس انغماساً مشوباً ، وبشغل نفسها موضع الالهيام المشوب عن الغير ، أمراً نسبياً عندها . ولا تنس أنها قد اختارت الكتابة لأن القراءة كانت قد أنقذتها في البداية من السأم . ثم لكي تفلت من عالم التفكير بأن تخلق لنفسها شيئاً جديداً ، مفرداً ، لا يحل محله شيء آخر ، لكي تخلق نفسها من جديد وتبرر وجودها ، لكي تعبر هي نفسها قضيتها وغايتها ، لكي تؤنس وحدتها ، وترد "منفاها" ، بأن تحرق "في ملايين القلوب" ، ولكي "تخلم الإنسانية" . ولا تنس أنها في الثالثة عشرة من عمرها كانت تحس حاجة حادة إلى أن تفلت من الصمت ومن النسيان كل ما أعطى لها ، كل يوم ، أن تراه ، أن تحسه ، وأن تحبه : « كنت دائماً أبلل إلى التواصل » - « كنت أعم ، في وقت معاً ، بنفسي وبالأخرين » . ولا تنس أنها ، منذ وقت مبكر ، تصورت «رسالتها» و«كالتها» تحت صورة مزدوجة : «كنت مدعوة إلى أن أعبر وعبي لفروعة المتعددة الجوانب في الحياة ، وكان عليّ أن أكتب حتى أفرعها من الزمن ومن العدم . . . وهكذا يثنى لها أن تفرق بين حالة سارتر (الذي «كان يجب أن يكتب») وبين حالتها : «أما أنا فكنت أعطى للحياة قيمة» علياً . . . - وهو موقف يؤيده اقتباس من يومياتها الخاصة في نحو الحادية والعشرين أو الثانية والعشرين من عمرها : «لن أكون أبداً كاتبة» قبل كل شيء آخر ، مثل سارتر .^١ ويؤيدها أن سعادتها بالوجود ، خلال هاتين السنتين من عقد «الجلوس» الأول ، سوف تخلق تماماً عندها كل حاجة للتعبير عن نفسها ، لأن تظهر نفسها تحت شكل أدبي : «إن الكتاب ، هو بطريقة أو أخرى ، نداء لتجدة : من أتادي به ، وممّ أستجد ؟ كانت السعادة تفيض بي . . . إن القيام

١ - انظر أيضاً : «كنت أعبر من أولاً على حياتي ، في حضوريما المباشر . وكان سارتر يحرم أولاً من الكتابة .» («قوة العبر» ص ١٥١) .

بمعدل أدبي هو على كل حال أن "نري العالم للعيان" ، أما أنا فقد كان حضوره الخام يسحقني ، ولم أكن أرى فيه شيئاً : لم يكن عندي مسا أظهره . .

ولن تنتهي من أن تقابل ، من ناحية ومن أخرى ، تلك الفقرات من أعمالها حيث تُعَلَى من قُدْرَ الكلام ، والكتابة ، و « الكلمة » ، (وتُعَلَى أيضاً من ضرورة وجدال العلم المتخيل الذي يشكله عملٌ فني) والفقرات التي تعطي الأفضلية ، بوضوح ، للحياة ، للحب ، للسعادة ، بجمال العلم الواقعي أو لمشاكل الناس ومن التاريخ ... فتكتفٍ إذن بأن تذكّر هنا بالتصين الذين يعتبران ، بلا شك ، بالقوى ما يكون ذلك ، عن التوتر الرموق الذي لم تكتفِ هذه الكتابة عن أن انتهاء ، بين وجودها نفسه ، وهبتها وحرسها على التعبير عنه :

نقول لنا أنه في عام ١٩٣٩ ، أمسك بي التاريخ فلم يتركني قط بعد ذلك ، وفي الوقت نفسه كتبت أخوض غمار الأدب ، بمعنى ، وإلى الأبد . ، ولكن لا فرق في ذلك إلا تصويراً درامياً مكتملاً ، يرجع إلى الظروف ، لمشكلتها الأساسية : « أما أنا ، فقد كان مشروعِي هو حياتي نفسها .. ولكي ترضيني حياتي ، كان ينبغي أن أعطِي للأدب مكانه » . إلا أنه قد افق أنها ، في خلال السنوات العشر السابقة ، كانت قد كتبت كثيراً ولم تنشر شيئاً : لذلك تتساءل كيف تأتي دفعة واحدة أنها وقد كتبت « المدعوة » ، أنكن أن نصير « قابلةً » لنشره . ويبدو لي أن السببين اللذين تقدمهما لذلك ، عندئذ ، هما دلائلها ، كلاهما : « الكتابة مهنة يتطلبها المرء وهو يكتب » - « يظهر الأدب عندما لا يستقيم شيء ما ، في الحياة ، على وجهه » . وبعبارة أخرى : الكتابة عمل ، والمرء لا يكتب حقاً إلا إذا كان لديه شيءٌ يُقال . « الشرط الأول ... للكتابة هو أن يكتب الواقع عن أن يسير من تلقاء

نفسه ، عندئذ فقط يكون المرء قادراً على أن يراه وأن يريه
لعيان^١ .

أما النص الثاني فيميل إلى تحديد أن المرء لا يكون لديه حقاً شيء^٢ .
يقال إلا بقدر ما يكون عليه أن يغلب مشكلة من مشكلات وجوده .
وعلى هذا النحو نراها تبرز نهاية « المدعوة » (مقتل الكرافيد على يدي
فرانسواز) وهي نهاية في نظرها ، غير قابلة للتبرير من الناحية الأدبية
البحث : « بالقدر الذي يكون الأدب فيه نشاطاً حياً : كان مما
لا غنى لي عنه أن ألق عند هذه النهاية : كانت لها عني قيمة
تطهيرية^٣ .

نعم ، هذه الكاتبة هي امرأة حية : امرأة عرفت ، بالكتابة ،
كيف تطرد عن نفسها سحر هواها المشوب شبه الشيطاني بالاستقلال
الذي ، أي سيادة مطلقة ، امرأة أرادت ، دون غور ، أن تستحق
أن تحيا حرة ، وأن تستطيع بحرية أن تعبّر عن نفسها . إنها لم تسلم
نفسها لأحكام الله ولا لحكم أجيال لاحقة ، مجردة ، بل لحكم معاصريها
أنفسهم ، في هذا البحث عن « خلاصها » هي ، ولم تقطع عن أن تقدم
لهم ثمرة عمل حقيقي أصمك على ذاتها (على فكرها وعلى حياتها سواء
يسوء) ، متحملة في ذلك مسؤولية كل خطر . « كنت أتمنى أن
يقتراني ، وأنا على قيد الحياة ، أناس كثيرون ، وأن أكون موضع
التقدير والاحترام ، وأن أكون محبوبة » - « يسرني أن أرى قرعة » ،
من لحم وعظم ، يحبوني » - « أعطيت الشهرة المستطيرة .. ما كنت
أنتاه : أن يحب الناس كبني ، ويحبوني من خلاصها ، أن يصغي إلي

١ - « القوة العبر » ص ٣٦٨ - ٣٧٤ . تعليقات « يسير من تلقاء نفسه » وكذلك الكاتبة .

٢ - نفس المرجع ص ٣٤٥ .

الناس ، وأن أودّي لهم خدمة بأن أظهر لهم العالم كما كنت أراه . »

لقد صار هذا الوعي ، بالتأكيد ، أرغف حسامية باطراد ، بازاء « المثلثة المخلوطة للكلمة » (وربما كانت أعنى وغياثي أيضاً أن يردّدوا الناس بصمت كلمات معينة ويظنّ بين بعضها البعض) . ولكنها من ناحية أخرى أحست بالحاجة إلى أن تعرف العالم على نحو أفضل . باطراد (« بطريقة أكثر تفصيلاً » أدق ، وأكثر حياة قبل كل شيء ») من خلال اللقاء الواعي بأشياءها . وأخيراً فإن منها الدائم بأن تكون في كل شيء . وبالنسبة لكل الناس حقيقة إلى أكبر حد ممكن هو الذي يجعل أعضائها شيئاً لا يعرض في أمين كل هؤلاء القراء ، في نفس الوقت الذي يسلم هذه الاتصال إلى العالي والرواية من قبل حفة من الجبالين الذين لا تقع عندهم قوة الكلمة إلا في مستوى صواريخ الألعاب النارية وراحة حفة اليد في الألعاب السحرية .

وهي تعلن في مختار : « إن الواقع أنني كاتبة .. كاتبة » امرأة وجودها كلمة محكوم بالكاتب . « ولو كنت ناقداً أدبياً لسرّني أن أثبت كيف أنه منذ « المدعوة » حتى « موت عذب للغاية » يبدو لي هسلا الادعاء له مشروعيته وصحته . ومع ذلك فأنني ألاحظ ، في مقابل ذلك ، هذا الاعتراف التالي بالعقيدة الذي يكتمل الاعتراف الأول ، على نعم باذخ ورائع : ألاحظه بسرور أكبر ، بل في بهجة حقيقية - إذ أحظر على نفسي أن أجاوِز هنا حدود مشروعي . فلت ناقداً أدبياً . وعندما تقول سيمون دو بوفوار : « أنني مضطّة » ، أنني أعطي قيمة وقلراً للكلمات وللحقيقة . « يكفني على أي حال أن قلب الجزئين الأخيرين من سيرتها الذاتية حتى تقدر بأنّي مدني من الخدمة وضعت

١ - « مذكرات لقاء منتقبة » من ١٩٩٩ و ١٩٧٩ - ١٩٧٨ .

٢ - نفس المرجع من ١٩٧٩ .

القدس نفسها ، المشكلة الشائكة للصدق الأدبي ، وإلى أي حد
حرصت على أن تنجح إلى من يقرأونها بشكل مباشر وحقيقي أكثر فأكثر .

هل لديها ، في النهاية ، صورة من الذات ؟ تبدو لي الإجابة
بسيطة : لو أنه كانت لديها مثل هذه الصورة ، لعرفناها . ولكنها
بمجرد موهبتها قد أتاحت لها منذ وقت طويل أن تعرض علينا هذه
الصورة ، على أن تعيد ترويضها من جديد ، بلا نهاية . ولكننا نراها ،
بدلاً من ذلك ، مهمومة بأن تكتب ، مذكراتها ، بالأسلوب التأويقي
الزماني ، على حين أنها تعرف حق المعرفة أن تجربة إنسانية ما ليست
« سلسلة من الوقائع » : ذلك أنها قد فهمت أن « الكتاب ليست لديه
الوسائل أن يقول وقائع حياة في نفس الوقت ، ومعناها » . وبعبارة
أدق ، إذا زعم أنه يعطي معنى لحياة ما ، حياته مثلاً ، فإنه يفتش ،
ولا يسلم لقارئه بالقول إلا صورة عن الذات . ذلك أن هذا المعنى
المرغوم لا يوجد في أي مكان : « ذلك موضوع غريب : حياة ما .. »
موضوع يصل إلى التكامل مع ذاته ، ويقتصر عن التكامل مع ذاته ،
بلا انقطاع ، على مجرى السنوات . وإذا أراد المرء أن يظهر كيف
« تحدث الأشياء ، نهائياً ، لرجال » فلا يمكن ذلك إلا بأن يظهر ،
بالتناوب ، « حقائق مستبعدة ملتبسة ، منفصلة ، متناقضة » - لن يكون
تكمّلها التصوّر الوحيد ، إذا اقتضى الأمر ، إلا بأن يسجل « في
وحدة موضوع متشظّل » (في رواية على سبيل المثال) . لذلك لم تعتقد
سيمون دو بوفوار أنها بمسئولة أن تكتفي بكتابة روايات ، لذلك
كانت رواياتها نفسها ، تظهر لنا في أغلب الأحوال ، اليوم ، منفلة بقدر
أكبر من الحقيقة الإنسانية ، مما كانت تبدو في الفترة التي نشرت فيها .

١ - وهذا ، كما تحدث سيمون دو بوفوار ، هو « أحد الأمور الجوهرية للذات » (« ثورة
الأشياء » ص ٢٤٢) .

٢ - الحياة

إن العلاقة بالذات ، إذن ، عند كاتبها ، ليست من طراز أدبي - بحث : فالحياة نفسها تنوء بها ، بكل ثقلها ، والحرص على الحقيقة أيضاً ، في التعبير وفي ممارسة الحياة على السواء . ولكن من الممكن أن تتساوى بعد ذلك عما إذا كانت الشهرة لم يكن لها أثرٌ ما في استقطاب هذه الحياة على نجاحها نفسه - بحيث أدخلت فيها ، من طريق الانعكاس من الخارج ، صورةً معينة للذات .

ومن الصحيح أن سيجون دو بوفوار قد أحست أحياناً بالإغراق في أن تعتمد على شيء يأتيناها من الخارج ، لكي تضمن سعادتها ، وأنها لم تكن تحس دائماً باللامبالاة لزام احتمال أن تصبح كاتبة معروفة يوماً ما . قبل أن تحصل على جائزة الفولكلور (عن « المتطفون ») كانت تتمنى أن تحصل عليها (عن « المدعوة ») ، وكان مما يبهجها حقاً أن تحس أنها تدخل أجراً « في الحياة الأدبية » . ولكننا نجد لغير إنجاز لموقفها المتصل في هذا الشأن ، في الصفحات الأخيرة من « قوة الأكتياد » : « التي مرهقة الحس بالقوم وبالثناء . ومع ذلك ، فعما أن أنقلب قليلاً في نفسي ، حتى أجيد لامبالاة كبيرة تحس مستوى نجاحي . لقد قلت إنني ، فيها مضى ، كنت أجنب أن أقيس أبعاد نفسي ، من

عقيل الكبرياء والمهبط أيضاً ، أما اليوم فليست أعزى بأي مقياس أقيس :
أعجب الرجوع في ذلك إلى الجمهور ، إلى القلاء ، إلى بعض القضاة
المختارين ، إلى يقين حليم ، إلى التصحيح أم إلى الصمت ، الشهرة
أم القيمة ، التأثير أم الموهبة ؟ وبعد ، فعادنا نغني هذه الكلمات ؟
هذه الأسئلة نفسها ، والأجوبة التي يمكن للمرء أن يرد بها عليها ،
تبدو لي متشعبة لوقت ، إن ابتعدي أكثر جدلية ، إن له جنوره
في حقولة نكروت المطلق : وقد ظلت على يقين من غرور النجاس
الأرضي . ومزأني بالعالم قد دعمت عندي هذا التعالي ، فقد وجدت
في العلم شفاء أعظم مما يشيح لي أن يظفني المكان الذي أشغله فيه
وما لي ، أليس لي من حقوق لكي أشغله ؟

أما عن علاقتها بالمال ، فإن الإشارات المخططة التي تعطى لها في
هذا المجال ، ثم ، في وقتٍ معاً ، عن عدم ارتياح غامض (من أصل
يوردجوازي صغير مثير) يبدو أنها استطاعت أن تتغلب عليه في مسلكها
الواقعي ، وعن عدم اعتياد عيني إلى حد كبير - بصغر بلا شك ، من
ناحية ، عن اختيارها التلقائي للواقع ضد المظاهر ، ومن ناحية أخرى ،
عن مقصودتها المارقة على أن تستخلص ، مرة بعد المرة ، خير ما في
أكثر المواقف المحددة ثباتاً واختلافاً .

فلما كان هذه المرأة ، في نهاية الأمر ، صورة ما للذات ، مع
ذلك ، فلن تكون هذه الصورة إذن على مستوى اختيارها للكتابة ،
ولا على مستوى شهرتها ، ولا على مستوى رخاء أحوالها المادية ، ولكن
يقف علينا أن نسألها عن أكثر الاشكال مباشرة لعلاقتها بنفسها ، عن
موقفها بإزاء جسدها ، بإزاء الجنس عندها ، بإزاء أثورتها ، فإذا وضعنا
ما قمت به من تحليل فيما سبق ، كان ذلك شيئاً سهلاً ، ولن يكون علينا

أن نثبت عنده طويلاً .

لقد استطعنا أن نرى بالفعل ، في أمثلة كثيرة ، أنها كانت ، دفعة واحدة ، أثبتة^١ جداً ، للقائياً ، ونحن نعرف ، من ناحية أخرى ، أن الأخلاقية التطهيرية (البيوريتانية) ليست لها العائلية تركت عندها ألراً عتيقاً ، ففي السابعة عشرة من عمرها : « لقد ظلت لوزة^٢ بيضاء » - « كان الجنس يخيفني » - « لم أكن ، لأي سبب في العالم ، لأرضي بالبحول في أية تجربة منها كان تواضعها » - « وكان يبدو لي شيئاً عزواً ، منكراً ، وأثماً ، بكلمة واحدة ، أن أعطي شفتي لشخص لا يبال بي ... » ولكن ها هو ذا ، القور ، تفسير دقيق لهذا التجرد الشعبد : « كان من أسباب حياتي ، بلا شك ، هذا الاشتراز المختلط بالفرع الذي يوصي به الذكر العذاري ، كنت أخاف ، أساساً ، حواسي نفسها ، ونزواتها ... لم أكن أعيل أن أولد فادم يستطيع أن يقلبني رأساً على عقب بمجرد التماس » ، بضمة أو يعناق .. سوف يأتي يوم أنثني فيه بين ذواحي رجل ، سوف أنحدو صاحتي ، وسوف يكون قراري ميرواً يعنف الحب . » إن تطلبها للاستقلال الذاتي هو الذي يلعب دوره هنا ، وقد كان في مقدورنا أن نعلم أنه لم يكن ضرورياً أن نؤكدده ، إلى هذا الحد ، لولا أن الإغراء بأن تحلل هذا التطلب قد ظهر عندها أيضاً بقوة لا ننكر . ونحن نرى أنها سوف تستجيب أيضاً بتطلبها للمطلق : « ومن ناحية أخرى ، كنت مصطرفة : كنت أريد كل شيء أو لا أريد شيئاً ، إذا أحببت فسوف يكون ذلك مدى الحياة ، وسوف أترجم به ، بكلماتي ، قلباً وقالباً ، بعقل ، وماضي^٣ جميعاً . كنت أرفض أن أعيش لنفسي مواطن ولذات غريبة^٤ على هذا المشروع »^٥ .

١ - « لغة مضطربة » كما يقال معنا . (المترجم)

٢ - « مذكرات حياة مستقيمة » ص ١٦١ - ١٦٢ .

وعليه فانه ليعرفني القول أن كل شيء قد قيل في هذه العمل
القليلة ... ذلك أننا لن نجد في أي موضع من أعمالنا الأدبية ، ربما ،
تصويراً خيراً من هذا حاجتها إلى الكلية - لاضفاء خصائص كلية على
الأشياء - سواء كان ذلك بإزاء المستويات المختلفة التي يقع عليها وجودها
في لحظة معطاة ، أو بإزاء اللحظات المختلفة لهذا الطلب على طول
الزمن . ولكننا إذا توقفنا عند ذلك ، فلا شك أنه سوف نفوتنا المظاهر
المتعددة المجسمة التي يمكن تبعاً لها أن يتخذ هذا المعنى معنى في أعيننا
حقاً . ذلك أننا على أي حال ، بصدد موقف أخلاقي - وأقصد : أننا
بصدد حرص على " على التكامل الكلي للذات ، طول الحياة . إن سيئون
هو يوفولو تريد أن تكون ، وهذه الإرادة تترجم عن نفسها ، عندها ،
بجهد متصل للاعتماد بالذات ، جهد يجب ، في نهاية هذه ، أن يجعلها
في كل لحظة ، حاضرة كلها أمام نفسها .

ومن جانب وغير مزوّج يعبر جسمي (وكل وهي مزوّج به) ،
وعبر نجد نفسه ، في هذا البعد ، مرهف الحساسية به ، فان مثل
هذه النية قد تبدو مجرد مقامرة بحدّة ، أو رهاناً غيماً ، كما
يقال في أيامنا . إن كانتنا ، منذ طفولتها ، قد عرفت عنف الشاهر
المتناقضة ، واهتمامها المشوب بأن تكون ، بجرّتها حيناً بعد حين إلى أن
تعطي نفسها بلا تحفظ ، أو تتأبى على العطاء بطريقة جنونية ، واقبعتها
الحشة الجافية تصور لها العالم أسود ، بينما كان «قصائدها» على التو ،
قد جعلها تأخذ رغبتها مأخذ الحقائق ، وحاجتها لأن يعترف بها يدعها
مرة إلى أن تلقى بنفسها ، بكل جوانبها ، في غمار الجواهر التي
لا اسم لها ، في قلب كل " أشباهها جميعاً ، ومرة أخرى إلى أن تحس
نفسها عاجزة كل المعجز حتى لا يضطرم لها اهتمام إلا «بغير الأسوياء» ،
ومن لا طيف لهم ، بالكائنات الماشية . « كان يجذبني الناس السنين
يتذكرون إنسانيتهم ، بطريقة أو بأخرى : اللجانين ، المعاهرات ،

الصعاليك ، « وكان الجنون ، على الأخص ، يقتلها : » بهذا بهم ،
وعلاصهم ، وعندهم ، وطريهم البطل ، وعلاصهم ، وحوالهم ، كان
هؤلاء الناس مختلفين ، - « كنت أطلع على الجنون كرامة ميتافيزيقية :
أجد فيه رفضاً وتخطياً لموضع الإنساني » - « كلما ازداد ما في مظهر
الناس من غرابة ، وضجاع ، ازداد عطفنا عليهم . » ... على مثل هذه
الأسس - ومع وضعنا موضع الاعتبار أيضاً ما كان لديها من ميل دائم
للموضوعات الزائفة ، للأجواء الزائفة ^١ - يصبح أن لقدّر مشروعيها
العديد لاضفاء التكامل الكلي على الذات ، باعتباره جهداً لتوازن بازاء
الآخرين في حدود طائفتها الخاص للحقيقة . وأسمع ما يقال عن سادتر
أنه كان بطبعته بل أن يكون شاعراً وحيماً ، أو رجل عمل وفعل ،
أكثر من كونه فيلسوفاً ، كما صار ، أما أنا فيظني الصحوط عن أن
أقول أي رسالة وطنية في الحياة أنصور أن قدسنا الكادح الجاد قد
أقلت منها ، واحدة بعد الأخرى على تباينها مرة بعد مرة ...

فهي تقول لنا إنها في السادسة والثلاثين من عمرها كانت عجوزاً
وما كان يهيمها كثيراً أن تظهر الخدوش في أسنانها ، « كنت صغرى
عمومي . » ولكننا نعرف أيضاً أنه قد حدث لها ، وما يزال يحدث
لها ، أن تريد بعث السرور في الناس وفي نفسها ، وقد رأينا ذلك ،
وهي صغيرة جداً ، ولكننا رأيناها أيضاً على نحو متصل بعد ذلك ، كانت
تبدو لنا حساسة جداً أمام القننة الأثوية . وإذا كان حقاً أن نزعتهما
الطهرية «اليوروبانية» الأصلية لن تقطع تماماً عن الظهور ، أبداً ،
فإنها لم تمنعها على الأقل ^٢ ، في مرات عديدة ، أن تعرف مع الحواس -

١ - انظر مثلاً مذكرة عن لقاء مساقفة « من ١٤٠ و ٢٠ - ٢١ » وأمريكا يوماً بعد يوم «
من ١٣٩ . ولكنه ينبغي أن نقرب بين ذلك وبين جلسة جارسان في « جلسة سرية » : « كنت
أحب الأرواح الزائفة » .

حتى تستطيع أن تكذب ، مثلاً : « عبدٌ كبيرٌ أن يتخذ المرء جسماً . »
وعندما أعدت ، مرةً أخرى ، قراءة تلك الفقرة البالغة الجمال ،
التي استقيت منها هذه الكلمات ، ظهر لي أعبراً إلى أي مدى يتجاوز
موقفها الثابت ، في وقت معاً ، نزعتها التطهيرية ، وهذا السعير للحياة
الذي نعرفه فيها . إن هذه البورجوازية الصغيرة التي أنشئت على
إيديولوجية « الوسط السليم » لم تخطر الخلق الوسط (٥٠ بالمئة من الخبيثة ،
٥٠ بالمئة من الأخلاقية) لتضربه على نفسها لمساعدة للحياة . كان مقياسها
- « المرء الذي استخدمته لتقيس به وجودها - لن تبحث عنه إلا في
الشرف الواضح المنير لكثيريها يريد أن يعرف السرور والفذة (وكنت
قد كتبت عن أن أكون عقلاً بحتاً) ولكنه يرفض على نفسه أن يصبح
فريسةً للحاجة . ولا كان هذا الوعي ، بالإضافة إلى ذلك ، رومانتيكياً
إلى حد ما ، فلنفسهم إذن أن الرغبة لن تغلب عندما إلا بشرط أن
تبدو لها ، في وقت معاً ، حرة كل الحرية ، وضرورة كل الضرورة :
« لم أكن أسلم إلا بأن يستسلم المرء ، عن طواعية ، لرغباته ، ولا بأن
ينظم المرء ، في برود ، ملذاته ، كان يجب أن تكون المتعة الغرامية
مقدورة وغير متوقعة مثل موجة البحار ، ولتفتق أزهار شجرة
بحر » ١ .

ولكن ينبغي أن نرى إلى أي حد يمكن أن يذهب ذلك ، فعندما
يحدث لها مثلاً أن تفتري عن سائر طوال أيام ، وأسابيع ، :
« كان جسدي مزاجاته ، وكنت غير قادرة على أن أكتفيها ، كان
عقلي يفرق كل دفاعاتي .. » وليس من المغالاة في القول أنها ، في
هذه الملاحظات ، تنسجع نفسها : « كنت أفت العذاب ، كنت أفت
نواطوي مع هذا العذاب الذي يتولد من دمي ، وكنت أذهب إلى حد

١ - « لغة العبر » ص ٦٤ .

أن ألفت نقيش دمي في حروفي ... في الروايا كنت أخرج صحتي .
وكانت عظامي تنقش من سقم عظمي « بحث بصعب ألا ألتصها على
حمل الجسد عندما تحدثنا عن عزها . وقورها . بل « غلبها » أخيراً
من هذا الجسد « الجائع » المشوك . الشامي « الذي تبيض شهواته
فتفرق إرادته : كانت « تقتتراته المستوحدة » في الواقع « تطلب أي
شخص » فتأتي إلى صاحبه « باضطراب يثيرها » من الغيظ والحق » .

ومع ذلك فلا تخطئ هنا : إن جسديا نفسي ، بالرغم من المظاهر ،
ليس موضع المسألة إلا بطريقة غير مباشرة جداً . ذلك أنها قد ظهرت
في فترات مختلفة من حياتها ، قادرة على أن تقبل بدون تحفظ أكثر
اشتعالاته توجهاً واضطراباً . فعندما كانت في العشرين . كتبت : « أريد
الحياة ، كل الحياة . أحس نفسي « طليعة » متهومة . متهومة إلى الاحتراق
بنار أكثر توفراً من أي الأخرى » . ولو كان ذلك في أي شغل من
الآخر » . وبعد ثلاثين سنة من ذلك سوف تعلق على هذه الملاحظة بقولها :
« كنت على قيد أعمق من الاعتراف لنفسي بالحقيقة : كنت قد كنتاني
أن أكون غفلاً بحتاً .. كنت أحس أن عصف الجسد . وغلظته . كانا
سيفقداني من هذه الثقافة الأثرية المسبحة الطعم التي كانت
تدقني » . والواقع أن الأمر يتعلق دائماً بسببها . والمشكلة التي يبدو
أن العلاقات بوعيها وبجسمها تثيرها ليست في الحقيقة إلا شعوراً في
التضيق الجوهرية التي لن تكف عن أن ترفعها عند نفسها باعتبارها وعياً
بذاته . أنها وهي طاقة صغيرة . تستطيع . بعد ، أن تحكي لنفسها أن
كل شيء سوف يكون على خير ما يرام ، بالتأكيد . طمأنينة . الحب
الجنسي ، يتكامل ويتدمج مع الحب عامة . ولكن لا بد لها أن تلاحظ ،
وهي المرأت في صفوان الشباب . أن جسدها يفل « آثماً » حتى في
الحب . في نظر وعيها . مادام وعيها غير راضٍ ولو في أقل الحدود :
« كان ليسهل علي أكثر أن أقبّل لورن جسي واستعصاءه على النظام .

إذا كنت ، في مجموع حياتي ، راضية عن نفسي . . ويتفق أنها في هذه اللحظة تأخذ على نفسها «العلم» النسبي في مشاغلها ، وتلوم نفسها أكثر ، بلا شك ، على «تأخرها من أجل آخر» : فليست تلك حياة ، أبداً كانت ، لحواسها ، بل هو إنكار مسئول جداً - نتيجة للحب أو للاستهال - لتطلبها الأكثر جلوية .

الجسم ، الجسد (عندها أو عند الآخرين) لا ، قطعاً ، أنها ليست عندهما في شيء . ! «كنت أعبأ كل مسرعات الجسد» - «أن أولد من جديد مرة أخرى» - «كنت قد عدت فوجدت جسدي من جديد» - «التقي جسماً من جديد ، في المتعة» ولكن تطهيرة تربيتها ، إذ تدخل مع التجربة الصارمة في تطلبها الاستقلال الذاتي ، تميل إلى «بلبلها» إلى حد يقل أو يزيد : بحيث يحدث لنا (وإعله يحدث لها أيضاً أحياناً) ألا نسمع إلا الأول ، بينما الثاني هو في الحن الشيء الوحيد موضع المسألة . ولندكر الآن أنها مشغولة بمنازعة العلم الإنساني الوحيد الذي كان في متناولها - صدوراً من أولئك الذين يشكلونه : - عالم يشتهى المباشرة ، ولا شك أن المحللين النفسيين القواة يتناولون ، عن طيب خاطر ، التماساً خارقة مثل «التوحد بالأب» ، أو التوحد بالأم» ، والمحترفين منهم ، أنفسهم ، يتخللون أحياناً مظهر المجانين الأوديبين^١ .

١ - كان أحدهم ، خلا ، يحبرني أليس أن كاتب ، جلسة سرية ، إذ لم يفعل في مسرحيته ثلاث شخصيات جوهرية ، وصف ، على غير علم منه ، العلاقة الأوديبية الأسامية ، وأن امرء لا يستطيع أن يشاء إلا أن «الغريب الغريب» في داخل ، هذا التوسل الكولوسيكي . . ولكنه كان يجهل ، بلا شك ، أن سارتر لم يعرف أبداً قط ، وأنه من جانب آخر كتب «جلسة سرية» لبعض أمهاتائه ، في فترة لم يكن ، لا هو ولا هم ، لديهم الروايات السابقة لأخراج مسرحية تتضمن عدسة وبكورات أو عدة شخصيات ... إن هذه الملاحظة لا تشاهد بالقرنة إنكار أن فهم «جلسة سرية» يمر بعده من التلاوات ، وأنه ينبغي في البداية لتفسيرها ، مرة بعد مرة ، على مستويات مختلفة ، إذا كان المرء يريد .

أما أنا فلا أنصي إلى أي من هاتين الطائفتين من «الوثقة» وسأكتفي الآن بأن ألاحظ أن سيمون ، في صغرها ، قد شكلت نفسها إذ وضعت في معارضة الأوثية المحددة جد التحديد للجسد الأثومي ، رجولة مجردة للوعي الأثوي : من جانب ، العرضية («الاصطناعية») ، ومن جانب آخر القوة الدالة ، القدرة على التجاوز («التعدي») . ولكن ما يفتقد به في عيني ، في هذا التعارض ، هو أنه قام بوظيفته في الانجذاب على السواء : خلقت سيمون دو بوفوار معرفة الحساسية للفتة الأوثية ، وعرفت كيف تبنى امرأة بازاء الرجال ، وتطوّلها الاستقلال الذاتي لم تفتصر بها بالمرّة إلى أن تزيد نفسها بلا جنس - ولكنه لم يفتصر بها ، على أي حال ، إلى أن تصوّر نفسها على رجولة بازاء النساء . ولكننا نجد ، بنفس الطريقة ، فيما يبدو لي ، وبفهم الحركة ، أنها ، إذ عرفت الميل إلى السعادة بأكثر أشكالها مباشرة ، لم تنكرها قطّ فيما بعد . في نفس الوقت الذي كانت تعهد فيه أن تستحقها ، يوماً بعد يوم ، إذ تجعل منها عملها نفسه : تركيب بين الفعل ، والطوى ، بين الاستيلاء والفرجة ، بين العمل والخطأ . ومن هنا جاء هذا الأسلوب الذي لا يتعارض لوجود امرأة يصعب علينا اليوم قليلاً أن تقدّر أصالتها الحركية ، لأنها منذ الآن جزء من عالمنا .

ولعله ينبغي أن نذكر هنا باستنهام علاقتها في شبابها مع ابن عمها جاك ، مع زارا ، ثم مع هيريو . ولعله ينبغي أن نلعب إلى حد أن

أن نذكر أنه أدنى فرصة لأن يفترج غيباً لغيراً كذاً حليماً ، ولا شك أن مثل هذا التعبير سوف يحول دوننا وأن نلقي على السريحة ، مع ، مزمومة لا يصدق قط من الكتاب نفسه إلا يظهر صافٍ غير واضح به تماماً . بذلك ينطبق فيها أعتقد على كل حال إنساني ، من حيث أنه فيه شرع فيه وتخلق بواسطة وهي برغبة ، كما هو واضح ، في إعطاء معنى لها هو معطى له ، إذ يعود لمبدأ نفسه من جديد ، وحدها أعداده (تروم) القصص ، إذ يتجاوزها ، ويعددها ، لتعديلاً قارئاً .

تضع موضع الاعتبار أن علاقاتها ، وهي امرأة ، مع سائر (الشكل التام المتحقق للرجولة التي استشفها عند أيها) قد أثارت ، بعض الوقت ، تشكيل هذا « الثلاثي » الشهير الذي تكلمت عنه بكل ذلك العمق^١ - حيناً بحب ، وحيناً بضيق (« التعلق الجنوني من بالغين ناضجين بطفلة في التاسعة عشرة من العمر ») . ولكن لعله ينبغي أيضاً أن نتخل عن القضي بتفسيرنا للوقائع إلى أبعد من ذلك : أن ما ينبغي ، على كل حال ، هو ذلك التأليف المطرد لتركيب عمل بين الوعي والحياة ، وذلك الجهد المتصل أبداً لاحتفاظ الجنس لنفسها ، لأن تعطيه معنى وقية حتى تستطيع أن تسلم نفسها له دون قدم .

وهكذا صنعت نفسها بيتاً ، يوماً بعد يوم ، امرأة حقيقية ، وصلت إلى أن تتجاوز ، دون أدنى عذوبة من طرائق جنسي ، الوضع التاريخي - الاجتماعي الخاص الذي ما زال حتى اليوم مقروصاً ، بصفة عامة ، على النساء : « وضع اتوبي » يجعل منهن ، في غاية حدته ، موضوعات بحثة لعالم يحده ويحكمه الرجال ، « القوة » منصوبة كالحياة ، فتح حقيقي فن^٢ ، كما هي لشركائهن الرجال من جانب آخر . ولكنها أثاره عرفت سيمون دو بوفوار كيف ترقص ، باستانة ، أن تحلها على بُعدها الجنسي هي ، في علاقات ما كانت لتتيح لها أن تحقق إنجازاً حقيقياً للذات : إذ أن السعادة كانت لتغيب عنها ، أو ما كانت لتدخل فيها إلا على نحو عرضي^٣ ، خاضع للصدف - غير مستحق - ومن ثم^٤ وهي تملأ .

ينبغي أن نفهم كيف يتأتى أن كل هذا العدد من النساء لم يستطعن أن يعرفن ، دفعة واحدة ، على أعقق متطلبين في كتاب امرأة لم يكن

١ - في « الشعراء » بالتأكيد حيث يشكل الموضوع المركزي ، وفي « قوة العمر » (على الأصغر) في ص ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٢٤٦ - ٢٤٧ - ٢٤٨ - ٢٤٩ - ٢٥٠ - ٢٥١ - ٢٥٢ .

عليها أن تفهم باعتبارها امرأة : « لم أحس قط بشعور الذنوبية ... لم تكن أفكرني تضاعفتي في شيء ... »^١ وأعتقد أننا نستطيع أن نفهم ذلك ، بلا كبير مشقة ، إذ نعود إلى تلك الفكرة البسيطة القائلة بأن كل وضع اجتماعي لا إنساني ، إنما يستفكره ويبدئه ، على نحو بالغ حدته الأقصى من الكلية والكمال ، من حيث المعنى ، أولئك الذين ليسوا هم أسراء تماماً : إن المذهب الأعمق ثورية الذي عرفناه حتى اليوم ليس من عمل بروليتاري ، بل هو من عمل وعمر سيفاج لا بروليتاري ولا بورجوازي ، جعله وضعه نفسه قادراً على أن يذبح الحدود الحقيقية للصراع بين رأس المال والعمل .

ولاشك أنه ينبغي أن تتجاوز هنا وجهة النظر التي يميل المرء على الفور لاتخاذها لتفسير هذه الواقعة ، إذ لا يكفي أن نشير إلى يسر مادي نسبي جداً ، ولا إلى حياة عذبة عقلية معينة لا تملكها الأطراف المعنوية في الصراع : بل يجب أن نذكر أيضاً الاستشارة التي تقع في متناول يد من يجد نفسه ، كما قلنا ، في المعضلة التي يدور حولها الوضعان المتعاكسان ، فيستطيع من ثم أن يقدّر تضادهما في حدود الأضرار التي ما نفي تتجم عنه بالنسبة لوعي عند كل الأطراف - في أفق نظرية تقوم على الحفاء العالمية حقاً على هذا العالم ، وعلى الاعتراف للحدود المجهمة للإنسان بالإنسان . ومن المفهوم أن وضع المصطفين نفسه هو المحرك للصراع ، والأصل الوحيد للتصور بطورته المستقبلية ، ولكن كل ثورة فعلية تبدو ثمرة لقاء ديباليكتيكي بين ضغط الحاجة وضغط تطالب إنساني لا يمكن شرح معناه ، شرحاً كافياً ، إلا بواسطة وعبر لا يصارع قبضة إشاعات من طراز حيوي ، على نحو مباشر أكثر مما ينبغي .

وبالمثل فإن « الجنس الثاني » لم يحس النساء ، على هذا النحو العميق ،

إلا بقدر ما كانت كاليته تحلث من قدرة على الرجوع الضروري ، على
الابتعاد الضروري ، لكي تصف وضعاً أعلنت منه إلى حد ما ولكنها
كانت ما تزال تحس نفسها متضامنة معه - لأنه ظل وضعاً حاضراً
عندها ، في وقت معاً ، في جسدها (باعتبارها جنساً متخبطاً ومقبولاً)
وفي العالم (باعتبارها عقبة أمام كل مشروع واقعي لاضفاء الإنسانية على
العالم) . لم تكن سيمون دو بوفوار تقاسي من كونها امرأة . وإنما من
أنها ترى وجودها نفسه متراكباً فيه . يوماً بعد يوم ، من جانب دوام
الموتة الفارقة قاعاً بين معظم الرجال ومعظم النساء : ذلك هو المعنى
العيني لمشروع لم تنته من تقدير آثاره على وعيها نحن (رجالاً أو
نساء ، سواء كنا متحررين ، كما يقال ، أو مغتربين فيما بينهم) .

والواقع أن كل الملاحظات السابقة كان يمكن بسهولة ، أن تحل محل
هذه للملاحظة الأخيرة : لقد كافحت سيمون دو بوفوار ، وتواصل
الكفاح ، من أجل علم إنساني ليست فيه تفرقة ، يمكن للمرأة فيه أن تعبر
أن تصبح وعياً كاملاً ، على حيدته ، هنا في الوقت نفسه الذي نجد
فيه أنها قد عاشت ، وما تزال تعيش بحاجة ، هذا النمط الخاص
من العلاقة بين الرجل والمرأة الذي يسمى علاقة « الزوجين » . لو لم
يكن هناك هذا ، فاعتقد أن كل قضايا « الجنس الثاني » - مهما كان
ما تثيره من اهتمام نظري - لم تكن تستحق أن يوليها المرء أدنى انتباه
من وجهة النظر العملية . ذلك أن النساء لا يشكلن طبقة اجتماعية ،
ولا يمكن أن يمرّ بحورهن بنفس الطرق التي يمرّ بها بحور البروليتاريا :

١ - إن هذه الكلمة لا تبدو سريفة جداً فيها إلا عند أولئك الذين ما زالوا يعتقدون بالكره
القسري القوي في الحريات التي وجهت اليها طويلاً ، والذين يعرفون ، بالإضافة لذلك ،
كيف تحولت تلك اليوم ، بلديات ، وفي كل مناسبة ، الموقف الذي أطلق جراح حصة
الخصومات ، وذلك على الرغم من نوع معين من « مذهب إنساني متدهور القبيح » يزعم إلى حد ما
أنه يستلهم أصلاً .

إن البروليتاري ، جوهرياً ، بصارع قبضة هياكل الإنتاج ، وهو لا يصارع ، إلا بطريقة ثانوية جداً ، هذا المثلث تلك الهياكل أو ذلك (صاحب العمل ، أو الموظفين الذين في إجرته) ، أما المرأة ، في مقابل ذلك ، فيواجهها ، في وقتٍ معاً ، وبطريقة جذرية في الحالتين ، الرجل في عمومهم (باعتبار أنه يجب عليها أن تحدد نفسها في داخل عالم رجالي) كما يواجهها هذا الرجل بالذات أو ذلك (وقد يكون شريكها على صعيد شخصي لا يمكن استبعاد الجنس منه تماماً ، أيضاً) . إن سيمون دو بوفوار إذ صاغت لنفسها دفعة واحدة فكرة عالية جداً عن الزوجين ، ثم وصلت إلى أن تمارسها في العمل ، قد أفلتت من خطر موقف دفاعي ، سلبى ، بل معادى صراحة ، لفناء أحياناً عند عددٍ من النساء ليس « مدعهن » النسائي ، المزعوم إلا شهادة غياب مثيرة للسطوة عن المراتب الخاصة ، مما تشير إليه عادة باسم « الحرب بين الجنسين » وهي التي أدانتها ، هي نفسها ، إذ رأيت فيها موقفاً « لتحدي » وسوء النية » .

وقد التقينا بصياغات مختلفة لتصورها عن « الزوجين » ، ومع ذلك سوف أورد هنا صياغة أخرى ، ربما كانت أجملها جميعاً ، وقد عرضتها متعلقة هذه المرة بمناسبة فلم له حظه من الشهرة « روما مدينة مفتوحة » . « لا أعرف تحليلاً للمرأة أجمل مما أنت به « مانياني » إلى السببا : أكثر من إنسانية أو أكثر حيوانية ، أكثر من حرية أو أكثر انعطافاً نحو الكرم ، لكناجح إلى جانب الرجل الذي تحب ، نحيا من أجله ، كما نحيا من أجلها . ومعاً يعيشان من أجل شيء آخر غير نفسيهما » ، وهي ،

١ - بالانجليزية في الأصل . وقد تم أيضاً الاستعارة ، « والاحتباس » ، من « قوة الشهادة » .

ص ٦٢١ .

٢ - « أمريكا يوماً بعد يوم » ص ٢٢٤ .

كما نرى ، عندما نتكلم عن « الزوجين » ، نصل أحسن ما نصل إلى أن نقول لنا ما يمكن أن تكونه المرأة كما يشتهيها قلبها . ومن ذلك أنه ، عن طيب خاطر ، إلى أن هناك أثوبة معينة يمكن أن نجد النعمة في عينيها - بشرط ألا يفرضها المرء ، على الأقل ، من الخارج ، عليها . وأن تستطيع بحرية أن تعترف بها في هيئة لذات لا تتضمن من جانبها أي اغتراب . « كما كنت أرفض ، فيما مضى ، أن أعدد باعباري « طفلة » ، لم أكن ، في الحاضر ، أفكر في نفسي « كمرأة » . كنت أنا » .

وها هي ذي السطور القليلة التي توضح ، بلا شك ، على أدق نحو ، الحال الواقف في « الجنس الثاني » والتي تتيح لنا تحليلنا . فيما قبل ، أن نذكر أصداءها المركبة : « هل كتبت قط أن النساء هن رجال ؟ » هل زعمت أنني لست امرأة ؟ على العكس ، كان جهدي منصرفاً إلى أن أعدد في خصوصية ، الوضع الأنثوي الذي هو وضعي . نشأت تشقة بنت ، ولما فرغت من دراستي ، بقي مركزي هو مركز امرأة في داخل مجتمع بشكل فيه الجنسان طائفتين منفصلتين متحدتين . وفي كثير جداً من الظروف ، كان رد فعل هو رد فعل المرأة التي كتبتها . (في الحاضر : إن ما يميز قصتي هنا عن القضية التقليدية هو أن الأنثوية ، عندي ، ليست ماعية ، وليست طبيعة : إنها وضعٌ حفظته الحضارات ، صلوراً عن معطيات فيزيولوجية .) ولأسباب وضحتها بالدقة في « الجنس الثاني » فإن النساء ، أكثر من الرجال ، يشعرن بالحاجة إلى سماء تظلل رؤوسهن : لم ينعط لمن المعدن الذي يصنع منه المصامرون ، بالمعنى الذي كان يعطيه فرويد هذه الكلمة ، أنهم يرددون في أن يضعن العالم ، من رأسه إلى عقبه ، موضع السؤال أو أن يتحملن مسؤوليته . وهكذا كان لما يناسي أن يعيش بالقرب من رجل أراء متفوقاً عليّ ، وظلت مطامعي ، وإن كانت عديدة ، هيأةً وجيلة ،

وإذا كان يرى العالم بهيئتي ، فلم يكن مع ذلك قضيتي . وكان واضعاً بالرغم من ذلك ، أنني لم أعلق أهمية كبيرة على الظروف الواقعية لطبائتي : كنت أعتقد أنه ما من شيء كان يعوق لبرادتي . لم أكن أذكر أنوثتي ، ولا كنت أفتحصي نفسي . كنت لا أفكر فيها . كانت عندي نفس الحريات ونفس المسؤوليات كالرجال . لقد كتبت مئة الفة (في الخمس : سواء كنت يفسرين منها ، أو يتوابعن معها ، أو يهتجن أنفسهن بها . هي دائماً في نهاية الأمر ، لغة . وعند أن كتبت « الجنس الثاني » لم يردد يفتني في هذه النقطة إلا تأكيداً .) التي تنوء بمعظم النساء ، الاعتماد على الغير . إن كسب العيش ، في حد ذاته ، ليس هدفاً ، ولكنه به وحده يصل المرء إلى استقلال ذاتي داخلي وحيد . وإذا كنت أذكر وصولي إلى مارسييا بالفعل ، فذلك أنني أحسنت في أهل السلم الكبير ، أبة قوية كنت أستخدمها من بهيئتي ومن نفس الصعوبات التي ترغمني على مواجهتها . إن بكفي المرء نفسه مادياً هو أن يحس نفسه فرداً كاملاً ، ووصولاً عن ذلك استطعت أن أرطب الطفيلة الأخلاقية وما فيها من سهولة خطيرة . ومن جانب آخر ، فلا سائر ولا أني من أصدقائه أبدى لي أحدهم مركب تقوى بلزائي . فلم يظهر لي قط أنني كنت في وضع غير ممتاز ، إنني أعرف اليوم ، أنه لكي أصف نفسي يجب أن أقول أولاً : « أني امرأة » . ولكن أنوثتي لم تشكل عندي لأجراً ولا شهادة على العياب . وعلى كل حال ، فهي إحدى معطيات تاريخي ، وليست شرحاً له ^١ .

« فمَ أنا « امرأة » ... وإلى أي مدى لست امرأة ؟ » - « ماذا كان معنى أن أكون امرأة ، عندي ؟ » ... لقد أجاب « الجنس

١ - « لغة المرء » ص ٣٧٥ - ٣٧٦ .

٢ - « ليس السؤال الثاني مأسوياً بالغموضي يبدو به » ولا يعبر « في الحق ، إلا عن دراسته

الثاني ، عن هذه التساؤلات إلى حدٍ كبير ، والتصوص التي أوردناها عليها سبق ، منذ قليل ، تردد صدق البوهري من هذه الاجابات ، بلا شك . ولكن يبدو لي أن المرء قد يتعرض ، بعد ، سوء فهم المعنى العميق لسؤالين الأولين ، وكذلك فيما يتعلق بالسؤال الثاني ، لو أنه أغفل عدداً من الملاحظات ، سأقدمها الآن للقارئ ، محاولاً أن أختصر التعليق عليها ، ان وجد ، إلى الحد الأدنى :

- بينما كانت نقرأ « لوليتا » ، نجد سيمون دو بوفوار سروراً في أن ترى الكاتب يناسب التزاع ، في الكتاب « بفكاهة مثقلة ، تلك التوبيخات الصادقة التي تنفي عن الجنس ، وعلى العاطفة ، وعلى الفرد ، التسيوفات الضرورية لعالم التنظيم ، وتضطرد أن روجيون « الذي يتكلم عن أوروبا بحفاوة ، وإن كان لا يتكلم عن الجنس بطريقة سيئة ، قد أتى على نابوكوف أنه اضطرع تحيلاً جديداً للحب - المعنة ،

- وبينما هي نقرأ في نفس الوقت « نفث مرسوم ثالث » نرضى عن كلوسوفسكس أنه كتب « بأسلوب متسبّد ، رواية تتميز بشيعة غريبة وعميقة ، بطلتها من الحياة بحيث يمكن للمرء أن يصدق « جسدنا المأزوكي » ، وهي رواية إذ نصف « تشوهات الجنس » تؤكد « عجز بورجوازيي اليوم أن يتخلوا أجسامهم لأنفسهم ، ومن ثم ، أن يكونوا رجالاً » .

ملحظة : إذ أن سيمون دو بوفوار سوف تستطيع ، بعد ، أن تحيا ، بداية امرئ « (انظر ص ١١) - السؤال مأخوذ من « قوة العدم » ص ٢٢١ و « قرا الانهيار » ص ١٠٩ .

٢ - انظر أيضاً ما تقول عن « ماريات الكيران » : « في هذا العصر الذي لا تكلف فيه الأفراد إلا القليل ، أخطر تلك الماريات التي يلزم فيها الرجل جسده في زوال جسدي ... ان الاحاديث البورجوازيون هم عقول ميتة ، أو يكادون أن يكونوا ، وهم يجهلون حاجاتهم

— عندما تذكر أنها ، في نحو الثلاثين من عمرها ، قننت أنه بعد تجاوز الأربعين من العمر ، لا يمكن أن يتعاش نوع معين من الحب ، تكتب ، على وجه الدقة : « كنت أفتت ما كنت أفتت عليهم : « الخلود القديمة » ، وكنت أفتي نفسي بالوعد أنني عندما يأخذ جلدي وقته ، سوف أجدده . ولم يعني ذلك ، في التاسعة والثلاثين ، من أن أفتل نفسي في حكاية غرامية . وقد بلغت الآن أربعة وأربعين عاماً ، ولودعت بلاد العقل ... عندما عرضت فرصة لأن أولد من جديد ، مرة أخرى بعد ، انتهزتها . »

— وعندما تحاول أن تشرح لنفسها (وتشرح لنا) هذه الالتباسات الأخيرة ، فهي تعتقد أنها مستطعة وضع تفرقة بين جسمها (الذي كان « يتوادم » مع أن يتوادم في منطقة الظل) وبين عيالها (الذي « لم يكن يستسلم لذلك ») : إشارة واضحة إلى « كبرياء قديم جداً » . وقد لقبناه من قبل ، هذا الكبرياء الذي كان جسمها ، يختصه ، يتوافق « بسهولة » إلى درجة أنه ، في أثناء الحرمان « لم يكن يطلب شيئاً » .

لم يكن يطلب شيئاً ؟ حقاً ؟ أم « الخيال » وحده ، عند كتابتها ، موضوع السؤال ؟ « وإن قللتعجب بالمدى الذي يستطيع فيه هذا الخيال أن يتجسم : « ولكن شيئاً عاني » ، لم يكن يُخضع نفسه لهذه التامبالاة .

— أحيانهم ، وأرماعها ، ونتاج حيورتها ، وحسناتها ، ولحوتها ، وحشاشتها ... فتنة لصايرها بالبربرية ، بالسادية ، تلك أن التوت بين رجل وجسمه ، يستسلمهم كسادة طليحة (« فترة الالتباس » ص ٣٥٠ - ٣٥١) ومن الموكدة أن الجنس والتوت هما اللذان يتلون عند أقر هذا الكلام ، ولكنها أولاً ، جوعاً ، العرفية البسيطة ، وأخيراً أن المرء هناك ، وأنه معرض ، هناك ، للآخرين ، من جوانب مختلفة — ومن هناك الجوانب يبدو أن الجنس ، يتشكل عند كتابتها ، حركة حيورتها نفسه ، وقابلتها للأياء ، والمهيوم ، الأكثر جوعرية .

١ - « فترة الالتباس » ص ٢٧٧ .

« لن أقيم أبداً ، بعدُ ، في حرارة جسم ما أبداً : أي جرم ناعم !
عندما استأثرت بي هذه البديهة ، طُوح بي في السموت ، شيء ما
في ... لأن هناك الكبرياء ، بالتأكيد ، ولكن يجب أن نحيا أيضاً -
أن نكون سعيدة ، أن نحس نفسها توجد . الكبرياء هو أنها قامت بكل
شيء ، هل إمكانية أن نقول العالم ، أن تعطيه للعنان ، أن تعطيه معنى :
« ان المرأة الكتابة ليست امرأة بيت لكتب ، ولكنها شخص تحكم
الكتابة كل وجوده . هذه الحياة تعدل أخرى ، بالفعل ، لأنها حياة
حقيقية ، لها بالتأكيد أسبابها ، ولغاتها ، ولغاباتها الخاصة بها ، ولكنها
ليست من جراء ذلك معاشة بعدة أقل ، ولا بتجسير وتحديد أقل من
معظم الحيوانات . « أكانت حياتي حقاً متسككة ، ذهنية تحية ؟ ..
يا إلهي ! لست أحس أن مصاصري يحصلون من السلبة حقاً أكثر
مما أجد على هذه الأرض ، ولأن تجربتهم أكثر الساعا ... »

من المعروف أنه قد أخذ عليها أنها قبلت لنفسها هذا الدور الثاني
بجانب سائر ، الدور « السبي » الذي كانت تنصح النساء ، من ناحية
أخرى ، برفضه : وجهني هذا المساعد من ناحيتين : فيها يتعلق ،
أولاً ، بأولئك اللاتي أخذته عليها ، وكذلك بالقدر الذي كان سبباً ،
من جانب كالتنا نفسها ، في أن تعطيتها تعريفاً من أكثر التعريفات أسوأ ،
للعلاقات بالذات .

وأكتفي ، بصدد النقطة الأولى ، بأن ألاحظ أن الحسد نقص مشين ،
وأن خمسة وثلاثين عاماً من الحياة مع سائر ، تكفي ، بلا شك ،
لأن تضمن - بغض النظر حتى عن العمل الذي أنشأه - أن هذه المرأة
لم تكن الثانية في البيت ، ولا غير جوهرية فيه ، ولا خادمة . ذلك
أنه كان ينبغي أن يكون لها حظ الالتقاء به . بلا شك ، ولكن

كان ينبغي . بعد ذلك ، أن تكون على استعداد كافٍ له حتى لا يتعرض
المحاور لأن ينضب . مع التطلب الزهيب لكل هذا الشريك .

أما عن الخطوة الثانية فأعتقد أن خبر ما تفعل هو أن تترك لها
الكلام : « لم يكن من قبيل الصدفة أن سارتر هو الذي اخترته . ذلك
أنني في النهاية قد اخترته . لبعته . والفرح يستحقني . لأنه مكان
يجري في الطرق التي أردت أن أذهب إليها . وبعد ذلك . نأفشنا
معاً . دائماً . طريقاً ... ان سارتر خالقٌ إيديولوجيا ، وأما أنا فلا .
ولما كان يدفع به . من جراء ذلك . إلى القيام باختيارات سياسية قد
كان يعمق أسبابها بأكثر مما كان ينبغي أن أفعل : ولو أنني رفضت
الاعتراف بهذه الأوجه من التفوق تحت حريتي . ولاصطدمت بموقف
التحدي وسوء النية الذي يؤلده الصراع بين البشيين . وهو عكس الأمانة
العقلية . لقد حافظت على استقلالتي . لأنني لم ألحق قط من مسؤولياتي
بأن ألتقيها على سارتر : لم ألتزم بأية فكرة . ولا بأي قرار دون أن
أكون قد قننته . وأخذته لحسابي . وجاءني مشاعري من تماس
مباشر بالعدم . وقد تطلب مني عملي الشخصي أبحاثاً . وفراوات .
وتطلب المثابرة . وكفاحاً . وصلابة . وقد ساعدني . ولكنني ساعدته
أيضاً . التي لم أعيش من خلاله » .^١

هذا كل شيء . إن له حاله . ولها حالها : ولكن يثق أن هذين
العالمين يتقاطعان بما فيه الكفاية - على مستوى نفس التطلب الذي لا يمكن
أن تشير إليه . بقدر من الصحة . إلا بأن نستدعي هذا المرحل الثلاثي
عند أحدهما وعند الآخر على السواء . على الاستقلال الذاتي . على أن
يتخذ على نفسه الوضع الإنساني كله وعلى أن يقول . بأن يقول عن
ذات نفسه بأقصى حد من الأمانة . ولا نعوزها الأدلة على أن مثل هذا

١ - « الثورة اللاحقة » ص ٢٧١ .

اللقاء نافر ، ولكن ذلك لا يدفعنا إلى المضي "مرة" واحدة فمتصوره أشد من
حب عيالية . ذلك أنه حوار واقعي ، كل ما يفترض ذلك سلفاً من
صراعات ، كلفة أو طاهرة ، بطلان عليها يومئذ . لم يكن هيلان
الوحيان متطابقين ولم يصيرا قط إلى التطابق . أنظر مثلاً شجارهما بشأن
لندن ، وبشأن محاولة سارتر تعريف المدينة في مجموعها : « كنت أرى
أن الواقع يفيض عن حدود كل ما يمكن قوله عنه ، كان ينبغي مواجهته
في استهائه ، في عتاته . بدلاً من اختزاله إلى معاني تعبر عنها
كلمات . وكان سارتر يجب بأن المرء إذا أراد ، كما كنا نعتني ،
أن تلك الأشياء لأفلسا ، إذا لم يكن يمكنه أن ينظر وأن تهتم مشاعرنا :
فبجرب اقتضاس معناها ، وتبته في عبارات ... كنت أحرص أولاً على
الحياة ، في حضورها المباشر ، وكان سارتر يحرص أولاً على الكتابة »
انظر أيضاً بأية قسوة غير واعية ترفض أن تأخذ على حدة تلك
الكتابة ، الحقيقية مع ذلك ، التي عانى منها سارتر في نحو الثلاثين من
عمره : « كنت أفضل أن أفكر أنه كان يتبع محاولته ، وأخطائه ،
بنوع من الإرادة السبئية ، أفرغني أزمته بأقل كثيراً مما أعاطفني ،
ناقشت ، سقت الحجج والأدلة ، أعطت عليه رضاه بأن يظن نفسه
محكوماً عليه . كنت أرى في ذلك نوعاً من الحياة : لم يكن له الحق
في أن يبقى بنفسه في حالات من المزاج تهدد أبنيتنا المشتركة » .
وانظر أيضاً بأي إغلاخ تؤكد أن مركز النحل في مشاكلها الخاصة بها
لم يكن ، بالمرة ، كما كان عند سارتر ، من طراز سيامي - فلسفي :
« كنت بالتأكيد أشتبهى أنا أيضاً أن أحسن معرفة القرن الذي أعيش
فيه ، ومكانتي ، ولكن ذلك لم يكن عندي ضرورياً بقدر ما كان

١ - « قوة الضرر » ص ١٥١ - انظر أيضاً « كنت دائماً أيلق به إلى المباشر .. » (١) ، قوة
الأشياء ، ص ٥٩ .

٢ - نفس المرجع ص ٢٢٠ .

ضرورياً له . . . كان يجهد بالفعل في « بناء ايدولوجية توضح للإنسان وضعه وتقدم له نماذج عقلية . . . مثل هذا الطموح كان غريباً علي . . . ومن ثم فإنها تركه يصرخ ذلك وحده ، (« فراسة نفس الكتب ... التفكير في نفس المواضيع : كان ذلك عني ليصبح الشعلة عفوياً ، كان مشروعه بقصه وبهذه على نحو حبيب بحيث لا يمكن أن يتعاون فيه أي شخص كان ، ولو كان ذلك أنا) . ولكن دون أن تنزل عن اعتبار نفسها قد أُنشِرت بمسلكه : « كنت أحرص أنه قد سُرق مني » - « كان يبدو لي أن وحدته تعزله عني » . . .

وعندما يعرف المرء . . . كما نعرف منذ أن نشرت « الكلمات » أن المشروع الذي كان الأمر يتعلق به عذوق ، كان في الواقع إعادة وضع كامل لنفسه موضع السؤال ، لنفسه وأسلوب حضوره في التاريخ ولاختياره للكتابة . فلا بُدَّ أن نسلّم بأن هذين الكاتبين لم يقدمنا لأحدهما الآخر من القضايا بقدر ما تصور من الكثرة - وأن الاحتمال الأكبر هو أن يكون تفاهماهما هذا الكثير للاعجاب قائماً بالقيط على تلك القدرة أن يتازعا أحدهما الآخر باسم تطلب مشترك . بدلاً من أن يتركنا ضروب سوء التفاهم نتراكم بينهما نتيجة إرادتهما أن « يحددا من مدى الاضرار » عن طريق تنازلات سطحية .

وأشامل ما إذا كانت هذه الديالكتيكية الحية في داخل حياتها كزوجين لم تنعكس على مسألة الوضع الأنثوي نفسها ، بطريقة أخرى . فعندما تصف لنا سيمون دو بوفوار الأنثوية باعتبارها « وضعاً عطلته الحضارات حضوراً عن معطيات فيزيولوجية معينة » . . . وعندما نسلّم (في الصفحات الأخيرة من دراستها) أنه « ينبغي دائماً بين

الرجل والمرأة اختلافات معينة ، ^١ لا أستطيع أن أتبع نفسي عن أن أذكر - إن غطياً وإن صواباً - أنها لا بد . قبل أن تصل إلى ذلك الحد . قد عاشت صراعاً شاقاً مع ملاحظة أبعادها سارتر يوماً ، ولا شك أنه قد أبعاداً من جديد في مناسبات أخرى . عندما كانت تجهود في أن تنظم عناصر من كل نوع كانت قد اكتشفتها في أثناء أبحاثها عن الوضع الأنثوي ، فراعها تنتهي إلى النتيجة القائلة : إن الرجل يضع نفسه باعتباره « الذات » ، ويعتبر المرأة كأنها « موضوع » . مثل « الآخر » . . . وتستطرد أن هذا الادعاء « نفسه » ، فيما هو واضح . ظروف تاريخية : « وقال لي سارتر أنني يجب أن أضيف أيضاً إلى أسس الفيزيولوجية » .

هنا تتبدى . على كل حال . أكثر من أي وقت مضى ، علاقتها هي بذاتها . فإذا كان من الصعب عليها أن تصوغ هذا « الاختلاف » (إلى درجة أنها تفر إلى حد ما . حتى اليوم . من أن تؤيد نفس هذه التصوص التي قرأناها الآن) . فذلك أن هذا « الاختلاف » قد ظهر لها على القور باعتباره أحد مصادر التعمية الأنثوية على الذات . فإذا كانت استطاعت . بالرغم من كل شيء . أن تبرزه . فذلك ، بالضبط . بالقدر الذي يتيح لها فيه حالتها الخاصة هي . أن تقول لنفسها إنه من الممكن لكل امرأة محددة معينة أن تتخذ على نفسها تلك الأنثوية بالتحديد . في نفس الوقت الذي تجهود فيه أن تدحض « وضعاً

١ - « إن فريقيها » . ومن ثم جعلها الجسم ، إذ أنها تنط شكلها مفرداً . لا يمكن إلا أن تكون لها جنسية ، و جنسية مفردة . و علاقتها بنفسها . وبأقسام الذكر . وبالعقل . أو تكون متعلقة مع العلاقات التي يقيمها الرجل مع جسده . مع الجسم الأنثوي . ومع العقل ... (« الجسم الذاتي » ، الجزء ٢ ، ص ٥٧٤ - ٥٧٦) .

أشوباً ، نداوله التطوير التاريخي وللمياكل الاجتماعية . هنا ، كما حدث في
كثير من المناسبات الأخرى ، لم يفعل سائري ، فيما يلوح لي ، إلا
أنه ردها إلى نفسها ، إلى تجربتها الخاصة بذاتها . فأعاد إليها
الخدمة التي يبدو ، من جانبها ، أنها قد أدتها إليه في الغالب من
الأحيان .

٣ - الحكم بالكينونة ، الديمومة ، الوجود

وعلى ذلك النحو فقد انضح لنا موقفها من الجسد ، ومن جسمها
نفسه ، خليطاً من الفعل ومن القوى (بأشد معاني هاتين الكلمتين) :
ذلك أنه من الجلي أنها تحس نفسها مرة بعد المرة ، مهددةً تهديداً
خطيراً بهذا الغائب من جوانب العرضية ، وقادرة كل القدرة على أن
تتخذ لنفسها في المنة . وكان في مقدورها ، أثناء الطريق ، أن تلاحظ
من ناحية أخرى تساوقاً وثيقاً بين هذا الموقف وبين الموقف الذي لا يقل
عنه تعقيداً الذي يحكم علاقتها بالغير : وليس في ذلك ما يدهشنا ، إذ
أن الوعي قابل للايقاظ ، لا منعمة فيه ، بالقدر الذي يتجسم به - أي
يتعرض ، باعتباره موضوعاً للعالم ، لنظرة وعي الآخرين - . وقد
استشفنا ، أخيراً ، أن العلاقة بالغير ، عند كاتبنا ، تحكمها نوع
معين من العلاقة بالذات لدينا عنها العدد الكثير من اللطيات وإن
كان يجب علينا الآن أن نحاول استخلاص أكثر دالاتها لصوغاً
يتوهرها .

١ - يشير لي أن أكثر التعريفات تعقيداً لهذه الالتمية ، هذه الدائرية لهذه المصيرم ، هو الذي
تقدم به كاتبنا ، إذ تدعوا إلى أن نتكشّف ، في إثرها ، أي مغاير غائبة مهمة يمكن أن
يوجي بها الغير عندما يشك المرء في ذاته (« فترة العصر » ص ١٠٠) .

إذ ينبغي التسليم ، بعد وضع كل شيء موضع الاعتبار ، أن سيمون هو يوفور لم تتصور الوجود ، على وجه الدقة ، كأنه هيئة ذاتها لغير . لقد حلت كثيراً ، لاشك ، بأن « تنقل العلم » وبأن « تحسم الإنسانية » . ولكننا نعرفها الآن بما فيه الكفاية . فلا نخطئ في فهم هذا الطموح الذي يمد يده ، جميعاً ، هم « الكينونة » — أن تكون ذاتها ، أن تكون منفردة . وأن تكون لها قيمتها على نحو مطلق . ذلك ، قبل كل تفسير (أي في مستوى وعيها بذاتها نفسها) هو مسار العمل المتصل أكبر اتصال ، عند تلك « القدس » التي تبدو لي «روح الميناء» عندما موحية ، في وقت متأخر ، بعناد الغريزة الأعمى ، ومع أكثرها هذيانات الفكر الميتافيزيقي مدعاهاً للدعشة . فإذا كنا نزعهم حقاً أن نستخلص شيئاً من القائدة ، من هذه التجربة الإنسانية التي تصف نفسها تحت أمعنا ، منذ أكثر من عشرين عاماً ، فلا ينبغي أن نترك عيط «أريان» هذا ، ولأن نسي أن سيمون هو يوفور ، إذ البهت اليأس بالخطاب ، لم تزر لحظة واحدة تتبيع ذاتها : لأنها على ذلك النحو ، بالدقة ، استطاعت أن تصل اليأس ، ولعلنا لا نكون قد أضعنا وقتاً ثمناً ، لو استطعنا أن نفهم ، نحن ، كيف تم ذلك .

لا يمكن أن نعالج قط ، مهما قلنا ، في تأكيد الأهلية الحاسمة التي تتميز بها ردود أفعالنا ، وهي طفلة ، ومراقبة . هناك يضرب بجلوده ، في قوة وعلى نحو نهائي ، تطالبها للكينونة ، بفعل تالفص غير قابل للحل مؤقتاً ، بين الامكانيات التي كانت تحس نفسها غنية بها ، وانحطارها إلى الوسائل ، والناشبات في الوقت نفسه ، التي كانت تحول دونها وأن تحظى هذه الامكانيات في الحاضر : « كنت أتمنى أن أملك شيئاً ما ، بقوة ، وبقدرة عتف هذه الرغبة غير المحددة ، فأخلط بينها وبين رغبة في اللانهاية . » — « كانت الحياة تبدو لي من الوفرة والامتلاء ، بحيث أنني لكي ألبس ثدياتها اللانهائية ، كنت

أسمى ، بتعصب ، إلى أن أستخدم كل شيء متى : ولكنها كانت خاطئة ، ما من صوت كان يتاديني . كنت أحرص نفسي من القوة بحيث أرفع الأرض كلها : ولم أكن أجد حصاة واحدة أحركها - . والنتيجة مسجلة في يومياتها الخاصة في نفس هذه الفترة : «لني أكون أكثر بكثير مما أستطيع أن أفعل !» .

وهذا ما يمكن أن يكون عليه الشكل الذي يظهر الوعي به ، للذات ، في ظروف معينة . عند البورجوازيين الصغار^١ ، وخاصة إذا اتفق أن كان هذا الوعي يملك «طاقة» خاطئة هائلة لا تجد وسيلة تستخدم نفسها بها . عندما يحس المرء في ذاته هذه القوة - الكليّة ، ولا يستطيع أن يفعل شيئاً (وليس لديه شيء ما يفعله ..) ، فمضافاً «يفعل» في الحقيقة ، إلا أن يعزو نفسه «كثيرة» وأن يتحدث عنها لنفسه بلا نهاية في أصاقي ذهيله ؟ فلنسمع ، مرة أخرى ، إلى هذه المتوردة الصغيرة نصف لنا ، هذا الخليط الممزوج البشع بين الشائسة والصراخ - بين التروة والضرورة الزائدة ، الذي كان يضغط على منقذ ولاذني^٢ ، ولتقدّر إلى أي مدى كان أشتابها ، عندما لا يظهر لها لها معادين . قلن تحس بأزائم إلا الامبالاة خلال وضع سنوات ، بعد : «عاشت فكرة الخلاص في» بعد اختفاء الله ، وكان أول يقين في أن «كلاً» يجب أن يضمن شخصياً خلاصه ... لم يكن التناقض الذي أعاني منه من نوع اجتماعي . بل كان أخلاقياً ، وبوشك أن يكون دينياً .^٣

١ - «ذكرات فلاد مستوية» ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

٢ - أي وهي موضوع في ظروف مادية ليست من اليسر بحيث لا يستطيع ، فيها ، أن يعاين ضرورة الجهد ، وأن كانت ليست من الضغط والإزاج بحيث يحس نفسه مسؤولاً فيها حقاً . («مجن بلا قلبان» - نفس المرجع ص ٢٢٧) .

٣ - «قوة العمر» ص ٦٧ .

كانت مثلاً ، أكثر من بيتها بكثير ، تحكم عليها بنوع من اللاوجود : فكانت تردّ عليه بارادة - التكوينية تبلغ بها حيويتهما الفائقة ، إذا ظهرت الثانية ، إلى أخذ الجنون ، وعدم محدودية الأوضاع الإنسانية ، ونسيتها غير القابلة للتبرير ، أدعت لنفسها سيادة الوعي الجوهرية . وفي مقابل «طفان» الحاجة البصدية - « هذا الجحيم » الذي « لم يكن » عقلها ، يتوادم معه أحياناً - اعترضت « بكبرياتها » و « حريتها » ورفضها « أن تتوحد » في ملء العرضية ... ومعنى ذلك أن هذه الفتاة المرافقة لم تتحرر من « الخمر » إلا لكي تخرق المطلق ، فتُهبّئ ، من « تم » دون أن تعرف ، أكثر الأحليل دقة واستعداد الفتاة الشابة ثم للمرأة الشابة التي سوف تحلقها .

فليكن ما يكون من أمر « لحظة التوشّر » : فمن تعرف أن المصيدة قد أدّت عملها . ونحن نعرف أيضاً أن « الفسحة » قد استطاعت ، بالرغم من ذلك ، أن تخلص نفسها من هذا القبح - كما كانت قد تخلصت من قبل ، من الفخاخ التي نصبها لها ، معاً ، منذ سنواتها الأولى ، ديانة أمها الوريعة ، وشك أبيها العظيم .

ويبقى أن ذلك لم يتم في يوم واحد ، فإن هذا الوعي ، إذ يصل إلى الارتفاع بنفسه حتى يصل إلى الهواء الطلق ، حتى ليكاد أن يجد نفسه على قدم المساواة مع العالم الذي يحاصره ويحدّ في به ، يعود حشرين مرة ، مئة مرة ، فيهبط إلى قاع الخوة ، كذلك الحشرات العبيسة التي تذلّ جهدها في الصعود إلى الحياة ، قائداً بهذه الجهود تُفتت التربة المشقة التي يجب عليها أن تتخذ موطناً - ستندبها ، وتسطعها معها .

كان الوهم في قاع الخوة . ولكنه كان وهماً عالياً جداً ، وأتساءل بعد التأمل ، ما إذا لم يكن من الألبين أن تعكس الصورة السابقة .

ومن ثم نرى ، بالأحرى ، القندس العثر بكبرياته ، متخللاً مكانه على
 ذروة ربوة من الرمل يسيطر منها على العالم ، ويعرض حرصاً متصلاً
 على أن يهبط منها ، ولكنه في كل مرة يسلم الخوف من ألا يستطيع
 التحكم في حركاته حتى يسقط هذا المتحدو الزلق . والواقع أن كلتا
 الصورتين (الثقة ، ذلك أنه لا يمكن أن نرى في هذه القضية لا « فوق »
 ولا « تحت » - لم يكن « الوهم » الذي نحن بصدده في أسفل (قاع
 الموت) ولا في أعلى (ذروة الربوة) الواقع ، من حيث أنه يتأكد صراحة
 باعتباره حرصاً على بلوغ هذا الواقع دون أن ينتهه الواقع . إن الوعي
 ليس شيئاً ، ولا يستطيع شيئاً ، طالما كان يزعم أنه باقٍ على مبدع
 من العالم ، ولكنه ، إذ يظل واعياً بذاته وعجزه ، وبذلك فقط ،
 يستطيع أن يدخل حقاً في علاقة مع العالم . ومن ثم يبدو كل وجود
 كائناتياً ، حواراً لا نهاية له ، بين تطلّب تصوّر الذات ، وضرورة
 تحقيق الذات . ولكن من الحق أن الانشغال بأن تكون نفسها قد ساد
 طويلاً ، عند سيمون دوبوفوار ، انشغالاً بأن تكون على علاقة
 مع العالم .

لم يكن ذلك في البداية إلا نوعاً من الحلم ، وطريقة للجوء إلى ملاذ
 الخيال ، اعتراضاً على الضاع والاعدام الدلالة ، التي كانت مفروضة
 عليها . كان لزماً لها أن تستطيع التمتع بكيئوتها الخاصة ، وأن تكون
 حياتها لها قيمة ومعنى . كانت تحس الحاجة العميقة جداً ، الحادة جداً
 إلى أن تحس نفسها ذات جدوى ، ضرورية ، لا غنى عنها ، وبالتالي
 مستقلة ، مطلوبة ، مطلقة ، مؤكدة - أي أعزاً معترفاً بها ، محبوبة ،
 مهترزة ، ومختلفة . وعلى هذا النحو وصلت إلى أن تتصور نفسها ،
 في وقت معاً ، متفردة على وجه الامتلاق . وسيدة ذاتها . وبالتالي
 مع ذلك ، كان لا بد أن هناك ، في مكان ما ، بالرغم من
 المظاهر الباشرة ، عالمٌ يحكمه عيلة صارمة ، وضرورة حقيقية .

ولما كانت أكثر حياة بكثير من أن تستطيع الاكتفاء طويلاً بحلم جهده بأن يتغير إلى كابوس . فقد رأيناها تنتقل من سعادتها الأولى إلى إرادة لأن تكون سعادة . من سراب « حلة الكون » إلى جهد عملي لتجاوز الذات . استهدافاً لأن تعطي نفسها معنى وقيمة : فكفّت عن أن تزعم نفسها أحداً له مكانته . وشرعت منذ ذلك الحين أن تفعل شيئاً . ولما كان العالم ما زال يداّبُ على ألا يظنّهز بالمرّة كأنه عالم ضروري . فقد انتهت من ذلك إلى أنه كان لازماً عليها أن تجعله ضرورياً . بأن تجهد في أن تستحوذ عليه .

وعلى ذلك النحو سقطت . نتيجة لربيع أخلاقية إرادية عبدة معية . في ذلك « انقسام » الذي خلعه عليها سائر ذات يوم وهو يتحدّث إليها . والذي كانت لها من الشجاعة ووضوح الرؤية . منذ ذلك الحين . أن تدبته . في مرات عديدة . إذ نصف مواقفها هي نفسها . ولم يكن ذلك قطعاً هو التطلّب الحسم الذي عرفته في العشرين عاماً الأولى من حياتها . وإنما كان مع ذلك نوعاً من الحرب . رفضاً لواقعي . وطريقة للنجوء إلى ملاذ تفاؤل الأمان حتى لا تضطر لتقدير صعوبات ومخاطر الم شروع . لم يكن هذا النوع من التعمية الذاتية . أدقّ وأكثر استخفاءً من سابقه . إلا أنه أكثر خطراً منه . فقد كانت كاتبنا تستطيع أن تعزو إليه على الأقل فضل أنها قد تعرفت هذه المرة على ضرورة أن تصنع نفسها على النحو الذي تزعم أنها كانت فيه . وأن تنتقل إلى الفعل . وأن تمارس العالم : كانت سيمون دو بوفوار تريد فعلاً أن تتصرف وتفعل . وأن تنجدم كل ما يلزم من عناء لكي تنتهي إلى غاياتها . ولكنها ظلت تصرّ على تصوّر ممارسة العالم الإنساني تبعاً لتطلّباتها هي - أي باحتقار الظروف الفعلية التي يفرضها العالم على كل مشروع عده متعشّ يهدف إلى تحويله . إلا أنها لم تجرب . مرة بعد مرة . من وضعها الواقعي في خصوصها للتكيار . ثم من « واقعيتها »

(المتافيزيقية) المطلق ، إلا لكي نجد نفسها حبيسة في هذا « السجن » الآخر « بلا قضبان » : المثالية الاخلاقية . « بدلاً من أن ألتزم بين مشروعي والواقع ، رحت أتابعها في عكس كل شيء ، وضد كل شيء » .
أعتبر العالم مجرد أداة ثانوية ...

ولتجاوز عن الأمر الذي لم يكن يتعلق ، كما افترض لها أن تكتب ، إلا « بالعرضيات العظيمة للحياة اليومية » : فلا شك أنه ليس مما يقلق كثيراً أن نراها تنهى مثلاً أن تكتب إقرارها القسري ، أو ترك التراب يتراكم بعض الوقت تحت أثاث بيتها . ولكنها إنما في الواقع تركت رأسها في أن تغفل ، في تعال واحفظ . جرى التاريخ نفسه . ونحن نفس هنا ، فيها يبدو لي ، أكثر الجواب حسناً في علاقتها بذاتها (وفي علاقتها بالعالم) : علاقتها بالزمن ، تصورها للديمومة .

نحن في عام ١٩٣٣ ، ومن يدعى هنري قد أصبح منذ بضعة شهور منشأراً للتاريخ : « أما أنا فكنت أتابع ، في اندفاع ، حلمي القصامي » . أعرف ، كان اليسار الفرنسي يفعل مثل ذلك ، على طريقته . وفي خلال كل السنوات التالية ، كانت ترجمته العلمية الحالية من شأنها أن تثلّ مناهضته المخلصة بعمق ، مع ذلك ، لتأخر . ولكن المشكلة عند سيمون دو بولوار ، كانت عندك موضوعة في حدود مختلفة تماماً : « كان العلم يوجد على طريقة موضوع ذي طليقات لا عدد لها ، اكتشافاتها دائماً مغامرة ، ولكن ليس كمبدآن للقوى القادرة على أن توقع الإنكسار بي . ولمن أصبح الواقع التي لم أكن أراها إلا ركناً مهوشاً ، كان ينبغي أن أستيق المسئيل : ولم أكن لأريد . أما المسئيل البعيد فقد كنت أؤمن به : كانت تحكيه عندي وبالبكائية سوف تجعلني ، في النهاية ، عفة في تمرداتي ، وفي انظاراتي . أما ما لم أكن أقبله ، فهو أن التاريخ ، يوماً بيوم ، في تفاصيله ومنعطفاته

كان يسيله أن يصنع نفسه ، وأن غداً غير متوقع كان يلوح في الأفق . دون أن أعترف به . فقد كنت عندئذ سوف أحس نفسي في خطر . ومن ثم فهي تحدت . ما في الصفحة التالية : « كان الأمر يتعلق ... بفرار : كنت أضع على عيني عصاية حتى أحافظ على أنفي » .

ويلتزم المرء بالطبع أن مثل هذا الموقف لن يلبث طويلاً حتى يصطدم بتشكلات خشة وعرة . وفي مقابيل هذه الصعوبة ، إليك المركب الذي اعتزته هذه القصيدة : « كانت عاتبي يسعدني غرض علي أن أوقف الزمن » ... « وعلى أن أجد نفسي ، بعد بضعة أسابيع ، بضعة شهور ، في زمن آخر ، لكنه بالمثل لا حراك فيه ، متحدد ، لا تهديد فيه » .

أعتقد أن معنا ، هذه المرة ، كل الأوراق اللازمة لتقدير اللعبة التي كانت تلعبها زمناً طويلاً . وقد كانت هذه الأوراق معنا ، من قبل ، بمعنى من المعاني : فلعلنا نتذكر ثمردنا الطفلي ضد «الطلاق الفاضح بين وجهها وبين الزمن» . ولكن «قوة الأشياء» لن تتبدل بالمرّة ، في هذا الصدد . وجهة نظر «البت الصغيرة المسجبة» : « كان فصل الزمن دائماً يزعجني ، التي أتخذ كل شيء باعتباره نهائياً » ، وإذا كان لا بُدّ من أن نأني بتصوير عدد ، فإليك أكثر تصوير لذلك استنثاراً بالاهتمام (وهو التصوير الذي يكمل ، بالإضافة إلى ذلك ، المثال السابق ، بشأن النازية) نحن الآن في ١٩٣٨ : « كانت الحرب تبدو هذه المرة ، مصنومة . لكنني كنت أرفض ، في غضب ضارٍ ، أن أصدق ذلك : إن كارثة في مثل هذه الحداقة والحيوة لم يكن ممكناً أن تنقضي علي ... وقدينا أياماً قائمة ... كنت ، بشكل جنوني ، قد انقطعت بي السبيل » .

١ - «قوة العمر» ص ١٥١ - ١٥٥ .

٢ - «ذاكرات هذا المسبق» ص ١٥١ ، «قوة الأشياء» ص ١٧٣ .

وفجأة أصبحت العاصفة دون أن تنفجر ، ووقعت اتفاقية ميونيخ ؛
لم أشعر بأي ندم في ابتهاجي بذلك . كان يبدو لي أنني أفلتت من
الموت ، وإلى الأبد . بل كان في ابتهاجي شيء من الانتصار . لقد
ولدت ، قطعاً ، سعيدة الحظ ، لأن يصل الشقاء إلى أبداً .

ثم قامت الحرب مع ذلك ، وجاء شقاء معرفتها أن سارتر كان
أسيراً ، واليأس الذي يمتد تصور أسوأ ما يمكن أن يحدث . إذ انقطعت
عنها أخباره بعض الوقت ؛ « لقد كُتبت الحياة نهائياً عن أن تتحرك
أدام ما أريد » - وهي تكتب في ٦ يوليو ١٩٤١ ؛ « فكرة أن أموت
لا تبدو لي قاضية ، بالمره ، منذ هذا العام ، أعرف حق المعرفة ، على
كل حال ، أن المرء ، دائماً ، ليس إلا ميتاً مع إيقاف التنفيذ » .
وعندما عاد سارتر أخيراً ؛ « كان قلبي في سلام ، ولكن بطريقة
مختلفة ككل الاختلاف عن ذي قبل . كانت الأحداث قد غيرني ، كان
ما يسمى سارتر « نصامي » ، فيما مضى ، قد انتهى بأن يستسلم لتكليب
الذي يريد به الواقع » .

وهذا حق : فابتداءً من هنا على نحو ما ، يستطيع المرء أن يقول
حقاً إنها قد فهمت كل شيء . فهمت ، مثلاً ، أن الزمن يستطيع ،
كما يستطيع المكان ، أن ينازع ، جذرياً ، تطلبتها الكينونة ، تطلبتها
« أن تكون كل شيء » . وهذا هو الذي تأخذ في كتابة رواية من أفضل
رواياتها (وأصحها ، من جانبى ، بعد « المظنون ») القصة البهيمة
العميقة عن ريجين وفوسكا : « كل البشر قانون » . وهي تتوالى عندئذ ،
تحت أعيننا ، في هذه الرواية ، عملية تحويل كامل لأفكار نظريتها ، إذ
تحدد الزمن هذه المرة (والزمن ليس بنهائي وليس بلا نهائي ، بل

١ - « الثورة العسيرة » ص ٢١٥ .

٢ - نفس المرجع ص ١٩٥ .

هو غير محدّد (باعتبار أنه بعد مشروعية قصه ، باعتباره وضعاً قانونياً ،
ولأساس كل تقاضٍ إنساني . هنا يصير السليبيّ إنجائياً ، وتصبح المحدودية
والنسبية هي وحدها مفاتيح المطلق . وليست الأبدية (الكينونة في الخارج
الزمن) إلا لغة : « الكائن الزائل الثاني وحده قادر على أن يجد المطلق
في الزمن »^١ .

ولا شك أنه لا يمكن للمرء أن يفهم أوهامه حتى يتحرر منها على
التو . نحن نعرف أنها منذ وقت مبكر جداً لوادت أن تكون حياتها ،
« قصة جميلة » تصبح حيلة كلما روتها لنفسها . ثم سطح التور :
« سلمت أخيراً » ، بأن حياتي لم تكن قصة « أروبيها لنفسي » بل
مصالحة بيني وبين العالم . ومع ذلك فنحن نراها ، بعد ذلك بضع
سنوات ، تجد حسدا الوهم « المفقود منذ زمن طويل » ، من جديد ،
« في عتقات بارقة » : « كانت في حياتنا ملامحة وحرارة القصص التي
يروّنها المرء »^٢ . ولكن هناك ما هو أسوأ ... لقد يبدو أنها بالفعل ،
شامت أم أبى ، متعلقة العزم مع ذلك على أن تتصور التاريخ الجماعي ،
كأنه التسبيح الذي لا يحيد عنه والذي كان لازماً عليه - بطريقة واعية
منذ الآن - أن تدسج فيه غيب مغامرتها هي ، ببساطة : « كنت أعرف
أنه عليّ » ، ربما ، أن أمر بمساعلات سوداء ، بل أنني ربما عرفت
فيها ، إلى الأبد : ولكن هذه الفكرة لم تكن تصلني صدمة القضيحة .
كنت أكسب ، من هذا النوع من التسليم ، عدم اكتراث لم أكن قد
عرفته قط ، ولكن ها هي ذي ، في تموز ١٩٦١ ، ما زالت تحت
ضربات التاريخ المضاعفة (الحرب الجزائرية في هذه الحالة) : « دار
بفكري : أن هذه القصة التي حدثت لي ، ليست ، بعد ، قصتي . لم

١ - انظر « الحقبة الأخيرة » ، ص ٧٥ - ٧٩ .

٢ - نفس المرجع ص ٨٠ .

أمكن التعليل قطعاً بعد أنني كتبت أوروبا لنفسي ، على هواي ، ولكنني
كنت أعتقد أنني ما زلت أسهم في بنائها ، أما في الحقيقة ، فقد كانت
تقلت مني . كنت أشهد ، عابرةً بلا قوة ، تفاعل قوى غريبة :
التاريخ ، الزمن ، والموت .

يلو حقا ، بعد أن يوضع كل شيء موضع الاعتبار ، أن علاقتها
بالزمن ، حتى هنا ، قد احتفظت بأثر عتيق غائر العمق من طفولتها
« التي تُلذت لمغلق » والتي وصفها لنا بكل تلك الدقة ، وفي الصفحات
الأخيرة من « قوة الأشياء » ، إذ تلاحظ أنها قد شاخت (وتقول :
« هذا هو أهم شيء » ، وأكثر شيء استعصاء على التعويض ، حدث لي
مبداً عام ١٩٤٤) ، تُعترف بأنها متحيرة بظاهرة ليس من شأنها مع
ذلك أن تدعش بالمرّة أيّ فارئٍ تابع ، بأدنى قدر من الاهتمام ، الاجزاء
الثلاثة من سيرتها الذاتية : « عشت مشلوبة نحو المستقبل ، وأنا الآن
أسترجع نفسي من الماضي : كأنما قد ألقي الحاضر ، فإذا لم أكن
خطأً ، فإن هذه العبارة تشكل أكمل صياغة (أدق صياغة وأوجزها
على السواء) لنفس الموقف الذي حاولنا أن نستخلصه من ملاحظاتها
هي ، مختلةٌ عبر ما يزيد عن خمسين عاماً من الحياة الواقعية . إلا أنها
مع ذلك ، لم تنتظر حتى تصل إلى هذه السن لكي تحس الحاجة الحادة
إلى الأبقاء على ماضيها . فنحن نذكر قصة آلة التسجيل الغائقة : وفي
خلال هذه الفترة التي تشير إليها ، جاءت لحظة أصبحت فيها ظلال
الحرب الجزائرية بحيث لا تطبقها بالفعل ، وعادت للاتفاق من وعيها
العميق صورةً قويةً جداً ، على شكل حلم « بالغ العنف » ، اسطوانةٌ
تدور على فونوغراف ، وها هي تدور بسرعة متزايدة ، مطردة التزايد :
« الأبرة لا تستطيع ملاحظتها ، وفراغ الفونوغراف يتخذ أوضاعاً

خارقة ، ويترك جوف القونوغراف كأنه غلاية ، ومن المستحيل إيقاف الآلة : ويستأثر بها عندئذ مريض من القلق المائل (« إن كل شيء سوف يتلجر ، لورد » سحرية ، لا يمكن فهمها ، هذا اختلال لكل شيء) ، وعندما تقبل الآلة ، أخيراً ، أن تدعها لتوقفها ، تظهر أجزائها المخططة ملوية أو مفتحة تقريباً « ويظل المريض يعيش في الداعل ، والتعليق : « كانت القوة العصبية العاضدة هي قوة الزمن ، قوة الأشياء ، كانت تعيش بحسبي فساداً (هذه البقية الصلة من فروع مفسفرة) ، كانت نشوة ، وتهدأ بالعدم الجليدي ، ماضية ، وحياتي ، وكل ما كنت » .

ليس لنا أن نشك في ذلك : إن هذا الوعي قد أراد دائماً أن يفلت من حركة الزمن نفسها ، من حركة التاريخ الجماعي ومن حركة ديمومتها نفسها - إما بأن يسقط نفسه على مستقبل مثالي ، وإما بأن يسجل بدقة صارمة ماضيه ، وإما أخيراً بأن يهوي ، باضطرام ، الجبال (الذي « يوقف الزمن ») ، بأن يجعل الحدة المباشرة لبعض الحقائق تسحوذ عليه حتى الدوائر . ولنبحث عن الشيء الغائب في هذه الوحدة : إنه الحاضر نفسه ، بالطبع - إذا جرؤت على القول ... إنها تتجهذ في أن تدحض الزمن الإنساني في واقعه الزامن المتحد المتعين ، لأنه عارس من الخارج ، على وعيها هي ، قوة "مكرهة" ، بقدر ما يعيش الآخرون أيضاً هذا الواقع ، حيث لا يني يتوقف على مشروعاتهم التي لا يمكن التحكم فيها . وبالمثل ، قطعاً ، وإن كان إلى درجة أقل ، فيما يتعلق بالديمومة البيولوجية باعتبار أن حركة وجودنا نفسه مشروطة بها موضوعياً (من الخارج ، مثل مجرى التاريخ تماماً) وأن هذه الحركة تظهر ، أكثر فأكثر ، عاجزة عن أن تضع عليها شروطاً فوقية .

عن أن تتخذها لحسابها : في أفق سنّ الطلوع هناك الشيخوخة التي لا يمكن قبول حدها المحترم لأنه بقي كل مشروع للذات .

إن الحجر الكبير الذي ترودنا به الآن ، غيفية ، لكي نرهبه ، في اللحظة المناسبة ، في حقيقة كائنتها ، أعتقد مع ذلك أنه سوف يكون زائفاً علينا أن نحفظ به في حقيقتنا نحن ، في ذكرى سوء الضامم الضمير الذي سوف نملك منه . فقد كنا في الواقع على وشك أن نصلنا ونعني علينا أمانيها المتعيرة ، وحرصها العبد ، المتلئس ، الذي لا يكل ، على أن تكون «صادقة» ، وجنونها المزمّت الصارم في أن «نقول كل شيء» .

ذلك أن هذه المرأة ، بالتاكيد ، تروي حياتها - أمانا - في الماضي ، ومن ثم فليست حياتها هي التي تمسكها بين أيدينا ، بل هي القصة التي أرادت أن تصنعها منها . فلنضع موضع التساؤل اختيارها أن تقول عن نفسها ، وطريقتها في القيام بذلك ، إذا بدا لنا هذا الاختيار ، وتلك الطريقة ، متراً للتراجع ، ولكن لا ترتكب خطأ أن ينظر في الاختيار الذي يظهر في اللحظات التي تخصص نفسها جميعاً لكتابة حياتها ، وبالتالي لتفكير حياتها من جديد . فتعتبره هو علاقتها الأساسية بذاتها ، والا كان ذلك خطأً بين الذاتية الحية المعلقة دائماً ، ذاتية الحضور ليلذات ، وبين شبه - الموضوعية لتعشيل لذات^١ . وقد أتت لنا إلى حد كبير إمكانية أن نوقف من أن^٢ سيمون دو بوفوار ، في الحق ، أكثر حرصاً بكثير على أن تكون في المستقبل ، منها على أن تتوحّد بكائها الماضي : إن عدوانية نقائلا ، وإرادتها العظيمة ، نزلتنا على

١ - لاحظ سارتر ذلك (في «الكون والعدم» ص ١٠٦) : يمكن للبائع أن يكون موضوعه «صدق» معين ، لأنه كثيرة الإنسان ، في سقوطها إلى الماضي ، لتشكل باختيارها كبقوة «في ذاتها» .

أن نستبعد هنا كل فرض من نوع « التثبيت في الماضي » . ولكن ما
يُميل إلى ابتعاد الوهم في نظرنا إلى الأثر أن علاقتها بالمستقبل نفسها
توصف . بالضرورة ، من جانبها تحت المظهر الميت لعلاقة جامدة ،
معاشة من قبل ، ومتجاوزة إلى حد يقل أو يزيد . نحن نعرف أنها لم
تكن قط عن أن تشد نفسها ، وتتمترس ، تحت سياط تطلُّها ، أو أن
تخص نفسها ، على نحو عتيق ، غير راضية عن كل « صير » يوقعه
بها مجرى الأشياء . عن نظام العالم أو فوضاه . ومع ذلك فإن الفلسفة
تقطع إذ تتبع عخطيط وجودها ، من مرحلة إلى مرحلة : وإذا كان
حقاً أن هناك الكثير من « الحياة » في هذا التعدد الطارق للمراحل واحدة
بعد الأخرى ، فإنا مضطرون على الأقل إلى أن نخص فيها الحاضر في
شكل غياب معين — فإ هو الشأن في كل قصة لا يمكن أن نتجاهل أنها
قد سُجلت بالفعل من قبل ، في مكان ما ، في هذا العالم الواقعي .
ويبقى أن نعرف ما هو معنى هذا « الغياب » ...

أن يكتب المرء هو دائماً أن يضع المرء نفسه في مكان آخر : في
التخييل ، في الماضي ، أو في المستقبل ، ولكن ، على كل حال ،
على هامش هذا الحاضر — المشترك الواقعي الذي يواجه الرجال بعضهم
بعضاً إذ يتحدثون التاريخ . إن الحاضر الوحيد للكاتب هو حاضره كتابته
التي لا يمكن أن تكون ، على أفضل الوجوه ، إلا فيعلاً مؤسفاً .
وما زال ينبغي للمرء أن يسأل بآية شروط يمكن أن يصير هذا الفعل
(على فرض أنه يحدث بالفعل) بيتاً ، أسهماً ، ولو قليلاً ، في
اختراع الإنسان للإنسان — وأقصد أن أقول : في النمط الوحيد من
الشروعات التي نستطيع بفضلها أن ننازع أحداً الآخر وأن نعرف حقاً
أحدنا بالآخر .

إذا كانت مغامرة سيمون دو بوفوار ليست مجرد بحث عن « الزمن

الصانع : « فلذلك أن حاولتها أن تذكر الزمن (إذ استحوذ عليه) ، وأن تعطي لنفسها كينونة ، وأن تنضم إلى نفسها ، تجري ، في نفس الوقت ، تبعاً للأبعاد الثلاثة الزمنية . إن مجرد المعارضة عندنا ، بين علاقتها بالماضي ، وعلاقتها بالمستقبل ، تفككي للاستشارة إلى معارضة أخرى عندنا (استحق هذه المرة أن تميز بأنها ديباليكتيكية) بين حضورها في العالم ورفضها للعالم : انك إذا سحبت من رجل مركز الثقل هذا ، هذه الشهولة الأساسية التي تكسبه التوازن ، وهو الوعي بأن عليه أن يكون هنا والآن ما يظن نفسه أنه يكون ، لن يبقى لك بعد ذلك إلا مظهر رجل مظهر محكوم كله «بماضيه» لم يكن له قد أصبح حاضراً ، أو «مستقبلاً» لا يمكن أن يصير مستقبلاً . أما سيمون دو بوفلوار ، فيبدو لي ، على العكس ، أنها قد وصلت إلى أن توجد على نحو واقعي أكثر فأكثر ، أي أن تعطي معنى أكثر فأكثر لحضورها الحتمي ، نتيجة لتأخراتها إياه ، في وقت معاً ، بادم انتصاراتها السابقة وبادم ادعائها المتعلقة بالمستقبل . إن ما يصنع ، في عيني ، أصالة عملها الأدبي ، هو أنها تروي قصة تناقض معاش من أوله إلى آخره - قصة هذا الاكتشاف المطرد ، الذي يبدأ أبداً من جديد ، ولكنه ينعصر في كل مرة : أنه يجب ولادة الـ «يكون» المرء «هو كل شيء» ومعرفة أن المرء هو لا شيء » .

إن شكل الحضور في العالم الذي تقدم سيمون دو بوفلوار صورته التأمليّة ، مضموماً على نحو وثيق بين بُعدَي تطليها للكينونة (استدامة الكينونة التي كانتها من قبل بالفعل ، واستقاط الكينونة التي تدعي أنها تكونها) ، ينبعث فيه الحياة بالإضافة إلى ذلك طاقة حيوية ضاربة ، هذا الشكل للحضور في العالم يبدو لي في النهاية مشروطاً للحياة أصيلاً غاية الأصالة .

ولكن لا يمكن أن نقدر أي مشروع صورياً عن نوابه أو حوافره وحدها : ان مشكلة النتائج موضوعية هي أيضاً ، في حدود القشل أو النجاح . ولعلّ فيما يلي أكثر ما صاغته كتابتنا جلدية . من نتائج ، في هذا الصدد :

- « إني إذ استعيد ذكرى قصتي . أجد نفسي دائماً فيها أمام أو فيها وراء شيء لم يتم أنجازه قط . مشاعري وحدها هي التي أحست بها باعتبارها ابتلاء . »

- « أرى من جديد سباح أشجار البندق التي كانت الريح تهايل بها ، والوعود التي كنت أدفع بها قلبي إلى حد البغتون عندما كنت أتأمل منجم الذهب ذلك الذي كان عند قدمي . حياة كاملة أحيائها . لقد وفني بكل هذه الوعود ... »

- « ... ومع ذلك فإني إذ أوبر نظرة غير مصدقة إلى تلك المرافقة السافجة ، أقدر . بدعوى . إلى أي مدى قد تحيرت ... »

عل أن ينبغي أن نلاحظ أولاً أن هذه النتائج المزعومة مؤرخة (مارس ١٩٦٣) أي أنها ، بدورها ، قد سقطت في الماضي . عل أن كتابتها ما تزال تشهد بيننا بحضورها الحيّ المتدفق الحياة : بحيث يبدو من الحكمة ألا نتخذ بلزاتها هذه النظرة « النهائية » التي رأينا سيمون دو بوفوار تسقط في مصيدها أكثر من مرة ، وأن ننظر ، عل الأجيال ، التناقض القضية في المستقبل (والتي لن نعرفها بلا شك إلا عندما تصبح هي نفسها في غير الحاضر الراهن) ... ولكن ما يهم أكثر من ذلك هو أن نؤكد النحى المتناقض في جوهره بطورية هذه « النتائج » فهي إذا أعلنت حرفياً ، تشير ، حيناً بعد حين ، إلى

المرتبة أو إلى النجاح ، تشير إلى التوفيق كما تشير إلى الإخفاق . ولا لم يكن بعيداً عن الحقيقة مع ذلك أن هذا الوعي قد أمكن له ، على ذلك النحو ، أن يتناقض مع نفسه على غير علمه . على مسافة يتوسع صفحات بل بضعة سطور ، قلل قرصاً أقل سخفاً قد يتبع لنا أن نقهر على نحو أفضل قليلاً ، ما أردت أن تقول : سأذهب إذن إلى حد أن افترض ، مثلاً ، أن التصوص التي نحن بصددنا تصدر عن فكر مارك متضيق بصارع واقعاً متناقضاً ...

وعلى ذلك يبدو لي ، منذ الآن ، أن أحد الأبعاد الثلاثة للزمن ، على الأقل ، ليس موضع نزاع هو بُعد الحاضر ، الحاضر الفعلي في العلم وفكرات (« مشاعري وحدها هي التي ألحقت بها باعتبارها متلازمة ») . أما موضع الادانة ، في مقابل ذلك ، فهو هذا الحاضر الزائف ، هذا « الحاضر » الأبدى الذي يلخص صدها ككلية الزمن والذي ليس من ثم إلا نقي الزمن . إن هذا الحاضر ليس بكاثر : إن المرء لا يكون قط حاضراً لذاته باعتباره كياناً . نحن نعرف أن هذا « الشيء » الذي تحدثنا عنه والذي « لم يتم إنجازه قط » لا يمكن أبداً أن « يتم إنجازه » لأنني وعي حي ، وأن « لحظات متتالية » معينة وحدها هي التي يمكن أن تزودنا بعدة تعني الأبعاد مثل حدة برق في الليل ، بوهو عفير غابة العقم لهذا الشيء . — أما عن بُعد المستقبل ، فلا شك أننا نسلم بأنه لم يلق معاملة سيئة في هذه التصوص : لقد وقي بالوعود . ونحن هنا فعلاً بصدد وعود ضمنتها هي نفسها ، منذ طفولتها ، وهي التي « وقت » بها : لقد رأينا أن إسقاط ذاتها في المستقبل قد ضرب بخنوره على نحو أفضل بالطراد ، في ممارسة عملية يومية لا يمكن أن تزول ، كما هو واضح ، إلا في الحاضر — إن بُعد الماضي ، في نهاية الأمر ، هو الذي يبدو هنا يظهر الآثم : ولكن وضعه موضع السؤال يبدو أنه يجري ، مرة بعد مرة ، تبعاً لنظرتين مختلفتين .

إن ما يوضع موضع الاهتمام أولاً هو بالفعل العملية التي يسقط بها المرء ذاته على الماضي : استرجاع الذكري لنفسه : « عندما أستعيد ذكري قصتي ... » ولا شك أن ذلك سوف يساعدنا على فهم أن سيديون دو يوفوار يستطيع أن تكتشف « يدهول » لأنها مخلوقة ، بل أنها قد خلّدت^١ .

أما وجهة النظر الثانية فتبدو أساسية أكثر بكثير . ولكي نفهمها على أوسع وجه ، اعتقد أنه من الأفضل أن نضع هاتين الصياغتين المتألفتين على علاقة إحداهما بالأخرى : « لقد أُولى بالوعود » « قد أُخدعت » . ذلك أنه من الدخيش ، بالرغم من كل شيء ، ولعل له دلالة مهما قلت ، على الأرجح ، أن نلاحظ أن كاتبنا تدبر عن نفسها بصيغة المتني للمجهول في كلا الحالتين . فقد كان المتطر ، منطقياً أكثر ، أن تقول (بلهجة المطالبة) : « لقد وفيت بالوعود التي ضربتها لنفسى ومع ذلك أجد نفسي مخلوعة - أو أن تقول (بلهجة النقد الذاتي) : « لقد ولى العالم بوعوده لي ولكني أفسأتُ إلى نفسي بها يتعلق بما كان هناك مجالاً للانتظار في هذا العالم . ولكن ما هو ذا كل كبرياء ذلك الوعي الذي كان يريد نفسه ذا سيادة كاملة ، يبدو أنه على العكس قد ألغى مرة أخرى : أنها تتخل عن أن تؤكد قيمة « حلقوها » ، ونصمت عن « أوجه استحقاقها » العملية ، ولا تفكر حتى في أن تبدل بها وجهه استحقاقها من حيث وضوح رؤيتها .

لَمْ تكن كل هذه الجهود المبذولة باسم المطلق قد انتهت إلا بأن تتجلى مجرد هذه الضحية البحتة للنسي : وعباً متسلماً إلى ألا يكون إلا ما

١ - ما ينبغي توضيح أنها لم تكن غائبة في الماضي العابر ، وأنها قد أصبحت ضرورية عندما استرجعت نفسها ، عندما ألقت بنفسها في الماضي ، إذ جعلت من حياتها قصة حياتها .

يُصنع به ؟ ذلك على كل حال هو تفسير منهج نقديّ معن (ونحن
نعرف أمثلة أربع وأذكرني منه) وهو تفسير لا أدرى ما إذا كنت أكثر
اعجاباً به ليضحتّم العنى الذي يغيثم عليه . أو لتحنو . الذي يمسّ
القلب ، والذي يخفّزه . حتى تنفاس . مع الكتابة عبرات الغداية
الإلهية التي لا حصر لها . لكي نخرجها عن فلتها الإنساني حفاً ...

فلندع هذه المركبة تجري في مسارها . ولترجع الآن إلى نصوصنا .
لست أعتقد بالمرّة أن سيّون دو بوفوار . عندما نعر عن نفسها هنا
بعيفة التي للمجهول . مرتين . وبعدة هاتين التعلّطين الأساسيتين .
أما تسلّم نفسها لمؤلف ما من مواقف السلبية بلزاه نفسها : أنها لم تنكر
قط كبريائها . ولا تريد نفسها أقل سيادة من ذي قبل . باعتبارها وعياً
عليه مسؤولية ذاتة بشكل مطلق . وإنما يفتق بساطة أنها نتيجة لأنها
وجدت . قد فهمت على نحو أفضل باستمرار . ماذا يمكن أن يكون
الوجود . وتعلّمت . على نحو أفضل . باستمرار أن تضع كبريائها .
وتعلّمتها للسيادة . ومسؤوليتها . في داخل عالم إنساني وفي داخل حاضر
جماعيّ - تعرف . منذ الآن . أنه يتجاوز باستمرار حاضرها هي دون
أن تحكك شيئاً من أمر هذا التجاوز .

وإذا كان حفاً مع ذلك أن زمن الآخرين : إذ يفيض على حواش
دمجومتنا المعاشة دون توقف ومن كل ناحية . يرمي . القود . كل
لحظة من لحظات حضورنا في العالم إلى نوع من القاصي " . إذا كان
حفاً أن تاريخ الإنسان لا يصنع نفسه إلا على حساب كل إنسان . وأنا

١ - إن هناك أحداثاً تجري منذ الآن . تهيئ وتكهن أن تحدث في (أو تصبح واحدة مع)
إلا فيما بعد . أو بطريقة أكثر استعجالاً : إن ما يفعله الناس الآخرون أو يفكره هنا
وهناك . ويعلّمتني إلى حد ما . بشكل مع ذلك - مثلاً - أكبر دلالات خطاً من الخلقية
من دلالات هذا المشروع التي تفتت بهه . بحرية . والتي أجد . في الوقت الراهن . أن
أحققه بتجاع .

« يعاد صنعاً بواسطة هذا التاريخ في نفس اللحظة التي نسهم فيها في صنعه ، أفلا ينبغي أن تنتهي إلى قتل الوعي ، إلى الاستحالة الجبرية ، عنده ، لتوجد سيادة ، لتجاوز ذاته بطريقة مستقلة ذاتياً نحو مطلب كينونته ؟ وبعبارة أخرى : أفتلك أي فرصة لهذا المطلب في أن يتجسم في هذا العالم دون أن يتكرر نفسه فيه . في نفس الوقت ؟ ثم نطرح سيمون دي بوفوار ، على كل حال ، أصعبها على حرية جوهرية ، إذ تصور نفسها باعتبارها قد أُخدعت ، مزرعة قد تكون عمل أرجح الاحتمالات هي مزرعتنا في نفس الوقت ، كما هي مزرعتنا ؟

أعتقد أنه يجب أن نسلم بذلك على نحو ما ، والا نعرضنا أن يفوتنا البُعد الحقيقي ، والمعنى العميق لما نجهد أن نقوله الكتابية ، إذ تأتي ألياً بتحقيقات وعصا واحداً بعد الآخر . نعم ، نحن نعيش في القتل (نحن من يوم إلى يوم ، وفي وقت معاً ، نلعب ، ويُعاد صنعاً ، ونفككك) ، ونحن نحاول أن نتعامل ذلك إذ نلوذ وراء هذه « الأخلاقية ، أو تلك - على الأقل طالما أن إدعائنا أن نكون وأن نكون هذا وذلك ، لا يهم كثيراً) لا يتجاوز مرحلة الوعي ، والرضى عن الذات ، مرحلة الحكايات الخرافية التي يبدع المرء بها نفسه حتى يفلت من حقائق الواقع . والمزرعة أيضاً من نصيبنا ، عندما نظن أننا قادرين على استبدال وهم آخر بهذا الوهم السليبي . وهم آخر بفعل مزعمهم على العالم لا يتوقف لمواجهه إلا على السماع مطاعنا ودأب جهودنا . إذ أن ذلك يعني ، فقط ، أننا ، في كلتا الحالتين ، نرفض واقع الحاضر نفسه ، بطريقة جبرية ، كما هو واضح ، في الحالة الأولى ، إذ نؤثر ، دفعة واحدة ، حلماً بالكينونة (ماعينتا المتخيلة) على جهد أن توجد ، وبطريقة ، في الحق ، ليست أقل حسناً في الحالة الثانية ، إذ نزعج أننا نحارب حضورنا في العالم كما لو كان هذا الحضور لا يتوقف ، في هيكله نفسه ، على ذلك الحضور - المشترك الذي هو وضعنا المشترك .

إلا أنه يجب أن نرى أن عمل سيمون دو بوفوار الأدبي ، إذ يحدد لنا هذين الشككين من القشل ، إنما يستشعرنا إلى تجاوزهما ، مرة بعد الأخرى . وقد ثبت ذلك ، بلا عناء ، إذ تعود إلى نصوسر فلسفية لما لا نترك دافعها في هذا الصدد محالاً لستريد ، أو على العكس . قد نقشل ، لهذا السبب نفسه ، في أن ثبت ذلك حقاً ... ذلك أن وعي الفيلسوف بلوح كانه يلعب ، في الغالب الأعم ، دور الأرنب ، في مواجهة سيّر وجوده المحدد ، هذا السير السلحقائي المعقد . ولما كانت النتيجة التي تنتهي إليها الحرقاة المشهورة بين الأرنب والسلحقاة ، تبدو لي ، فوق ذلك ، متحققة ومؤيدة في مقابلة كالتينا ، لسانی أفضل ، بما لا نهاية ، أن ألتجع هنا ، السار الواقعي لهذه الكتابة ، بدلاً من أن أعرض لجولة هنا أو جولة هناك قد تكون استغفقتها على الخريطة ...

ويمكن أن نرى بوضوح كافٍ ، في مستوى نصتها نفسه ، كيف يستخلص هذان الموقفان من مواقف القشل اللذان أشرنا إليهما منذ قليل ، والموقف الذي يقضي إلى تجاوزهما . ففي الفترة الأولى (حتى الأزيمة المتساوقة مع نهاية مراقبتها ووضعها القلق كفتاة شابة ما زالت تعتمد على أهلها) هي تعلم بأن تكون ، وتعيش في التخييل ، وتذهب إلى حد احتقار « الآخرين » باسم صورة معينة للذات . وفي فترة ثانية (ولم تكن بلا شك ممكنة إلا لأنها منذ الفترة السابقة قد حصلت ، بالرغم من كل شيء ، على معنى الجهد على الذات ومعنى العمل) نستخدم الوسائل الواقعية التي توضع أعبراً تحت تصرفها بدخولنا من النصوح لكي تنسج في أن تكون ، ويتغير حلمها ، بعزم ، إلى مطلب حقيقي سوف تكون ما سوف تصنع نفسها أن تكون . وعندئذ يحيل موضوع « الغلاص » إلى أن يندمج ، عندها ، أكثر فأكثر ، في موضوع تجاوز الذات ، والارتفاع ، والتصعيد ، الذي كان قد أصبح مألوفاً لديها

بمنزلة مراهقتها . فهي بصدد التقدم ، والأزفاء ، والمضي قدماً ، والتعوم ، هي بصدد الذهاب إلى مكان ما ، وأن يكون لها هدف ، وأن تبرز ، وأن تحرق ، أن تحيا حياة ملتصقة^١ . هي أخيراً بصدد تسير كل

١ - إن هذه الألفاظ المختلفة التي تستخدمها كانتنا في مرات عديدة ، يمكن أن تكلف في مواقفها عن تخرج من « الغرب إلى الأمام » . وكما كان من المنتظر ، وضعت سيمون دي بوفوار لنفسها هذا السؤال الذي يتبر « بالضرورة أي عرض « الوجودية » : « أي جانب من الطرفين يتخذ الألفاظ ؟ » .

والاجابة التي ترد هنا على هذا السؤال تبدو لي على أكبر قدر من الدلالة . وهي تستند إلى « اعتبار إسقاطي » كان لـ *Yves Jeanneret* ، التي كتبت في وصاروفيه ، نحو ١٩٤٧ . كان الاعتبار ينطبع في الاعتبار ، أوضح الطبع السطح ، تعطيه صورة من أربع صور - جواز يحد ، زورق يغاري ، قنار ، ورجل يمشي . وقالت بلا تردد : الرجل ، لأنه كانت السطح معه وحده تبدو بمثابة يرمي ، « قوة الأشياء » من ١٩٣٣ . ونحن نعرف أن صاروفيه من لاجونه ، فيه اعتبار الزورق ، « لأنه يتزعزع نفسه من السطح الذي يتهدده » . ولكننا لا يمكن أن نقارن بين الاسبابين إلا إذا قارنا أولاً ، بداية الخرس ، بين السائقين المسلمين الذين تصدر عنهم الاجابات ، من جانب ومن الجانب الآخر ، وليس ذلك موضوعنا هنا .

وسلطح على الأقل أن نلاحظ أن اعتبار القنار نفسه وقع على شية الرجل ، أي على نتائج لانعدام توازنات كل منها يستلزم يرمي « مفرد من جديد باعتزاز ، يشير ، في وقت متأخر ، إلى عرضها على المضي إلى الأمام (إسقاط القنار على المستقبل) وحرصها على « استقاء القدمين على الأرض » . ألا تنطبع إلى المستقبل إلا بالبطء ، مستسكة في كل خطوة بترتة حقائق الوقائع . والواقع أنني يصعب علي أن أتصور كيف كان مثل هذا التوازن ممكناً عندما ، لو أن أظليها لكي يكون لم يتخط نفسه ، قصة والعصيدة ، في الوقت عينه ، على الأبعاد الثلاثة الزمنية . إن إشتال سيمون دي بوفوار بالتساوي كتابها الماضي هو الذي أشبعنا بالتأمل المساء القمري ، لثرونها في أن تعطي فيما كتابها . ويجب أن نرى ، بلا شك ، بالإضافة إلى ذلك ، أن بعد الماضي كان لينطبع على بعد المستقبل ، بشكل لا عهد منه ، لو لم تكن فيه صيرورتها نفسها ، وحاجتها العلية إلى أن تعبر نفسها كليا - بحيث تنبع أشعها في سلسلة على الآخر ، ولجعلها كلها يضيءان يثورهما في الحاضر . في هذه الظروف ، فإن المضي إلى الأمام هو الذي كان سوف يفرض نفسه ، ولكن مزوداً (« عملاً بشكل التوازن » إلا صحيح -

شيء لكي تكون له قيمة أفضل في المستقبل - بصدد الطموح - بأعمق معاني الكلمة - قلت فيها سبق إنه من الغلو أن نرى فيها ، في تلك الفترة ، مجرد فتاة طموح بحتة ، مثل راسينيك ، ولكنها بنفسها قد أوضحت أحسن الأيضاح ما هو مشترك بينها وبين هذه الشخصية البرازيلية (وبين أعية غير الشقيين ، عند مستهدال) : « أن يكون المرء جوليان سوبيل ، أو راسينيك ، ذلك يتطلب أن يأخذ المرء نفسه بين يديه ، لا أن يستعير عن نفسه ، ونحن هنا بصدد مقارنة مع الرجل الأمريكي الذي لا يحلم حتى « بأن يبرز فيها وراء العالم المعطى ، وهو حلم " ترمز إليه هذه الشجرة التي يعلوها جوليان سوبيل ، والقيمة التي يطل منها راسينيك ، بشكل رائع ، على باريس » .

أما الفترة الثالثة ، فقد ذرعتها أيضاً من قبل . ورأينا سيمون دو بوفوار تكتشف فيها ، بالتدريج ، حيث الثالثة ، غرور كل إسقاط - أيًا كانت الشجاعة التي يتوي المرء أن يضعها في خدمته - وغرور « صنع النفس » أو مجرد « معرفة النفس » بالاستقلال عن الآخرين : أي بالانحصار على اعتبار وجودهم مجرد حافز لمواقفه الخاصة . وقد قالت ذلك عن كامو : « من الشاق أن يعتمد المرء على الآخرين عندما كان المرء يظن نفسه ذا سيادة : هذا الوهم ، الشائع بين المثقفين

« القول (يتوخ من العقل العالي ، ومن الحب "الوجودي" ، من جانب كل هذا الجانب من الحياة العاشق بومي من قبل .

وملاحظة أخيرة : بفضل هذه الديالكتيكية الرائعة والحاضرة في الحضور ، بين « يعني الغرب » الفرنسية ، إذا كان الضاعف بالأكاديمية قد لوث الضاعف إلى حد ما ، فإنه يتورق نفسه تعرض للثروت من جانبه ، بلا شك . إذا ما يعني وراء هذا الوعي ، هو بالفعل ، من ناحية الكيفية التي كانت قد حلت بها ، حياة راسنة ، ولكنه في المستقبل ، من ناحية أخرى ، يطلق بشأن هذا كان يمكن أن يكون .

١ - « أمريكا يوماً بعد يوم » ص ٢٧٢ .

البورجوازيين ، لا يشفى منه شيء إلا بقاءه . كان التأمل الاخلاقي عندهم جميعاً يميل إلى استرجاع هذه الصدارة وهذا العلو . ولكن سارتر ، وأنا في الزم ، أسقطنا هنا كثيراً من الأثقال ، كانت قيمة القداسة ينتهشها وجود البصائر : الكرم الذي حرصنا عليه بكل عنف وعسكرة ، بل والأصالة ١ .

أعتقد أننا نخطئ لو أننا استخلصنا من ذلك تنازلاً ما من جانبها : ذلك أنه لعلها قد كتبت عن أن نطق نفسها « ذات سيادة » (بالعنى الذي كانت قد زعمت أنها تكونه ، في البداية) ولكنها لم تكتب عن أن تريد نفسها ذات سيادة . ولا شك أنه كان لزاماً أن يبقى تطلُّبها الأكثر جذرية ، كاملاً ، حتى يكون لمشروعها الشخصي اليوم في عالمنا - في عالم الآخرين - هذا الواقع الموضوعي لعمل لا تقي نستكشف غناه ، ونسجل آثاره . ولكن ذلك يرجع أيضاً إلى أن طموحها ، في عبرى الطريق ، قد تغير في معناه وفي موضوعه . لقد أرادت سيمون دي بوفوار ، دائماً ، نفس الشيء ، على نحو ما : أن تعيش وفقاً لذاتها ، أن تكون وعياً حياً ، على أن تبقى سيدها ذاتها . فإذا كان لزاماً عليها أن تعدل موقفها العميق ، فذلك يقدر ما كانت تجيب على مشكلة أمي . وضعها ، إجابةً تصوغها وتصفقها يوماً بعد يوم : مشكلة كانت مدعوة إلى أن تخلصها بينما لم تكن مزودة بعد بمعطياتها الحقيقية .

فلتفضل بالقاء صحيفة الأيام أولئك الذين لا يتصرفون هنا ، على الأقل ، على وضعهم الماضي : أما أنا ، ولو كان ذلك في الحاضر ، فأعترف أن دور النائب العام لا يناسبني هنا . ذلك أنني لست مثلكم ، بلرّة ، أنني قد اخترت جانبي - كما استطاعت هي أن تفعل - من المعطيات الحقيقية لمشكلتنا المشتركة . وأنا لزاماً توصل ، منذ أكثر من

١ - « لونا الاتهام » ص ١٢٢ .

عشرين عاماً ، كما لا يتاح لنا كثيراً أن نعمل .

لقد تعلّيت ، دفعة واحدة ، فوق كل شيء ، «التواصل» : مع الله ، مع أبيها ، مع إنسانية حلفت بها . وكانت أكثر الطرق عندها ثباتاً ، لاستهداف الكينونة ، هي أن تزيد نفسها معترفاً بها من الغير ، على هذا النحو صارت كتابة ، وذهبت (بعد ذلك) حتى إلى حد كتابة سيرتها الذاتية . وفي هذا الصدد على الأهل ، لا يمكن للمرء أن يقول إن مشروعها ، منذ الآن ، يتعرض لأن ينتهي بالقشل . هل تشتم فيه مع ذلك تلمحات من الفردية ؟ أأأخذ المرء على هذا الهمم بالتواصل أنه ليس إلا همماً بالتواصل مع الذات ؟ ولكن يتعذر علي أن أتخيل ماذا يمكن أن تقول : على وجهه الحق الصحيح ، إذا لم يكن قد مرّ من خلائات ، من خلال تجسّسات وعينا نفسه ، من خلال وجودنا المحدود المتعثر . وأستشف ، على العكس ، درساً جديلاً من الحقيقة ، في طريقها هذه . إذ تقول عن ذات نفسها يوماً بعد يوم ودون أدنى مظهر من مظاهر الدلال ، في أن نذكر كلاً منا أنه هو نفسه بقوله التاريخ ، يوماً ، أكثر بكثير مما يستطيع أن يقول عن ذات نفسه - ولكنسه لا ينبغي له . لذلك ، أن يتزل عن أن يفكر هذا التاريخ وعن أن يحياه ، من أن يعمل إليه إسهامه الخاص وفقاً لوسائله الخاصة .

ذلك في صتي هو التواصل الحقيقي : حرية تريب فيه بحريات آخر ، وتعرّف بها حتى يتعرّف بها منها . مع فهم يتقرّد عنفاً أن هذا العالم ليس «إنسانياً» إلا ، بالقيط ، بقدر ما نتجهد نحن في أن نجعله كذلك . كما يعني ، كما هو المدهوم ، أنه كلما أراء المرء ذلك أكثر ، أحس نفسه مدفوعاً ، أكثر . ويجب ، بعد ذلك ، حتى نسطي هذا الشعور أدنى قيمة إيجابية . ألا يتزل المرء أبداً عن طموح أن يحيا المطلق - لا بأن يزعم أنه يحققه في عالم النسبة هذا ، بلا شك ، بل

بالإصرار والدأب ، في مواجهة الرياح والعواصف ، على أن يصنع منه
قانوناً يازاه الذات .

وذلك هو ما أرادته ، فيها أعتقد ، ودون أن تحاول أن تحقي عينا
شيئاً من النسبة المتصلة الثابتة التي تأتيها منا (كما تأتي إلى كل من منا ،
من قبل كل الآخرين معاً) . وعلى هذا النحو نستطيع أن نفهم أنها
كانت ، بكل ذلك العمق ، مركبة على الغير ، بينما هي تظهر ، بكل
ذلك الطواعية ، عصية على كل العلاقات الانسانية التي تقوم على مجرد
الهيئة ، إلى أبعد من أن أنفيلها مهزومة ، بل أحسب ، على العكس ،
أنها عرفت حق المعرفة أن تهزم نفسها مرة أخرى إذ جعلت من انتصارها
شيئاً نسبياً . ولست أرى في وثوقها على مبدئية ، كما يفتن لها أحياناً ،
بالنسبة للعالم الانساني ، إلا وثوقها ، باستمرار ، على مبدئية من ذاتها ،
وهو ما يفرئها اليأس ، باستمرار ، كل هذه القريى . وهي لم تضع بين
نفسين في هذا العلم ، إلا حضورها لذاتها (بالقدر الذي تعرف فيه أي
جانب فيه من سوء النية) وظهرها الجسمي أيضاً بلا شك ، ذلك أن
حريتها لم تنفل قط أن تنفرد إلى موضوع ما يمكن أن يرمي دور مصيدة
بازاء وهي الآخرين .

ولكنني قد عابحت طويلاً علاقتها بالآخرين ، ولعل ما يبقى لي
أن أقوله لم بعد إلا محاولة لاستخلاص الختام . إذ يبدو لي أنه ينبغي
لكل كتاب أن يكون له ختام ، حتى إذا لم يكن يحرص إلا أن يكون
مقدمة - كما هو شأن هذه الدراسة - على نحو واضح كل الوضوح .

خاتمة

أرادت أن تتحقق حياتها ، ولكنها سحرت من نفسها ، بما فيه الكفاية ، عندما فاجأت نفسها ونسفي عنها الجدة ، ليكون لها الحق في أن تقول لنا : « لم يكن ينبغي أن أقتن بنفسي ، فلا نهاية لدهشتي لما أتبع في من حظ . » وهي تؤكد أنها لم تكتب قط إلا بالعمل الشاق ، ونحن نعرف بالفعل أي شغالة وهيبة كانت ، دائماً ، إلا أنه كلما أعاد المرء قراءة كتبها ، اكتشف فيها من إشراق الكتابة ما لا يمكن أن يرمى عليها إلى فضل « التلميذة المجددة » التي تدلّج ، عن رضى ، أن نعطينا صورة لها عن نفسها ^١ . لقد توخّعت أن تشده على ما تأخذ به الأمور من جدّة ، ولكننا نؤكد أيضاً ما يشيع في كتاباتها ، من لونها إلى آخرها ، من فكاهة تنزّج إليها النفس ^٢ .

١ - في مقدورها أيضاً أن نورد ملاحظات كثيرة (من يومياتها في ١٩٥٨) : « يجب أن أكتبها على جناح السرعة ، واليد مراح تجري على الورق » - « هذه الكتابة لطف الكتابة فإنها ، أكتب كل ما ينفق لي » .

٢ - كانت أليس في نحو أمانة حذرة من صرخة كانت قبل آتت على نفسها ، « أبواب الله » ألا تستسلم أيضاً لآوار الخواص ، ثم سارعت إلى أن تصيغ : « والحق أنني لم أبع في أن ألهو بهذه هذه القرائن » فلم يكن ثم من حاول أن يفرّج ، وأن يبر قواعدها ، « وتكتب عن عالمها »

وهي تنقل ، كأنها يسليها الأمر ودون أن تحاول مثلثة ما فيه من جانب من الحقيقة ، تعريفات حاول البعض أن يصفها بها ، هي «سارتر بـ : («قلمه كافكا» ، «ما «يبتذلان بنفسيهما») أو سارتر وحده («سارتر لا يتزور أبداً إلا من يزور سارتر») ولضيف إلى ذلك : «وهو ما يمكن أن يقال عني» أو هي وحدها أصراً : «ساعة كبيرة في داخل ثلاثة» ... أما عن اللوحات المائية التي لا عداد لها والتي تقدمها البنا ، المرة بعد المرة ، فأقول ما يمكن أن يقال فيها إنه ما من طيبة تجعل ألوان هذه اللوحات تهت أو تتحول : «كنت عتيقة مضطربة السؤرات ، أميل إلى الغوى للشبوب مني إلى الاستخفاف والبراعة ، كنت أحتج إلى الشطط في طيبة القلب ، وكنت أنفي في طريقي ، على وجهي بلا زيف ، حتى لكأن الكيسة تعوزني أحياناً» - «كنت ألقه زمام نفسي ، إعجاباً أو متعة («ها هي ذي القديس تغيب في الشفوة ، كما كان يقول سارتر») - «لم أكن لوفتي فيها هو باهر ومثير للعجب ، ولم يعني ذلك على كل حال من أن أرتكب رأيي طويلاً» في محاولة ، لقد بقي في جانب صغير من «نيلي» ... - «لم يكن عندي إلا الترد البسيط من الحس» التفدي ، كانت نزعتي الأولى» وي

- الرابع والأربعين (عندما تزيح عوكة واحدة من يدعا ما كانت قد كتته في التلاتين من صرخة) : «بعد الأربعين من العمر يجب التخلي عن نوع معين من أنواع الحب» ، ولكنها تنقل ، سامرة من تقديمها صرخة مرحلة الدخول ، مستغنية : «اللقاء» في ثيابين «حين جاد بما يلزم» وما لا يلزم «عندما يولي الشباب» - وفي ذات مساء «في روما» «سبح سارتر وصديقين من الإيطاليين» لمحاول أن أود على الأفكار السود التي يمتدحها فهم دعوى القوات السوفيتية في يودايسم (١٩٤٦) ، أنزل صوراً لثقة بها «دوس با موس» (أو اليساد الفرنسي «و» مثاقية ») : «أفراح سارتر كاتر الويسكي» ، وقال في العياد إن الاتحاد السوفيتي هو الفرصة الوحيدة المناسبة للاشتراكية ، وأنه عاجها . قال «بولاسو» أن القراء لا يستطيعون أن يقرأوا الدخول ، ولا أن يدينوا الاتحاد السوفيتي . وطلب كاتراً أخرى ، وصعدت الدعوى إلى عينيته .

الايقان ، وبقيت عليها ، بصفة عامة - « قبل لي إني أنكلم الغة
الابتغالية بجناف أمانتي » ... الخ .

وقد عثرت على عبارات مرموقة ، في وصف ما عندها من نزعة
مثالية : « كنا نرفض أن نُسَّ عجلة التاريخ ، ولكننا كنا نصر على
بقيتنا من أنها تدور في الاتجاه الصحيح . والأمر لكان علينا أن نضع
موضع السؤال أشياء أكثر جداً بكثير مما نطبق . » أو : « عندما
نظفّر الأسباب التي تدعو ألا بدوس المرء على رجل ، فأنما
نُدوس عليه . » أو ما يلي ، فيما يتعلق بالكتاب : « إن الكتاب
إذا برضى عن صورته غاية الرضى ، ينتهي إلى أن يسجن نفسه
فيها . وينزوى ، حتماً ، في الاحساس بالأعمىة وهي صورة
الغرور » .

وقد مضت أحياناً في حرصها على التواصل إلى حد أن هبّرت عن
نفسها أحياناً باللغة العامية ، بأعطائها المتعمدة - ونجدد على ذلك النحو
أن نترق حاجز الألفاظ والسياق القوي الذي يحس كل مثقف ، إلى حد
ما ، أنه يقوم بينه وبين قرائه وسامعه عندما لا يتناول بهذا القدر من
سُر الحركة . ذلك أن هواها المشوب بالتواصل هو في نهاية
الأمر أكثر المعاني ثباتاً في مشروعها أن تحيا - و « تبرره » الحقيقي .
كان ذلك عملاً شاقاً ، بالتأكيد ، و « صبراً طويلاً » ، أثراً من الآثار
الأيضية ، بعبارة واحدة . ولكن السعادة ، أو غيابها المباشر ، أو الشقاء
في حضوره المائل ، لم تكن تني تجعل من القوي بالتواصل اندفاعاً أيضاً ،
وطيراناً يحتمل الأوار ، بل صراعاً حتى الموت . أحياناً ضد الناس الذي
يراد كل حياة .

والشر ، في حينها ، هو جوهرياً ألا يكون في وسع المرء أن يقول
عن ذاته وأن يصيخ إليه الناس بالسمع - وعلى الأخص عندما تكون

هذه الاستحالة معاشة من وعي "تخضعه وعي" آخر لارهاب فعل: «ان الاعتصام بالتواصل يميل إلى تجاوز التضيقة التي هي على سبيل التعريف المطلق الذي لا يُسترد للشر». «لذلك يبدو لها الجمال عتيلاً»، على نحو مزدوج: أولاً لأن الأثر الأدبي «الجميل» يتنجح إلى إيقاع الاقتناع بدلاً من أن يقترح معنى، ثم لأنه يُلصق «من أجل أصحاب الامتيازات من جانب أصحاب الامتيازات الذين أتاحت لهم الامكانية»، حتى إذا كانوا قد عرفوا المعاناة، لكي يتصالحوا مع معاناتهم «(وعلف فلك قوته «يرخي قضباناً على الشقاء العاري» (وفي مرات عديدة، وعلى الأخص عندما كشف عن الفطائع البشعة في حرب الجزائر، غنم الظلام على أفق سيمون دو بوفوار عندما اقتحم عليها قصتها هؤلاء الناس الذين لا عداد لهم والذين تحكم عليهم صدقة ميلادهم بالموت دون أن يكونوا قد استطاعوا أن يولدوا حياتهم: دون أن يكونوا قد استطاعوا أن يقولوها لأنفسهم إذ يقولونها للآخرين، بل وبما دون أن يستطيعوا، حتى، أن يصرخوا بها. «هناك أيام» من الجمال حتى يشتهي المرء أن يسطع كالشمس... أن يلمس وجه الأرض بالكلمات المتناثرة، وهناك ساعات يبلغ من سوادها ألا يبقى ثم من أمل إلا هذه الصرخة التي يتوق المرء أن يطلقها...

ولأنها كانت تحس إحساساً حاداً - بطريقتها - وصدوراً عن وجودها هي - بالضمير الجليدي الذي يتوقع بهم، فقد حاولت أكثر من مرة أن تصرخ عنهم، أن تتكلم باسمهم. ويبدو حقاً أن تدخلها الحرام على صعيد الوضع الإنساني، يصدر عن نفس التمرد العميق، عن نفس الرفض العنيف لكل وضع يقي الوعي الإنساني في حالة من شبه الوعي، بأن يرغبه على أن يتصور نفسه، يزاء الآخرين وبأزاء ذاته، كما صُنع له لا كما يستطيع أن يصنع من نفسه.

واذا لم عندما يتفق لنا أن نتساءل عما إذا كان مشروعها ينتهي بالنجاح
 أو بالفشل ، فلا نتردد قطعاً في أن نجيب أنها تأتي من بعيد ، هذه الثقافة
 البورجوازية الصغيرة ، مشغوفة بالمطلق ، وغيوراً ، ناصعة السريرة ،
 على مبادئها - ولكنها على أي حال فقد « أنت » بالفعل ، وأنه لن
 يكون لنا أبداً أن نرتي على أنفسنا متائبين ، لو أنها أتاحت لنا ، كما
 يبدو أن « فصاحتها » قد أتاحت لنا ، فعلاً ، أن نبحث في كل مكان في
 العالم تقريباً ، مثل هذه الحركة في الوعي ، وذلك ، على كل حال ،
 هو ما نبيل هي نفسها إلى أن توحى به البناء ، هذا المزيج الذي لا يضرع
 من الكبرياء والبساطة ، حيث أحب للقارئ أن يستشف فيه ، كما
 استطلعت ، إنسانيتها العميقة البالغة العمق : « إن لي أواصر بالعالم
 جميعاً . قال لي صديق قديم : « أنت تعيشين في دهر . »
 فليكن : ولكنني أمضي ساعات طويلة في ردة الاستقبال . »

هَدِيَّاتُ مَعَ سَيَمُونِ دُؤُورُ فَوَارِ

دار هلمان الحديشان ، في يومي ٩ و ١٠ نوفمبر الماضي (١٩٦٦)
في تلك الشقة التي تتخذ شكل الأتيليه والتي تشغلها سيمون دو بوفوار
منذ أكثر من عشر سنوات ، حيث تعقد اجتماعات اللجنة التوجيهية
لمجلة «العصور الحديثة» والتي عرفت ، حتى المعرفة ، بعض المكافحين
الجزائريين ، أثناء السنوات العصية . وكانت ، قبل ذلك بخمسة عشر
يوماً ، قد أفلتت من الموت ، وما تكذب : كانت تعود من إيطاليا
بالطريق البري . وكانت وحدها ، وكانت تقود سيارة أقوى من سيارتها
«الأرولد» القديمة (التي كنت وأنا أقودها أطيب نفساً حقاً بأن أفرغ
شوارع باريس ، في أيام بعضها من فبراير ومارس ١٩٦٠) ، وكان
الجو صحواً ، ولم تكن تشع بأي تعب . كانت تعلم ، لها اعتقد ،
ووجدت نفسها ، فجأةً وبفسوة ، تواجد عربة نقل «من الوزن الثقيل» ،
وهي تتطرق بأكثر من ٨٠ كيلومتراً في الساعة ، عند الخروج من منعطف
لم تنتبه إليه («منطقة الخرقان» المستطير الصب ، بالقرب من جواني) .
وقبل أن أدير آلة التسجيل لأول حديث من حديثي ، سألتها عما أتبع
لها الوقت أن تقول لنفسها ، في اللحظة التي كانت الكارثة فيها تبدو لها
معتومة .. وكانت لإجابتها بالضبط أن الكارثة لم تكن تبدو لها معتومة :
« فكثر مباشرة : ليس هناك سيارات أخرى على الطريق ، وهذا

سائق سيارة تقلير من الوزن الثقيل ، سوف يفعل شيئاً ... ذلك ،
 دائماً ، تفاؤلي ؟ ، والواقع أن السائق بالفعل خاطئ بأن ينحرف إلى حد
 كبير إلى اليسار ، بحيث لا يصطدم بها مواجهة بكل قوة .

وإذا تحبنا الضرورة الواضحة لأن نرد هذه الساحات الأربع من
 الحوار إلى أبعاد « قابلة للنشر » ، فإن نص " هذه الأحاديث لم تكتب يد
 التعديل إلا في أقل الحدود ، بالقدر الذي آثرت فيه أن أوفر على القارئ
 مثوبة بعض التردد ، والتكرار في الكلام " . - ولم تكن قد وصلنا بهذه
 الساحة المزعجة إلى حدها الأقصى ، على أي حال ، إذ اتفقا سلفاً على
 أن نتكلم بأكثر من الحرية ودون أن نشغل أنفسنا بمصير أحاديثنا
 في نهاية الأمر : ولعل المرء يحس ، كما أحس ، بالترابا التي ظهرت
 نتيجة لذلك .

٨

٥ - وفي مقابل ذلك « بدأ لي من القيد أن أشير إلى بعض التيمات الخاصة (التي تهدف إلى تأكيد فكرة
 أو على العكس إلى الولوج على بعد معين من هذه الكلمة أو تلك) كما ظهرت في تلك التيمات ،
 بوضوح ، عند سماع التسجيل : وعلى ذلك فقد كتبت هذه الكلمات ، أو أبرز استعارات ،
 مؤكدة أو بين قوسين .

الحديث الأول

- عندما كنت تتحدثين يوماً (إلى مادلين شابال) عن السن ، مثلاً ، التي كنت فيها ، الخمس الثاني ، قلت لها : لا أظن أن المرء يستطيع أن يحدد نفسه في مثل هذه السن . وأصفت إلى ذلك : أقصر أن كل شيء يتم ميكراً جداً ، ربما في العاشرة من العمر ، بل ربما في السنة الثانية من العمر . ولكنني ، بقدر ما زادت معرفتي بآثارك ، وبكل ما تقول لنا عن مفارقتك الشخصية ، جاءني الفكرة أنه ربما كان كل شيء قد ثبت بالنسبة لك بين الثالثة عشرة والثامنة عشرة على الأرجح .

من الواضح أن تلك الفكرة الأخرى ، أن كل شيء قد تم بالفعل في السنة الثانية من العمر ، وهذه الأهمية التي نعتد على التحولات الأولى ، ذلك فروبدي تماماً ، أليس كذلك ... ولكنني أسأل عما إذا لم يكن كل شيء قد تم ، بين الثالثة عشرة والثامنة عشرة ، على وجه الدقة ، على أساس ما كنت قد حصلت عليه من قبل في سنواتي الأولى ، في طفولتي الصغيرة جداً - إني كنت متوازلة جداً ، وسعيدة جداً جداً ، كان بالتأكيد هو الذي أعطاني الكثير من القوة لكي أعالج فيها بعد مشاكل المرافقة . وذلك ما لاحظته عند الكثيرات من الفتيات

اللاتي روين لي تقريباً طريقة حياتهن ، واللاتي مردن ، في ظروف
 متشابهة إلى حد ما ، بأزمات مماثلة : إلا أنني أرى أن هذه أو تلك ،
 مع أن لها مزايا متعادلة بمعنى من المعاني ، تخرجان من الأزمة على غير
 وجه ، بينما تبقى فتاة أخرى حبيسة أعصاب - وأن ذلك راجع بالتأكيد
 إلى الطريقة التي مرت بها الستان أو الثلاث السنوات الأولى من حياتهن .
 يجب أن تأخذ ذلك بمعنى دهابكتيكي : كل شيء قد تم ، وكل شيء
 يتم من جديد بعد ذلك باستمرار ... ولكنني أعتقد أن هناك بداية ،
 لا يمكن اقتناصها من جديد ، بمعنى من المعاني .

- نعم ...

• لا يمكن اقتناصها من جديد ، أي (كما يشرح ذلك سارتر على
 أي حال) : إذا برزت لك ساق ، فأمامك طرق كثيرة لأن تزد على
 ذلك ، ومع هذا ، فقد برزت الساق . وعلى نفس النحو ، إذا
 كانت حقولك قد مرت بشكل معين ، فأمامك طرق كثيرة فأنتلعبها
 بها ، سوف تصبح ربما لا شيء ، أو شيئاً كبيراً ، ولكن ذلك ، على
 أي حال ، مع هذه الخطوة بالذات من وراء الأمر كله .

- نعم ، واضح . ألا يمكن ، على الجملة ، أن يقول المرء بالأحرى
 أن كل شيء معطى ؟

• أريد أن أقول ، مع ذلك ، إن هناك شيئاً أكثر من «معطى» ..
 لا ، بالعكس . لن أقول أن كل شيء معطى ، إذ أعتقد أنه سيكون
 فيها بعد استئناف مستمر لوجود وعلات نفسها : في الرابعة يستأنف المرء
 ما كانه في السنة الثانية من عمره ... الخ . وأنا ما زلت أستاذ ، في
 عمري ، ما كنت . إذن فهو ليس معطى : لأن هناك بالرغم من كل
 شيء هذا الانتفاء الذي يتتابع ويستمر ، طول الحياة ... الواقع أن
 هناك نوعاً من «العب» هو الذي يتم .. نعم ذلك حقاً ما كنت أريد

أن أقول : هناك خطأ ، أو سوء حظ ، لن يتخلل عنك أبداً . وربما كنت تستطيع أن تسطر عليه ، لكنه سوف يلازمك لأنه كان لك في خلال الشهور الأولى من حياتك ، وفي كل الأحوال ، خلال العامين الأولين .

- اللعبة قد نمت ؟

« نعم ، بطريقة ما .

- ولكن ، في نهاية الأمر ، فما زال لك أن تلعب ، بالرغم من كل شيء ، والدواما الحقيقية تقع بعد ذلك ...

« أقصد أن أقول التي أشعر أنه يمكن للمرء ، دائماً ، أن يخسر ، بعد ذلك ، ولكن هناك حالات كانت فيها الطفولة بشكل معين بحيث لا يمكن للمرء أبداً أن يكسب خطأ .

- حاولت أن أقسر نفسي كيف استطعت أن نصلي إلى علاج مشاكل « الجنس الثاني » ، وكيف حصلت على هذا الجمهور المريض ، بعد أن عالجتها : كيف حدث أنك أنجرت هذه الموضوعات ، وأنت باعبارها كنت ثابتة القدمين إلى تلك الدرجة فيما يتعلق بالمرأة . وانتهيت إلى أن أعتقد أنك كنت تعلمين ، في الأساس ، نتيجة لطفولتك ، دائماً للحركة ، في حدود استثنائية . ويمكن القول تقريباً ، على الجملة ، أنك قد فهمت الوضع الأنثوي بنفس القدر الذي أفلتت من قبضته . وقد أفلتت من قبضته بطريقة غلطية . وأشعر أنه كان هناك ، نتيجة بالقبض لما تمت عليه اللعبة في البداية ، ما يشبه الحرية التي أعطيت لك وربما كنت لرى أوضح علامة عليها في نوع من التحديد لعلاقتك مع أبيك بعلاقتك مع أمك - وبالنيادل . ويبدو لي أنك على هذا النحو أفلتت من أشكال كلاسيكية معينة من العلاقات بالأبوين .

« لا أعرفي !... يبدو لي أن ذلك يقع فيها بعد ، هذا النوع من

التحديد لشاعب الوضع الأثوري . أعتقد أن طفولتي ، و مراعاتي ، كانتا من النوع الكلاسيكي تماماً ، مع التثبيت على الأم أولاً ، وأنا صغيرة جداً ، مع مركب أوديب وثبتت على الأب بعد ذلك ، بوضوح تام ، تصبغه غيرة كبيرة بالنسبة للأم ، ثم غيبة أمل كبيرة جداً في سن المراهقة ، عندما تركتني أساساً ، أبي . لم أكن أدرك ذلك عندئذ ، ولكن ذلك كان حقاً نوعاً من عذاب الحب ، نوعاً من الفراق حدث بيني وبين أبي ، والذي كان مؤلماً لي غاية الألم : هل هذه هي الطريقة الوحيدة التي أفسر بها لماذا كنت في مثل هذا الشقاء وأنا في الثامنة عشرة يوماً كان لدي ، بالرغم من كل شيء ، زملاء ، وعمل .

- نعم ، وأبت ذلك . ولكني مع هذا لم أر أنه كان كلاسيكياً حقاً . أقصد أنك عندما تتكلمين عن مركب أوديب ، أليس ذلك مريباً قليلاً ؟ ذلك أن هناك بالفعل في كل ما نكتسبن بهذا الصدد نوعاً من الهوى المشبوب لأبيك ، ولكنه هوى من طراز خاص جداً حيث لا يبدو فيه إطلاقاً ، فبا أعتقد ، المظهر الجسدي والمضطرب إلى حد ما ، من المشكلة .

- هذا صحيح . فبا يبدو لي ، لم يكن هذا المظهر موجوداً بالمرّة . كان حقاً حياً عقلياً ، بالفعل .

- نعم ...

- ولكن مع شيء من العاطفية ، بالرغم من ذلك ، مع فكرة أن أبي المسكين لا يهضمه أحد ، مع كل الرواية التي تنصف بها الفتيات الصغيرات عندما يبدأن في التفكير في أن أمهن ليست جديرة بأبهن . الخ ، مع نوع من الأسقاط تقريباً . كنت أقول لنفسني (ليس بنفس الأسقاط ، بالتأكيد) إنني كنت ، أنا ، المرأة المثالية لهذا الرجل ، ولكن الزوج الذي سافقون به ، في نهاية الأمر ، كنت أرهبه

شيئاً بأبي . وكان ذلك من ناحية أخرى موضوع خلاقات مع أبي طول الوقت ، كانت تقول لي : « آه .. لا ، لا يجب أن يشبه بابا ! أريد لك ، أنا ، رجلاً رياضياً ، وسياً .. الخ .. وأنا : « لا ، ضروري عندي أن يكون رجلاً ذكياً .. ولكن لم يكن هناك ، هذا صحيح ، ولم يكن قد وجد قط ، بقدر ما أعرف ، شيء جسيماً في ذلك كله : كان أبي بعيداً جداً عنا ، لم يكن يشغل نفسه إطلاقاً بتربيتنا بالمعنى الدقيق للكلمة ، كان يشغل نفسه بملعبنا ، ولكن ليس بالبابي ، إطلاقاً . لا علاقة له بالناحية الأخلاقية ، ولا الجنسية ، ولا .. الإنسانية ، تقريباً ! كان ذلك كله من ناحية أبي . وهذا صحيح ، لست أذكر أنني جلست مرة واحدة على ركبتي أبي : ربما كنت أقبله ، بطريقة عابرة ، على التلح ، لكن ذلك لم يتخذ أبداً شكلاً عائقاً ، لا ، صحيح ، أبداً .

— بحيث أتساءل عما إذا لم يكن العذاب الغرامي الذي كنت تتكلمين عنه مجرد خيبة أمل من أنك كنت تصورين نفسك معروفاً بك ، ثم أدركت أن ذلك لم يكن صحيحاً ؟

« بل كان أدق من ذلك . في الثامنة عشرة ، نعم ، كان ذلك حقاً أنني لم أكن معروفاً بي . ولكن في الخامسة عشرة ، كان ذلك لأن أبي كان يراني قبيحة ، وكان عندي شور قهلاً وجهي ، وكان يتم أكثر بأخوتي ، وكان يدفعها عندئذ إلى التمثيل ، وأن الاهتمام الذي كان حتى ذلك الحين موجهاً إليّ ، صار موجهاً إلى أخي ، ولم أكن أجده بعد ذلك عند أبي إلا نوعاً من عدم الاهتمام بي ، والجفاف ..

— ولكن ، لم يكن ما يضايقك ، في هذه اللحظة ، هو في الحقيقة أنك رُددت إلى عرضيتك الجسدية ؟ أتمنى ... أريد أن أقول : كنت تفضلين أن تبقى علاقتك به علاقة العقل بالعقل ؟

« نعم ، وبما .. ربما كنت أفضل ألا يكون لي جسم ، بل هذا مؤكد ، إذا كان يخرجني جسدي في تلك الفترة . ولكن كان هناك بالرغم من كل شيء غيبة أمل من طراز عاطفي بالمعنى الدقيق . بعد ذلك ، أصبحت حقاً غيبة أمل من الناحية العقلية . في الثامنة عشرة ، كانت فكرة الظلم . ماذا ؟ يجعلني أدرس ، ثم لا يكون قادراً على أن يرضى حقاً عن دراستي - ولا - بالضبط - على أن يعترف بي . هنا ، نعم ، كانت هناك فكرة الاعتراف . في التاسعة عشرة كان الأمر مباشراً أكثر ، وهنا أيضاً لم أكن أعبر عن الأمر بهذه الطريقة . بالتأكيد .. ولكن بالتقريب : بابا لم يعد يحبني ! كان ما العنصر هو نوع من التبادل ، من الألفة الحميمة ، من الأيثار ، كان يجعلني أحس نفسي تقريباً ، مع أبي ، كأننا زوجان عندما كنت في الحادية عشرة ؛ عندما كان يأخذني إلى المسرح ، عندما كنا وحدنا نحن الاثنين ، عندما كان يجعلني أقرأ كتاباً .. إلى آخره . ذلك ، كان ذلك قد ضاع .

ولكن ، لكي نعود إلى ما كنت تسأل عنه ، أعتقد أن ما حيدت ، حقاً ، سام أنني امرأة . هو الحياة العقلية ، والدراسة في السوربون ، والزملاء الذين التقيت بهم ، نوع الزمالة التي التقيت بها - وعلى الأخص سارتر . بالتأكيد - ولكن فوق كل شيء أنه لا سارتر ولا الآخرون أعطوني أبداً الانطباع بأن هناك تفوقاً أبياً كان ، في أن يكون المسوء رجلاً . ولذلك دعشت كل الدهشة ، عندما كتبت « الجنس الثاني » لأن اكتشف أن في أصاق كثيرين من الرجال ، شعوراً بالتفوق بازاء النساء . كنت حتى ذلك الحين ، أعتقد حقاً أن كل الناس كانوا مثل زملائي ، وأن كان يكفي لذلك قليل من الذكاء والثقافة ... وذلك ، نعم ، ذلك ساعدني كثيراً . أذكر أنني رددت على « كولين أودري » (لا أعرف ما إذا كنت قد كتبت لها ، ولكنها هي التي ذكرتني) وكانت تصال . عندما كنا نحن الاثنين مبدوسين في روان ، صافنا

تجعل لكي يعترف بها الرجال نداء لهم : « يجب أن تكوني نداء لهم ،
ليس في هذا مشكلة ! » وهكذا : بالنسبة لي كان الأمر مسلماً به ،
كان ينبغي أن تكون المرأة في مثل ذكائهم ، هذا كل شيء ...

- اسمحي لي أن أعود مرة أخرى إلى مسألة الأب والأم : لقد
سار كل شيء على غير وجهه ، مع ذلك ، كما لو أنك وضعت في
معارضة التعلق بالأب ، السحر الجسدي للأم ، ثم وضعت في معارضة
هذا الأخير ، بالعكس ، السحر العقلي للأب .

آه ، تريد أن تقول إنني لم أترك نفسي ينتهني أحدهما لأنني
دائماً وضعت بين الاثنين نوعاً من التوازن ؟ ولكن أليس في ذلك
أيضاً - لا أعرف حقاً ، ويجب أن نرى ذلك - شيء سوى ، شيء
كلاسيكي ؟

- نعم إلا أن الظاهرة ، بعد تعريفها بالشكل الكلاسيكي ، تظهر لي
أكثر استيهاماً - بل أفضل أن أقول أكثر مدعاةً للتخطيط والعوض -
في كل من الاتجاهين .

هذا ممكن ... لقد اتفق بالفعل ، على نحو ما ، أن الأعمال
توزعت بينها تماماً : كانت هي تمثل الناحية العرضية - في نفس الوقت
التي تمثل فيه البعد الأخلاقي والديني على كل حال ، وكان هو يمثل
الجانب العقلي والافتتاح على العالم . نعم ، هنا يؤكد : كانت أولاً
هي التي يُعتمد بها ، وعندما أخذ يُعتمد به ، بدوره ، كانت ما تزال
يعتمد بها بالنسبة لي ، ولكن واضح أن موقفها بازائها أصبح أكثر معاداة
بحيث أنني انتهيت بأن وجدت نفسي ، على الجملة ، مقطوعة الصلة
بأحدهما وبالأخر ، وأنها كليهما ، اعتصبا ضدي . ذلك أن ما حدث
بالفعل ، هو أنها كانتا متضاهيتين جداً عندما كنت صغيرة ، ولكنهما
كانا مختلفتين فيما يتعلق بالدور الذي كان يشغله كل منهما بازائي .

وبالعكس ، فيها بعد ، كانتا معاً متعارضتين لي ، بطريقة واحدة .

— وما زال الرء يستطيع أن يتساءل ما إذا لم تكني قد فرضت أنت نفسك ، عليهما ، مبكراً جداً ، هذا الدور الذي كان لكل منهما بلزائلك : ما إذا لم تكني أنت نفسك قد انقضت : في أحدهما أو في الآخر ، ما كنت بحاجة إليه .. أنت ترين ، سوف أذهب حتى إلى حد أن أقول — وهو ما سيبدو لك بلا شك أن فيه شيئاً من السخرية — أنك دبرت أمرك على نحو رائع ، لتعذيب الاضرار ! لأنك في النهاية لم تكني تستطيعين بالرغم من كل شيء أن تتخلصي من والديك ، كما تخلصت من الله مثلاً ...

• نعم ...

— لم يكن ذلك بهذه البساطة ، كانت مشكلة أكبر تحسباً وتحدأً :
وإذاً فقد دبرت أمرك بأن تجعليهما يُجبد أحدهما الآخر !

• نعم ، هذا ممكن ... ولكني ، هنا ، لا أستطيع بالفعل أن أعرف ذلك أكثر منك . إلا إذا لم يكن ذلك عن طريق تأمل غير مباشر قليلاً ، على الجملة ، لأنه من الواضح أن ذلك لم يكن يتساق مع أي قصد مصوغ عن وعي في تلك الفترة ، ومن ثم لا أستطيع أن أجد شيئاً من ذلك من قبيل التذكرات ، من الممكن ، على كل حال ، أن أحدهما جسد الآخر .. ومن المؤكد حقاً أنه في الحقيقة التي فقدت فيها الأيمان ، مثلاً ، مما جعلني في وضع مؤلم جداً بالنسبة لامي — كانت عندي لجة ، ملجأ ، من جانب أمي ، لأنني كنت أقول لنفسي : إنه ، هو ، غير مؤمن . وإذاً ، فمن غير أن أجوز على الكلام في ذلك ، كان عندي ، عقلياً ، تعيد لزوم من جانب أمي ، نتيجة للمواقفة من جانب أبي . وفي الاتجاه العكسي ، بالمثل (قلت ذلك في موضع آخر ولكن بطريقة أوضح) ، استغللت أحياناً اللجوء إلى أمي ،

عندما كنت صغيرة ، ضد نوع من الاستهجان من جانب أبي الذي كان يفضل ، كما هو واضح ، أن أكون منذ البدء أكثر ذكاء ، أكثر "عقلية" والذي كان يضافه أن يراني أقرأ كتاباً غيباً قليلاً ، كتب أطفال . في تلك المحطات ، كنت أقول نفسي : « ولكن لا .. ما دامت ماما تعطيني هذه الكتب ، فذلك أنها ليست كتاباً غيباً ! » مما كان يسمح لي أن أظل طفلية ، وأسمح انفسى بالمحادثات ، بينما كان أبي ينتهي من ذلك . نعم ، بالفعل ، كنت أستمع السلطة من أبي لكي أكون ذكية ، ومن أمي لكي أظل طفلة : إذا كان هذا الذي تريد أن تقول ، فهناك في ذلك شيء ما ، كما هو واضح ، مما ساعدني .

— أسألك ما إذا لم يكن ذلك كله ، وغير ذلك من أشياء حدودها لها بعد (علاقاتك بشارتر مثلاً) هي التي أتاحت لك أن تعرفي ما أسميه «الفرق الصغير» بين الحسنين ...

« نعم ...

— دون أن تري فيه أي دورية ، أي نقص عند أحدهما بالنسبة للآخر ، ما إذا لم يكن ذلك كله هو الذي أتاح لك أن تتردي التبادل بينهما دون أن تطالبي بينهما أيضاً بتوحيد صلاصم دقيق ... بمساواة هي تعادل" ونكافؤ" مطلق ... إذ يبدو لي أنك كنت في وضع يتيح لك تناول هذه المشكلة في يسر من نوع خاص .

« تقصد : لكي أتكلم عنها ، أو لكي أحيها ؟

« لكي تتكلمي عنها .

« آه ! نعم ، لكي أتكلم عنها ، كنت في وضع ميسر جداً ، لأنها ، من الواضح ، لم تمسني شخصياً . أعتمد أنني أحست نفسي

حقاً ، في وضع من عدم الاختيار الكبير . وأظن على أي حال أن من
 الأتقياء التي ساعدتني كثيراً جداً على تحييد مشكلة الانثوية - ولا أعرف
 ما إذا كنت قد أكتدت ذلك بما فيه الكفاية - طقولي الدينية جداً ،
 وورع ديني داخل قوي جداً جداً . ذلك بالتأكيد لعب دوره معي
 كثيراً حتى الثانية أو الثالثة عشرة من عمري ، بحيث أنني حقاً كنت
 أفكر في تقصي دائماً كائناتي روح . وفي مستوى الأرواح - بل كان
 ذلك هو الجانب الطيب الوحيد من تربيتي الدينية - فإن هذا النوع من
 المشاغل غير موضوعة أخلاقاً : كان الله يعني بنفس القدر كما لو كنت
 رجلاً ، لم يكن هناك فرق بين القديسين والقديسات ، كان ذلك ميداناً
 لا مجال فيه للجنس بالمرء . وعلى ذلك النحو ، وقبل أي تدخل لمواضيع
 المساواة من النوع العقلي ، كان قد أعطى لي نوع من المساواة الخلقية ،
 الروحية . باعتباري كائناتاً إنسانياً - وذلك نتيجة للأهمية التي كانت عليها
 هذه الرؤية الدينية بالنسبة لي ، بالرغم من كل شيء . ذلك كان قد
 اعتد به كثيراً ، فيما أظن .

- نعم ، ولكن ما يسترعي نظري أثيراً في علاقتك بالله أنك كنت
 تجعلينه يقول بالضبط ما كنت تشتهين أن يقوله لك ؟

نعم . هذا مؤكد تماماً . ومبكراً جداً ، مبكراً جداً حقاً . أما
 عن الباقي فقد كان سهلاً على العناية أن أتكلم عنه . ومع ذلك فسان
 الفرق ، عندما بدأت أفكر فيه ، ظهر لي كبيراً جداً : ألا أنه لم يظهر
 لي بالمرء كائنات معطى ، بل كائنات واقعة نفسانية كان يمكن من ثم أن
 تظهر تحت أشكال أخرى وكان يمكن على كل حال رفضها . ونحوها .
 والعلاوة .

- أنت تسلمين مع ذلك ، فيما يبدو لي ، على الأمل في القدرة
 واحدة ، أن هناك فرقاً واقعياً ، فرقاً عرسياً ، لا ينظر إلى أن يكون

مدعاة للاهتمام من ناحية ما يترتب عليه من نتيجة .

• نعم ، أعتقد أن هناك فرقاً هاماً ، في الحقيقة التي نحن فيها ، في حضارتنا نحن . ولكن فكرة أن هناك تكويناً نفسياً للمرأة ، لا يعني شيئاً على الإطلاق خطأ . ما دعا لا يؤمن بعلم النفس ، ولا أعتقد أنه حتى تكوينها الجسماني يمكن اعتباره على حدة حيث أنه يدرك ثقافياً ، ويصبح فكراً ، واسطورة . في نفس الوقت الذي يتعاض فيه ، وبمازس ، إلى جديراً من أنصار اللعب السائي ، بمعنى أنني أعتقد جديراً هذا الفرق باعتباره معطى له أهمية في ذاته ... من المؤكد أن هناك معطى : هذا صحيح ، الجنس عند الرجل ليس هو الجنس عند المرأة ، المرأة هي التي تحمل الأطفال ، وهكذا ... : ولكن يمكن أن يتوحد هذا الفرق ، في رأيي ، من جديد ، في سياقات تلقية كل الأعداء بل تجعل منه . كما يحدث في بعض الحضارات (وعلى مستوى معين فقط) ، نوعاً من التفوق بمعنى عكسي . وإذاً فلا أعتقد ، إذا شئت ، لا أعتقد إطلاقاً فيما يمكن أن يسمى « برسالة المرأة » أو « عمل المرأة » أو أي شيء من هذا القبيل .

— هذا ما أراه بوضوح ، ولكنك متشكك ، ربما — ويبدو لي ، على كل حال ، أنني لاحظتك متشكك بذلك — أن على الرجل أن يصنع نفسه بالنسبة إلى نوع من الرجولة الأولية ، وأن المرأة عليها أن تصنع نفسها بالنسبة إلى نوع من الأنثوية الأولية .

• هذا صحيح تماماً ، ولكن على شرط أن نفهم كلمة أولية بمعنى ما يعطى لها مباشرة في تربيتها ، منذ أن يبدأ في أن يفتحها عنها على عالم لا يكون فيه للأب ولا الأم نفس الدور ، وحيث لا تتخذ النساء نفس مسلك الرجال — أي ، باختصار ، عالم الرجل الذي سوف يتأكد هيكله في نظرها بعد ذلك ، باستمرار ، نتيجة للتعليم الذي سوف يتلقاها على

لنحو صريح ، في هذا الصدد ، ونتيجة "لتجارب التي سوف يجران بها في هذا العالم . بحيث ان هناك ، منذ البداية ، وضعاً معقراً : بل ان هذا هو الذي اكتشفته وهو الذي جعلني أكتب "الجنس الثاني" لأنني أدركت ، إذ تعمقت المسألة ، أن ذلك لم يكن صحيحاً ، أن طفولتي لم تكن طفولة ولد ، لم أوضع موضع الولد ، لم أقرأ نفس الكتب ، لم أقرأ بنفس الأساطير ، وهكذا . ولكن ذلك يتعلق ، عندي ، بالعالم كما هو معطى . إلى حد الذي (يجب أن) نسقط كل الأشجار في الغابة ، كما كان يقول (ستيفال) لا أجد امكانية لأن تروى بنت - أو ولد على كل حال - بحيث يُلغى عندهما الوعي بهذا الفرق ، طالما لم يتغير هذا العالم تغيراً جذرياً . وهو ما يضع أمامنا بالتأكيد مشكلات غريبة !

- نعم ، هناك الوعي الثقافي والتاريخي والاجتماعي ، بالفرق . أليس هناك ، من جانب آخر ، في أمام ذلك ، نوع من الفرق لا يسهل تحديده ، وغير قابل للتحديد نفسياً على كل حال ، بالطبع ، ولكنه فرق يجب أن يضع كل منهما نفسه بالنسبة إليه ؟ لربيد أن أقول مثلاً : المرأة يتغلغل فيها من قبل الرجل ، بينما الرجل يتغلغل في المرأة . نعم ولكن المرأة لا تعلم ذلك إلا فيما بعد ، بكثير ...

- هذا صحيح !

- يبدأ المرأة في التعبير عن ذلك قبل أن يعرفه بكثير !

- موافق تماماً .

- الواقع أن القرويلديين أساساً ، هنا ، هم الذين يمكن أن يهاجموني إذ أنهم يستلمون ان "مركب الإخصاء معطى مباشرة" . وهذا ما أنا ضده على خط مستقيم : أعدت قراءة آخر كتب علم النفس القرويلدي عن

المرأة (١٩٦٤) وهي في الغالب لا يعوزها الذكاء ، ولكنها تقوم كلها على هذا النوع من المعرفة اللاواعية ، عند البت الصغيرة ، أنه ليس لها غضيب وأنه كان يجب أن يكون لها ، وأما أعتقد أن ذلك من قبل الأساطير البحتة التي اخترعها الرجال وفرويد بالأخص ، على كسل حال ، وهو يعترف بنفسه أنه لم يفهم شيئاً عن النساء : صحيح أنه اكتشف ، على كثير من المستويات ، الاكتشافات غارقة اعجب بها أعجاباً كبيراً ، ولكنني أعتبره لا شيء إطلاقاً - في المستوى الأنثوي ، هو وكل الفرويديين والفرويديات ممن تبعوه ، لا ، حقاً ، هذا ما لا أصدقه بالمرّة ، بالمرّة ، بالمرّة^١ . ثم أن هناك بعد ذلك ظاهرة التخلل ، هناك أقف أكثر إلى جانب « آدلر » : ذلك لأن هناك ، من قبل ، أساطير الرجل باعتبارها متفوقاً ، والمرأة باعتبارها أدنى ، لذلك تبدو فكرة

١ - في أثناء مرحلة أخرى من أبحاثنا ، عرضت للناسه ليهون دو بروفار لأن تصوغ في هذا الصدد عدة ملاحظات تكيفية ، آثرت سميتها على القارئ أن أورد ما هنا :

- أنني عند فكرة الدور في الفرويدية فيما يتعلق بمشكلة « الانحدار » ندعاً تاماً ، لا أنفي امرأة ، بالمرّة ، وأني أرفض الاعتراض بالعمود الشخص الذي يفترض أنني أعستبه ، ولكن باعتبار النساء الأخرى ، وأن فرويد نفسه هو أصل التخلل النفسي . كما أن الفاركتية ، رغم كل شيء ، هي فعل ماركس ، فعل جاستر بأنه موزع في فترة معينة ، مع ذلك - بل أن هناك عند فرويد ، وعند ماركس ، صفات ، ومنهجاً عالمي الأثر والنتائج - إلا أن الفرويدية تبني في ذلك كله نسيج شخص معين في بيئة معينة ، بيئة وجودية عاقلة جداً جداً ، ورجعية بشكل غريب في المستوى العالمي (لم يسمح فرويد نفسه لأمر أنه أن تمارس رياضة التنزلات بأن تكشف عن كمال ساقها) . بحيث لا يمكن معارضة الفالسية عسدي بالتوضعية عند فرويد ، إذ أنه كان ذاتياً يقتدر ما كنت . وأني بعمل أن تكون هناك يوماً ما امرأة تدعى من ناحية التخلل النفسي للمرأة ، لا في الخط الفرويدي كما أطلق جسيماً حتى الآن ، بطبيعة ، لأن ذلك لن يؤدي (كما أوضحت ، بيني وبينك) كل الإيضاح في كتابها « المرأة العظيمة » (إلا إلى تعميق التخلل الأنثوي ، إذ يفهم أنهن لن يستطعن التخلص من مأزقهن إلا بأن يكون لهن ولد يكون له الغضيب - أي يعجز عن من جدي في موقفه القوي من الشكوى .

التفعل كأنها شيء "مدل" المرأة ، وفكرة الرجولة المتغلطة ، بالعكس ، كأنها تفوق من الرجل .

- نعم ، ولكن إذا قلنا الجانب المدل ، أو جانب الرجولة ...

نعم ؟

- ألا يبقى بعد ذلك أن ...

آه !.. هناك بالتأكيد طرق مختلفة لأن عيا المرأة الفعل الجعسي ، لأن عيا الله : وهنا ، إذن ، توضع كل مشكلة ذروة الله ، على الأخص . وهنا أعتقد بالفعل أنه حتى إذا سلم المرء - ويبدو لي أننا منذ الآن وصلنا حقاً إلى الثبات ذلك - بأن هناك عدداً كبيراً جداً من النساء يصلن إلى ذروة الله كاملة "كأنها" عند الرجل ، فيبقى بعد ذلك أنها ليست هي نفسها عند المرأة وعند الرجل ، وأنها ليست نفس الناطق الشبية عنده وعندنا ، وهكذا . نعم ، من المؤكد تماماً أن الشبية لا تسم بنفس الخصائص عند الرجل وعند المرأة . فإذا سلمنا بذلك ، فهل يكون فيه كل هذا الفرق ؟ ألا يمكن أن نجد بين رجلين أو بين امرأتين فروقاً في ظلال الشبية تبلغ تقريباً درجة الفروق التي نلاحظها بين الجعسين ؟ أيسأل ما إذا كانت الشقة الحقيقية تقع حقاً بين جعسين لكل منهما شقيقته ، أو أننا ، بالأحرى ، بصدده ظاهرة من طرائق فردية قبل كل شيء - يلعب فيها كون المرء رجلاً أو امرأة دوراً ، فيها هو واضح ، ولكن دون أن يكفي ذلك لتأسيس فرق حقيقي فيما يتعلق بالطريقة التي يضع بها المرء نفسه في العالم .

- ولكن ، ألا نعتقد أنه - إذا أمكنني أن ألجّ على هذه النقطة ...

بالتأكيد ! إذا كان هذا يهيك ، أنا أيضاً ، وعمل الأخص لأن أحداً لم يتكلم عن ذلك قط .

- ألا تعتقد أن الرجل ، إذ يضع نفسه بهذه الطريقة - أو المرأة - عليه مع ذلك أن يطلب على شيء ما قد أعطى له ، وليس معطى بنفس الطريقة لأحدهما وللآخر ؟ الرجل مثلاً ، يستطيع أن يتصرف مثل امرأة ، في اللغة . بل أنني لا أجد في ذلك علامة على فقدان الرجولة ، ولكنه على الأقل يتصرف عندئذ باعتباره رجلاً يتصرف مثل امرأة . أترين ما أحاول أن أقول ؟

• طيب ، سأخذ المسألة من الاتجاه العكسي : إذا سلم المرء بأن امرأة - وهناك منهن الكثيرات ! - تصل إلى ذروة الثقة بسهولة ، وكاملة ، وأنها يمكن أن تكون متشعبة كالرجل بعد العمل الجنسي ، وسامانة مثله (وأنها هي ، أيضاً ، التي سوف تشعل السجارة ...) وإذا لاحظ المرء أن النساء في أمانا يعترفن لأنفسهن أكثر وأكثر برغباتهن ، ويشكلن فيما بينهن عن الرجال (أشرف الكثيرات جداً من البنات في سن ١٧ أو ١٨ وصلن إلى تلك النقطة) ، وإذا لاحظ المرء أخيراً أنهم يتخلل أكثر فأكثر زمام المبادرة ، سواء في الشاء العلاقة أو في أنهايا ، عندئذ فإن طيل الفرق الذي يمكن أن يكون بين رجل وامرأة عندما يجتمعان ، هذا الطل لا اعتقد أنه شيء مهم حقاً ! وليس على كل حال شيئاً يمكن أن يبرر مواقف متغايرة بآراء الحياة . هذا ما أذكر به ، حقاً ، وأكثر فأكثر !

- هذا واضح إلى حد ملحوظ ، وأشكرك عليه .

لها يتعلق الآن بصورك والملعب النسائي ، هناك شيء ، أيضاً ، مما يستحق جداً : إن مسألة نظرتك ظاهرة إلى حد كاف ، ولكن يبدو من جانب آخر أن نوعاً من « الضبابية » يحتم عليها ، ومن هنا تأخذ بعض نصيرات النسائية ، ومن يدعي أنهن يشعرك ، على عاتقهن أن

بعض هذه النظرة من جديد . الا يتفق لك أبداً أن تدعش لما صُنِعَ
من آرائك ؟

« بالتأكيد ، ولكن هنا ... لقد صُنِعت من آرائي أشياء كثيرة !
لا أعرف بالضبط ما تفكر فيه ، ولكن من المؤكد أن هناك كثيراً من
التفسيرات الخاطئة للعبي النسائي . والتفسيرات الخاطئة في نظري هي
وحدتها التفسيرات التي لا تتفق النسائية جلياً : لن نخونني أحد أبداً
إذا كان يندبني نحو ... النسائية المطلقة ، إذا شئت . وبالعكس ، إذا
حاول أحد أن يلجأ إليّ لكي ينسب إليّ ... نجد مثلاً بالضبط ، أن
هناك «نوعية أنثوية» من شأنها أن المرأة (مهما كانت الثقافة ، والحضارة
والترية ، والمياكل الاجتماعية والاقتصادية في العالم) لا تستطيع أبداً أن
تكون شبيهة الرجل ، عندئذٍ ...

— نعم ، أفهم . ولكن هناك مع ذلك طرق متعددة لأن يحيا المرء
وفقاً للمذهب النسائي الجنري . وهنا أسألك ما إذا كانت دائماً موافقة
على الطريقة التي تحيا بها بعض نصيرات النسائية ، وهن بالفعل «جلبريات»
في مذهبهن .

« ذلك يتوقف على كل حالة ، على حدة ... لا أعرف ذلك حق
المعرفة اليوم . إذ أشعر أن هناك نكوصاً كبيراً منذ أن ظهر «الجنس
الثاني» . انظر مثلاً حالة جيف جيناري : كتبت عني كتاباً ، في
البداية ، كان حقاً متعاطفاً مع مواقف ، ولكن ها هي ذي قد نشرت
أخيراً كتاباً آخر «ملف عن النساء» ترفع فيه إلى السحاب «مبنى
جرينوار» وحكايتها عن «المهن النسائية» ، وتشرح أن النسائية الآن قد
«راحت موضتها» ... أما أنا فلا أعتقد بالمرّة أنها راحت موضتها ،
وعندما تقول إنه يجب «إزالة التعميمات عن النسائية» فلا شك أنها تريد
أن تقول إنه يجب إعادة التعمية على المرأة تبعاً لأسلوب فضحته وأداته

بيني فريدمان على أحسن وجه . اني لرى لساء يمكن أن تقول عنهن
 إنهن أكثريات (إذ أنهن يتزوجن ولهن أطفال) بعض بطريقة أولئك عليها
 تماماً : لهن مهنة وعمل ، ويقمن مع أزواجهن - أكثر فأكثر حياء -
 علاقات قائمة على المساواة ، أو على التفوق أحياناً . ومن الخطأ أن
 تفكر أنه لكي تكون المرأة من نصيرات النسائية فلا يجب أن تنجب
 أطفالاً .. ذلك بعيد جداً عن الحقيقة !

أما ما هناك ، فهو أنه لا يجب أن تنسقط في هوة مذهب نسائي
 مجرد ، بالتكابر وجود الأنثوية مثلاً بحجة أنها ليست طبيعة بل والصفة
 ثقافية : هناك أكون ضد هذه الفكرة ! والادعاء بأنه لم يعد اليوم
 فروق بين الرجال والنساء بلقد ما نتاج علم اليوم فرض مساواة ونفس
 الحرية ، ذلك ادعاء غيبي ككل الغباء . فلا شك أنه ما زال هناك ، حتى
 في الوضع الراهن للنساء اللاتي أثرت إليهن منذ قليل ، كثير من المواقف
 والمظاهر ، بل والظواهر الجنسية الخاصة بكل نوع على حدة . أما أنا
 فأسلم على نحو مطلق بأن النساء مختلفن اختلافاً حقيقياً عن الرجال . أما
 ما لم أسلم به فإن المرأة مختلفة عن الرجل . الواقعة المتعددة اليوم هو
 أنه بين الرجال والنساء مجموعة من الفروق لا يمكن أن ننكرها إلا باختلاف
 مذهب نسائي زائف - مبني على تحريد كاذب . ذلك في نفس سطح
 أن تقول لرجل عجوز : أنت شاب ! إذ أنه عجوز . بالتأكيد . لعله
 عجوز يفيض بالحياة ، ولكنه ليس شاباً ! .. لا أذكر بعد من الذي
 كان يقول لشارلر يوماً : « أوه .. عندما يكون العمه ذكاً وذكاءك وبديهيته
 فإنه لا يكون بورجوازيّاً صغيراً ! » .. بل .. ولكنه فقط بورجوازيّاً
 صغير لديه ذكاء وبديهة ، وأنا امرأة متقدمة في العمر ، أقدم في
 العمر ، وتحفظ بشيء من النشاط والقوران ، ولكني لم أعد امرأة في
 شبابها . وينفس الطريقة ، لو أن أحداً أخذ يقول لي : « أوه ...
 أنت ، أنت لست امرأة ، أنت رجل » فذلك خطأ ، لأنني بالفعل

امرأة وأحس نفسي تماماً كامرأة : لي علاقات مع لأمير بروني امرأة ،
وذلك يطمئن ، ما دمت أنا امرأة بالنسبة لهم ، أنني كذلك في علاقتي
بهم ، وبالتالي في نظري أنا ... من الواضح تماماً أنني أحس نفسي
امرأة ، وذلك أيضاً مؤكداً تماماً !

- نعم ، ولكن إذا كان المذهب السامي يهدف إلى أن يكون
متحدواً ، عسماً ، فلا شك أنه يجب أيضاً أن يتخذ شكل كفاح ؟
هو طريقة للحياة فردياً ، وطريقة للكفاح جماعياً .

- ولكن أنت تضعين تفرقة بين المستويين ؟
أعتقد أنه يحدث أنه لا تتاح امكانيات الكفاح الجماعي !
- نعم ، ولكنني أريد أن أقول ...

• من الممكن أن هناك نساء يعشن حياتهن كأثني رجال ، وذلك إذا
لردن ذلك حقاً ، ولكن لا تتاح لهن الوسائل الكفاح من أجل المذهب
السامي . وعكسياً من الممكن أن هناك نساء يكافحن جماعياً من أجل
حل هذه المشكلة النسائية أو تلك ، مع أنهن يوزحن تحت عبء
ثقل ، في مستوى حياتهن الشخصية ، نتيجة لأنهن نساء ، أو لأنهن
ربما يتصرفن في هذه الحياة بطريقة «أثوية» جداً ...

- أريد أن أقول : ألا يبدو لك أن هناك أحياناً نوعاً من الخلط
بنشأ بين المستوى الشخصي - مستوى الحياة المحددة المتجسمة - وبين
مستوى الكفاح ، بمعنى أن بعض النساء يتصرفن بإزاء الرجل الذي يعشن
معه ، كأثني «مخصوص له» ؟

• آه ، نعم !... لقد تكلمت عن ذلك أيضاً ، قليلاً : أنني
أستبشع ذلك ! أراه سحيقاً ذلك الموقف من «التحدثي» (وهو ليس

كفاحاً حقيقياً حتى ، لأن كل كفاح يفترض وجود ما يُخاطر به) :
 فإذا كانت تعتبر الرجل عدواً ، فالأحرى أن تتخلى عن الحياة المشتركة
 معه ! نعم ، أرى ما تريد أن تقول : هذه الحاجة المتصلة لأن توجد
 ذاتها باعتبارها هذا أو ذاك صفة . وذلك أشبه شيء جداً ، بالمرأة
 الأمريكية ، وهو شيء يعيق إلى أقصى حد . وهو في النهاية بالضبط
 عكس الملعب النسائي الحق : وطريقة في الانحياز للمرأة وضعها بأصالة .
 وأعتقد أنه كلما قلّ توفيق المرأة في أن تحقق ذاتها (باعتبارها عاملة ،
 كائناً انسانياً .. وهكذا) زاد تعرضها لأن تقع في موقف
 من هذا القبيل : « أنا التي عندي حق ، أنا الأكثر ذكاء . أنا أرفض
 هذا أو ذلك لأنه يحسني في وضعي كمرأة ... » وهكذا .

- نعم . ولكن هذه المرحلة الراحنة ، التي هي بوضوح مرحلة
 انتقالية عسيرة ، أنت لا تتعلمين منها مع ذلك ظاهرة أمريكية بالذات ؟
 يبدو لي أن ...

« ... أن هناك أيضاً ، عند المرأة الفرنسية ، مثل هذا الموقف ؟
 لم ألتق به كثيراً ... ربما لم يكن ذلك إلا من قبل الصدمة ، ولكني
 أعرف أساساً نساء تكتوصيات يحاولن أن يعشن الوضع الأنثوي
 « بأنثوية » .

- وبين اللاتي يكتبن إليك ، بالمثّل ؟
 « حتى بين اللاتي يكتبن لي » ، نعم ، وبين اللاتي أهدت معهن ،
 يقطن لي ، على الجملة : « نحن موافقات بالتأكيد ، ولكن مع ذلك ... »
 أما عن الباقي ، فلا . بل أرى ، بين الأزواج الذين أعرفهم ، جهوداً
 لتعاون ، وللمساعدة بعضهم البعض - ربما كان ذلك مع مشاجرات

ومنازعات أحياناً ، ولكنها عندئذ منازعات حقيقية ، ليس الغرض منها أن يثبت أحدهما لنفسه بلاء الآخر نفوقاً ما . ولا يمنع ذلك أن هناك بالتأكيد ، هنا أيضاً ، نساء من موقف التحدي هذا . وعن علي كل حال اللاتي يعتبرن ، بالأجمال ، أن سريري الذاتية تكذب كتابي « الجنس الثاني » : ولكني قلت إن المرأة يجب أن تكون حرة ، مستقلة .. وهكذا ، ولكني لم أقل قط إن ذلك يتلخص في ألا تحب أحداً ! فالرجال ، بعد كل شيء ، في إمكانهم أن يعوا ، وأن يعيشوا في الزوجية ! أكان ينبغي لي ، لكي أحافظ على حقوقي بلاء سارتر ، أن أحوّل اثبات أنني أيضاً كنت أستطيع كتابة « نقد العقل الديالكتيكي » ؟ لم يكن ذلك هو الذي أردت أن أفعله مثل صغري ، وليس ذلك هو ما أنا قادرة على فعله ، لكن ذلك لم يعني قط من أن أحس نفسي مستقلة ذاتياً كل الاستقلال ، عقلياً أو باعتباري كاتبة . ليس هناك ما يضيق به المرء عندما يعرف للآخر تفوق عدد بدقة ، على بعض المستويات المحددة بدقة : لو كان زوجي مشتغلاً بالرياضيات ، فلن أحس نفسي قد أذلت إذ أجده أفضل مني في الرياضيات ، وسأسير عن طيب خاطر ، في أثره كلما تعلق الأمر بمسائل علمية .

— هل تعتبرين أن هناك فرقاً بين الرجال والنساء فيما يتعلق بالسعادة ؟
حيث أن العالم على ما هو عليه ، عالم رجال ، هل يبدو لك أن الرجال في هذا العالم أسعد من النساء ؟

« يبدو لي أن لديهم مجالاً أكبر ، لا أدري ما إذا كانوا أسعد ، فعلياً . ولكن يبدو لي أنهم لا يصلون أبداً — يعني ، أنا أبالغ .. — فلتقل إنهم ، في الاجمال ، لا يصلون إلى درجة الشقاء ، والمهجران ، والاشجار . واللامعنى في الحياة ، التي يمكن أن تصل إليها النساء ، لأنهم رغم كل شيء ، يخوضون غمار مشروعاتهم ، لأنه من الممكن لهم

أن يتخللوا معنى إذا يسقطون أنفسهم في العالم وفي المستقبل ؟ بينا النساء ، بصفة عامة ، أكثر منهم وقوعاً في أسر عالم التكرار ، وهن يفتنن عليهن في حالة اعتماد مادي ومعنوي بالنسبة للرجال . وهذا على كل حال هو السبب الرئيسي الذي من أجله اعتنق المذهب النسائي : لأنني أعتقد أنه حتى فيما يتعلق بالسعادة ببساطة (دون أن نلعب حتى حد الحرية ، ونجاوز الذات .. الخ) فإن الوضع الأنثوي أعظم بكثير ، نعم ، أشقى بكثير . مما لا يمنع بالطبع أنه يمكن أن توجد نساء سعيدات جداً ، وانعزلات ، في شقتين لنفسه ، يصلن إلى آفاق تقوت كثيراً من الرجال : الواقع أننا نجد من بين هؤلاء الرجال ، في أغلب الأحيان ، موقفةً وإبتدالاً أكثر مما نجد عند النساء .

— ألا تعتدين أن كثيراً من الرجال يحسون في الواقع بشعور عميق من الفشل . ولكنهم يرفضون أن يعترفوا بذلك عن أنفسهم لأنهم رجال . في عالم رجال ؟ لأن لديهم نوعاً من «الكلمة» عليهم أن يحفظوا به ؟

« نعم ، ولكن لعل الوعي بهذا الفشل هو نفسه أقل لداعاً من الشقاء بمعنى الكلمة الذي يمكن أن يصنع بعض النساء . أعتقد أن علاقة الرجال بالفشل مع ذلك ، بصفة عامة ، شيء يمكن أن يحصل أكثر ، لأن كل الناس يفشلون حتى لحظة معينة ، ولأن هناك عند معظمهم جانباً متداداً إيجابياً : كانوا يريدون أن يذهبوا حتى هناك ، ولكنهم لم يذهبوا بالفعل إلا حتى هنا ، غير أنهم في نهاية الأمر قد ذهبوا بالفعل ، حتى نقطة معينة . أما النساء ، في الغالبية العظمى من الحالات ، فهن لا يذهبن بكل بساطة إلى أي مكان ، لأنه ليس في وسعهن الحركة للذهاب إلى أي مكان : ليس لديهن العمل ، ولا الإبداع ، ولا المستويات ، ولا الوظيفة التي يشغلها الرجل في العالم .

- من الممكن مع ذلك أن نشير إلى العمل الجولي المحدود الآتي الذي يقوم به كثير من الرجال في الوقت الراهن . ولكن ، بدون أن نذهب إلى ذلك الحد ، ألا تعتقدن أنه حتى في مستويات برزخ أمها عليا ، فإن المهنة أو الحرفة التي يمارسها الرجال لا تفعل في أغلب الحالات إلا أن تدعم عندهم الاحساس بالعبث ، الاحساس بالفشل ؟ أشعر أحيانا أن الرجال يمكن أن يكونوا غير راضين إلى حد عميق ، مثل النساء تماما في ذلك الصدد ، بحيث أن الفرق قد يقع بالأحرى بين رفضهم أن يعلنوا ذلك عن أنفسهم ، وبين السهولة الأكبر التي تعرف بها النساء بعدم رضاهن (كما ينبغي لمن) على أي حال ، في رأيي ، أن يصلن إلى حرفة أكبر ، وكرم أكبر) .

• هذا ممكن ... ولكن الذين أعرفهم يبدو لي ، بدلا من ذلك ، أكثر توازنا ، حتى لو كانت عندهم مشاعر بالفشل ، ونوع من الشقاء ، أما هزات اليأس العميقة التي رأيتها ، فقد كانت عند النساء ... أما أنا شخصيا ، فبها كنت أعرف أن هناك رجالا على ذلك النحو ، فلم أر قط رجالا على ذلك اليأس الكامل الذي كانت عليه نساء رأيتهن يعني ... والآن قد يكون هذا صحيحا ، ما تقول ، بالنسبة لعدد كبير من الرجال ؛ وهذا لا أستطيع أن أؤكد شيئا . أعصد أن المرأة بالفعل يجب أن تعرف بشقاها ، عن طواعية أكثر ، وأن تتحدث عنه مع النساء الأخريات ، وأن تجعله يثقل على الرجل ، كنوع من الابتزاز . وأن الرجل ، من ناحيته ، لا يرغب في أكثر الأحيان ، أن تعرف أمراته أنه شقي .. ولكننا هنا ننقل إلى العموميات ، ويجب أن تكون في أيدينا إحصائيات ...

- بالتاكيد . والحقيقة أنني كنت أنساك عن هذه النقطة في نطاق أفق الكفاح النسائي ؛ لأنه يبدو لي أن مثل هذا الكفاح يصل إلى أعلى

درجة له من العناية ، ابتداءً من اللحظة التي تترك فيها النساء (أخصائياً على مستوى العدل الوسط) أن الرجال - رجالهن - لا يعيشون في نهاية الأمر حياة الأحلام ، وأنهم يعانون ، هم أيضاً ، إنذالات على طول الأيام ، وأنهم إذا كانوا يمتطون دوائر الصلاة والقوة ، في المساء ، عندما يعودون إلى بيوتهم ، فليس ذلك على الجملة ، هنا أيضاً ، إلا رد فعل حضارياً ...

« نعم ، نعم ... إلا أنني سوف يفهم ذلك أفضل - سوف يفهم بعضهم البعض فهماً أفضل - إذا كانت هن ، هن أيضاً ، حائنين العملية الهئية ، و «حائنين» التوبة المزعجة في ذلك النطاق ... لأن هناك مع ذلك هذا النوع من الاحتفاظ الذي حدثني عنه الكثير من النساء ، إنهن يقرن إن الخفيف حقاً هو أن المرأة تحس أنها تحت نفسها إلى هذا الحد . عندما تصل ، في الثامنة عشرة أو العشرين من عمرها ، إلى الانتهاء من دراستها ، فإنها تعتقد - مثل الفتى بالضبط - أنها سوف تتأق وتلمع : ثم تجد نفسها فجأةً مع الأطفال ، والحاء في المطبخ ... وهكذا ، وهي في الثالثة والعشرين من عمرها ، وهي مع ذلك لم تغير كثيراً ... هناك منهن من يقرن لي : « هذا خفيف أن يحس المرء أنه لن تتأق له ربما ، أبداً ، الفرصة لأن يعطي كل ما في وسعه أن يعطيه ! » وهناك في ذلك شيء « بالتر مشهور » على وجه الإطلاق . وتحدث بيتي فريدمان حديثاً طيباً جداً عن ردود الفعل التي يورثها إليها ذلك ، بشكل متزايد الكبر والفضاضة ، « فكرة التلج » . وبسبب هذا يفسرون المذهب الساني أنه بالفعل لا يمكن أن تتغل الفتاة من شكسبير إلى غرفة الأطفال بكل هذه السهولة : « فلتك الآن شكسبير ! ولتتقدم على التدبير المتزلي ! » . لأن من الفاضح جداً ، رغم كل شيء ، أن فتاة في الثامنة عشرة من عمرها ، ذكية لائمه ، تحصل شهادات ،

تعرض لأن تكون شقية إذ تجد نفسها في المطبخ ... : ولما كان هذا ، من جديد ، هو المصير الوحيد الذي يفتقدونها ، فيبدو لها أنه من الأفضل أن تفرغ من أمر الشهادات بالخارج وسرعة !

ولكن من الحق - أخيراً - أن كفاح النساء من أجل العمل يكون أصح وأسلم إذا لم يكن العمل ما هو عليه الآن . لا يمنع ذلك أنه في الاتحاد السوفيتي ، حيث كل النساء تقريباً يعملن ، وفي ظروف أدنى بكثير من الظروف التي يعمل فيها الرجال (ما أبعد ذلك عن انتصار المذهب النسائي !) ، فإن النساء حقاً ، بإزاء أنفسهن وبالنسبة إلى الرجال ، هن كائنات انسانية كاملة ، على حدٍ ثمين . إلا أن النساء مشكلة أخرى موهومة . وليس فقط في الاتحاد السوفيتي : هي أن النساء اللاتي يعملن ، ويكفين أنفسهن بأنفسهن ، وبأعزهن أيضاً على حافظهن ، أكثر من الرجال بكثير ، وجود الأطفال ورعاية البيت ، يدان في أن يشعرن بأنفسهن متفوقات على الرجال . وأن يفتن لأفئسهن لم يوهوا . بعد . يرتفعون إلى مستوى المسؤولية ، وأنه لم يعد هناك بعد ، رجال ... وهذا ما ألهبه عن الفهم ، في حدود تجربتي أنا : ذلك أن الأنماط التقليدية يخطو عليها العريضة ما زالت تفرض نفسها عليهن (عندما لا يكون ذلك من خلال حقولتهن) ، وأنه ينبغي لقبول الرجال باعتبارهم أصدقاء ، أن يُعترف لهم ، بعد ذلك ، بشيء لطيف من التفوق . كثرات من صديقاتي السوفييتيات يتصرفن على هذا النحو . ولكن كل الأمريكيات تقريباً يفتن أيضاً إنه لم يعد ، بعد . هنالك رجال ، وعدد لا بأس به من الفرنسيات الشابات ، بين الثلاثين والخمسة والثلاثين ، يفتنن ، أو يفتن عزابات ، لمجرد أنهن لا يفتنن إلا برجال يظهرن من أوساطاً إلى حد أكثر مما يطاق ، ولا يستطيعون أن يكونوا من بعدهن في حياتهن . هذه هي الصعوبة الضخمة في هذه الفترة الانتقالية .

— هل تشعرين ، في المجموع ، أن قارتك يفهمك ويعترف بك ؟

« في المجموع ... ومن خلال كثير من سوء الفهم ، نعم ، رغم كل شيء ، من جانب عدد كبير منهم ، وخاصة من جيل الشباب .
والشعر أنه بين الأمهات اللاتي في الأربعينات من العمر ، فإن هناك نوعاً من المعاداة لي . لكنني أفسر بحرصهن على الدفاع عن الحياة التي عيشنها . وهي لا تتفق مع ما أقرحه كمحاولة حقة للمرأة . وبالعكس . الفتيات الصغيرات في السابعة عشرة أو الثامنة عشرة من عمرهن واللاتي ، شائين دائماً ، يتخلفن صراعاً مع أمهاتهن ، إلى حد قد يقل أو قد يزيد ، ويبحثن بالأحرى عن أسلحة يواجهن بها مستقبلهن هن على نحو مختلف ، هؤلاء . نعم ، أشعر أنني يفهمني : كما يمكن للصغيرات أن يفهمن ، إذ هن بالطبع لسن في وضع يمكنهن من أن يرين كل شيء . ولأن كن على كل حال أقرب بكثير إلى موقعي . فإذا فرغنا من ذلك فهناك أيضاً نساء في مثل عمري ، مثلاً ، كثيرن إلى بذكاء عظيم وفهم كبير . ثم أن هناك مع ذلك عدداً معيناً من النساء بين الخامسة والثلاثين والأربعين قد فهمني فهماً طيباً إلى حد كاف . ورجالاً أيضاً من ناحية أخرى ... كل ذلك بالطبع لا يتضمن مع ذلك أنه ليس هناك الكثير من سوء الفهم ، على مستوى القراء في مجرعههم . وفي هذا المجال ، هناك نقطة أسوأ فيها فهمي إلى حد كبير جداً ، ولذلك ، أيضاً ، ذاتي راضية جداً أنك كتبت هذا الكتاب ، لأنني أعرف أنه سيعيد الأمور إلى نصابها . ولأن ذلك يشير الرغبة عندي من جديد في أن أتكلم عن نفسي بطريقة أخرى ، وفقاً لمواضيع أخرى ... : هذه النقطة هي تلك الجملة الأخيرة من « قوة الأشياء » ، التي لم يفهمها أحد ، تقريباً !

— نعم . إن السؤال الذي كنت أريد أن أسألك إياه في هذا الصدد هو :

عندما كتبت هذه الكلمات ، كنتُ قد خُذِعتُ ، ألم تستسلمي ، هل كل حال ، إلى نوعٍ من الدراميّة الأدبية ؟

« هاك ! هذا أول شيء كنت أريد أن أقوله : بالطبع ، وعلى نحو ما ، فإن ذلك من قبيل الأدب . وينبغي أن تعود هنا إلى جملة قائلها فاليري الذي كنت أعيد قراءته أمس ، في « كما هو » : ذلك أنني أفكر ، كما يفكر ، وإن كان ذلك لأسباب أخرى ، أنه لا يوجد أبداً حقيقة سابقة على الحقيقة التي نعبر عنها اللغة . المرء لا تكون عنده في البداية حقيقة ما ، في رأسه ، موضوعة مستقرة من قبل ، غنطولة بخط دائري واضح قاطع ليس عليه بعد ذلك إلا أن يترجمها في كلمات . الكتابة ليست ترجمة : بل هي الإشارة إلى « شيء ما » أخذه في ابتداع نفسه ، في التخلّي ، في نفس اللحظة التي يشار فيها إليه . « كنت قد خُذِعتُ » ، هذا يشاقق بالطبع مع مجموعة كاملة من الآراء كانت عندي ، أفكار كنت قد صغتها لنفسني من قبل ، بشكل غلط ، وهي على كل حال - يدعشني أن الناس 'دعشوا إلى ذلك الحد ! - تتشاقق مع كل رؤياي للوجود : لقد فكرت دائماً ، مثل سارتر ، أن الوجود بحثٌ عقيم عن « الكينونة » ، أنا تريد المطلق ولا تصل أبداً إلا إلى النسبي . وقد قال « ألان » جملة على قدر من الجمال ، فكرت فيها من جديد كثيراً بصدده هذه الغاية : « لم يتعلنا أحد بشيء » . ولكن هذه الجملة ، في نفس الوقت ، تدعو لي زائفة . لا يجب أن ننسى ، ورغم كل شيء ، أنني أليس مدى دعشني إذ أفكر أودامي في السادسة عشرة . عندما يكون المرء في السادسة عشرة ، وفي بيئة بورجوازية ، وقد فتحت له سبيل الثقافة ، فمن الصعب ألا يحظ في صورة معينة للعالم والحياة : في هذه اللحظة ، هذا حق ، أنت تُوعده بشيء ما . كان والدائي ، وأساتذتي ، وكل الكتب التي أقرأها ، تدعني

بالكثير . ولكنني قلت أيضاً - وإن كان ذلك قد شئى بسهولة أكثر - أن
الوجود قد وُفّي بها . وأخيراً لم أثنأ أن أقول شيئاً آخر غير ما تعتبر
عنه نصيدة «مالارميه» ... : « عبق الشجن ... الذي يتركه قطاف
حلم في القلب الذي قطعه » ...

« دون أسى » ، حتى ، ودون شجن ... « لأن ذلك بالضبط هو ما
أريد أن أقول : إن وعداً قد وُفّي به ليس ما كان المرء قد وعد به
نفسه ، لأن المرء دائماً يستهدف الكينونة ، المطلق ، ولا يكون للمرء
أبدأً إلا وجود نسبي . وهذا في الأساس بسيط جداً : كنت أعتقد وأنا
صغيرة ، أنه كانت لي حياة تمتد أبدياً ، ولكن الحياة لا تكون أبداً
لا إلى الأمام ولا إلى الوراء ، ليست شيئاً للمرء ، بل هي شيء يمرّ .

ولما كان ذلك كذلك ، كان هناك أيضاً برغم كل شيء تفرد عميق ،
لم يفهم على أنه صار جوهرياً لا من وجهي في المرأة (هو بالأحرى
رمز لاشيء آخر) بل من حرب الخواطر وكل ما كشفت لي عنه . ذلك
أنها كانت عندي أقطع تجربة للهول ، على اعتبار أنه كان يستحيل
على هذه المرأة ألا أحس نفسي شريكة متواطئة فيها . وعندك ، في مثل
حالي الروحية تلك ، انزامية جداً ، متفردة جداً ، جاءتني الكلمات
في الواقع ، كلمات كانت ، من قبل ، لا توجد في . بحيث اعترفت
ها بحقيقة ، كما قلت ، أدبية ... ، ولو جروئت قلت بالأحرى ،
شاعرية ، إلا أنني بالتأكيد لست بشاعرة ، ولكن لأن هناك معنى
أكثر لأن نتكلم عن حقيقة شاعرية لا عن حقيقة أدبية .

وألحظ في هذا الصدد أنه لا يجب أن يجعل كتاباً ، أبداً ، يقول
شيئاً آخر غير ما كتبه بالضبط ، والا أنكرنا ظاهرة الكتابة ، نفسها .
أراد الكثيرون من القراء أن يقرأوا فيما كتبت ، لقد عدتني أحداً ما ،
وليس ذلك على الإطلاق مماثلاً لما كتبت ، لقد استخدمت صيغة المبني

المجهول ، لأنه ليس هناك «أحد» كنت لأعتبر نفسي أنه قد تحدثني
 - لا الله الذي لا يؤمن به ، ولا الناس ، ولا العالم ، ولا الحضارة ،
 ولا أنا نفسي . إن أحداً لم يتحدثني ، أعرف ذلك حق المعرفة . وما
 أردت أن أعتبره بصيغة هذا المجهول ، هو ذلك الشعور الغامض
 الذي تعطيه الحياة ، شعور واقعي على كل حال : إن المرء يحتمل شيئاً
 ما ، المرء يحتمل الحياة ، وحتى إذا خلقها (إذا صنعها ، إن شئت ...)
 والمرء يحتمل مرور الزمن ، والسنوات ، والأحداث الخارجية . وفي
 نهاية الأمر ، هناك شيء ما قد أحتمل : لقد تحدثت ، أجسد
 نفسي مخلوقة ، بالنسبة إلى المطلق الذي حلمته عندما كنت صغيرة .

فمن المؤكد تماماً إذن أن حقيقتي هذه الملاحظة تتوقف على الشكل
 الذي أعطيتني لها نفسه ، ولا يمكن أن يُعبّر عنها بأية طريقة أخرى .
 ولا تفسرها إلاّ مع وضع النقطة التي جاءت فيها موضع الاعتبار ،
 في نهاية ... هذه الفقرة ، في نهاية ... هذه الخاتمة ، وبالتأكيد ، في
 نهاية هذا الكتاب . فإذا قرعنا المرء عن هذا السياق فلا يمكن له إلا أن
 يكون أسوأ ضروب سوء الفهم لها .

- ولعله ينبغي أيضاً أن نحدد أنك في مناسبات مختلفة كنت قد كتبت
 من قبل «لقد تحدثت» ، «لقد تحدثني أحد» ماء ... الخ .

بالكل ! قلت أيضاً إنني كنت «متفرقة» ، إنه لا يجب أن أعطى
 وعياً ، بعد ذلك ، ليجعلني متواصلة في أشياء معينة ... هذا صحيح :
 كانت هناك صبح كثيرة يمكن أن تتكشف منها هذه الغاية . ومع ذلك
 فأعتقد أننا هنا ، بقدر معين ، بصدده عثرة أدبية : كنت قد أسرعت
 قليلاً ، في هذه الخاتمة ، بالفيض لأنني كنت قد طُهرت من الكلام عن
 نفسي ، ولأنني أردت أن أقول ذلك بنوع من الصراحة : « صراحة

أدبية، كما يقول كوكبو . لكنني لم أدرك أن الأمر كان حساباً حسابياً ،
 وأنت تكلمت في الأخير عما كان يعني في الواقع أكثر ما بهم :
 الشبوحرة الحسابية . تكلمت في البداية عن علاقتي بسارتر ، عن الأدب ،
 عن الفلسفة ، عن العلم ، عن كل ما كان عتدي ، في النهاية ، هاماً
 أكبر الأهمية ، ثم عن علاقتي بصورتي نفسها - وهناك قدمت الحساب
 الختامي النهائي . بحيث أن الناس ربطوا بين وبين الصورة في المرأة ،
 بدلاً من أن يفتروها وفق مجموع الكتاب (أو على الأقل وفق الخاتمة
 في كتابها) . ذلك أنني أعطيت فيها برغم كل شيء أسباباً وجيهة
 لاحتساس بالفرز - والسبب الجوهرى إلى أكبر حد ، فيها ، هو ذلك
 الاكتشاف لعالم خيف حقاً ، بشع حقاً ، بينما كنت أنصوره في البداية ،
 في حدود نقولتي ...

— لم تكن لديك أية فكرة وأنت تكلمين ذلك عن وجود الفعل التي
 سوف تبعثتها ؟

« بالمرّة ! إن لي وضعاً غريباً ... هل تعرف ... هناك عدد معين
 من الناس يعتبروني كاتبة - أحسن الكتابة أو لا أحسنها - ولكن كاتبة
 برغم كل شيء ، وهناك عدد من الناس أيضاً يعتبروني من صاحبات
 « بريد القلوب » (لأنني امرأة ولأنني كتبت عن النساء) . ومن هنا
 استنكر صدام أوكبير مثلاً ، والصدفة التي أزوجتها لي ... وأيضاً ذلك
 الشيء الذي لا يصدق : صحفي - لم أعد أذكر اسمه - جتف في
 صحيفة «فرانس سوار» بما يشبه التالي : « كيف ؟ هذا عجيب ! لست
 أولئك ! أنا ، أنا لي صديقة في الخمسين من عمرها ، وهي في قوة
 والدفاع قاطرة باريسية : تدعب إلى كل البوابات ، أصبا وأصغر من
 كل الناس ، دائماً تكتشف آخر ملهى ليلي صغير ترفض فيه ، وأكرر
 رقصة ... الخ ، وسأقول لكم إن هذه الصديقة قادرة أيضاً على البقاء

وحدها ، على القراءة ، أو على الاستماع إلى الموسيقى . وسوف أعطيتكم سرّاً : ذلك أنها تمكك ، في لطف واستخفاء ، الإيمان . أما أنا فأريد أن الإيمان الذي يجعلك قادراً أن تكون قاطرةً بارسية شيء يستأثر بالقلب ...

— جميل جداً ! ولكن نعود إلى مارسيل أوكليلر ، بماذا تصحّتك ؟

« نصحتني بعملية «شدّ البشرة» ... عملية كاملة طيبة لشدّ البشرة. قالت إنه إذا كانت مدام دو بوفوار لا تطيب نفسها حقاً عندما تنظر إلى المرأة ، فلا يجب أن تجعل النساء الأخريات يشعرن بالاشمئزاز من الشبخوخة ، فلنذهب ليجري عملية شدّ البشرة ... وإذا قد كان كل هؤلاء السيدات يتطلّون مني نصائح متفائلة ، أما أنا فقد طمّحت من أنني متفائلة . وكان هناك أيضاً من جاني شيء من المكر والخبايا فيما أعتقد ... عازبة تمكس ، على وجه الدقة ، غضبي على العالم . قلت لنفسي إن هذا الكتاب لن يترّيع إلى الناس . كنت أريد ذلك . ولكنني كنت أفكر أنه لن يربح الناس فيما يتعلق بحرب الجزائر ، ولم يكن هذا ما حدث بالمرّة (لأن حرب الجزائر لم توجد قط كما يعرف الناس جميعاً ...) والواقع أنه لم يكن مريحاً لأنني تكلمت فيه عن الشبخوخة . بل هناك أناس يماريون تاصيرتي المتعاطفة ، لم يكن لك في ذلك الحق ! ذلك خطأك إذا كنت لم تصلي إلى الناس فيما يتعلق بحرب الجزائر ، لأنك بعد ذلك أدليت باعتراف بالخزيّة ، وأنت قد جرّدت معك اليسار كلّهُ في هذا الفَرْق .. وعندئذ استبدّ بي الغضب . وقد تكلمت عن ذلك على كل حال . في «اليتاليتيه» هل تعرف ؟

— أعرف . قلت منذ قليل ، من ناحية أخرى ، شيئاً يبدو لي

١ — لقارئ الذي لم يشهد القاطرة التي نشر إليها سمون دو بوفوار ، ولم يقرأ نص كتابها ..

وليسياً : أن حدوث الشبحوخة ، على كل حال ، لم يكن بسيطاً
كثيراً ...

- في « ماذا يستطيع الأدب » (مجموعة : 1960 - 18 - 20 ، باريس 1995) أورد
طوما بيل ، هذا الصدد ، جوهر إيجابياً : « ... إذا جبر المرء من تلقى مصر ، فذلك أنه يفكر
أن هذا القلق ، بذلك التعبير عنه ، يسلط سحره ، يسطط على حقيقة الوجودية . ذلك أنه ما يزال
يقوم بالتواصل ، ومن ثم بالانس ، بأعزهم .

ولما كنت أتحدث عن ذلك ، ملأني كنت موضوع يوم كثير ، باسم الشكوك ، الاشتراكي ،
من نهاية « قوة الأشياء » وعن موضوع كتابي الأخير . قيل لي : « إن القلق المعنى من
الزمن الذي يربو ويضيء » واستلحاق الموت ، هذا حسن جداً ، لك كل الحق أنك تفكر في
ذلك ، ذلك حارف جداً ، ولكن هذا يفسدك أنت وحده ... فلا تعالينا منه ! ، فقلت من
المسافرين عبارات تقول في ذلك .

أما أنا فما أرى لماذا يجب على المرء - بحجة أنه يضع ثقته في المستقبل ، وأنه يعتقد أنه
سوف يكون هناك جميع اشتراكي في يوم ما - أن يستكث جانب القتل والقتل الذي نفسه
كل حياة . أو أرى ، معتداً ، أن الشكوك الاشتراكي يشبه إلى حد بعيد الشكوك التكنولوجي
الذي يسيطر اليوم ، ويصير القتل وفرة ، ويستخدم المستقبل باعتبار - شهادة على
الغراب .

إذا كان الأدب يسعى إلى تجاوز الانفصال في اللحظة التي يبدو فيه أمراً ما يكون أصل
التجاوز ، فيجب أن يتحدث عن القلق ، عن الوحدة ، عن الموت ، لأنها بالعبير أوضاع
لهيكلية ، على أكثر نحو جنري ، في أحاديثنا . نحن بحاجة إلى أن نعرف وأن نص أن عبء
التجارب هي أيضاً عبرات كل الناس الآخرين .

إن القصة لعبد العجايزة والعشيرة الإنسانية ، والقتل الذي يحد كلمات يقول بها عن
ذاته في يد بعد تجربة جنسية ، بل يصبح أقرب إلى أن يطرد . يجب أن تفكر من
القتل ، من القصة ، من الموت ، لا لدفع القراء إلى اليأس ، بل على العكس لمحاولة
استخدام من اليأس .

إن كل إنسان مستوح من كل الناس ، ولا يفهم نفسه إلا من عواطفهم ، ولا يفهمهم إلا
من خلال ما يسلطونه من ذات أنفسهم ومن خلال نفسه مستضياً بهم .

وأفكر أن عبء هو ما يستطيع وما يجب أن يعطيه الأدب . يجب أن يعمل لشأنه

« نعم ، لم تكن تلك هي المسألة الحاسمة ، ان ما كان يفرزني ...
 كنا نقول ذلك كثيراً مع سائر ... هو أنه كانت تُصنع لنا شيوخوخة
 بشعة : كنت دائماً قد فكرت أن شيوخوخي ستكون سعيدة ، وعلى
 أي حال ، فإن لي شيوخوخة سعيدة ! ولكن تلك السنوات ، لو كان هناك
 السن ، وهذا الفزاز ، معاً : لو كنا أصغر سناً فقلعه كان سوف يمسنا
 بطريقة أخرى : لم يكن ليصله ، على كل حال ، هذا الظهر ،
 مظهر تخافة قاسية لحياتنا . وبدون ذلك فإن الشيوخوخة ، حتى ذلك
 الحين ... ولكن لا ، برغم كل شيء ، أنها توجد ، ان ما واقعها ،
 ولست أسحب شيئاً مما قلته فيها ، ولكن لم يفهم عني أن اللحظة التي
 نحن بصددها يمكن أن تقع في أي سن . يمكن أن يكون ذلك حادثة
 تقطع حياة امرأة أو رجل في السابعة والثلاثين : ويمكن أن يكون هناك
 بالعكس أناس يطيلون شبابهم وحياتهم الجنسية حتى الخامسة والستين أو
 السبعين من العمر ... لا يهم ذلك في كثير : سوف تكون هناك دائماً
 لحظة يجب أن يعترف المرء فيها أنه لم يعد ما كان . وسواء كان ذلك
 في الرياضة أو في الحب ، يتخلل المرء عن شيء ما ... بل يحدث هذا
 مبكراً جداً عند الرياضيين ، ويحدث بعد ذلك ، عند الآخرين ، ولكن
 هناك دائماً لحظة يعبر فيها المرء خطاً مرسوماً . وهكذا ، اتفق أنني

« إنسانية ، أصحها بآراء الآخر ، أي أكثر الواقع ميلاً عنه : هناك مبادئ أخرى ،
 ومثروعات أخرى : هناك الفعل ، والتكيف ، والسياسة ، ولكنها على كل حال موجهة
 إلى الناس ، وهي تصبح مثيرة ، بل تصبح كريمة ، إذا انطقت من نفسها إنسانية ، إذا
 انطلقت عن الانساني .

التماطق على ما هو إنساني في الإنسان ضد التكنولوجيا ، ضد البيروقراطية ، القديم
 العام في انسانيته الإنسانية ، أي بالعبارة يتكلم لأفراهم في وقت متأخر من يومهم
 بينهم ، ومتصلون : أعتقد أن تلك هي مهمة الأدب ، وذلك هو الذي يجعله لا عرض
 منه . »

عرفت هذا الخط لي نحو تلك الفترة ، باجتماع عددٍ من الظروف .
 بسبب الحرب ، ولكن أيضاً ، بسبب مرض سائر ومشاكل شخصية
 معينة . أي باختصار بسبب مجموع كامل من الأشياء جعلني أحس أنني
 لن أستطيع بعد ، مثلاً ، أن أسير ٥٠ كيلومتراً على القدمين ، أو أن
 أفعل أشياء أخرى كثيرة ، وأنني مثلاً ، بطريقة عميقة جداً ، كنت
 لا أهتم بعد بالحلب ، أتصد أن أقول بنوع من الحب ... هناك في ذلك
 لحظة ، بالضرورة ، كربة جداً ، نوع من الأزمة ، مماثلة قليلاً ،
 ربما - على مستوى آخر بالمرّة - لأزمة المرافقة . ولعلها أيضاً لحظة
 يفقد فيها المرء صورته - ولكن ليس صورته في المرأة - التي أعرف
 على نفسي كفتاة صغيرة ، كامرأة شابة ، وكاتبة مبدئة ، ثم مظففة في
 السن "قليلاً" جداً ، بعد الحرب . ولكن يوم أن جادني فتاة شابة ،
 كان ذلك في الحاضر ، وقالت لي : « آه مدام ! كم لذكركيني بأمتي ! »
 أتى ذلك أثره على نحو غريب . صورتي من قبل ، صورة "معينة للشباب
 يطالبها المرء دائماً إلى حد قريب أو بعيد ، هذه الصورة انكسرت ،
 ولم أستطع أن أعرف على نفسي في هذه المرأة التي يمكن بالفعل أن
 تكون أما ، بل جدة تقريباً .. (لا لأحد ...) ، في تلك الكتبة التي
 تشيخ ، مليئة بالتفجيع والخبرة ، ولهذا منذ الآن آثار أدبية ورامعا :
 لا . لم يكن ذلك يطبق عليّ أنا ! وما زال لا يطبق كلياً ، على أي
 حال ... ولكن ذلك ، لم يكن فيه شيء ما يستقيم على وجهه ، بعد ،
 وكان ذلك بالنسبة إلى الصورة التي كان ينبغي أن تكون هناك ، كلاسيكياً -
 صورة "عادنة في وداعة وسلام ، مستطمة ، طرية مثل خريف جميل :
 وذلك أن يستقيم على وجهه أبداً ، أقول لك ! ... لا يهم . الآن ، ذلك
 قد حدث بالفعل ، ولن أفرح على نفسي حتى الآن ... والعلني سأمر
 بأزمة جديدة عندئذ ، عندما أقول نفسي : والآن ، لم أجد في السنين
 بعد ! ...

- عندما تكلمت عن شيخوخة سعيدة قلت عند قليل ، وعمل أي حال ، فإن لي شيخوخة سعيدة ! ، أحب كثيراً أن أسألك متى إذا كنت تعتقد أن لك لمعت في حياتك .

نعم ، سأقول لك : نعم . كل الحاج ، إذا كان الأمر يتعلق بحياتي أنا ، ما دمت قد حفظت كل الأحلام التي حلمت بها عندما كنت صغيرة . نعم ، كان لي حقاً ، في الحب وفي الصداقة ، كل ما استطعت أن أتمناه : أما عن العمل ... يقول المرء لنفسه دائماً أنه كان مستطيعاً أن يفعل شيئاً آخر ، ولكنه في نفس الوقت يعرف تمام المعرفة أنه لم يكن يستطيع أن يفعل إلا ما فعل - وما سيفعل ربما (يبحث يكون هناك هذا الأمل ، ما يزال) . ولذلك أريد أن أقول ، بالفعل ، أن الناس أخطأوا تماماً عندما ظنوا أنني لست راضية عن حياتي : أنني راضية عنها كل الرضى . لم يكن لي أولاد . ولكني لم أكن قد تمنيتهم حقاً ، أبداً ، ولا آسف بالمرء أنه ليس له أولاد . والواقع أنه أفضل ما يأتي به الأولاد ، إذا كان كل شيء يعضي بخير . هو الشباب : ولكن لي صداقات مع الشباب ، بل لي الكثير من الأصدقاء في شبابهم . ومن ثم فاني راضية بحياتي رضى مطلقاً ، ذلك ما أستطيع حقاً أن أقوله .

- فيما يتعلق بعلاقاتك مع الآخرين . أعتقد أنه كانت عندك ، بالأجمال ، ثلاثة مستويات : هي ما اسمها ، بسرعة ، « العائلة » ثم « العلاقات » ثم « الآخرون » .

نعم ، هذا بلا شك أقل صحة قليلاً ، الآن ، عن ذي قبل . هناك أيضاً صداقات جديدة في حياتي ما ، أناس يظهرون ويغيبون المرء . وعصوماً بين الشباب .

- هل تشعرون بالإحساس ، منذ بعض الوقت ، بتفتح أكثر
للآخرين ؟ -

لوه بالتأكيد ! أعتقد أنني لم أفعل إلا أنني فتحت من نفسي
للآخرين ، أكثر فأكثر ، صدوراً عن موقف أوكي مطلق جداً - بتق
على أي حال ، فيها أعتقد (عدد كبير من النساء على كل حال ، وعدد
عديد كبير من الرجال أيضاً) مع ضرورة الكفاح قليلاً لتجتاح عقلاً ،
والتحلص من العائلة ، وللتأكد الذات ... الخ . : هناك لحظة ، في
رأسي ، يكون من الصحيّ صلياً وأخلاقياً أن يُطلق المرء فيها على ذاته .
ومع ذلك فقد كان هذا الموقف عندي قوياً جداً ، هذه الحاجة للإخلاص .
أذكر مناقشات معينة ، في العشرين من صغري ، مع زميل (« براديل »)
كان يقول يجب أن تحب كل الناس ، وكنت أراه في غضب عتيف أنه
يجب أن تحب قليلاً جداً من الناس ، وأن تحب منهم الكثير ، وإن
هذا المقت هو شرط ذلك الحب . كان ذلك ، عندي ، مما كان يترجم
عن نفسه بنوع من السخرية ، وطريقة للتفادي ، للتباعد ، لعدم إرادة
الفهم - وبنوع من الأخلاقية أيضاً كنت أقطع بها ، كنت أرفض
الاعتباراتي . وبعد الحرب بقليل أخذ ذلك يتغير ، ثم يتغير أكثر فأكثر
بعد ذلك . ولا يعني هذا أنني لست قادرة بعد على كراهيات ضارية !
وأما على المستوى السياسي ، على كل حال ، ما أزال « مائخية » :
لأن الأمر هناك ، برغم كل شيء ، يتعلق بحركة ، حيث يكون للمرء
خصوم أو حلفاء . أما في العلاقات من شخص لشخص ، نعم .
بالتأكيد ، فهم الآخرين فهماً أفضل : لأنني بلا شك قد نشئت متابع
معينة (التحليل النفسي مثلاً ، سواء كان فرويدياً أم وجودياً) ثم نتيجة
لتجربة أيضاً ، لأنني أملك الآن عدداً أكبر من الانماط أو النماذج .

ولكنني لن أقول إنني أحس اهتماماً أكثر بالآخرين عن ذي قبل :

في نحو ١٩٤٥ عندما بدأنا نعرف الناس ، كنت مشبوبة الاهتمام ، واليوم ،
بالعكس ، لا يشوقني كثيراً أن ألتقي بأناس جدد . أريد أن أقول :
يجب حقاً أن تسيطر الأمور على غير الوجود ، أن يكون هناك تفاهم
حقيقي . أما عن الفهم ، فأعتقد بالفعل أنني أفهم نهماً أفضل .

- ولكن في نحو ١٩٤٥ ، كنت تلحق بأناس استثنائيين إلى حد
كبير ؟

- نعم .

- والآن ، يبدو أنك تسمين أكثر أن تلقي بأناس يكونون ...

- لا يكونون استثنائيين . نعم لم يعد يشوقني الناس الاستثنائيون
بالرة . أو ربما ، مرةً بين كل حين وحين . الواقع أنني أتوق أكثر
بالتكبر إلى تعاطفٍ حقيقي ، عقل أو أفعال ...

- ذلك ما أسميه التفتح الحقيقي .

الحديث الثاني

- كنت قد أوجعت نفسي ، عابرةً ، بصورة كنت قد صنعتها
لنفسك ، صورة معينة للشباب : هل تبقى لك في الوقت الراهن صورة
ما لنفسك ؟

« من الصعب أن يعرف المرء ما يسميه «صورة» لثلاث ...
أعتقد أن المرء دائماً عنده مثل هذه الصورة ١ ، وأن ما خيالني

١ - عادت سيمون دو بولوار إلى هذه النقطة ، في آخر الحديث كالمسأ ، وأشدني بسنده
المتغيرات :

« ليس لي ، في الواقع ، أية صورة لثلاثي على مستوى الشخصية والطباع ... الخ .
كنت لتكلم عن القرصية : وصحيح أن المرء إذا كتب ثلاثة كتب عن نفسه (وهو يسمي
الكتاب الرابع) كان ذلك يعادل بالأحرى إلى القرصية - ومع ذلك فاني أشتد أن سسلكي
الواقعي لم يكن لرجسماً قط ، ليس فقط أنني لم أنظر إلى نفسي كثيراً في المرآة قط ، ولا أنني
لم أنعم كثيراً بزيتي ، بل أنني أيضاً لم أحاول قط أن أحضر نفسي ، أن ألق نفسي حينوداً ،
كما تفعل الكثيرات من الشابات الصغيرات اللاتي أرانهن يتساملن ، من أذا ؟ ماذا أحاولي ...
وهكذا ، وذلك يأتي على كل حساب هذا القول ، حاجتي إلى أن أسقط نفسي دائماً في
المستقبل ، أكثر بكثير إلى أن ألتل صورة لثلاثي ، على الألف ، نعم ، كنت أصغر نفسي
عابرة ، امرأة شابة ، مدرسة شابة ، كاتبة شابة مبتدئة ، وروائية شابة ... إلى آخره .
ولكن ذلك قل متسبع الخلود جيداً ، فاصلاً جيداً ، لم يكن ذلك أبداً مرجحاً يستشعره »

بالضبط . في تلك اللحظة لأزمة ، الدخول في الشبوحة ، هو أن الصورة قد انكسرت : وأنه كان ينبغي استبدال صورة جديدة بها ، صورة لم تكن تنطبق على بالمرّة لأنني لم أكن أحسها من الداخل . لأنني لم أكن أحس نفسي . لم أكن أرى نفسي كما يراها الآخرون . كنت أعرف بالتأكيد ، على نحو جرح ، أنني قد بلغت ذلك العمر . ولكن ذلك ليس نفس الشيء . بالمرّة ... وصحيح أن الصورة التي تُقدم إلى اليوم عازلت خيالة عندي إلى حد بعيد : صورة كاتبة تعمل ، إلى حد ما ، إلى نهاية حياتها . ولقد تركت وراءها ، على كل حال ، أكبر آثارها ، وينتظر المرء منها ، منذ الآن ، شيئاً ، ووداعة هائلة ! .. لا ، حقاً ، لست أدخل هذه الصورة ، ولا أعتقد أنني سأدخلها أبداً . من ناحية أخرى لا أعتقد أنها صحيحة عند الآخرين أبداً ، لا أعتقد أن هناك عند أحد انطباعاً متشاقاً للشبوحة ، وأقول كلمة سانت يوف تماماً : المرء يتعفن في مكانه ، ولا ينضج أبداً .

ثم أن هناك أبداً ، ربما ، أن صوري عن نفسي ، من قبل ، كانت دائماً علاقة بالستيل ، أما الآن فالستيل يصبح أبداً احتمالاً وأبعد . كلما تقدمت بي الشبوحة ، وإني أجد نفسي أكثر بكثير على علاقة بالماضي . ويترتب على ذلك أن الأزمة تغم وتضطرب عندي إلى درجة أنني لم أعد أعرف تماماً ما هو الحاضر ...

- يبدو من عدة نواحي ، يصعد هذه العلاقة بالزمن ، أنك كنت ورغم كل شيء ، متشبثة بالماضي ، بصفة هائلة . بل يبلغ من ذلك أن المرء يتسامح أحياناً عندما إذا كنت لا تتعبرين بشيء . من الصعوبة ، أحياناً ، في كتابة عملٍ من أعمال الكمال ، عندما تقدّر مدى الثقة التي يظل بها

- في شيء ، ويومئذ موضع التساؤل ، لم يكن ذلك صريحاً سافراً ، إذا كنت ، حقاً ، أبداً .

ماضيك كنت تقريباً حاضراً بها عندك . ويستمعي نظري أن أرى إلى أي نقطة يظهر فيها كل شيء من جديد . في كل مرة . تريدني فيها أن أعاني هذه الفترة أو تلك : الذكريات . بالتأكيد . ولكن اليوميات الخاصة أيضاً . والذكريات . والحطبات ... الخ . دون أن تضع في الحساب الخمر الذي يذهب إذا اتصلت بهذا النظام إلى حد الكوال بالرجوع . هنا وهناك . مجموعات هذه الصحيفة اليومية أو تلك . للعودة إلى أحداث الفترة ...

نعم . وهنا لا أعرف ما إذا كنت مسددةً شطراً لامي . جزئياً ، لأنني كنت أكتب هذه الكتب . وهناك فإن السؤال بالتأكيد يكون ماذا كتبها . ولكني لا أعتقد أنني بعفوية عامة أعيش في الماضي أكثر من صدق الناس . وأنا أعيش في الماضي على كل حال أقل بكثير من معظم النساء . ذلك أن النساء أساساً هن اللاتي يعشن في الماضي . وأعرف شخصياً عتاهن الكثير . أما أنا فليست لي خبرة بهذه الأمزجات الكبيرة حيث تستحوذ لحظات معينة من الماضي على المرء . نفس التحطبات دائماً : لا . الأمر بالنسبة لي أقرب إلى تجاوب قرنين ... ولكن من الممكن أنني الآن أكثر حساسية بالماضي عما كنت . مثلاً . في الأربعين من عمري . ذلك أنه في ذلك الحين . كان لديّ السطيل . والفيط . كنت أحب أن أرى أشياء جديدة : أما الآن فبسرني أكثر أن أعيد الرؤية . وأحب لا التكرار . بل التلقّي الجديدة . نوع من الخلق . إعادة القراءة ... وهكذا .

— ولكن ألا تتعرفين في نفسك . بطريقة أعم . حاجة العودة . ويعني . إلى الماضي لمحاكاة عليه . لا تقاذه ؟

نعم . بلا أدنى شك . كان ذلك بالفعل معنى الأجزاء الثلاثة من السيرة الذاتية . إلا أنني وقد كتبت هذه الأجزاء الثلاثة . لم أعد أفكر

في الماضي كثيراً بذلك الشكل .

— ولكنني أريد أن أقول : بقدر ما كنت تعيش في الحاضر ، كانت لديك مع ذلك هذه الفكرة في أنه يجب ...

« ... آه .. انه يجب ألا يضيع ! نعم ، نعم ، بالتأكيد !

— لتلقي بذلك كثيراً في أعمالك : بل تدعين إلى حدّ تغيل آلة تسجيل كبيرة ...

« آلة تسجيل هائلة ! نعم ، هذا صحيح ، كانت هناك بالفعل تلك الفكرة أن ذلك ، على نحو ما ، كان يسجل في مكان ما : بما كان من ناحية أخرى يُغنيى بالضبط عن أن أتكلّم عنه ، أها ... ثم جاءني الفكرة ، مع ذلك ، أنه لم تكن إلا طريقة واحدة لاتخاذ الزمن ، هي استرجاعه بالكتابة .

— وأنت تقولين أيضاً ، لما دلتين شابسال : « كنت لأحب أن تكون لي مجموعة وثائق هائلة عن حياتي » ، كنت لأجد ذلك مثيراً للاهتمام المشبوب ، ذلك ، بالتأكيد ، بالقدر الذي ...

« ... الذي كنت أريد فيه أن أسترجع بالفعل ؟ هذا مؤكد . كان من الأفكار الجوهرية في تلك المجلدات الثلاثة ، هذا النوع من الاسترجاع الذي هو في الواقع غير قابل للممارسة ، لأن المرء لا يسترجع حقاً للماضي أبداً : وما أن تُكتب الكتب ، حتى يغير الماضي مع ذلك غريباً كما كان غريباً من قبل ، ولكنه مع ذلك قد استرجع إلى حد ما ، تحت شكل لغة وكلام مطبوع في كتاب ، على كل حال . نعم ، كانت هناك بالتأكيد تلك الفكرة .

— إذا كنت قد علمت بأن الحق على هذه النقطة ، فذلك أن المرء ينتهي إلى التساؤل — وهناك نصوص لك يمكن أن تدعم هذه القضية —

عما إذا كان المستقبل نفسه ليس ، قبل كل شيء ، في عينيك ، فرصة
والخلاص ، أو «قديسة» الحاضر . أي أن الفكرة بالاجتماع هي أنه
يجب انقاذ الحاضر ، انقاذ الكينونة ، وضع حاضر كل من الحياة .

« هذه أيضاً ، بالفعل ، فكرة كانت عندي ، ولكنها لم تمتد
عندي إلى هذا الحد الآن فيما اعتقد . يبدو لي حقاً أن فكرة الخلاص ،
بالضبط ، قد تحطمت . أريد أن أقول لاني ما زلت أشتهي أن أكتب ،
أما فكرة اجتماع العلم في إطار حياتي أنا ، فهذا ، هذا ما لم أعد لأؤمن
به ، أعرف منذ الآن أن ذلك ليس ممكناً . هناك أولاً المستقبل ، الذي
يفلت مني ، الذي سوف يفلت مني أكثر فأكثر ، وهناك أيضاً أن
الخيرة سوف يعيشها آخرون ، عندما أموت ... وعلى ذلك ، فلا يمكنني
أن أحفظ بهذا الوهم الذي كان عندي في أن أجعل من حياتي تجربة
لها اعتبارات ، لموضع الانساني . وكنت أعرف ، بالتأكيد ، من قبل
أن ذلك زائف : ولكن ذلك لم يمنع من أنه ظل يراود حياتي ، كرد
فعل ضد العبيّة بحيث كان المستقبل يبدو لي عندئذ ، بالأحرى ، باعتباره
شرطاً لا يهجز هذه التجربة . ذلك أنها دائماً كانت غير متجزئة : كان
هناك تلك البلد التي لم أرها ، وينبغي أن أراها ، وذلك الكتاب الذي
لم أقرأه ، هذا المصوّر الذي لم أكن أعرف لوحاته ... وتلك الأعمال ،
بالطبع ، التي لم أكن قد كتبها بعد . وهنا ، كان الأمر أكثر وضوحاً
من أن أستطيع تخيل تلك الاعمال إلا إذا كان ذلك ، ربما ، في
قالب أجوف يحوي الوفاة ، إلا أنني كنت ، ببساطة ، واثقة أن
الانعام سيأتي يوماً أن أكتبها . لكن ذلك ، كما ترى ، هو من نوع
الاشياء التي تستطيع أنت أن تراها خيراً مني بكثير ، عندما تعيد قراءة
ما كتبت ، ووفقاً للتخصص التي كتبته .

« سؤال الآن ، مختلف كل الاختلاف . هناك قيمة إيجابية في

الأهومة عند النساء الأخريات ، لريد أن أقول : قيمة يمكن لك حقا أن تصورها ؟

آه .. بلا أدنى شك ! نعم ، يمكن لي أن أتصورها تماماً ، من خلال الوقائع الكثيرة التي لاحظتها عند النساء .

— هل تعطينا قيمة إيجابية حقا ، للأخريات ولك ؟

أفكر أنه بالنسبة للأخريات ، يمكن لذلك أن تكون له قيمة إيجابية . وذلك صحيح ، أولاً ، بالنسبة لكل تجربة . ويمكن للأهومة دائماً أن تكون لها قيمة إيجابية ، ولو لم يكن ذلك إلا أن تعلم النساء شيئاً عن أنفسهن . إن المرأة التي تنتظر طفلاً ، والتي ولدت ، إذا كانت تحب هذا الطفل ، فتلك ، رغم كل شيء ، تجربة بالنسبة لها : حتى لو كانت عاشتها على نحو سيء للغاية ، إذا كانت ضدها ، فهي تجربة — تماماً كما يمكن القول إن الألم الجسدي الذي لا أعطيه أية قيمة إضافية ، بهمّ بالرغم من كل شيء لأنه يعطينا شيئاً عنه ، مما يسمح لنا أن نفهمه عند الآخرين . ثم إن المرأة إذا لم تكن مطلوبة صراحةً من أشياء أخرى ، فلا بد أن ذلك شيء مشير للاهتمام المشوب ، اكتشاف ماذا يكون عليه طفل ، وأفكر من ناحية أخرى أن ذلك يعني اليوم أكثر بكثير مما كان يعني في العشرين من العمر (حيث أنني اليوم أعطي أهمية أكثر لتعطيل النفس) أن لاحظ طفلاً ، أن أتبع من الصباح إلى مساء تصرفات رضيع . لا بأس ، فلن أفعل ذلك (عندي أشياء أخرى عليّ أن أفعلها ، ثم أن هذه ليست مشكلتي ، فلسفياً ، إيديولوجياً) : ولكنني أعتقد أن ذلك مشوق جداً ، أن ذلك يشير كثيراً من المسائل — وإذا كان هناك ، كما هو واضح ، حالات يمكن أن يفسد الأمر فيها ، فيمكن أيضاً أن يجد المرء في حياة الأطفال نوعاً من إطالة حياته نفسها ، وشخصه نفسه . لقد رأيت تجارب مشوّعة

بائرة ، للأئمة ، ولكني رأيت الكثير منها أيضاً ، تجارب سعيدة حقاً
ومشترية .

— إذن فالأئمة يمكن في رأيك أن تكون ...

• يعني أنني لا أرى بالفعل الفرق بينها وبين الأئمة ... إلا في واقعة
الحمل والولادة ، نفسها : إلا أنني أجد أن هناك خطراً عند النساء في
أن ينفذن إلى أنفسهن شيئاً من ذلك ، أن يعطينه أهمية كبيرة ، وأخشى
أن يكون في ذلك ، من جانبهن ، نوع من الرجعية . الأئمة بلا شك
فيها شيء نوعي خاص بها ، ولكنها تبدو لي ، في الجوهر ، من نفس
طراز الأئمة تقريباً ، أو على الأصح أنها يمكن أن تكون : ذلك أنه
صحيح ، في عصباننا ، أن المرأة تعتبر نفسها عامة مساوية أكثر من
الطفل الصغير وأنها أقرب إليه من الرجل . ولكن ذلك ، هنا أيضاً ،
مسألة ثقافة ، فها أظن ، أكثر بكثير من أنها مسألة فريضة أو فطرة .
وقد رأيت حالات كانت فيها الأئمة معاملة على نحو مبطرم مشوب .
وحقاً ، نعم ، أظن أنه بالنسبة لرجل والمرأة على السواء ، يمكن أن
تكون تجربة انجاب الأطفال تجربة مشوقة جداً ومثيرة جداً .

— وليست ، بوجه خاص ، ندهو لاختراب الزوجين ؟

• لا ، على الإطلاق .

— على أي حسب — أنت تتكلمين عن ذلك — أشكالاً معينة من

الخبرة ؟

• نعم .

— ألم تشعرني قط أنه في أساس كل خبرة ، عندما يتطلب المرء على
كل ما يمكن أن يكون فيها مما هو غير مألوف ، يبقى مع ذلك نوع
من الرواسب يوردها إلى حد ما ، مثلاً ، الاعتبار الكلي الذي قام به ،

لاشتراك معين في الحياة ، لاشتراك معين في التطلب ، وبالإحساس أنه إذا كان الآخر يقوم ، من ناحية أخرى ، بمشروع من نفس الطراز مع شريكة أخرى ، فإن كل شيء سوف ينهار بالضرورة ؟

• نعم . أعتقد أن هناك شيئاً ما صحيحاً وحقيقياً على وجه الإطلاق في بعض حالات القبرة . إذا كان «أ» يحيا شيئاً مع «ب» . ثم يأخذ «ب» في أن يحياه مع «ز» فواضح أنه سوف يترب على ذلك . بالنسبة لـ «أ» شعور بالتنحية : انقسام مشروع مشترك . شيء لا يعكس حالته مع «ب» . ثم أن هناك أحياناً كثيرة جداً في القبرة .. ولكن هناك بالتأكيد ما نقول باعتباره صحيحاً له قيمة .

— سؤال آخر : في كل مرة تتحدثين عن النساء في كتبك ، تتحدثين عنهن مع سرور . أريد أن أقول : أنت تحبين أن ترحبن ، وتعتبرين . عن طيب خاطر ، جميلات ، ومسيات ، وشيفات .

• نعم .

— ... ولا شك أنك لم تسمي أنك كنت موضع هجوم حيث . منذ بعض الوقت . لأنك وجدت أن «م» كانت لها أجمل ابتسامة في العالم ...

• آه نعم !

— إذن فذلك شيء أود أن تحدديه بالذات : كيف يبدو لك هذا ؟ هل تحبين حقاً أنه هناك . في المرأة ...

• لا أفري . ذلك عندي لتقائي . أريد أن أقول إن تصوراً للمرأة يشمل كل شيء دائماً . أكثر من الرجل بكثير . يشمل مشيتها . وشافتها . تكوينها الجسدي . ابتسامتها . وجهها .. إلى آخره . وذلك شيء كلاسيكي على أي حال ، عند الرجال وعند النساء على السواء .

واعتقد أن النساء - حتى فيما بين بعضهن البعض - يعطين أهمية أكبر
بكتيبر لمظهر الجسماني للنساء الأخريات ، مما يعطين لمظهر الرجال .

- نعم ، ولكنهن لا يعترفن بذلك دائماً ...

أعرف أن ذلك قد أهد علي شيئاً . هناك مثلاً ، أمريكية
كانت فيحة جداً (أنكلم عنها في يومياتي تحت اسم جوان) أخذت
تواجهني بعنف في هذا الموضوع : في كتابك وفي كتب سائر على النساء ،
الفتيات ، على الأقل ، رشاقة ، هن جيلات ، وسبات ، فهن شيء
عظيم له النفس . وأيضاً لم تنسني فتاة فيحة ، ذلك جازم . لأن ذلك
أيضاً معطى في البداية ، ثم مكيد به إلى حد تخيف فيما بعد ... نعم ،
ذلك يعتقد به ، بالتأكيد ، ولكن يجب أن أقول إن ذلك لسافر ،
صحيح ، اليوم ، أن تكون امرأة ما فيحة حقاً . لو أن يكون الأمر
في هذه الحالة أمر خاصة مميزة ، وعليفة محددة إلى حد أنه يجب ذكرها :
لم أستطع أن أنكلم عن قبوليت لوديك دون أن أذكر أنها فيحة ، ولم يخرج
فلك شعورها على أي حال . وهناك من جانب آخر نساء لا تنور المسألة
عندي في محضرن ، يملو لي تكونهن الجسماني عابداً وأنظر إليهن كما
أنظر إلى رجل . ولكن في أغلب الحالات ، وخاصة بالنسبة للنساء في
شبابهن ، فذلك مهم . نعم ، في العلاقات التي يقيمها المرء معهن ،
أن يكون حضورهن مما قبله وتوزيع إليه النفس . وعندما يكون القبح
معطاً عنه صراحة ، عند امرأة ما ، فاني أجده ذلك شيئاً تعافه
النفس .

- بصفة عامة ، عندما تكفين كتاباً ، هل تكون الغلطة كلها في
رأسك منذ البداية ؟

أه لا .. لا صحيح !

— أنت تكتشفين ، بقدر ما ستقولين ؟

— نعم ، بالتأكيد . "أخذت" مثلاً عندما بدأت "الجنس الثاني" (وهو مع ذلك مسافة ، أريد أن أقول إنه لو كان مبنياً ومشبهاً سلفاً لكان ذلك يصدمني أقل) ، فقد بدأت بالأساطير ، وكانت هذه هي النقطة الوحيدة التي كتبت ألوي أن أعالجها . ثم بعد ذلك ، ظهر لي أنه يجب أن أتناول التاريخ أيضاً . ثم بعد ذلك ، كان يجب علي أن أهتم بالفيزيولوجيا ، إلى آخره .. أما الروايات ، هي أيضاً ، فإن التصور الأولي لها يستألف دائماً من جديد ، وفي أغلب الأحيان أكتب نسخة أخرى . وتظهر شخصيات لم تكن متوقعة ، والنهاية أحياناً تتغير تماماً . وما دمت كتبت تتكلم عن النساء فالنظر مثلاً "شخصية" "ناسدين" في "الظنون" : حاولت أن أجعل منها امرأة قبيحة لا رشاقة فيها ، ولكن يتهمني المرء بأن ينسى أنها قبيحة ، لأنني لم أستطع أن أمتنع نفسي من أن أطيها شيئاً من السحر ، شيئاً يجعلها لطيفة — مما عدل في الوقت نفسه شخصيتها ، ومسيرها . إلى آخره . وحتى في السيرة الذاتية : في نقطة البداية من كل جزء كتبت أجهل كيف سوف أعالج المسألة ، وأية لغة سوف أخلدها ، وأية مسافة سوف أكتب منها على مبددة من نفسي . ذلك كله يجده المرء في الطريق ، وهو ليس معطى سلفاً ، أبداً .

— عتدي الطباع حتماً أنك تتقدمين بالفعل بطريقة اجواء كليات جزئية .

— نعم ، بالضغط .

— أمن الغناء أن يسألك المرء ما كتابك المفضل من بين الكتب التي كتبت ؟

— لا ، ليس ذلك من الغناء في شيء . ولكن من الصعب مع ذلك

أن أقارن ... الكتاب الوحيد الذي أدافع عنه ، على كل حال - أدافع عنه ضد كل العواصف وقد كل هجوم - هو «الجنس الثاني» : لأنه ليس فقط من قبيل الأدب ، لأن فيه مضموناً وحتوىً دقيقاً كل الدقة وأحرص عليه . ومن بين الكتب التي أعجبها على نحو خاص ، بعد ذلك ، هناك بلا شك المجلدات من السيرة الذاتية . وقد قال لي بعض الناس ، من جانب آخر ، أنهم يجدون كتاب «موت» طيب غاية الطيبة ، هو أكثرها نجاحاً ، ربما ... لا أدري . على الاجتهاد ، كتابي المفضل إذن هو السيرة الذاتية ، رغم ذلك . دون أن أعرف تماماً أي جزء من الأجزاء الثلاثة أفضل . الجزء الأول بالتأكيد أكثرها نجاحاً من ناحية البناء : فالشباب يبدو دائماً أنه يضي إلى هدف ، والجزء الثالث أكثر تفككاً بكثير . ونفسه فيه الكتابة في بعض المواضع ، ولكنني قلت فيه أشياء أكثر بكثير : أما الجزء الأوسط ، فأنا أعجبه ، لأنه يتصل بفردٍ من حياتي مضمورة عندي قليلاً ولكنني اهتمت اهتماماً حاداً بأن أبعثها من الموت . والحق أنني لا أستطيع الاختيار من بين الثلاثة . ثم أنها تفتق جميعاً ، وتكون كلها واحداً ، ليس كذلك ؟

- ذلك رأيي بالفعل ! ومن بين رواياتك ؟

آه «المثقفون» إذن ، رغم كل شيء . ! أعرف أن هناك قراء يفضلون «المدعوة» ولكنني أنا أحب «المثقفون» أكثر ، بكل ما أراه فيها من محبوب ... أجد أن فيه أشياء أكثر بكثير .

- المسرح الآن . ماذا لم ...

- لأنني اعتقد أنني لم أجعل لذلك .

- أنت فكرت حقاً في ...

- كنت أحرص أن المسرح هو أسلوب في التعبير . عندما أرى

المسرحيات التي أحبب (سواء كانت مسرحيات صالون أو مسرحيات معينة من بيكيت ، أو بعد ذلك - ولكن ذلك شيء آخر بالمرّة - مسرحيات برينجت) يبدو لي أن المسرح بعيد جداً جداً عن وسائل الخاصة بي : ذلك أنني في الأساس دائماً مائلة إلى التعبير المباشر عن الحقيقة ، وإذا كان صحيحاً أنه يجب الكذب أيضاً في الرواية ، فليس ذلك بنفس الدرجة ، مع ذلك النوع من الغنائية والميثولوجيا التي يتضمنها المسرح . فهنا يجب أن يكون هناك شكل من النقل إلى موقع آخر ، شيء من الفن (من الاندفاع ربما) لا يستجيب مع مزاجي . أحب المسرح كثيراً ، عندما يكون نابضاً ، ولكنه لا يدعوني حقاً إليه . حاولت مرة ، ولم تحض الأمور على وجهها ، ولكن كان ذلك بعد كل شيء فشلاً مشرفاً . كان من الممكن جداً أن أقول : « لا بأس ، لقد فاتني مسرحتي الأولى ، سوف أكتب غيرها » ، الواقع أنه لم تبطل هممتي : هذا القالب للتعبير ، ببساطة ، لم يكن يدعوني إليه .

— سؤال غيبي آخر : هل هناك من كتبك كتاب لا تحبه ؟

— لا أحب كثيراً ، الأخلاقية الاستيهام ، ولا « فيرهوس » وسيليا ، بالتأكيد . ولكن هذا الكتاب الأخير ، على الأقل ، كان كتاباً صغيراً . أما الآخر (ولدت ذلك في مذكراتي (١) فهو أقلها عندي ، ثم بعد

١ - في « قوة الانتهاء » ، « من كل كفي » ، « والدي يثير غيبي اليوم أكثر ما يثير » ، « جالب الشفقة والخلة فيه يبدو لي صحيحاً له قيت ، ذلك لا يمنع ، غيبي المسرح أخلصت عنه كثيراً لأن أسمع ، وغداً مقرباً ، مسألة أعطت لها إجابة جوفاء ، خارية خواء الديهيات الكنتية ... كان من القسط أن أسأل تعريف أخلاقية هذا خارج السياق الاجتماعي . كان من الممكن أن أكتب رواية تاريخية دون أن تكون لي فلسفة لدار بينج ، ولكن لم يكن ممكناً أن أصنع نظرية للفعل ، دون فلسفة لدار بينج (ص ٧٩ - ٨٠) .

أما من « فيرهوس وسيليا » فهذا هو النقد الذي كتبت له في « قوة الانتهاء » ، « ليست أحب حرصي على أن أصلي لأخلاقية الوجوهية غيبي مادياً » ، ولكن المذهب الذي في الوقت الذي كنت أعمل فيه أنني تقديرات الفردية ، ثلاث موحدة فيها ... وكانت ذاتية

ذلك ، ربما ، « المسيرة الطويلة » وهو عملٌ جادٌ ولكن لعله قد فات
أوانه (كنت أتوقع ذلك حقاً ...) وهو في نفس الوقت ، في جوهره ،
عملية تصنيف وتجميع - كتب في ظروف مختلفة بالمرّة ، وأقلّ حياةً
يكثيرة ، من « أمريكا يوماً بعد يوم » . لو كان عليّ أن أقذف بشيءٍ
من حفاضة السفينة ، كما يقال ، لقلعت بهذين الكتابين في المحلل
الأول ، كما هو واضح : « نحو أخلاقية للاستخدام » و « المسيرة الطويلة » .
- هل نستطيع أن نشيري ، من بين اثنين هاجموك ، أولئك الذين
كادحوا ففكرك ، إلى ذلك الذي يمكن منهم أن يكون ، إذا جرّوت على
القول ، خصصك في الانتقادات ؟

• لا . صحيح لا ... يبدو لي بصفة عامة أنهم يهاجموني بطريقة
مقلوبة ، بطريقة جانيّة ، بطريقة أميل إلى الغباء .

- ذلك بالفعل هو ما أشعر به . وأجد ذلك غريباً جداً ، أنه ليس
هناك ، على الجملة ، خصوم حقيقيون لسيمون دو بوفوار ...

• يعني ، هناك كثيرون يظنون أنفسهم ذلك . ولكن ذلك لا يوجد ،
بالنسبة لي . لأنني في نهاية الأمر ، في الميدان الأيديولوجي ، والنقطة
تماماً مما أفكر فيه ، ومن أنني على حق (بالأجمال ، على الأقل) :
الناقشات التي تشوّفتني إذن هي المناقشات مع أناس قريبين إلى ليوا
عصوماً حقاً ، ولكنهم « مختطّعون » في هذه النقطة أو تلك . إلا أن
هناك ، مثلاً ، من المناقشات للمذهب النسائي ، مثل « ميني جريجوار »
أو « جيفيف جيناري » من يدان بالقول إن القضايا التي أذاع عنها قد
راحت موضوعها ، وفات أوانها .. إلى آخره . أجد ذلك غيبساً وهو
يفسحكني على الأكثر ...

- تقرون ، بالضرورة ، بمشاهدة نزع كل أثر ، أو نكاه ، من التبعي نظرية .
لأنهم هذه المسألة الأولى ، اليوم ، إلا أنني أجد ثقة من خطابات « نظري » ،
(ص ٤٦٥ - ٤٦٦) .

- نعم . ذلك شيء لا يتعلق بك في شيء ...

• بالضبط . ومن ناحية أخرى فإن خصوم سارتر يضاقونني على الأقل بقدر ما يضاقني خصومي !

- شيء قد استرعى نظري أيضاً ، عند قراءة وإعادة قراءة سيرتك الذاتية : هو مشاهدة قاطعة حقيقية من ألوان الصديق المتعاقبة ، فيها ، فيالنسبة لكل لحظة ، مرة بعد المرة ، يبدو أنك تعبرين الوعي الذي تقدمينه بناءً عليها ، نهائياً .

• نعم . اعتقد أنني أردت أن أصور أنها في كل مرة كانت معاشة ، باعتبارها ذلك . ولكن هناك أيضاً ذلك الاتجاه الذي كان عندي طويلاً (وما زال عندي ، بلا شك ، قليلاً) . حتى الآن ، على الرغم من أنني اتخذت منه حظري بما فيه الكفاية (أن أحير كل حالاتي الروحية تقريباً ، نهائياً . تعود مثلاً إلى هذه الحادثة لـ «قوة الأشياء» : من المؤكد أنني كنت أقل فيها نوعاً من الاستبشاح لفصل كنت مفتتحة أنه لن يتخلل عني أبداً بعد . أما في الواقع ، ولما كانت هناك في المرة مرونة ، وطيش ، لما كان العالم يتغير ، وكذلك علاقات المرة مع الآخرين . فقد حدث أنني في الوقت الراهن ، كما قلت لك ، في حالة عقلية أخرى وأحس نفسي أكثر توافقاً مع نفسي ... دون أن أشكر مع ذلك ما كتبت : ولكن من الواضح أنني كتبت كما لو كان لن يتغير أبداً . وصحيح أنني عملت على هذا النحو طوال حياتي كلها تقريباً : في السادسة والعشرين كنت أفكر أنني عجوز ، نهائياً ، وفي الثامنة والعشرين (وهذه فترة أوردتها في كتابك) كنت أقول لسارتر إن حياتنا قد انتهت بالفعل وأنه لن يحدث لنا بعد شيء أبداً ... كل مرة ، نعم ، كل مرة ، كان هناك هذا المظهر «النهائي» . ولكن ذلك لم يعد ، اليوم ، نفس الشيء . بالتأكيد .

— ألم تكن تلك طريقة لتسجيل الحقيقة الحاضرة في المطلق ؟

« نعم ، بلا شك . تلك طريقة لإتكار الزمن ، لعدم توقيعه ، لعدم الاحساس بالخبرة به . ونحن بصدد تجربة تعوز الكثير من الناس ، فيها أعتقد ، من ناحية أخرى . وليست لي هذه الخبرة ، بالأجمال . فأنا اعتبر الأشياء كأنها أبدية ، كأنها دائماً ما هي عليه : فكرة أن المرء يمكن أن يتغير — سواء كان في عاداته ، أو صداقاته ، أو حتى يتغير شقته — ذلك يبدو لي ، دائماً ، باعتباري أشد الدهشة . ولكنني لا أدري ما إذا كان ذلك ميلاً لمطلق ، إل هذا الحد . بل أرى ذلك ، على الأكثر ، باعتباره وهماً لا بالأبدية ، حتى ، بل بالدوام ، بالاستمرارية . إذا لم أكن متوافق تماماً مع التعبير ، فقلل ذلك لأنه يخيفني ، لأنني أحب أن أبقى نفسي بنفسني ، أن أسقط نفسي كمشروع ، صليوا عن شيء ما ثابت مستقر ... »

— أعتقد أنه يمكن أن يقال عنك ما قاله سارتر عن نفسه : أنه قد

تغير ، مثل كل الناس في داخل دوام معين ؟

« نعم . »

— ولكنك تغيرت رغم كل شيء . هل تعتقد أن ذلك صحيح

أيضاً ، ولو قليلاً ، فيها يخص بعلاقتك بالزمن ؟ أريد أن أقول : هل

تقبل ، أكثر قليلاً ، مرور الزمن ، ونسبته ؟

« نعم : أعرف ، على كل حال ، أن الزمن يمر . أعرف ذلك

معرفة صفيقة . هذا شيء يبقى ، من تلك العلاقة ، وسوف يبقى فيما

أعتقد حتى مولي : كعلم هذه الأنواع من المطلقات التي لم تكن عندي

لحظات فقط ، بل فترات وعهود حياتي . أما الآن ، نعم ، فأعرف

حقاً أن الزمن يمر ، أن لي حياة مخلوقة ، ومعنى ما ، كنت أعرفه

من قبل ، ولكن الموت كان مع ذلك شيئاً بعيداً جداً . وفي نفس الوقت

هناك أشياء ما تزال ملتزمة أنها لن تتغير : هنا أيضاً ، أحرف ذلك : مثلاً ، علاقتي مع سارتر : واضح كل الوضوح أنها لن تتغير بعد ، مهما حدث . ولكن الباتي كله يبدو لي منذ الآن كأنه يمكن أن يراجع ، ويعدّل إلى حد قد يقل وقد يزيد .

— هل تظن أن ذلك سوف يُخص به في كتابك القادم ، ما دعت لتصويرين بالضغط أنك سوف تتحدثين فيه عن نفسك ؟

— هنا .. لا أعرف شيئاً . لأنني في الحقيقة أجهل كل شيء عن هذا الكتاب .. بل يبدو لي أنني نكلت معك ، وقرأت ما كتبتته عني ، فذلك سوف يعطيني شيئاً من الانطلاق لبدء العمل فيه . وعلى أي حال ، فإن موضوعات هذا الكتاب هي التي أحب أن أتكلّم عنها : العلاقة بالزمن ، الدوام ، التغير ... الخ .

— هناك جانبٌ في تشككك تعودين إليه كثيراً : التطهريّة . وأنت تشكّكين ، في وقت معاً ، على أصوله ، وعلى نوع من الاستدانة له طوال حياتك : ولكن المرء مرغم أن يلاحظ ، من جانب آخر ، أنك لا تهوين من أي موضوع ، إن أوصافك ، غالباً ، خشنة عارية خام جداً ، وأنه لا حياتك ولا آثارك تبدو من الممكن ضربها كمثالٍ على رفض الجنسية أو مشاكل من هذا الطراز ...

— لا بالتأكيد !

— إذن فهلي تعطيني أنا هنا بازاء وضعين ، موقفين يتواجدان منذ الأول ، دائماً ، أو أنك في هذا الصدد كنت تشعيرين بل تطور معين ؟

— لا ، أعتقد أن هناك وحدة معينة . هناك هذا التحفظ الذي كان يجعلني مثلاً أعاطب زازا بصيفة الجميع ، تأدياً ، وكانت تعيب عليّ ذلك ، على كل حال — نفس التحفظ الذي جعلنا أنا وسارتر ، دائماً نعاطب أحدهما الآخر بهذا الشكل — وهو ما يدهش الناس كثيراً . هذا

التحفظ ما يزال هناك ، دائماً ، وما يزال يؤثر إلى حد ما على مظاهر
عواصفي ، وعضداني ، دون أن يلعب مع ذلك إلى أن ينتجني أو
يشلني . ولكن يعني ... قلت ذلك ، كما تعرف : كان ذلك شيئاً أدهشني
كثيراً من «لازمان» عندما تعرفت به ، ذلك النوع من الحرية في التعبير
عن عواصفه - دون أية استعراضية ، بل على العكس بطريقة كنت أحبها
كثيراً ، في عتوية طبيعة لم أكن يساً لا عند سارتر ولا عند بوسه ،
ولا عندى (فتمن الثلاثة) بالرغم من كل شيء . ما أطلق عليهم
«تطهرين» .

- إذن فلا يمكن حتى أن نتكلم عن تطور ، عن جهد قد تكونين
بنايته لكي تتخلصي من هذه التطهيرة . مجرد أنك واصلتَ بينها وبين
نفسك ..

- أوه ! أنت تعرف ، أن كل قياس الطباع تنهي بأن تنهي
وفاين ، ثم إن الرد من ناحية أخرى . لم بعد في وضع يسمح له بإظهارها .
لا ، لن يعني ذلك شيئاً كثيراً عندي أن أقول عن نفسي أنني تطهيرة :
بل أفضل أن أقول أنني كنت تطهيرة ، أن نزعة تطهيرة معينة قد وسعت
حياتي في مجموعها . ولهم كل شيء .

- حاولت أن أقدم مجموع حركة وجودك ، وفي نفس الوقت حركة
فكرك ، تحت النوع الذي يعرف باسم «مشروع الحياة» .

- نعم ، وهو عنوان حسن جداً من ناحية أخرى .

- ما الذي تقبضه اليوم من علاقة بين مشروع الكتابة ومشروع
الحياة ؟ وأين أنت الآن من ذلك ، في هذا الصدد ؟

- أين أنا الآن منه ؟ لم تعد الحياة تبدو لي بالمرآة كأنها مشروع ،
بل ، بالأحرى ، على اعتبارها إطالة لما بدأ أن يكون : كأنها حركة
تطرد في سبيلها ، ووفقاً لقواعد مجراها ، بعضها خدار ، ومراد على

تغير متصل ، بينما البعض الآخر لا يُعزى إلا إلى الصدفة . لا بأس ،
 إنني هنا ، أميتس في هذه الشقة ، هناك صدقات قد انعقدت لأوسرها ،
 فإذا عشت صداقة جديدة من حين إلى حين ، لنضاف إليها ، فإن الأمر
 في مجموعه ، رغم كل شيء ، لا يتعلق بمشروع ، إلى ذلك الحد ...
 لم يعد لي مستقبل أبني ، لم أعد أوي أن أمك العالم ، سأذهب ، ربما ،
 لياهان في العام القادم مع سارتر ، وسيكون ذلك شاقاً ، لكنه لن يكون
 هذه الجدة التي كنت أحس من قبل بنشوتها . وبالتأكيد لن أحصل أبداً
 حياتي . لأن المرء ليس سليماً حقاً ، أبداً ، لأن ذلك ليس من شيمتي ،
 ولكن الطبيعة عشر أو العشرين عاماً التي بقي لي أن أجريها ، فاني
 أود الآن ، على الأكثر ، أن أجريها دون كثير شقاء ، ذلك في بيئة
 مؤلف دفاعي . حاولت أن أقول ، في هذا الصدد إنه لا يمكن أن يحدث
 لي بعد شيء هام جداً ، إلا إذا كان شيئاً ياتي بالشقاء ؛ ولكنني هنا أيضاً
 لم يتهم عني حق الفهم ... ومع ذلك فإن الأمر بسيط : إن شيئاً هاماً
 جداً ، سوف يكون ... لن يتكرر عمودي التقري ، أو أن يصبح
 سارتر عجزاً أصابه التلف ، أو أن يموت ، أو أن تسقط على فرنسا
 قبلة خفية ... أما عن الأشياء السعيدة ، فمن الممكن أن يحدث لي منها
 الكثير مما قد يكون لطيفاً مستحيماً ، بل مستحيماً جداً ، لكنه لن يكون
 هاماً جداً ، أبداً . وعلى أي حال ، فليست عندي بعد أية فكرة عن
 أنني سوف أصنع من حياتي شيئاً آخر عما كانته من قبل . نعم ، يمكن
 أن يحدث لي أن أخطئ بزمام مباحرات : ولكن ذلك سوف يكون من
 صنع الظروف .

ومن ثم فلا أشعر بالمررة ، بعد ، أن حياتي مشروع . وفي مقابل
 ذلك ، فإن مشروع الكتابة ، هذا نعم ، هذا حقيقي ما يزال . اختراع
 في كل مرة ، خلق شيء جديد ... لم أعد أعرف بعد حق المعرفة ماذا
 أحس بتلك الرغبة ما يزال ، ولكنني أعرف أنني أضعها ما يزال ، ما

يؤدي إلى أن الحياة يمكن ، رغم كل شيء ، بمعنى ما ، أن تنطلق بالنسبة لي مشروعا : في الخطوة التي يتضمن فيها مشروع الكتابة .

- نعم . ولكن أن يحيا المرء هو أيضا - وأنت تؤكدين ذلك بنفسك ، في ثورة تكفي - هو أيضا أن يشيع ، وأن يكون عليه أن يموت : فهل مشروع الحياة يتضمن أيضا أن على المرء أن يتخذ ذلك على عاتقه ؟ وعلى نحو أدق ، مثلا ، هل يظل الموت على نفس الأهمية ؟ هل نصيب ، مازلت ، بإزائه ، نفس ال ...

نعم ، نفس الموت والاستشباع ؟ وبالضبط ، نفس فكرة « العاذر المرء ذلك على عاتقه » هنا ، أجدتها فكرة تبعث على الضيق : لأن ذلك معناه الاستسلام . هناك بلا شك ، طرق للمرء لاتخاذ الأمور على عاتقه ، لا صلة لها بالاستسلام ، ولكن عندما يتعلق الأمر بالشيخوخة ... ليس ذلك شأنه شأن حرب مثلا ، في وضع المرء أن يحياها على أسلم نحو يمكن : هي مجرد حالة ، يتملأها المرء وهو فيها . هو الجسد ، تغير ، في اللحظة ، يمر به المرء . ومن ثم فإن فكرة أنه يجب أن يحياها المرء « على نحو حسن » تضاعفتي ، لأنها تلحق بكل الصانح التي تُرجى بشأن وداعة الشيوخ وهذوئهم ، الخ . ولكن يعني ، بالضبط ، أنك سألتني هذا السؤال ، لأن ذلك يبيح لي أن أفهم نوع القبط والحق الذي كنت أعس به : نعم ، أعتقد أن المرء لا يمكن أن يتحمل ، في مشروع واقعة التحمل ما يفرض عليك ، بكل بساطة . قد نقول لي إن الحرب قد تفرض عليّ أيضا ، لكن ذلك ليس نفس الشيء : يمكن للمرء أن يضع نفسه في مواقع مختلفة ، بطرق كثيرة ، في سياق الحرب ، وهي تقضي دون التقطاع ابتداءات ، واختيارات . أما الشيخوخة ، فعل العكس ، لا يمكن للمرء أن يتخذها على عاتقه ، لأنها وُضِعَ في جوهرها لا يمكن تجاوزها . في داخل الشيخوخة نفسها ، كما هو المفهوم ، هناك

أوضاع جزئية تتطلب التجاوز : لست أعرفها ، لا يمكنني أن أتوقعها ، ولكنني ظناً لم أكن ضحيةً لومني الشيخوخة وعطشها ، فسوف أكون دائماً هناك ، هذا واضح ، دائماً على بقعة واحترق ، لكني أحب هذه الأوضاع . أما ما أجده عاطفياً ككل الخطأ فهو أن يقول المرء لنفسه : آه ! سوف تكون لي شيخوخة هادئة وادعة ، سوف أصرب غسوةً تحلني في الموت براحة حقاً وبلا توتر ، مما يثبت أن المرء يستطيع أن يستغني عن الاخلاقية المسيحية ، وهكذا ! ذلك أنني لا أعتبر بالمرء ، أن الوجودية ، أو العلمانية ، تُرفع عن النظر إلى الموت بوداعة . ومن ناحية أخرى فإن كثيرين من الزمانيين أنفسهم ... وبعد كل شيء ، يمكن للمرء حقاً أن يعتبر الشيخوخة والموت فسيحةً دون أن يفهم من ذلك شيئاً أن الله موجود وأنه يجب أن يكون المرء مؤمناً . هذا هو الأمر ، يجب أن يشيخ المرء وأن يموت ، ولكن ذلك لا يصنع مشروعاً .

— حدثني عدة مرات عن كتاب تصوريين كتابته الآن ، نضعين فيه شيئاً أشبه بحساب خطمي لنفسك ، صفك نهائي . على الجملة ، ليس ذلك الثانية ؟

• ما زال هنا . كما تعرف ، شيئاً خامضاً ككل القموض : ربما كان ذلك ، بالأكثر ، نعم ، لتكون حياة ما في السيرة الذاتية مما يضيئ به المرء ويزعجه . حيث تراكب الزمن يحول دون أن يدرك المرء عمق اللحظة أبداً كانت . إذ المرء دائماً يبدو جرباً من لحظة إلى أخرى ... لذلك كنت لأريد أن أحاول الفاء نظرة عنقولة كل الاختلاف ، نظرة العلاقة بالحياة ، بالفعل ، إذ أنامل فيها هي السيرة الذاتية ، فيها هو للعاشق ، فيها هي الكتابة ... أي على الجملة ، أن أستاذت قليلاً علاج هذه المشاكل جميعاً التي لم أعالجها حقاً ، والتي تدعوني إليها ، بمجرد أن أهد التفكير في كتابي . وأكثر ما يضاهيني بالطبع في هذه القضية

هي فكرة أنني سأكتب عن نفسي مرة أخرى : لقد أعدد على كثيرًا منذ الآن ، أنني شعُفِيت بنفسي أكثر مما ينبغي ... ولكنني أعتقد أن الأمر هنا ، مع ذلك ، يتعلق بنقد خارجي قليلًا : ذلك أنني ، في الأساس ، إذا كنت أرغب في ذلك فلا شك أنه ما زال لدي ما أقول في هذا الصدد . ثم أنه على أي حال ليس هناك معيار أكثر لاختيار قرار بكتابة كتاب .

— يبدو لي ، من ناحية أخرى ، أن هناك ماحضًا آخر مُدِّد اليك (وقد قلت ذلك ، فيما أُنظن ؟) : فيما يتعلق بالسيرة الذاتية من الطراز الكلاسيكي .

« نعم . وأعتقد أن النقاد كانوا يستهدفون أساساً سيرتي الذاتية ... على أي حال ، كان مأخذهم أن الكتاب يظل دائمًا في « السابق » في « المقدمة » ويجعل القارئ ينتظر ، في غير طاق ، لحظة الانتقال إلى الجوهرية . وأعترف أنني عندما أعددت قراءة سيرتي الذاتية ... بل عندما كتبت أكتبتها من قبل ... أحسست إلى حدٍّ ما ، بالفعل ، أنني ما زلت أعدد لشيء آخر . وأنا الآن أحس ، قليلًا ، الحاجة إلى عمل هذا الشيء الآخر الذي سوف يكون نوعاً من الحل ، أو شيئاً أشبه بالقرار ، في مجموع العمل كله .

— أحس أن هذه الحاجة موجودة أيضاً لدى قرائك .

« بالفعل ! أتلقى كثيراً من الخطابات تطلب شرحاً ، أو تطلب « البقية » . وذلك كله معاً هو الذي يجعلني أحس الرغبة في الكتابة عن نفسي مرةً أخرى ... مما لا يعني مع ذلك أنني سوف أواصل حتى أبلغ الثمانين من العمر !

— وفي خارج هذا الكتاب ، أعتاك مشروع آخر يدعوك إليه في هذه

المنطقة ؟

موضوعات غامضة لروايات ... ولكنها حقاً أكثر غموضاً بكثير من أن تمكنني من الكلام عنها . بدأت ، قليلاً ، إذ أن هناك حقاً في تلك رغبة عميقة جداً أن أتكلم عن شيء آخر . كنت أظن أنني في نهاية هذه الأجزاء الثلاثة ، سوف أتناقص تماماً من نفسي : وحدث أنني لم أتناقص منها بعد . ولكنني آمل حقاً التي سأكتب رواية أخرى ، وعندئذ . هذه المرة ، سوف يكون في وسعي أن أتكلم عن شيء آخر .

— لأنك منذ مدة طويلة ، مع ذلك ، لم تكتبي رواية ...

مذ عشر سنوات ! ولا أدري ما إذا كنت سوف أستطيع أن أعيد نفسي إلى العالم الروائي ، ولكنني أفتني ذلك حقاً . والفكرة إذن ألا أسقط نفسي بعد ، على شخصياتي : مما يشتر كثيراً من المشاكل الأخرى . وصحيح على كل حال أنه يجب إعادة تفكير مشاكل الرواية . لست بالمرّة من أنصار «الرواية الجديدة» ولكنني موافقة على طائفة كبيرة من النقد الذي وجهه إليّ من هذه الناحية (وكنّت أوجهه إلى نفسي ، من قبل ، إلى حد ما ، عند كتابة «المتفنون») . وإذا كنت سأكتب رواية أخرى ، فمن المؤكد أنها لن تكون من نفس الطراز ، وأنّها سوف تثير أمامي مشاكل تكتيكية جديدة (طريقة السرد ، المسافة بيني وبين الشخصيات الخ ...) ، وبالإضافة إلى ذلك فسوف تكون بصدده الخاص لن يكونوا بالمرّة موضوعين في نفس الأوضاع التي أنا عليها .

— إذا حكمنا تبعاً لكثير من جوانب عملك ، فإن المرء يميل إلى أن يكشف فيه عن إغراء بالأخلاقية : لأنه يحدث لك غالباً أن تكتفي بأن تكوني «واضحة الرواية» — دون أن تظهر بالمرّة مشغولة بتعديل نظام العالم . ولو في أقل القليل ، ولا تعديل موقفك نفسه .

نعم . تلك بلا شك من النقط التي لعبت فيها أكبر التغيير .

« من خلال قوام معين » . لقد سألني أسس عما إذا كنت قد كتبت
على الناس أكثر قليلاً : وأعتقد أن النصح بالضغط هو أن يصبح المرء ،
أقل فاعلاً ، داعية أخلاقياً ، وأن يصبح أكثر فهماً ونساقاً ، فأكثر
الاحتمالين ، الناس الذين يتقنون وقتهم في الحكم ، والقوم ، والأداة ،
أو على العكس ، في الموافقة والتصديق والاعتراف ، في طرز الاختيار
والأشهر ، أعترف أنني أضيق بهم أكثر الضيق . قد يشوقني لوبسليتي
من الناحية السيكلوجية ، أن أراقب عند شخص ما هذه السمة في
الحلقة ، أو تلك ، أن أقول نفسي : إنه مثل هذا أو مثل ذاك ، ولكن
ذلك بصفة عامة لا يؤمنني لأجل تحييد كلي ولا إلى أداة مطلقة . أما
عن « وضوح الرواية » في هذه الحالة ، فأنت تعرف هنا ، التي ليست
غرفة بسهل عتلتها ، أيضاً : فهناك الكثير جداً من وضوح الرواية
الزائفة ... بالطبع أحب أن يريد المرء نفسه على أكثر الناس من الوعي
بوضعه . ولكن المرء ، في البداية ، لا يكون أبداً واضح الرواية ، ذلك
وأنهم ، ثم التي أرى بعض الناس ، دون أن يزعموا لأنفسهم وضوح
الرواية ، يستطيعون أن يصارعوا حقاً ضد صعوبات الوجود - ثم أخيراً ،
هذا على الأصح هو ما يعني : نوع من الشجاعة على الحياة ، عقلية
وعملية معاً .

— أردت أن أشير إلى هذه النقطة ، لأنه يبدو لي أنك في
الخطيئة ، من خلال طيب النية في ذلك الواضحة المتابعة ، لا تتقطع عن
أن تجري على نفسك عملية واقعية من شأنها إلى حد بقل أو يزيد إحداث
تغيير وتحويل عليك ، وبدهشتي أنني لم أركب توهميتها قط .
« ذلك بلا شك أنها لا تجري في وعيها » ، ولكن إذا استطعت أن
أن تضرب لي مثلاً ...

— نعم . عندما نقول إن سائرهم يهلك بأنك غصامة ، عندما

تروبتنا أنت نفسك عدة مرات بأمل على هذا الضمَام ، لا لئلا أبدأ
تعلين عن حرصك على الشفاء منه ، على شئ الحروب عليه . ومع
ذلك طالت في كل مرة تأتين بأدق وصف تمكن لموفقك .

• ولكني لا أحاول الشفاء منه لأنني لا أحاول أن أكون غير أنا
الذي عليه ! وفي النهاية ، اني أتمسك بهذا الضمَام ... انه حنأ أنا
نفسى ، وأنا أجده في نفسى طول الوقت . عندما بدأت ، منذ خمس
أو ست سنوات ، استمع إلى الموسيقى ، كان سائتر يقول لي : أنت
تعلين ذلك ، في هذه اللحظة ، كما لو أنك تفرعن بالشي على القدمين
ساعات طويلة ! ذلك أن جهلي في هذا الميدان كان عظيماً : وعلى
ذلك فقد اشريت كل ما استطعت أن أجده ، وأنفقت من الوقت ما كان
يقضيه الأمر ، ولكني استمعت إلى كل شيء . كان ذلك نوعاً من
العسل ، كما لو أنني أعدت أفرس اللغة الروسية ، أو أني شيء آخر
من هذا القبيل . وكنت أعرف حق المعرفة ، بالفعل ، أنه كان في
موقعي هنا ، شيء "جنوني" إلى حد ما ، ولكني لم أكن أرى كيف كان
من الممكن لي أن أأخذ شيئاً آخر ، ومعنى ما كان ذلك عندي شيئاً
مستحيماً لطيفاً ، على الأكثر . والواقع أنني مستعدة لبدء من جديد ،
لو أن جنوناً آخر استحوذ علي يوماً ما : نعم ، هذا مؤكد ، من
الممكن أن يولد ذلك من جديد ، دائماً .

— ولكن أليس ذلك في الحدود التي يظهر فيها أن هذا الموقف
الجنائى إلى حد كافٍ ، على نحو متصل ، في نهاية الأمر ، وفوق أن
يكون عليك أن تشغل نفسك به ؟

• نعم بالتأكيد .

— لأنه يلوح لي ، في الحقيقة ، أنك لا تتقطع عن التطور ، في

نفس الوقت الذي يملو عليك فيه أنك تجدني نفسك كل مرة في نفس
الفضاء .

• تريد أن تقول مثلاً بالنسبة إلى هذا القصاص ؟

— يلوح لي ...

• نعم ، هذا صحيح ، على أي حال . لأنني في نفس الوقت
أحس أكثر بكثير عرضية ما تشغل به : عندما أكون في روما (وليس
فذلك فقط لأنني أضع ميل ساتر موضع الاعتبار ، فانه يحدث لي أيضاً
عندما أكون وحدي) ، لا أحاول بعد ، أن أرى كل شيء . أن
أسترجع حيفط روما عن ظهر قلب ، بل أنرك نفسي أحياناً أكثر
بكثير عن ذي قبل . وذلك يلحق بما كنت أقوله لك منذ قليل : لا أحس
الآن ، إلا بأقل عن ذي قبل بكثير ، إحساس بمشروع يجب أن أنجزه :
أحب أن تكون القصصات مما تطيب له النفس ، أن تجري الأمور بحري
طياً ، ولكن ذلك ، منذ الآن ، دون أي تحيكال مستعجل . وما زالت
أحب ، بعد ، في الرحلات ، أن أفرغ كل شيء وأتطلب كل شيء ،
وأن أرى كل شيء . كما أقول : كما حدث في العام الماضي مثلاً ، في
حرفينيا ، ولكن لم يكن لذلك بالمره خاصية الضرورة الصارمة ، لم أكن
أفهم مريضة لأنني أظننت أن أرى هذه الناحية أو تلك . نعم ، هذا
مؤكد : أن قصاصي ، باعتباره جنوناً ، قد سكنت حدته كثيراً . لكنه
ليس شيئاً ...

— ولا حرصك على العمل ، فيما يلوح لي ... أنني من ناحية ،
تزداد حساسيتي بالمفارقة عندك بين الجانب «الكادح» والجانب
«الموهوب» .

• هذا ... هذه التهمة ... أعلمها شيء . قبل المره إلى إنكاره عليّ !
لست أدري ، على كل حال ، أنا ، ما معنى أن يكون المره «موهوباً» .

- هناك رغم كل شيء ، هذه الامكانية على التأمل والتعبير التي يبدو حقاً أنها قد « أعطيت » لك ، إلى حد ما . أريد أن أقول : إن الحاجة التي كنت تحسبها إلى العمل عليها ، تشير منذ ذلك الحين ، إلى وجودها .

• ربما ...

- وأتساءل عما إذا لم يكن المرء يستطيع القول بأن ما أعطيت لك حقاً ، بعد وضع كل شيء موضع الاعتبار ، هو التطلب معين .

• نعم . هذا صحيح ، من ناحية أخرى : وقد استطلعت أنا نفسي كلمة « موهبة » ، عندما قلت إنني لا أعرف أحداً على موهبة السعادة مثل موهبتي . فالوهبة إذن كانت بلا شك هي نفس واقعة التطلب . ولعلني لم أكن شيئاً آخر إلا هذا التطلب ... ولكننا هنا ، نعود إلى كل مسألة دوايكيتيك البداية : إذا كنت أطلب السعادة ، فذلك رغم كل شيء . لأنني كنت قد أصبحت قادرة عليها . وأعتقد أن هناك حقاً مقولات مدمرة اجتاحتها التخريب ، وأن المرء غير قادر حقاً على أن يكون سعيداً إذا لم يكن قد عرف منذ وقت مبكر جداً حضور السعادة . واذن فصحيح أن المرء يستطيع أن يتحدث عن تطلب كان معطىً لي - ولكن صبوراً عن خيرة كانت تضمن لي ، بطريقة ما ، أنها خيرة قابلة للتحقق ... لأنه إذا كان التطلب غاموياً ، فإن ذلك يعطي على العكس نوعاً من عدم الرضى المتصل يومئذ إلى أن ارادة السعادة تستحيل باستمرار ، إلى شقاء .

معالم في هذه الحياة : وهذا العمل

- ٩ يناير ١٩٠٨ : ولدت في باريس ، في بولفار راسباي .
- أكتوبر ١٩١٣ : « قررُوا أن يدخلوني مدرسة لها اسم جذاب : مدرسة
ديزير (مدرسة الرغبة) » .
- أكتوبر ١٩١٧ : تلقي بزلزا .
- أكتوبر ١٩٢٥ : تدخل حياة الطاليات (تدرس الآداب في نويي Neuilly
على جاريك Garric تدرس الرياضيات العامة في المعهد
الكاثوليكي) .
- أكتوبر ١٩٢٦ : تنضم إلى « الفرقة الاجتماعية » التي يرأسها جاريك
لتدرس الفلسفة في السوربون .
- أكتوبر ١٩٢٧ : السوربون (آخر شهادات الآداب والفلسفة) .
- نوفمبر ١٩٢٨ : السوربون والايكول نورمال (تحضير دبلوم الدراسات
العليا والأجريجاسيون في الفلسفة) .
- ١٩٢٩ : التدريب في ليسيه جانسون دي ساي Lycée Janson-de
Sailly الحصول على الاجريجاسيون . تلقي بشارتر .
- ١٩٣٦ : العودة إلى باريس (ليسيه مولير) . بعد مارسيليا
وروان .
- ١٩٤١ : سارتو يعود من الأسر .
- ١٩٤٣ : ظهور « المدعوة » L'Invitée رواية ، (جاليار) ،
ترك الجامعة .
- ١٩٤٤ : « فر هوس وسينا Pyrrhus et Cinqas » (مجموعة
« المقالات » جاليار) .

- ١٩٤٥ : « الأقوال اللاهوتية » Les Bouches inutilisées مسرحيتين
فصلين وثلاثي لوحات (« جالبار ») . و « دم الآخرين »
Le Sang des autres رواية (« جالبار ») .
- ١٩٤٦ : « كل البشر فانين » Tous les hommes sont mortels
رواية (« جالبار ») .
- ١٩٤٧ : « نحو أخلاقية للاستبهاج » Pour une morale de
l'ambiguïté (مجموعة « المقالات » « جالبار ») . الرحلة
الأولى إلى أمريكا .
- ١٩٤٨ : « أمريكا يوم ما بعد يوم » L'Amérique au jour le jour
(« موريجيان » ، « جالبار ١٩٥٤ ») « الوجودية وحكمة الشعوب »
L'existentialisme et la sagesse des nations
(مجموعة « الفكر » « تاجيل ») .
- ١٩٤٩ : « الجنس الثاني » Le deuxième Sexe (« جالبار »)
- ١٩٥٤ : « المفقون » Les Mandarines (« جالبار ») جائزة جولاكور
- ١٩٥٥ : « امتيازات » Privileges (مجموعة « المقالات » ،
« جالبار ») .
- ١٩٥٧ : « المسيرة الطويلة » مقالة عن الصين (« جالبار ») .
- ١٩٥٨ : « ملذذات فساد مستقيمة »
Mémoires d'une fille rangée (« جالبار ») .
- ١٩٦٠ : « قوة العمر » La Force de l'âge (« جالبار ») .
- ١٩٦٢ : « جميلة بولاشا » بالتعاون مع جيزيل حليم (« جالبار »)
- ١٩٦٣ : « قوة الأشياء » La Force des choses (« جالبار ») .
- ١٩٦٤ : « موت عذب غاية العذوبة » Une mort très douce
(« جالبار ») .
- ١٩٦٦ : « الصور الجميلة » Les Belles Images (« جالبار »)

فہرست

٧ مقدمة

الجزء الأول

العوامل الثابتة في موقفها « الطبيعي »

١٥	...	...	...	...	١ - الاستعدادات الطبيعية الأولى
٦٣	...	...	...	...	٢ - العلاقة بالعالم الطبيعي
٨٧	...	...	...	...	٣ - العلاقة بالعالم الإنساني

الجزء الثاني

تاریخ علاقتها بالآخرین

١- البيئة العائلية المباشرة والأزمة الأصلية ١١٥
٢- الحب والصداقة ، العلاقات ، « الآخرون » ١٧٣

الجزء الثالث
المواضيع الأساسية في علاقتها بالذات

- ١ - النزعة إلى رواية السيرة الذاتية « الأوتوبوجرافية » ، « الترجسية » ٢٤٥
وصورة الذات
- ٢ - الحياة ٢٦١
- ٣ - الحلم بالكيونة ، الذبذبة ، الوجود ٢٨٤
- خاتمة ٣١٠

حديثان
مع سيمون دو بوفوار

- الحديث الأول ٣١٩
- الحديث الثاني ٣٥٥
- معالم في هذه الحياة وهذا العنل ٣٨١

هَذَا الْكِتَابُ

تعتبر هذه الدراسة الهامة اوفى وأشمل واعمق ما صدر من دراسات عن الكاتبة الوجودية العالمية سيمون دو بوفوار .

ولا غرو ، فالمؤلف هو الباحث والناقد المعروف فرانسيس جانسون الذي يقول في المقدمة :

« لقد اتبع لي منذ عشرين عاماً ان القى سيمون دو بوفوار باستمرار ، وكنت قد قرأت كتبها ، واعتقدت اني أعرفها . وخطر لي في العام الماضي ان أعيد قراءة كتبها باقتباه شديد ، فكان هذا الكتاب الذي يهدف الى محاولة فهم « مشروع الحياة » لديهم ، واختيارها « ان تكتب » وان « تعترف لثا » .

وبعد ان استجوب فرانسيس جانسون نتاج الكاتبة ، اراد ان يستجوبها هي بالذات ، فأجري معها حديثين هاميين نشرهما في آخر هذا الكتاب الذي ترجمه ترجمة « امينة دقيقة » الاستاذ ادوار الخراط .

كتاب لا غنى عنه لمن اراد ان يفهم شخصية الكاتبة الفرنسية الكبيرة ، ونفسياتها ونتاجها كله .